

رياض السالكين

في شرح صحيفة

سيد الساجدين الإمام علي بن الحسين عليه السلام

تأليف

العلامة الأريب والفاضل الأديب

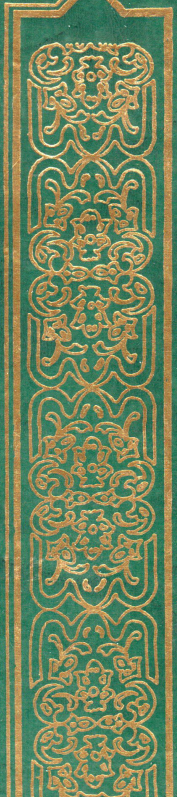
السيد علي خان الحسيني المدني الشيرازي

قدس سره

١٠٥٢ - ١١٢٠ هـ ق

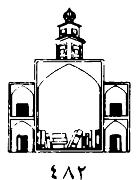
الجزء الثاني





مؤسسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة



٤٨٢



رياض السالكين

في

شرح صحيفة سيد الساجدين صلوات الله عليه

تأليف

العلامة الأريب والفاضل الأديب

السيد علي خان الحسيني الحسني المدني الشيرازي

قدس سره

١٠٥٢ ـ ١١٢٠ هـ ق





الجزء الثاني

مؤسسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة



سرشناسه: مدنی، علی خان بن احمد، ۱۰۵۲ ـ ۱۱۲۰ ق.
عنوان قراردادی: صحیفهٔ سجّادیه. شرح.
عنوان و نام پدیدآور: رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد الساجدين صلوات الله عليه / تأليف علي خان حسيني الحسني المدني الشيرازي، المحقّق محسن الحسيني الأميني.
مشخّصات نشر: قم: جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية بقم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ۱۳۶۸ ـ ۱۳۸۵.
مشخّصات ظاهری: ۷ ج.
فروست: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة. ۴۸۲.
شابک: دورة ۸ ـ ۲۹۳ ـ ۴۷۰ ـ ۹۶۴ ـ ۹۷۸؛ ج. ۲: ۹ ـ ۷۶۲ ـ ۴۷۰ ـ ۹۶۴ ـ ۹۷۸.
وضعیّت فهرست‌نویسی: فاپا. یادداشت: عربی.
یادداشت: ج. ۱ـ۷ (چاپ سوم: ۱۳۸۵). یادداشت: ج. ۱ و ۴ و ۶ (چاپ پنجم: ۱۳۸۵).
یادداشت: ج. ۱، ۲، ۶ و ۷ (چاپ ششم: ۱۴۲۸ ق. ۱۳۸۶).
یادداشت: ج. ۲ و ۵ (چاپ پنجم: ۱۴۲۷ ق. = ۱۳۸۵). یادداشت: کتابنامه.
موضوع: علی بن حسین عليه السلام، امام چهارم، ۳۸ ـ ۹۴ ق. صحیفه سجادیه ـ ـ نقد و تفسیر.
موضوع: دعاها.
شناسه افزوده: حسینی امینی، سید محسن، ۱۳۲۱ ـ ، مصحّح.
شناسه افزوده: علی بن حسین عليه السلام، امام چهارم، ۳۸ ـ ۹۴ ق. صحیفهٔ سجادیه. شرح.
شناسه افزوده: جامعهٔ مدرّسین حوزهٔ علمیهٔ قم. دفتر انتشارات اسلامی.
رده‌بندی کنگره: ۱۳۶۸ ۳۰۲۱۷ ص ۸ ع / ۱ / BP ۲۶۷
رده بندی دیویی: ۲۹۷/۷۲۲
شمارهٔ کتابشناسی ملی: ۲۱۲۱ ـ ۶۸ م

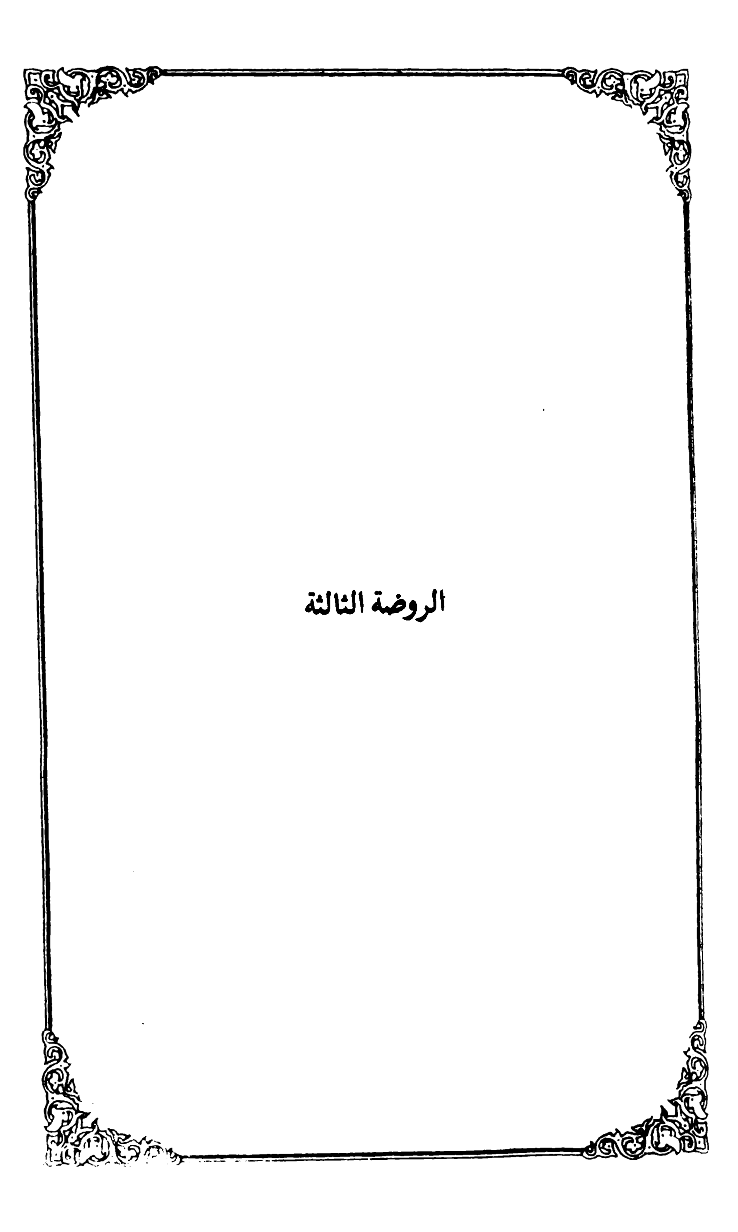
رياض السالكين

في شرح صحيفة سيّد الساجدين عليه السلام

(ج ۲)

■ المؤلّف: العلّامة الأديب السيّد علي خان المدنيّ الشيرازيّ رحمه الله □
■ المحقّق: فضيلة السيّد محسن الحسينيّ الأمينيّ □
■ الموضوع: المعارف الإلهيّة □
■ طبع و نشر: مؤسّسة النشر الإسلامي □
■ عدد الصفحات: ۶۱۲ □
■ الطبعة: الثامنة □
■ المطبوع: ۵۰۰ نسخة □
■ التاريخ: ۱۴۳۵ هـ. ق □
■ شابك ج ۲: ۹ ـ ۷۶۲ ـ ۴۷۰ ـ ۹۶۴ ـ ۹۷۸ □
ISBN 978 - 964 - 470 - 762 - 9

مؤسّسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة



الروضة الثالثة

وَكَانَ مِنْ دُعَآئِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الصَّلٰوةِ عَلٰى حَمَلَةِ الْعَرْشِ وَكُلِّ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ

اَللّٰهُمَّ وَحَمَلَةُ عَرْشِكَ الَّذِيْنَ لَا يَفْتُرُوْنَ مِنْ تَسْبِيْحِكَ وَلَا يَسْاَمُوْنَ
مِنْ تَقْدِيْسِكَ وَلَا يَسْتَحْسِرُوْنَ مِنْ عِبَادَتِكَ وَلَا يُؤْثِرُوْنَ
التَّقْصِيْرَ عَلَى الْجِدِّ فِيْ اَمْرِكَ وَلَا يَغْفُلُوْنَ عَنِ الْوَلَهِ اِلَيْكَ وَ
اِسْرَافِيْلُ صَاحِبُ الصُّوْرِ الشَّاخِصُ الَّذِيْ يَنْتَظِرُ مِنْكَ الْاِذْنَ
وَحُلُوْلَ الْاَمْرِ فَيُنَبِّهُ بِالنَّفْخَةِ صَرْعٰى رَهَآئِنِ الْقُبُوْرِ وَمِيْكَآئِيْلُ
ذُو الْجَاهِ عِنْدَكَ وَالْمَكَانِ الرَّفِيْعِ مِنْ طَاعَتِكَ وَجِبْرِيْلُ الْاَمِيْنُ
عَلٰى وَحْيِكَ الْمُطَاعُ فِيْ اَهْلِ سَمٰوَاتِكَ الْمَكِيْنُ لَدَيْكَ
الْمُقَرَّبُ عِنْدَكَ وَالرُّوْحُ الَّذِيْ هُوَ عَلٰى مَلٰٓئِكَةِ الْحُجُبِ وَالرُّوْحُ
الَّذِيْ هُوَ مِنْ اَمْرِكَ فَصَلِّ عَلَيْهِمْ وَعَلَى الْمَلٰٓئِكَةِ الَّذِيْنَ مِنْ دُوْنِهِمْ
مِنْ سُكَّانِ سَمٰوَاتِكَ وَاَهْلِ الْاَمَانَةِ عَلٰى رِسَالَاتِكَ وَالَّذِيْنَ لَا
تَدْخُلُهُمْ سَاْمَةٌ مِنْ دُؤُوْبٍ وَلَا اِعْيَآءٌ مِنْ لُغُوْبٍ وَلَا فُتُوْرٌ وَ
لَا تَشْغَلُهُمْ عَنْ تَسْبِيْحِكَ الشَّهَوَاتُ وَلَا يَقْطَعُهُمْ عَنْ تَعْظِيْمِكَ سَهْوُ
الْغَفَلَاتِ الْخُشَّعُ الْاَبْصَارِ فَلَا يَرُوْمُوْنَ النَّظَرَ اِلَيْكَ النَّوَاكِسُ
الْاَذْقَانِ الَّذِيْنَ قَدْ طَالَتْ رَغْبَتُهُمْ فِيْمَا لَدَيْكَ الْمُسْتَهْتَرُوْنَ

بِذِكْرِ آلَائِكَ وَالْمُتَوَاضِعُونَ دُونَ عَظَمَتِكَ وَجَلَالِ كِبْرِيَائِكَ وَ
الَّذِينَ يَقُولُونَ إِذَا نَظَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ تَزْفِرُ عَلَى أَهْلِ مَعْصِيَتِكَ سُبْحَانَكَ مَا
عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ فَصَلِّ عَلَيْهِمْ وَعَلَى الرَّوْحَانِيِّينَ مِنْ مَلَائِكَتِكَ
وَأَهْلِ الزُّلْفَةِ عِنْدَكَ وَحُمَّالِ الْغَيْبِ إِلَى رُسُلِكَ وَالْمُؤْتَمَنِينَ
عَلَى وَحْيِكَ وَقَبَائِلِ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ اخْتَصَصْتَهُمْ لِنَفْسِكَ وَأَغْنَيْتَهُمْ
عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ بِتَقْدِيسِكَ وَأَسْكَنْتَهُمْ بُطُونَ أَطْبَاقِ
سَمٰوَاتِكَ وَالَّذِينَ عَلَى أَرْجَائِهَا إِذَا نَزَلَ الْأَمْرُ بِتَمَامِ وَعْدِكَ وَ
خُزَّانِ الْمَطَرِ وَزَوَاجِرِ السَّحَابِ وَالَّذِي بِصَوْتِ زَجْرِهِ يُسْمَعُ زَجَلُ
الرُّعُودِ وَإِذَا سَبَحَتْ بِهِ حَفِيفَةُ السَّحَابِ الْتَمَعَتْ صَوَاعِقُ الْبُرُوقِ
وَمُشَيِّعِي الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ وَالْهَابِطِينَ مَعَ قَطْرِ الْمَطَرِ إِذَا نَزَلَ وَالْقُوَّامِ
عَلَى خَزَائِنِ الرِّيَاحِ وَالْمُوَكَّلِينَ بِالْجِبَالِ فَلَا تَزُولُ وَالَّذِينَ عَرَّفْتَهُمْ
مَثَاقِيلَ الْمِيَاهِ وَكَيْلَ مَا تَحْوِيهِ لَوَاعِجُ الْأَمْطَارِ وَعَوَالِجُهَا وَ
رُسُلِكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ بِمَكْرُوهِ مَا يَنْزِلُ مِنَ الْبَلَاءِ
وَمَحْبُوبِ الرَّخَاءِ وَالسَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ وَالْحَفَظَةِ الْكِرَامِ
الْكَاتِبِينَ وَمَلَكِ الْمَوْتِ وَأَعْوَانِهِ وَمُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ وَرُومَانَ فَتَّانِ

الْقُبُورِ وَالطَّآئِفِينَ بِالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَمَالِكٍ وَالْخَزَنَةِ وَرِضْوَانَ
وَسَدَنَةِ الْجِنَانِ وَالَّذِينَ لَا يَعْصُونَ اللّٰهَ مَآ اَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا
يُؤْمَرُونَ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى
الدَّارِ وَالزَّبَانِيَةِ الَّذِينَ اِذَا قِيلَ لَهُمْ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ
ابْتَدَرُوهُ سِرَاعًا وَلَمْ يُنْظِرُوهُ وَمَنْ اَوْهَمْنَا ذِكْرَهُ وَلَمْ نَعْلَمْ مَكَانَهُ
مِنْكَ وَبِاَيِّ اَمْرٍ وَكَّلْتَهُ وَسُكَّانِ الْهَوَآءِ وَالْاَرْضِ وَالْمَآءِ وَمَنْ
مِنْهُمْ عَلَى الْخَلْقِ فَصَلِّ عَلَيْهِمْ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ
وَصَلِّ عَلَيْهِمْ صَلٰوةً تَزِيدُهُمْ كَرَامَةً عَلٰى كَرَامَتِهِمْ وَطَهَارَةً
عَلٰى طَهَارَتِهِمْ اَللّٰهُمَّ وَاِذَا صَلَّيْتَ عَلٰى مَلٰٓئِكَتِكَ وَرُسُلِكَ وَ
بَلَّغْتَهُمْ صَلٰوتَنَا عَلَيْهِمْ فَصَلِّ عَلَيْهِمْ بِمَا فَتَحْتَ لَنَا مِنْ حُسْنِ
الْقَوْلِ فِيهِمْ اِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين(١)

الحمدلله جاعل الملائكة رسلاً أُولي أجنحة مثنىٰ وثلاث ورباع، والصلاة والسلام على رسوله الذي أشرقت بأنوار هدايته البقاع والرباع، وعلى آله وعترته الّذين ألزم طاعتهم من شرق وغرب وعلى حملة العرش وكلّ ملك مقرّب.

وبعد: فهذه الروضة الثالثة من رياض السالكين تتضمّن شرح الدعاء الثالث من أدعية صحيفة سيّد العابدين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين. إملاء راجي فضل ربّه السّنيّ علي الصدر الحسينيّ الحسنيّ أصلح الله أعماله وبلّغه بفضله آماله.

---

(١) في «الف» وبه ثقتي.

شرح الدعاء الثالث

وَكانَ مِن دُعائِهِ عَلَيه السّلامُ في الصّلاةِ عَلىٰ حملَةِ العَرْشِ وكُلِّ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ.

اختلف الناس في حقيقة الملائكة على أقوال:

أحدها: وهو قول المحقّقين من المتكلّمين: أنّها أجسام لطيفة، نورانيّة، إلٰهيّة، خيّرة، سعيدة، قادرة على التصرّفات السريعة، والأفعال الشاقّة، والتشكّل بأشكال مختلفة، ذوات عقول وأفهام، مسكنها السماوات، وبعضها عندالله أقرب من بعض وأكمل درجة، كما قال تعالىٰ حكاية عنهم «وما منّا إلّا له مقام معلوم»(١)، وإلى هذا القول ذهب أكثر المسلمين، وفي أخبار أهل البيت عليهم السلام ما يدلّ عليه.

الثاني: وهو قول عَبَدة الأوثان: أنّها هي هذه الكواكب الموصوفة بالسعود والنحوس وأنّها أحياء ناطقة، فالمسعّدات ملائكة الرحمة والمنحّسات ملائكة العذاب.

الثالث: وهو قول معظم المجوس والثنويّة القائلين بالنور والظلمة: وأنّهما جوهران حسّاسان قادران متضادّان في النفس والصورة، مختلفان في الفعل والتدبير. فجوهر النور فاضل، خيّر نقيّ، طيّب الريح، كريم النفس، يسر ولايضرّ، وينفع ولايمنع، ويحيي ولايبلي. والظلمة ضدّ ذلك.

فالنور يولّد الأولياء، وهم الملائكة، لا على سبيل التناكح بل كتولّد الحكمة من

---

(١) سورة الصافّات: الآية ١٦٤.

....

الحكيم والضوء من المضيء.

وجوهر الظلمة: يولّد الأعداء وهم الشياطين تولّد السفه من السفيه.

الرّابع: قول من قال: إنّها ليست بأجسام بل جواهر متحيّزة، ثمّ اختلفوا، فقال بعضهم: وهم طوائف من النصارى، إنّها هي النفوس الناطقة المفارقة لأبدانها، فإن كانت خيّرة صافية فهم الملائكة، وإذ كانت شرّيرة كثيفة فهي الشياطين.

وقال آخرون وهم الفلاسفة: إنّها مخالفة لنوع النفوس الناطقة البشريّة، وانّها أكمل قوّة، وأكثر علماً، ونسبتها إلى النفوس البشريّة نسبة الشمس إلى الأضواء، فمنها نفوس ناطقة فلكيّة، ومنها عقول مجرّدة.

ومنهم من أثبت أنواعاً أُخر من الملائكة: وهي الأرضيّة المدبّرة لأحوال العالم السفلي، خيرها الملائكة، وشرّيرها الشياطين.

ولكلّ من الفِرق أدلّة على ما ذهب إليه يطول ذكرها.

تبصرة

الإيمان بالملائكة واجب، قال تعالى: «آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالمؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلائكتِهِ»(١).

و روي عنه صلى الله عليه وآله وسلّم حين سئل عن الإيمان، أنّه قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه و رسله (٢).

الإيمان بالملائكة يتضمّن معاني:

أحدها: التصديق بوجودهم.

فأمّا البحث عن أنّها روحانيّة محضة، أو جسمانيّة محضة، أو مركّبة من

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

(٢) تفسير جامع أحكام القرآن للقرطبي: ج١ ص١٦٣.

....

القسمين، وبتقدير كونها جسمانيّة. فلطيفة أو كثيفة، فإن كانت لطيفة فنورانيّة أو هوائيّة، أو بعضها نورانيّ وبعضها هوائيّ -كما ذهب إلى كلّ طائفة- فليس بواجب. لأنّ مدار الإيمان بهم ليس خصوصيّات ذواتهم في أنفسهم، بل هو إضافتهم إليه تعالى، من حيث أنّهم عباد مكرمون له من شأنهم التوسّط بينه تعالى وبين الرسل بإنزال الكتب وإلقاء الوحي.

الثاني: إنزالهم منازلهم وإثبات أنّهم عباد الله وخلقه، كالإنس والجنّ مأمورون مكلّفون لايقدرون إلّا على ما أقدرهم الله عليه وإنّهم معصومون، وأنّ لذّتهم بذكر الله، وحياتهم بمعرفته وطاعته، والموت جائز عليهم ولكنّ الله جعل لهم أمداً بعيداً، فلا يتوفّاهم حتّى يبلغوه، ولايوصفون بشيْ يؤدّي وصفهم به إلى إشراكهم بالله تعالى، ولايدعون آلهة كما دعتهم الأوائل.

الثالث: الإعتراف بأنّ منهم رسلاً يرسلهم الله إلى من يشاء من البشر، وقد يجوز أن يرسل بعضهم إلى بعض، ويتبع ذلك الإعتراف بأنّه منهم حملة العرش، ومنهم الصافّون، ومنهم خزنة الجنّة، ومنهم خزنة النار، ومنهم كتبه الأعمال، ومنهم الذين يسوقون السحاب، فقد ورد القرآن بذلك كلّه أو بأكثره.

وقد أشار سيّد العابدين صلوات الله عليه إلى جملة من أنواعهم في هذا الدعاء كما ستقف عليه.

فائدة

قال سعيد بن المسيّب وغيره: الملائكة: ليسوا بذكور ولا إناث، ولايتوالدون، ولايأكلون، ولايشربون. والجنّ: يتوالدون، وفيهم ذكور وإناث ويموتون. والشياطين: ذكور وإناث ويتوالدون، ولايموتون حتّى يموت إبليس(١).

---

(١) ربيع الأبرار للزمخشري: النسخة المخطوطة ص٢٣ باب الملائكة والجنّ والإنس والشيطان.

اللّهُمَّ وَحَمَلَةُ عَرْشِكَ الّذِينَ لايَفْتُرونَ مِن تَسْبِيحكَ وَلا يَسأمُونَ مِن تَقدِيسِكَ.

قال سيّد العابدين وإمام الموحّدين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين:(١).

الواو: للإستئناف، وما بعدها مبتدأ، خبره: قوله فيما يأتي فصلِّ عليهم.

والذين: في محلّ رفع صفة لحملة عرشك الذي هو المبتدأ، وقول بعض طلبة العجم: مبتدأ والذين خبره خطأ محض فاحذره.

والحَمَلة بفتحتين: جمع حامل. وهذا البناء مطّرد في كلّ وصف لمذكّر عاقل صحيح اللام نحو كامل وكملة، وساحر وسحرة، وسافر وسفرة.

فإن قلت: هذا البناء من أبنية الكثرة، وهي ما جاوز العشرة، وحملة العرش دون العشرة كما سيأتي، فكيف استعمل فيه؟.

قلت: قد يستغنى ببعض أبنية الكثرة عن بناء القلّة وبالعكس وضعاً بأن تكون العرب لم تضع أحد البنائين إستغناءً عنه بالآخر كما وقع هنا، فإنّها لم تضع لحامل ونحوه جمع قلّة أو استعمالاً بأن تكون وضعتها معاً ولكنّها استعملت في بعض المواضع أحدهما مكان الآخر إتكالاً على القرينة.

والعرش في اللغة: سرير الملك، ومن البيت سقفه كالعريش والخيمة والبيت الذي يستظلّ به وعرش الله تعالى يطلق على معنيين:

أحدهما: علمه تعالى وحملته ثمانية: أربعة من أهل البيت عليهم السّلام، وأربعة من غيرهم كما رواه ثقة الإسلام في الكافي، بإسناده عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: حملة العرش - والعرش: العلم - ثمانية: أربعة منّا وأربعة ممّن شاء الله(٢).

وقال الصدوق قدّس سرّه في كتاب العقائد: أمّا العرش الذي هو العلم فحملته

---

(١) أي أول الدعاء كما هو في المتن.

(٢) الكافي: ج١، ص١٣٢، ح٦.

أربعة من الأوّلين وأربعة من الآخرين. فأمّا الأربعة من الأوّلين: فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السّلام. وأمّا الأربعة من الآخرين: فمحمّد وعليّ والحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين. هكذا روي بالأسانيد الصحيحة عن الأئمّة عليهم السلام في العرش وحملته. قال: وإنّما صار هؤلاء حملة العرش الذي هو العلم لأنّ الأنبياء الذين كانوا قبل نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم على شرائع الأربعة من الأوّلين: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، ومن قبل هؤلاء صارت العلوم إليهم وكذلك صار العلم من بعد محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم وعليّ والحسن والحسين عليهم السلام إلى من بعد الحسين من الأئمة عليهم السلام(١) إنتهى بنصّه.

الثّاني: وهو المراد هنا الجسم المحيط بالكرسي المحيط بالسماوات السبع ومابينها كما روي عن أبي عبدالله عليه السّلام: كلّ شيءٍ خلق الله في جوف الكرسي والكرسي محيط به خلا العرش فإنّه أعظم من أن يحيط به الكرسي(٢).

قال بعضهم: ولعلّ العرش هو الفلك الأعظم، والكرسي هو الفلك المشهور بفلك البروج.

وفي رواية عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: ما السماوات السبع والأرضون السبع مع الكرسي إلّا كحلقة في فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة(٣).

قال الصدوق طاب ثراه: اعتقادنا في العرش أنّه حملة الخلق(٤).

وروى في كتاب الخصال بإسناده عن حفص بن غياث النخعي قال:

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٨ ص٧ ح٥. والاعتقادات في ضمن كتاب شرح الباب الحادي عشر ص٧٥.

(٢) بحار الأنوار: ج٥٨ ص٢١ ح٣٧ مع اختلاف يسير في العبارة. (٣) الدر المنثور: ج١ ص٣٢٨.

(٤) **الاعتقادات** للصدوق ضمن باب الحادي عشر ص٧٤ وفيه حملة جميع الخلق.

....

سمعت الصادق عليه السّلام يقول: إنّ حملة العرش ثمانية، لكلّ واحدة منهم ثماني أعين، كلّ عين طباق الدنيا(١).

وعن الصادق عليه السّلام: إنّ حملة العرش أربعة: أحدهم على صورة ابن آدم يسترزق الله لولد آدم، والثاني على صورة الديك يسترزق الله للطير، والثالث على صورة الأسد يسترزق الله للسباع، والرابع على صورة الثور يسترزق الله للبهائم، ونكس الثور رأسه منذ عبد بنو إسرائيل العجل، فإذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية(٢).

ومن طريق العامّة عن ابن زيد قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: العرش يحمله اليوم أربعة ويوم القيامة ثمانية(٣).

وعن وهب قال: حملة العرش اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أُيّدوا بأربعة أُخرى(٤).

وعن ابن زيد: لم يسمّ من حملة العرش إلّا إسرافيل، قال: وميكائيل ليس من حملة العرش(٥).

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّ ملكاً من حملة العرش يقال له إسرافيل، زاوية من زوايا العرش على كاهله(٦)، قد مرّقت قدماه في الأرض السابعة السفلى ومرق رأسه من السماء السابعة العليا(٧).

ومن خطبة لأمير المؤمنين عليه السّلام في صفة حملة العرش من الملائكة عليهم السّلام: ومنهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم، والمارقة من السماء العليا

(١) الخصال: ص٤٠٧ ح ٤. وفيه ثمانية أعين. (٢) الخصال: ص٤٠٧ ح٥.

(٣) الدرّ المنثور: ج٦ ص٢٦١ (٤) الدرالمنثور: ج٥، ص٣٤٦. (٥) الدرّ المنثور: ج٦ ص٢٦١.

(٦) الكاهل: مقدم أعلى الظهر ممايلي العنق وهو الثلث الأعلى وفيه ست فقرات، المصباح المنير: ص٧٤٥. (٧) الدرالمنثور: ج٥، ص٣٤٧.

....

أعناقهم، والخارجة من الأقطار أركانهم، والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم، ناكسة دونه أبصارهم، متلفّعون(١) تحته بأجنحتهم، مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزّة وأستار القدرة، لايتوهّمون ربّهم بالتصوير(٢)، ولايجرون عليه صفات المصنوعين، ولايحدّونه بالأماكن، ولايشيرون إليه بالنظائر(٣).

وقوله عليه السّلام «المناسبة لقوائم العرش أكتافهم» يفيد أنّ للعرش قوائم غير الحاملين.

وكذلك روي عن الصادق عن أبيه عن جدّه عليهم السّلام قال: إنّ بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الأُخرى خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام(٤).

واعلم أنّ من قال: بأنّ الملائكة أجسام كان حمل صفاتهم المذكورة على ظاهرها أمراً ممكناً والله تعالى قادر على جميع الممكنات. وأمّا من نزّههم عن الجسميّة فهو يسلّط على ذلك كلّه التأويل بما ذكره يفضي بنا إلى التطويل.

قوله عليه **السلام** «لايفترون عن تسبيحك» فتر- يفتر، ويفتر من باب فعل وضرب فتوراً: سكن بعد حدّة، ولان بعد شدّة، وفتر الماء سكن حرّه، وفتر جسمه لانت مفاصله وضعف، والفتر محرّكة: الضعف، والتسبيح مصدر سبّح إذا قال سبحان الله، والتنزيه يقال: سبّحت الله إذا نزّهته عمّا يقول الجاحدون، فهو بمعنى التبعيد من سبّح في الأرض والماء إذا أبعد فيهما وأمعن ويكون بمعنى الذكر، يقال: فلان يسبّح الله، أي يذكره بأسمائه نحو سبحان الله. وبمعنى الصلاة وهو يسبّح أي: يصلّي. ومنه: «فلولا أنّه كان من المسبّحين»(٥) أي من المصلّين، وفيه إشارة إلى

---

(١) تلفع بالثوب: إذا اشتمل به. النهاية لابن الاثير ج٤ ص٢٦١.

(٢) في(الف): بالتصور.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة الأولى ص٤١.

(٤) بحار الأنوار: ج٥٨ ص٣٦ ح٦١ وص٣٤ ح٥٤ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٥) سورة الصافّات: الآية ١٤٣.

....

قوله تعالى: «يُسَبِّحُونَ الليلَ والنهارَ لايَفتُرُونَ»(١).

قال المفسّرون: أي ينزّهون في جميع الأوقات ويعظّمونه ويمجّدونه دائماً، لايلحقهم فتور ولا كلال. لأنّ الفتور هو وقوف الأعضاء البدنيّة عن العمل وقصورها بسبب تحلّل الأرواح البدنيّة وضعفها و رجوعها إلى الاستراحة وكلّ ذلك من توابع المزاج الحيواني، فلا جرم صدق سلبه عنهم.

وقيل: معنى لايفترون: لايتخلّل تسبيحهم فترة أصلاً بفراغ، أو بشغل آخر.

وأُورد عليه: أنّهم قد يشتغلون باللعن، كما قال تعالى: «أُولئك عَلَيهِم لَعْنَةُ اللّه وَالْمَلائِكَة»(٢).

وأُجيب بأنّ التسبيح لهم كالتنفّس لنا لايمنعهم عنه الإشتغال بشيءٍ آخر.

واعترض بأنّ آلة التنفّس لنا مغايرة لآلة التكلّم، فلهذا صحّ اجتماع التنفّس والتكلّم.

وأُجيب بأنّه لااستبعاد في أن يكون لهم ألسن كثيرة. أو يكون المراد بعدم الفترة أنّهم لايتركون التسبيح في أوقاته اللائقة به.

و روى محمّد بن الحسن الصفّار، عن إبراهيم بن هاشم، عن أبي عبدالله البرقي يرفعه إلى أبي عبدالله عليه السّلام، قال رجل لأبي عبدالله عليه السّلام: جعلت فداك أخبرني عن قول الله تبارك وتعالى وما وصف من الملائكة «يسبّحون الليل والنهار لايفتُرون»(٣) ثمّ قال «إنّ الله وملائكته يصلّون على النبيّ يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً»(٤) كيف لايفترون وهم يصلّون على النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ فقال أبوعبدالله عليه السّلام: إن الله تبارك وتعالى لمّا خلق محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم أمر الملائكة فقال: أنقصوا من ذكري بمقدار

(١) و (٣) سورة الأنبياء: الآية ٢٠. (٢) سورة البقرة: الآية ١٦١. (٤) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

....

الصلاة على محمّد، فقول الرجل: صلّى الله على محمّد في الصلاة مثل قوله: سبحان الله والحمدلله ولا إله إلّا الله والله أكبر(١).

وفي بعض الأخبار: أنّ حملة العرش يتجاوبون بصوت رخيم، يقول أربعة منهم: سبحانك وبحمدك على حلمك بعد علمك، وأربعة يقولون: سبحانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك (٢).

وعن الصادق عليه السّلام قال: أنفاسهم تسبيح(٣).

وفي رواية: ليس شيْ من إطباق أجسادهم إلّا ويسبّح الله ويحمده من ناحيته بأصوات مختلفة(٤).

ومن الغريب ما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف عن أبي أُمامة قال: إنّ الملائكة الذين يحملون العرش يتكلّمون بالفارسيّة ذكر ذلك الجلال السيوطي في الحبائك(٥).

قوله عليه السّلام: «**وَلايسأَمُونَ مِنْ تَقْديسِكَ**» سئم الشيْ منه ـ كفرح ـ سأْماً وسأَماً بالتحريك وساءمة ـ بالمدّ ـ ضجر وملّ وفي التنزيل: «لايسأم الإنسان من دعاء الخير»(٦).

والتقديس: تنزيه الله تعالى وتبعيده اعتقاداً وقولاً وعملاً عمّا لا يليق بجنابه من قدس في الأرض إذا ذهب فيها وأبعد.

ويقال: قدّسه أي طهّره، فإنّ مطهّر الشيْ مبعد له من الأقذار، فالتسبيح بمعنى التنزيه والتقديس يرجعان إلى معنى واحدٍ وهو تبعيد الله عن السوء، إمّا في الذات:

---

(١) بحار الأنوار: ج٩٤ ص٧١ ـ ٧٢.
(٢) بحار الأنوار: ج٥٨ ص١٩ ح٢٤. الدرّ المنثور: ج٥ ص٣٤٦.
(٣) بحار الأنوار: ج٥٩ ص١٨٥ ح٢٨.
(٤) بحار الأنوار: ج٥٩ ص١٨٢.
(٥) الحبائك للسيوطي: ص٥٠.
(٦) سورة فصّلت: الآية ٤٩.

....

ويحصل بنفي الإمكان المستلزم لنفي الكثرة، المستلزم لنفي الجسميّة والعرضيّة والضدّ والندّ، وإمّا في الصفات: بأن يكون مبرّءً عن العجز والجهل والتغيّرات محيطاً بكلّ المعلومات، قادراً على كلّ المقدورات، وإمّا في الأفعال: بأن لايكون أفعاله عبثاً، ولالجلب المنافع إليه، ولالدفع المضارّ عنه.

وقال بعضهم: بين التسبيح والتقديس فرق: وهو أن التسبيح: هو التنزيه عن الشريك والعجز والنقص، والتقديس: هو التنزيه عمّا ذكر وعن التعلّق بالجسم وقبول الإنفعال وشوائب الإمكان، وإمكان التعدّد في ذاته وصفاته وكون الشيْ من كمالاته بالقوّة، فالتقديس أعمّ، إذ كلّ مقدّس مسبّح من غير عكس، وذلك لأن الإبعاد من الذهاب في الأرض أكثر من الإبعاد من الذهاب في الماء. فالملائكة المقرّبون الذين هم أرواح مجرّدة بتجرّدهم وامتناع تعلّقهم وعدم احتجابهم عن نور ربّهم وقهرهم لما تحتهم بإفاضة النور عليه وتأثيرهم في غيرهم وكون كلّ كمالاتهم بالفعل مسبّحون مقدّسون وغيرهم من الملائكة السماويّة والأرضيّة ببساطة ذواتهم وخواصّ أفعالهم وكمالاتهم مسبّحون بل كلّ شيءٍ مسبّح وليس بمقدّس، ويقال: سبّوح قدّوس ولايعكس، انتهى.

وفي نفي السأم عنهم تلميح إلى قوله تعالى: «يُسَبِّحُونَ لَهُ بِالليلِ والنَّهارِ وَهُمْ لايَسأمُون»(١). وإنّما كان السأم والملال منفيّاً عنهم، لأنّه عبارة عن إعراض النفس عن الشّيْ بسبب كلال بعض القوى الطبيعيّة عن أفعالها. وذلك غير متصوّر في حقّ الملائكة السماويّة.

وفي بعض الأخبار: ليس لحملة العرش كلام إلّا أن يقولوا: قدّوس الله القويّ، ملأت عظمته السماوات والأرض(٢) *.

---

(١) سورة فصّلت: الآية ٣٨.

(٢) بحار الأنوار: ج٥٨ ص١٩ ح٢٥.

وَلا يَسْتَحسِرونَ مِن عِبادَتِكَ، وَلا يُؤثِرُونَ التّقصيرَ عَلىٰ الجِدّ في أمرِكَ، وَلا يَغفُلونَ عَن الوَلَهِ إلَيكَ.

لايستحسرون: أي لايتعبون ولايعيون، من حسر حسوراً كضرب وفرح أي تعب وأعيا، وكان الأبلغ في وصفهم أن ينفي عنهم أدنى الحسور، ولكنّه أتى بصيغة الإستفعال المنبئة عن المبالغة في الحسور للتنبيه على أنّ عبادتهم لثقلها و دوامها حقيقة بأن يستحسر منها ومع ذلك لايستحسرون لا لإفادة نفي المبالغة في الحسور مع ثبوت أصله في الجملة، كما أنّ نفي الظلاميّة في قوله تعالى: «وما أنا بظلاّمٍ للعبيد»(١) لإفادة نفي كثرة الظلم المفروض تعلّقه بالعبيد لا لإفادة نفي المبالغة في الظلم مع ثبوت أصل الظلم في الجملة.

وفيه: إشارة إلى قوله تعالى: «ومن عنده لايستكبرون عن عبادته ولايستحسرون»(٢).

وآثر الشيء بالمدّ: إختاره وفضّله.

والتقصير في الأمر: التواني فيه وهو خلاف الجدّ فيه، والمعنى أنّهم لايختارون الراحة على تعب العبادة، فيقصّروا ويتوانوا في عبادته تعالى.

وقيل: المقصود نفي الأحوال البشريّة عنهم من التعب والراحة لكونهما من توابع هذه الأبدان الحيوانيّة.

والغفلة: عدم التفطّن للشيء وغيبته عن البال وقد استعمل فيمن تركه إهمالاً وإعراضاً كما في قوله تعالى: «وهم في غفلة معرضون»(٣). يقال: غفلتُ عن الشيء من باب قعد غفولاً وغفلة وغفلاً بالتحريك، وأغفلته إغفالاً تركته إهمالاً لالعدم التفطّن له، وتغافل أرى من نفسه ذلك وليس به.

والوله إلى الشيء: الحنين إليه، يقال: ولهت الامّ إلى ولدها تله وتوله من بابي

(١) سورة ق: الآية ٢٩. (٢) سورة الأنبياء: الآية ١٩. (٣) سورة الأنبياء: الآية ١.

....

وعد وتعب، ولهاً بـالتحريك : إذا حنّت إليه، وأمّا الوله بمعنى ذهاب العقل من فرح أو حزن فإنّما يعدّى بـعلى فيقـال: وله عليه، والمراد بوله الملائكة إليه سبحانه محبّتهم وعشقهم له وصدق رغبتهم فيما عنده فهو من باب إطلاق الملزوم وإرادة اللازم، ولمّا كـانت الغفلة مـن لواحق القـوى الإنسانيّـة وجب أن تكونَ مسلوبة عـن الملائكة السمـاويّة لسلب معـروضهـا عنهم، وكلّ ذلك إشارة إلى كـمال مراتبهم في صنوف عباداتهم وتأكيد لهـا بعدم النقصانات اللاحقة ، فإنّ كلاً من هذه الصفـات المنفيّة ـلووجدـ كان نقصاناً فيما يتعلّق به وإعراضاً عن الجهة المقصودة.

تنبيه

في قـولـه عليه السّلام: «ولايـؤثـرون التقصير على الجدّ في أمرك » دلالة على أنّ الملائكـة عليهم السّلام قـادرون على التقصير، لـكنّهم لايـؤثرونه اختياراً للـجدّ عليه وتفادياً عنه، والمسألة محلّ خلاف.

فـذهـب الـفلاسـفـة وأهـل الجبر: إلى أنّـهم خير محض، وأنّـهـم مطـبـوعون على الطاعات، لاقدرة لهم على الشرور والمعاصي.

و ذهـبـت المعتزلة وجمـهـور الإماميّة: إلى أنّ لهم قدرة على الأمـريـن بدليل قوله تعالى: «ومـن يقـل منهم إنّي إلهٌ من دونـهِ فذلك نَجزيـه جهنّم»(١) وهذا يـقتضي كونهم مزجورين(٢).

وقوله تعالى: «لايستكبرون عن عبادته»(٣) والمدح بترك الإستكبار إنّما يحسن

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٩.

(٢) في«ألف»:موجودين.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٢٠٦، والأنبياء: الآية ١٩.

وَ إِسْرافِيلُ صاحِبُ الصُّورِ الشّاخِصُ الّذي يَنتَظِرُ مِنكَ الإِذنَ وَحُلُولَ الأَمْرِ فَيُنَبِّهُ بِالنَّفْخَةِ صَرْعىٰ رَهائِنَ القُبورِ.

لوكان قادراً على الإستكبار، ولولاذلك ما استحقّوا ثواباً علىٰ طاعاتهم، إذ لوكانوا مطبوعين على الطاعات لم يكن عليهم مشقّة في التكليف، فلم يستحقّوا ثواباً، والتكليف إنّما يحسن في كلّ مكلّف تعريضاً للثواب، فلا بدّ أن يكون لهم شهوات فيما حظر عليهم ونفارٌ عمّا أُوجب عليهم حتّى تحصل فائدة التكليف. والله أعلم*.

إسرافيل: عطف على حملة عرشك وهو بكسر الهمزة، إسم أعجمي مركّب مضاف إلى إيل بالكسر وهو إسم الله تعالى بالعبرانيّة. قيل: هو رباعي. وقيل: خماسي والهمزة أصليّة.

أخرج ابن جرير من العامّة، عن عليّ بن الحسين عليهما السّلام قال: «كلّ شيئ رجع إلى إيل فهو عبدالله عزّوجلّ»(١).

قال الأخفش: ويقال في لغة إسرافين ـ بالنون ـ كما قالوا جبرين وإسماعين وإسرائين(٢). وإنّما أفرده بالذكر مع أنّه من جملة حملة حال العرش كما تقدّم في بعض الأخبار لإظهار فضله كأنّه من جنس آخر أشرف ممّا ذكر تنزيلاً للتغاير في الوصف، منزلة تغاير في الجنس ولإختصاصه دونهم، بكونه صاحب الصور، فخصّه بالذكر من بينهم ليرتّب عليه الوصف المختصّ به وفي تقديمه على من بعده في الذكر دلالة على تفضيله، ويدلّ عليه أيضاً ما روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أنّ ملك الله الذي يليه إسرافيل»(٣).

وعن ابن مسعود: «أنّ أقرب الخلق من الله إسرافيل»(٤).

---

(١) تفسير الطبري: ج١ ص٣٤٧ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٢) لسان العرب: ج ١٤ ص٣٨٣، والصحاح: ج٦ ص٢٣٧٦.

(٣) الدرّ المنثور: ج١ ص٩٣. (٤) الأنوار النعمانية: ج١ ص٢٠٥ من دون نسبة إلى ابن مسعود.

....

وعن الهذلي قال: «ليس شئ أقرب إلى الله من إسرافيل وبينه وبين الله سبعة حجب»(١).

والصور - بالضم - القرن ينفخ فيه، والشاخص فاعل من شخص كمنع شخوصاً إرتفع أو من شخص بصره إذا فتح عينه لايطرف، وربّما عدّي بالباء فقيل: شخص ببصره فهو شاخص. والإذن - بالكسر - إسم من أذنت له في كذا أطلقت له فعله. وحلول الأمر نزوله أو انتهاء أجله من حلّ الدين إذا انتهى أجله ووجب أداؤه، ويقال: حلّ أمر الله عليه أي: وجب.

أخرج أبو الشيخ عن وهب قال: «خلق الله الصور من لؤلؤة بيضاء في صفاء الزجاج، ثمّ قال للعرش: خذ الصور فتعلّق به، ثمّ قال: كن، فكان إسرافيل، فأمره أن يأخذ الصور فأخذه وبه ثقب بعدد كلّ روح مخلوقةٍ ونفس منفوسة لاتخرج روحان من ثقبة واحدة وفي وسط الصور كرّة كاستدارة السماء والأرض، وإسرافيل واضع فمه على تلك الكرّة، ثمّ قال له الرّب: قد وكّلتك بالصور فأنت للنفخة وللصيحة فدخل إسرافيل في مقدّم العرش فأدخل رجله اليمنى تحت العرش وقدّم اليسرى ولم يطرف منذ خلقه الله، ينتظر ما يؤمر به(٢).

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنا جبهته وأصغى سمعه ينتظر متى يؤمر فينفخ، قالوا: فما نقول يا رسول الله؟ قال: قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل(٣).

و روي عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: لمّا فرغ الله من خلق السماوات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل عليه السّلام فهو واضعه على فيه،

---

(١) علم اليقين: ج١ ص٣١٥ وفيه «العرش» بدل «الله» ومن دون نسبة إلى الهذلي.

(٢) بحار الأنوار: ج٥٩ ص٢٦١ ح٣٧، والدرّ المنثور: ج٥ ص٣٣٨.

(٣) بحار الأنوار: ج٥٩ ص٢٦١ ح٣٩ مع اختلاف يسير في العبارة.

....

شاخص بصره إلى العرش متى يؤمر، قيل: يا رسول الله ما الصور؟ قال: القرن، قيل: كيف هو؟ قال: عظيم! والّذي نفسي بيده أنّ عظم داره فيه كعرض السماوات والأرض فيؤمر بالنفخ فيه، فينفخ نفخة لايبقى عندها في الحياة أحد إلّا من شاء الله، وذلك قوله تعالى: «ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلّا من شاء الله»(١). ثمّ يؤمر بأُخرى فينفخ نفخة لايبقى معها ميّت إلّا بعث وقام، وذلك قوله تعالى: «ثمّ نفخ فيه أُخرى فإذا هم قيام ينظرون»(٢)(٣).

و إلى النفخة الثانية: اشار سيّد العابدين بقوله: «فينبّه بالنفخة صرعى رهائن القبور» الفاء عاطفة سببيّة والمعطوف عليه محذوف والتقدير: فينفخ فينبّه، كقوله تعالى: «فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت»(٤) أي فضرب فانفجرت.

والتنبيه: الإيقاظ من النوم، ولمّا كان الموت شبيها بالنوم حتّى أُطلق لفظ الموت عليه، فقيل: مات بمعنى نام.

وفي الحديث: كما تنامون تموتون(٥)، استعار التنبيه لبعث الأموات.

والنفخة المرّة من نفخ بفمه إذا أخرج منه الريح.

والصرعىٰ: جمع صريع بمعنى مصروع كقتلى جمع قتيل، وأسرىٰ جمع أسير وهو من الصرع بمعنى الطرح على الأرض، والصريع من الأغصان ما تهدّل وسقط على الأرض.

قيل: ومنه قيل للقتيل: صريع.

والرهائن: جمع رهينة وهو الرّهن والهاء للمبالغة كالشتيمة والشتم بمعنى المرهون والمشتوم.

---

(١) و(٢) سورة الزمر: الآية ٦٨. (٣) الدرّ المنثور: ج٥ ص٣٣٩. (٤) سورة البقرة: الآية ٦٠.

(٥) لم نعثر عليه بلفظه بل وجدنا قريباً منه في السيرة الحلبية: ج١ ص٢٨٥ وإليك نصّه: «لتموتن كما تنامون».

....

قال الزمخشري: ليست الرهينة بتأنيث رهين بمعنى مرهون لأنّ فعيلا هذا يستوي فيه المذكّر والمؤنّث، بل هي مصدر اقيم مقام المرهون كالرهن وقولهم: هو رهينة في يده، وقوله:

أبعدَ الذي بالنعف نعف كويكب رهينة رمسٍ ذي تراب و جندل

دليل على ما قلناه(١)، انتهى.

قلت: ويجوز أن تكون الرهائن جمع رهين لا رهينة فإنّهم نصّوا على أنّه جمع لهما.

قال أبو حيّان في الإرتشاف(٢): رهين و رهينة، قالوا: فيهما رهائن واستعار لفظ الرهائن للموتى باعتبار لزوم القبور لهم وعدم انفكاكهم عنها كالرهن في يد المرتهن، أو باعتبار كونهم ملزومين في القبور بأعمالهم، ويحتمل أن يكون رهينة بمعنى راهنة من رهن الشيئ رهوناً إذا ثبت و دام فيكون المراد برهائن القبور الأشخاص المقيمة الثابتة في قبورها فلا يكون الكلام إستعارة و إضافة صرعى إلى الرهائن من إضافة الصفة إلى الموصوف أي رهائن القبور الصرعى.

تنبيه

قال بعض المحقّقين: النفخة نفختان: نفخة تطفي النار ونفخة تشعلها. قال تعالى: «ونُفِخَ في الصور فصَعِق مَن في السماوات ومَن في الأرض إلّا من شاء الله ثمّ نُفِخَ فيه أُخرى فإذاهم قيام ينظُرون»(٣). فينفخ إسرافيل نفخة واحدة فتمرّ على الصور المشتعلة بأرواحها سماويّة كانت أو أرضيّة، فتطفئها ثمّ ينفخ نفخةً أُخرى

(١) تفسير الكشّاف: ج٤ ص٦٥٤ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٢) م نعثر على كتاب الارتشاف. (٣) سورة الزمر: الآية ٦٨.

وميكائيلُ ذُوالجاهِ عِندَكَ وَالمَكانِ الرّفيعِ مِن طاعَتِكَ.

فتمرّ على الصور المستعدّة للإشتعال بأرواحها فتشتعل بها فإذاهم قيام ينظرون، فتقوم تلك الصور أحياء ناطقة بما ينطقها الله، فمن ناطق بالحمد لله، ومن ناطق بقول من: «من بعثنا من مرقدنا»(١) ومن ناطق بالحمد لله الّذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور، وكلٌّ ينطق بحسب علمه وحاله وما كان عليه ونسي حاله في البرزخ ويتخيّل أنّ ذلك منام كما يتخيّله المنتبه من نومه، وقد كان عند موته وانتقاله إلى البرزخ كالمستيقظ هناك، وأنّ الحياة كانت له كالمنام، «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»(٢) وفي الآخرة يعتقد في أمر الدنيا والبرزخ أنّه منام في منام، ولمّا كان الغرض من النفخة الأُولى هي النفخة الثانية، وكانت كاللازم لها لأنّ الحياة في نشأة عالية يلزمها الموت عن نشأة سافلة إقتصر عليه السّلام على ذكر النفخة الثانية في قوله: «فينبّه صرعى رهائن القبور» *.

أخرج الديلمي عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إسم ميكائيل عبيدالله(٣).

وفيه لغات: ميكائيل كميكاعيل، وميكال كميعاد، وميكائل كميكاعل، وميكئل كميكعل، وميكييل كميكعيل، وبكلّها قرئ، وبإبدال اللام نوناً ميكائين كإسرائين.

روي أنّه موكّل بأرزاق الأجساد والحكمة والمعرفة للنفوس وله أعوان موكّلون على جميع العالم، من شأنهم أحداث قوّة النهوض في الأركان والمولدات وغيرها، التي بها الوصول إلى الغايات وبلوغ الكمال كملائكة الرياح والسحب والأمطار

---

(١) سورة يس: الآية ٥٢.

(٢) شرح على المائة كلمة للبحراني ص ٥٤.

(٣) إعلم أن ما أخرج الديلمي، عن أبي أمامة ليس ما هو المذكور في هذا الكتاب بل المذكور هنا ما جاء عن طريق ابن جرير، عن علي بن الحسين عليه السّلام راجع الدرّ المنثور: ج١ ص٩١.

وَجَبرَئيلُ الأمينُ عَلىٰ وَحيِكَ المُطاعُ في أهلِ سَماواتِكَ المَكينُ لَدَيكَ المُقَرّبُ عِندَكَ .

والنبات والحيوان والمعادن، فكلّ ذلك بأعوانه(١).

والجاه: القدر والمنزلة، يقال: فلان ذوجاه أي قدر وحرمة.

قالوا: وهو مقلوب من الوجه، من قولهم وجه الرجل ـ بالضمّ ـ أي صار وجيهاً ذاجاه وقدر، والإسم الوجاهة.

وفي حديث عائشة: كان لعليّ وجهٌ من الناس حيَاةَ فاطمة(٢). قال ابن الأثير في النهاية: أي جاهٌ وعِزٌ فَقَدَهُما بَعدَها(٣).

والمكان: الموضع.

والرفيع: إمّا بمعنى مفعول من رفعه كمنعه ضدّ وضعه، أو بمعنى فاعل من رفع ككرم رفعة بالكسر أي شرف وعلا قدره وهو رفيع.

والطاعة: لغة الإنقياد، واصطلاحاً موافقة الأمر.

وقيل: موافقة الإرادة والمراد بجاهه عنده تعالى كرامته لديه كما قال تعالى: «إنّ أكرمكم عندالله أتقاكم»(٤)، وبرفعة مكانه في طاعته تعالى كمال عبادته له، ويحتمل أن يشير بذلك إلى ما روي عن أميرالمؤمنين عليه السّلام أنّه قال: مؤذّن أهل السماوات جبرئيل، وإمامهم ميكائيل يؤمّ بهم عند البيت المعمور(٥). فإنّ الإمامة مكان رفيع في الطاعة لايرشح لها إلّا من كان أرفع مكاناً وأجمع لشرائطها *.

أخرج ابن جرير من طريق عكرمة عن ابن عبّاس قال: جبرئيل عبدالله

---

(١) راجع بحار الأنوار: ج٥٩ ص٢٢١. وهكذا البداية والنهاية: ج١ ص٤٦.

(٢) صحيح البخاري: ج٥ باب غزوة خيبر ص١٧٧، وليس فيه جملة «من الناس».

(٣) النهاية لابن الأثير: ج٥ ص١٥٩.

(٤) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٥) عثرنا على الجملة الأخيرة في الدرّالمنثور: ج١ص٩٣.

....

وميكائيل عبيدالله، وكلّ إسم فيه إيل معبد لله(١).

وأخرج عن عبدالله بن الحارث قال: «إيل» الله بالعبرانيّة(٢).

وقيل: إسم جبرئيل في الملائكة: خادم الله.

قال ابن جنّي: أصل جبرئيل كوريال فغيّر بالتعريب وطول الاستعمال إلى ما ترى(٣)، وفيه لغات جبريل بكسر الجيم والراء بلا همز، وجبريل بفتح الجيم وكسر الراء بلا همز، وجبرائل بهمزة بعد الألف، وجبراييل بياءين بلا همز، وجبرئيل بهمزة وياء بلا ألف، وجبرئيلّ مشدّدة اللام وقرئ بهن، وجبرين(٤) بالنون مع فتح الجيم وكسرها، وفيه لغات أُخرى، والمروي منها في الدعاء اللغة الأُولى والخامسة.

والأمين: الحافظ لما كلّف بحفظه عن تطرّق الخلل إليه، ولمّا كان الوحي النازل بواسطته محفوظاً نازلاً كما هو صدق عليه.

والمطاع في أهل سماواتك: أي الملائكة السماويّة، فإنّهم يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه كما ورد في الخبر.

والمكين: فعيل بمعنى فاعل من مكن عند الملك مكانة كضخم ضخامة عظم عنده وارتفع فهو مكين.

والمقرّب: قرب منزلة و رتبة لاقرباً مكانياً.

والعنديّة: عنديّة إكرام وتشريف، لاعنديّة مكان لتنزّهه تعالى عن المكان، لكنّه عبّر بذلك تنزيلاًله لكرامته عليه وزلفاه عنده منزلة المقرّب عند الملك بطريق،

---

(١) تفسير الطبري: ج١ ص٣٤٦ - ٣٤٧ مع اختلاف يسير في ذيل الحديث، هذا ولكن نصّ الرواية مرويّة عن طريق علي بن الحسين عليه السّلام في الدرّ المنثور: ج١ ص٩١.

(٢) تفسير الطبري: ج١ ص٣٤٧.

(٣) تفسير الكشّاف: ج١ ص١٧٠ نقلاً بالمضمون وإليك نصّه: قال ابن جنّي: العرب إذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه.

(٤) في «ألف» جبرئين.

....

التمثيل، وفي هذه الصفات تلميح إلى قوله تعالى في وصفه «إنّه لقول رسول كريم* ذي قوّة عند ذي العرش مكين* مطاعٍ ثَمّ أمين»(١).

روي أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)قال لجبرئيل عليه السّلام: ما أحسن ما أثنى عليك ربّك «ذي قوّة عند ذي العرش مكين* مطاعٍ ثَمّ أمين». فما كانت قوّتك وما كانت أمانتك ؟ فقال: أمّا قوّتي، فإنّي بعثت إلى مدائن لوط وهي أربع مدائن، في كلّ مدينة أربعمائة ألف مقاتل سوى الذراري، فحملتهم من الأرض السفلىٰ حتّى سمع أهل السماوات أصوات الدجاج ونباح الكلاب، ثمّ هويت بهنّ فقلبتهنّ. وأمّا أمانتي: فإنّي لم أومر بشيءٍ فعدوته إلى غيره(٢).

تنبيه

قد يقال في تقديم: ميكائيل في الذكر دلالة على أنّه أفضل من جبرئيل، لكن يعارضه تقديم الله تعالى جبرئيل في الذكر في قوله تعالى: «من كان عدوّاً لله وملائكته و رسله وجبريل وميكال فإنّ الله عدوٌّ للكافرين»(٣). والأخبار في ذلك متعارضة.

أخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأُصول: عن زيد بن رفيع قال: دخل على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جبرائيل وميكائيل وهويستاك فناول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جبرئيل السواك فقال جبرئيل كبّر. قال الترمذي: أي ناول ميكائيل فإنّه أكبر(٤).

---

(١) سورة التكوير: الآية ١٩ و ٢٠ و ٢١.
(٢) بحار الأنوار: ج٥٩ ص٢٦٣ ح٥٠.
(٣) سورة البقرة: الآية ٩٨.
(٤) الدرّ المنثور: ج١ ص٩٣ بلا إسناد إلى كتابه.

وَالرُّوحِ الَّذِي هُوَ عَلَى مَلائِكَةِ الحُجُبِ

وأخرج الطبراني عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: ألا أُخبركم بأفضل الملائكة جبرئيل(١). والله أعلم*.

الروح هنا: إمّا إسم ملك موكّل على ملائكة الحجب. أو صفة له، على أنّ الملائكة كلّها أرواح، ويؤيّد كونه صفة: ما روي عن الربيع بن أنس: أنّ الملك الموكّل بالحجب يقال له: ميطاطروش(٢).

والحجب: جمع حجاب وهو الستر، والأصل فيه جسم حائل بين جسدين. واستعمل في المعاني. فقيل: العجز حجاب بين الإنسان ومراده، والمعصية حجاب بين العبد وربّه.

والمراد بالحجب هنا: ما فوق السماوات من الأنوار والكلمات وغيرها التي حجبت عن تعلّق علوم المخلوقين بما وراءها.

ففي الخبر: إنّ ما فوق السماء السابعة صحارى من نور، ولايعلم ما فوق ذلك إلّا الله تعالى(٣).

وعن وهب بن منبه: فوق السماوات حجب فيها ملائكة لايعرف بعضهم بعضاً لكثرتهم، يسبّحون الله بلغات مختلفة وأصوات كالرعد القاصف(٤).

و روى رئيس المحدّثين «قدّس سرّه» بإسناده عن وهب قال: سئل أميرالمؤمنين صلوات الله عليه عن الحجب فقال: أوّل الحجب سبعة غلظ كلّ حجاب منها مسيرة خمسمائة عام، وبين كلّ حجاب مسيرة خمسمائة عام، والحجاب الثاني سبعون حجاباً، بين كلّ حجابين مسيرة خمسمائة عام وطوله خمسمائة عام حجبة كلّ حجاب منها سبعون ألف ملك، قوّة كلّ ملك منها قوّة الثقلين، منها كلمة ومنها نور ومنها نار ومنها دخان ومنها سحاب ومنها برق ومنها رعد

(١) الدرّ المنثور: ج١ ص٩٢. (٢) و(٣) الدرّ المنثور: ج١ ص٤٤. (٤) لم نعثر عليه.

....

ومنها ضوء ومنها رمل ومنها جبل ومنها عجاج ومنها ماء ومنها أنهار، وهي حجب مختلفة غلظ كلّ حجاب مسيرة ألف عام، ثم سرادقات الجلال وهي ستّون سرادقاً، في كلّ سرادق سبعون ألف ملك، بين كلّ سرادق وسرادق مسيرة خمسمائة عام، ثمّ سرادق الفخر، ثمّ سرادق الكبرياء، ثمّ سرادق العظمة، ثمّ سرادق القدس، ثمّ سرادق الجبروت، ثمّ سرادق العزّ، ثمّ النّور الأبيض، ثمّ سرادق الوحدانيّة وهو مسيرة سبعين ألف عام، ثمّ الحجاب الأعلى، و انقضى كلامه وسكت عليه السّلام!!! فقال عمر: لابقيت ليوم لا أراك فيه يا أبا الحسن!!.(١)

قال ابن الفارسي: إنّما هي الحجب مضروبة على العظمة العليا من خلق الله تعالى التي لايقدر قدرها وليست مضروبة على الله تعالى لأنّه سبحانه لايوصف بمكان ولابأنّه مستتر بحجاب(٢).

قلت: وقد أشار أميرالمؤمنين عليه السّلام إلى هذه الحجب والسرادقات في خطبته في صفة الملائكة عليهم السّلام حيث قال: وبين فجوات تلك الفروج زَجَلُ(٣) المسبّحين منهم في حظائر القدس وسترات الحجب وسرادقات المجد(٤).

وفي الحديث المشهور عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: أنّ لله تعالى سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لوكشفها لاحترقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره(٥).

وللعلماء في تأويل هذا الحديث كلام طويل، ومجمله: أنّ الحجاب في حقّه تعالى محال، فلا يمكن فرضه إلّا بالنسبة إلى العبد. وتحقيق الحجب: أنّ الطالب له

---

(١) التوحيد: ص٢٧٨ مع اختلاف يسير.

(٢) بحار الأنوار: ج٥٨ ص٤٠ مع تقديم وتأخير، عن الصدوق(ره).

(٣) الزجل: رفع الصوت.

(٤) نهج البلاغة: خطبة ٩١ ص ١٢٨. (٥) بحار الأنوار: ج٥٨ ص٤٥ ح١٣ مع اختلاف يسير.

وَالرّوحُ الّذي هُوَ مِن أمرِكَ

مقامات كلّ منها حجاب له قبل الوصول إليه ومراتب المقامات غير متناهية فتكون مراتب الحجب أيضاً غير متناهية وحصرها في سبعين ألف لايدرك إلّا بنور النبوّة، أو المراد بالسبعين معنى الكثرة، فإنّ السبعين جارٍ مجرى المثل في الكثرة *.

يحتمل: أن يكون المراد بالأمر هنا: الشأن والإضافة، للإختصاص العلمي لا الإيجادي، لإشتراك الكلّ فيه، وفيها من تشريف المضاف ما لا يخفى، أي الروح الذي هو من جنس ما استأثرت بعلمه من الأسرار الخفيّة التي لايكاد يحوم حولها عقول البشر.

ويحتمل: أن يكون المراد به: عالم الأمر المقابل لعالم الخلق المعبّر عنهما بعالم الغيب والشهادة والملكوت والملك، فعالم الأمر هو الأوّليّات العظام المخلوقة للبقاء من غير مادّة وأصل، من الروح والعقل والقلم واللوح والعرش والكرسي والجنّة والنار، وسمّي بعالم الأمر: لأنّ الله عزّوجلّ أوجده بأمره لامن شيئ، وعالم الخلق: هو الموجودات المخلوقات للفناء من مادّة مستحيلة كائنة فاسدة، وسمّي بعالم الخلق: لأنّه تعالى خلقه من شيءٍ له مساحة وتقدير إذ كان الخلق بمعنى المساحة والتقدير، فالمعنى الروح الذي من إبداعاتك الكائنة من عالم الأمر بمحض الأمر التكويني من غير تحصّل من مادّة وتولّد من أصل، وليس هذا من قبيل قوله سبحانه: «إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون»(١) فإنّ ذلك عبارة من سرعة التكوين سواء كان الكائن من عالم الأمر أو من عالم الخلق.

ويدلّ على هذا المعنى ما رواه أبو جعفر الصفّار في بصائر الدرجات بإسناده عن أبي بصير قال: سألت أبا عبدالله عليه السّلام عن قوله عزّوجلّ: «يسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربّي» قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع

---

(١) سورة يس: الآية ٨٢.

....

رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو من الأئمّة وهو من الملكوت(١).

فقوله عليه السّلام وهو من الملكوت ظاهر في أنّه تفسير للأمر.

وبإسناده عن أبي الصباح الكناني قال: قلت لأبي عبدالله عليه السّلام: «وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا» قال: خلق والله أعظم من جبرئيل وميكائيل وكان مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يخبره ويسدّده وهو مع الأئمّة من بعده(٢).

وبإسناده عن عليّ بن أسباط قال: سأله رجل من أهل هيت وأنا حاضر عن قول الله عزّوجلّ: «وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا» قال: منذ(٣) أنزل الله ذلك الروح على محمّد صلّى الله عليه وآله ما صَعَد إلى السّماء وأنّه لفينا(٤).

وبإسناده عن سعد الأسكاف قال: أتى رجل عليّ بن أبي طالب عليه السّلام يسأله عن الروح أليس هو جبرئيل؟ فقال له عليّ عليه السّلام: جبرئيل من الملائكة والروح غير جبرئيل. فقال له: لقد قلت عظيماً من القول: ما أحد يزعم أنّ الروح غير جبرئيل. فقال له عليّ عليه السّلام: إنّك ضالّ تروي عن أهل الضلال، يقول الله تبارك وتعالى لنبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عمّا يشركون* ينزّل الملائكة بالروح»(٥)، والروح غير جبرئيل(٦).

وروي عنه عليه السّلام: إنّ له سبعين ألف وجه، ولكلّ وجه سبعون ألف لسان، لكلّ لسان سبعون ألف لغة، يسبّح الله تعالى بتلك اللغات كلّها، ويخلق الله من كلّ تسبيحة ملكاً يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة ولم يخلق الله أعظم من الروح

---

(١) بصائر الدرجات: ص ٤٨٢ ح٩.

(٢) الكافي: ج١ ص٢٧٣ ح١.

(٣) في «ألف»: مذ.

(٤) الكافي: ج١ ص٢٧٣ ح٢.

(٥) سورة النحل: الآية ١ و ٢.

(٦) الكافي: ج١ ص٢٧٤ ح٦ مع اختلاف يسير.

فَصَلِّ عَلَيهِم

غير العرش ولوشاء أن يبلع السماوات السبع والأرضين السبع بلقمة واحدة لفعل، فسبحان من هو على كلّ شيءٍ قدير(١) *.

خبر قوله وحملة عرشك، و«الفاء» إمّا زائدة عند من يجيز زيادتها في الخبر وهو الأخفش مطلقاً والفرّاء والأعلم وجماعة إن كان أمراً أو نهياً، أو هي جواب لأمّا مقدّرة(٢).

قال الرضي: وقد تحذف «أمّا» لكثرة الإستعمال نحو قوله تعالى: «وربّك فكبّر* وثيابك فطهّر* والرجز فاهجر» «وهذا فليذوقوه فبذلك فليفرحوا» وإنّما يطّرد ذلك إذا كانّ ما بعد الفاء أمراً أو نهياً وما قبلها منصوباً به أو بمفسّر به(٣). إنتهى.

لا يقال: ما قبل الفاء هنا ليس منصوباً بما بعدها بل هو مرفوع على الإبتداء.

لأنّا نقول: هو في حكم المنصوب به إذ هو مفعول في المعنى ولو لا تعلّق الجارّ به لجاز نصبه به، ألا ترى أنّ الأفعال اللازمة المعدّاة بحرف جرّ إذا نزع الجارّ منها نصبت ما كان مجروراً نحو: ذهبت الشام، وتسميتهم نحو ذلك منصوباً بنزع الخافض تسامح *.

قال ابن هشام: سقوط الخافض لا يقتضي النصب من حيث سقوط الخافض بل من حيث أنّ العامل الذي كان الجارّ متعلّقا به لما زال الجارّ من اللفظ ظهر أثره لزوال ما كان يعارضه، فإذا لم يكن في الكلام ما يقتضي النصب من فعل أو شبهه لم يجز النصب(٤)، انتهى.

وقول بعضهم: أنّ الفاء فصيحة: خبط صريح *.

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٩ ص٢٢٢.

(٢) مغني اللبيب: ص٢١٩.

(٣) شرح الكافية: ج٢، ص ٣٩٩.

(٤) الحدائق الندية: ص ١٨٢.

وعَلى المَلائِكَةِ الّذينَ مِن دُونِهِـم مِن سُكّانِ سَماواتِكَ ، وَأهلِ الأمانَةِ عَلى رِسالا تِكَ

من دونهم: أي من تحتهم مقداراً ومكاناً.

روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: خلق الله السماء الدنيا فجعلها سقفاً محفوظاً وجعل فيها حرساً شديداً وشهباً ساكنها من الملائكة أُولوا أجنحة مثنىٰ وثلاث ورباع في صورة البقر، مثل عدد النجوم لايفترون من التسبيح والتهليل والتكبير.

وأمّا السماء الثانية: فساكنها عدد القطر في صورة العقبان لايسأمون ولايفترون ولاينامون منها ينشقّ السحاب حتّى يخرج من تحت الخافقين، فينتشر في جوّ السماء معه(١) ملائكة يصرفونه حيث أمروا به أصواتهم التسبيح وتسبيحهم تخويف.

وأمّا السماء الثالثة: فسكّانها عدد الرمل في صورة الناس يجأرون إلى الله الليل والنهار.

وأمّا السماء الرابعة: فسكّانها عدد أوراق الشجر صافون مناكبهم في صورة الحور العين من بين راكع وساجد تبرق سبحات وجوههم مابين السماوات السبع والأرض السابعة.

وأمّا السماء الخامسة: فإنّ عددها يضعف على سائر الخلق في صورة النسر منهم الكرام البررة والعلماء السفرة.

وأمّا السماء السادسة: فحزب الله الغالب وجنده الأعظم في صورة الخيل المسوّمة.

وأمّا السماء السابعة: ففيها الملائكة المقرّبون الذين يرفعون الأعمال في بطون الصحف ويحفظون الخيرات، فوقها حملة العرش الكرّوبيّون(٢).

---

(١) في «ألف»: ومعه.

(٢) لم نعثر عليه.

....

وعن أبي ذر «رضي الله عنه» قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: اطّت السماء وحقّ لها أن تئط، ما عليها موضع أربعة أصابع إلّا وعليه ملك واضع جبهته(١).

وعن جابر بن عبدالله «رضي الله عنه» قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: ما في السماوات السبع موضع قدم ولاشبر ولا كفّ إلّا وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً: سبحانك ما عبدناك حقّ عبادتك إلّا أنّا لم نشرك بك شيئاً(٢).

ومن خطبة لأميرالمؤمنين عليه السّلام: وليس في أطباق السماوات موضع إهاب(٣) إلّا وعليه ملك ساجد أو ساع حافد(٤) يزدادون على طول الطاعة بربّهم علماً وتزداد عزّة ربّهم في قلوبهم عِظَماً(٥).

قوله عليه السّلام «وأهل الأمانة على رسالا تك»: يحتمل أن يكون معطوفاً على الملائكة وأن يكون معطوفاً على أهل سماواتك والمراد بهم الذين جعلهم الله وسائط بينه وبين رسله في تأدية خطابه الكريم إليهم، وسرّ هذا التوسّط أنّ المخاطبة تقتضي مناسبة بين المتخاطبين فاقتضت الحكمة توسّط الملك ليتلقّف الوحي بوجهه الذي في عالم الملكوت والقدرة من الله سبحانه تلقّفاً روحانياً ومن اللوح المحفوظ ويلقيه بوجهه الذي في عالم الملك والحكمة إلى النبيّ عليه السّلام، لأنّ من خواصّ الملك أن يتمثّل للبشرفيراه جسماً،فربّماينزل الملك إلى الصورةالبشريّة وربّمايترقى النبيّ عليه السّلام إلى الرتبة الملكيّة ويتعرّى عن الكسوة البشريّة فيأخذ عنه الوحي، ولمّا

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٩ ص١٩٩ ح٦٩، والأطيط: صوت الأقتاب، وأطيط الإبل أصواتها وحنينها.

(٢) تفسير ابن كثير: ج٧ ص١٦١. (٣) الإهاب: الجلد قبل ان يدبغ، المصباح المنير: ص٣٨.

(٤) نُحفد: نسرع إلى الطاعة، المصباح المنير: ص١٩٤. (٥) نهج البلاغة: خطبة ٩١ ص١٣١.

وَالّذينَ لا تَدخُلُهمْ سَامَةٌ من دُؤُوبٍ،وَلاإعْياءٌ مِن لُغُوبٍ وَلا فُتورٌ.
وَلا تَشْغَلُهُمْ عَن تَسبيحِكَ الشهواتِ، وَلايَقْطَعُهمْ عَن تَعظيمِكَ
سَهْوُ الغَفَلاتِ

كان ذوالأمانة هو الحافظ لما أمن عليه ليؤدّيه إلى مستحقّه وكانت الرسالات النازلة بواسطة الملائكة نازلة كما هي محفوظة عن الخلل الصادر عن سهو لعدم معروضات السهو هناك أو عن عمدٍ لعدم الداعي إليه ولقوله تعالى: «يخافون ربّهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون»(١) صدق أنّهم أهل الأمانة على رسالاته تعالى *.

السامة: كسحابة الملل، أي لايدخل إليهم ولايعتريهم ملل من أجل دؤوب أي إجتهاد وجدّ في العمل.

ولاإعياء: أي تعب.

يقال: أعياني كذا بالألف اعياء فأعييت أنا يستعمل لازماً ومتعدّياً وأعيا في مشيه فهو معيى منقوص.

وأمّا عييت كرضيت فهو من العي بالكسر، وهو الحصر في المنطق.

واللغوب: الكلال.

والفتور: الإنكسار والضعف وهو مرويّ بالجرّ عطفاً على لغوب، وبالضمّ عطفاً على إعياء، والتصريح بنفيه مع استلزام ما قبله له للمبالغة في انتفاء كلّ منهما وتنكير كلّ من هذه الأحوال للدلالة على أنّه لايدخلهم شيءٌ ما من ذلك ولاحالة منه في الجملة.

وقد سبق بيان وجه انتفاء ذلك عنهم في صدر الكلام على هذا الدعاء فليرجع إليه *.

الشهوات: جمع شهوة، وهي حركة النفس طلباً للملائم.

---

(١) سورة النحل: الآية ٥٠.

....

قيل: وهي ضربان محمودة ومذمومة.

فالمحمودة: من فعل الله تعالى، وهي قوّة جعلت في النفس لتنبعث بها النفس لنيل ما تظنّ أنّ فيه صلاح البدن.

والمذمومة: من فعل البشر، وهي استجابة النفس إلى مقتضي طباعها من اللذّات البدنيّة إلى حدّ الخروج عن حدّ الشريعة، والهوىٰ هو هذه الشهوة، وهي بقسميها منفيّة عن الملائكة عند الفلاسفة، إذ كانت من لوازم النفس الحيوانيّة وهي غير متصوّرة فيهم.

وذهب جمهور الإماميّة والمعتزلة: أنّ لهم شهوات لكنّهم قاهرون لأنفسهم عن اتّباعها.

قال الشريف المرتضى «رضي الله عنه»: نحن نعلم على الجملة أنّ الملائكة إذا كانوا مكلّفين فلا بدّ أن يكون عليهم مشاقّ في تكليفهم لولا ذلك ما استحقّوا ثواباً على طاعاتهم، والتكليف إنّما يحسن في كلّ مكلّف تعريضاً للثواب ولا يكون التكليف عليهم شاقّاً إلّا ويكون لهم شهوات فيما حظر عليهم ونفار عمّا أوجب عليهم(١)، انتهى.

وقطعته عن الشيء: حبسته ومنعته.

والتعظيم: الإجلال والتوقير.

والسهو: عدم التفطّن للشيء مع بقاء صورته، أو معناه في الخيال أو الذكر بسبب اشتغال النفس والتفاتها إلى بعض مهمّاتها.

والغفلة: عدم خطور الشيء في البال بالفعل فهي أعمّ من السهو.

قيل: ولمّا كان ذلك من لواحق القوى الإنسانيّة كان مسلوباً عن الملائكة عليهم السلام ✽.

---

(١) رسائل الشريف المرتضىٰ: المجموعة الأُولى ص١١٠.

الخُشَّعُ الأبصارِ فَلا يَرومُونَ النَّظَرَ إلَيكَ، النَّواكِسُ الأذْقانِ الّذينَ قَدْ طالَتْ رَغْبَتُهمْ فيما لَدَيكَ.

الخشّع: جمع خاشع كركّع جمع راكع من خشع ببصره إذا غضّه. وقال تعالى: «خُشّعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث»(١).

و رام الشيّ روماً: طلبه، وخشوع أبصارهم إمّا على حقيقته بناءً على القول بأنّهم أجسام، وفي الخبر: إنّهم لايستطيعون أن يرفعوا أبصارهم من شعاع النور(٢). أو هو كناية عن كمال خشيتهم لله تعالى واعترافهم بقصور أبصار عقولهم عن إدراك ما وراء كمالاتهم المقرّرة لهم وضعفها عمّا لاتحتمله من أنوار الله وعظمته في خلق عرشه وما فوقه من مبدعاته، فإنّ شعاع أبصارهم منته واقف دون حجب عزّة الله تقدّس وتعالى فلا يطلبون النظر إليه سبحانه.

والنواكس: جمع ناكس، من نكس رأسه إذا طأطأه، وهو جمع شاذّ لايقاس عليه لأنّ فواعل إنّما هو جمع فاعلة مثل ضاربة وضوارب، أو جمع فاعل إذا كان صفة للمؤنّث مثل حائض وحوائض، أو كان لما لايعقل كجمل بازل وبوازل وحائط وحوائط. فأمّا مذكّر من يعقل فلم يجمع عليه إلّا فوارس ونواكس وهوالك.

والأذقان: جمع ذقن بفتحتين كسبب وأسباب. وهو جمع قلّة استعمل في الكثرة إتّكالاً على القرينة، وجمع الكثرة ذقون كأسد وأُسود. وهو مجتمع اللحيين من أسفلهما.

ونكّسه: كناية عن نكس الرأس لاستلزامه له، وهو هنا إمّا على حقيقته أيضاً، أو كناية عن كمال خضوعهم وانقهارهم تحت سلطان الله تعالى المشاهد في صورة عرشه وملكوته.

وكنّى بطول رغبتهم: عن دوامها وثبوتها إذ كانت رغبتهم وشوقهم إلى كمال

---

(١) سورة القمر: الآية ٧. (٢) الدرّ المنثور: ج٥ ص٣٤٦.

الْمُستهتِرُونَ بِذِكرِ آلائِكَ، وَالْمُتَواضِعُونَ دُونَ عَظَمَتِكَ وَجَلالِ كِبرِيائِكَ

ذواتهم من معرفته التامّة وكمال المحبّة له سبحانه دائمة ثابتة لا تنقطع لأنّ انقطاع الرغبة في الشيء إنّما هو بانقطاع مادّتها، ومادّتها إمّا دواعي النفس وميولها وهي إنّما تنقطع باستيلاء الملال والكلال على النفس أو مطلوبها وتصوّرها لنيله وانقطاعه إمّا باليأس منه أو بنيله، ومادّة رغبتهم فيما عنده بريّة عن القواطع إمّا من ذواتهم فلأنّ الملال والكلال عن عوارض المركّبات العنصريّة وإمّا من مطلوبهم فلأنّه كمال معرفته تعالى بعد تصوّرهم لكمال ذلك المطلوب، وقد علمت أنّ درجات الوصول إلى معرفته تعالى غير متناهية لاجرم مدحهم بطول رغبتهم فيما لديه ليستلزم ذلك سلب انقطاع عبادتهم له عزّوجلّ*.

المستهتَر: بفتح العين المولع بالشيءُ لايتحدّث بغيره ولايفعل غيره، وفي الحديث سبق المفرّدون. قالوا: وما المفرّدون قال: المستهترون بذكر الله(١).

وقد استهتر بكذا على ما لم يسمّ فاعله، وفي نسخة ضبطه بكسر العين ولم ينصّ عليه أهل اللغة واشتقاقه من الهَتر بالفتح وهو مزق العرض والشتم لأنّ المولع بالشيءُ لايبالي بما قيل فيه وشتم له، أو من الهتر بالضمّ وهو ذهاب العقل من مرض أو حزن.

قال الزمخشري في الفائق: استهتر فلان إذا ذهب عقله بالشيءُ وانصرفت همه إليه حتّى أكثر القول فيه وأولع(٢) به.

والآلاء: النعم جمع آلى وقد تقدّم الكلام عليه في الرّوضة الأُولى، وهو كناية عن دوام شكرهم له تعالى وتعداد نعمه إذ كان لكلّ منهم مرتبة معيّنة من الكمال في العلم والقدرة لايصل إليها من دونه وكلّ من كانت نعمة الله عليه أكمل وأتمّ كان شكره أعلى وطاعته أوفى.

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٥ ص ٢٤٢. (٢) الفائق للزمخشري: ج ٤ ص٩١.

وَالّـذينَ يَقُولونَ إذا نَظَروا إلىٰ جَـهَـنَّمَ تَزفِرُ عَلىٰ أهْل مَعْصـيـتِكَ سُبحانَكَ ما عَبَدْناكَ حَقَّ عِبادَتِكَ .

والتواضع: الخشوع والذّلّ لله تعالى.

وعظمته تعالى عبارة عن علوّ شأنه وجلالة قدره وكمال شرفه وشدّة غنائه عن الخلق ونهاية افتقارهم إليه في الوجود والبقاء والكمال إلى غير ذلك ممّا لاتحيط به العقول، وليست عظمة مقداريّة ولاعدديّة لتنزّهه عن المقدار و المقداريّات والكم والكمّيّات.

والجلال: العظمة.

والكبرياء: الشرف والرفعة والتجبّر والملك.

وقيل: هي عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود ولايوصف بها إلّا الله تعالى، وتواضعهم دون عظمته وجلال كبريائه: عبارة عن اعترافهم بذل الحاجة والإمتنان والنقص إلى جوده ووجوده والإنقهار تحت عظمته وكماله *.

جهنّم: ـ أعاذنا الله منها ـ اسم لنار الآخرة.

قيل: اسم عربيّ سمّيت نار الآخرة بها، لبعد قعرها من قولهم ركيّة جهنام وجهنّم إذا كانت بعيدة القعر ولم تصرف للتعريف والتأنيث.

وقيل: إشتقاقها من الجهومة وهي الغلظ، يقال: جهم الوجه أي غليظه فسمّيت بجهنّم لغلظ أمرها في العذاب.

وقيل: هي عجميّة وعَدَم الصرف للعجمة، والتعريف.

وقيل: هي تعريب كهنام بالعبرانيّة.

وتزفر: جملة في محلّ النصب على الحال من جهنّم، يقال: زفر يزفر من باب كتب زفراً وزفيراً: أخرج نفسه بعد مدّه إيّاه، والزفير أوّل صوت الحمار. والشهيق آخره.

وقيل: الزفير في الحلق والشهيق في الصدر.

....

وقال الفارابي في ديوان الأدب: والزفيرأنين الحزين(١)،والمرادبزفيرها: صوت التهابها المنكر الفظيع. شبّهه بصوت المتغيّظ و زفيره. قال الله تعالى: «إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيّظاً و زفيراً»(٢). أي صوت تغيّظ.

روي أنّ جهنّم تزفر زفرة لايبقى أحد إلّا ترعد فرائصه، حتّى أن إبراهيم عليه السّلام يجثو على ركبتيه ويقول نفسي نفسي(٣).

والمعصية: ترك الانقياد وفي إضافتها إليه سبحانه تعظيم لأمرها و إيذان باستحقاق أهلها أن تزفر عليهم جهنّم غيظاً وغضباً.

سبحانك: منصوب على المصدريّة.

قيل: هو اسم مصدر وقع وقع المصدر وهو التسبيح بمعنى التنزيه.

وقيل: هو مصدر كالغفران وهو غير متصرف أي لايستعمل إلّا محذوف الفعل منصوباً على المصدريّة، ولايكاد يستعمل إلّا مضافاً وإذا استعمل غير مضاف كان علماً للتسبيح غير مصروف للعلميّة، والألف والنون المزيدتين كعثمان علماً لرجل فإنّ العلميّة كما تجري في الأعيان تجري في المعاني، والمعنى على الأوّل نسبّحك تسبيحاً عمّا لايليق بشأنك الأقدس من الأمور التي من جملتها عدم عبادتنا لك حقّ عبادتك وعنوا بذلك تسبيحاً ناشئاً عن كمال الاعتراف والإيقان بالعجز عمّا يليق بمقامه الأعلى من العبادة، وعلى الثاني تنزّهت عن ذلك تنزّهاً ناشئاً عن ذاتك، ولايبعد أن يحمل على التعجّب كأنّه قيل ما أبعد من له هذه القدرة والقهر عن جميع النقائص فلا يكون خلقه لجهنّم وزفيرها على أهل معصيته إلّا حكمةً وصواباً، وأتعجّب من حال أهل معصيته كيف عصوا من هو قادر على ذلك فاستحقّوا هذا

---

(١) ديوان الأدب للفارابي: ج٢ ص ١٥٥. (٢) سورة الفرقان: الآية ١٢.

(٣) تفسير غرائب القرآن و رغائب الفرقان: ج٣ ذيل اية١٢ من سورة الفرقان.

فَصلِّ عَليهِم وَعلى الرَّوحانيِّينَ مِن مَلائكَتكَ وأهل الزلفة عندكَ .

النوع من الانتقام كـأنّه قيل: ما أبعد مـن عقابه وانتقامـه بهذه المثابة عن أن يرتكب مخلـوق معصيته وإفـادة هـذا الـلفظ للتعـجّـب سيأتي بيانه في الـروضـة الثالثة عشر «إن شاء الله تعالى».

وحقّ عبادتك : مـنصوب على المصـدريّة وهو في الأصل صفة للـمصدر المضاف إليه أي عبادتك الحقّ فـلمّا أُضيف إلى موصوفـه انتصب على ما كان ينتصب عليه موصوفه، أي ما عبدناك العبادة التي تحقّ لك وتليق بعظمتك وإنّما قالوا ذلك حين نظرهم إلى جهنّم حال زفيرها لما شاهدوا من شدّة آثار قهره تعالى فاحتقروا عبادتهم ورأوها قاصرة عمّا يجب لجلاله عزّوجلّ *.

خبر لقوله: «والذين لا تدخـلهم سامة من دؤوب» كما يدلّ عليه رفع الصفات مـن قوله: «الخشّع الأبصـار، والنَواكس الأذقان، والمستهـترون (١)، والمتواضعون» ويجوز أن يكون معطـوفاً على ما قبله من المجرور فيكون رفع الصفات بالقطع على المدح فالفاء في «فصـلّ عـليهم» حينئـذٍ فصيحة أي إذا كانـوا بهذه الصفات فصلّ عـليهم صلاةً تخصّهم، إذ كانت الصلاة الأُولى بالتبع *.

في الروحانيـّين: لغـتان ضمّ الراء وفـتحهـا، والموجود في النسخ هنا بـفتح الراء فقط.

قال الحـليمي (٢)، والبيهقي، والقونوي: أمّا الضمّ فلأنّهم أرواح ليس معها ماء ولا نار ولا تـراب، ومـن قـال هـذا قـال: الـروح جـوهـر و قـد يجوز أن يـؤلّف الله أرواحاً فـيـجسمها ويخلـق منهـا خلقاً ناطقـاً عـاقلاً فيكون الروح مختـرعاً والتجسيم والنطق والعقل إلـيه حادثـاً من بعد، ويجوز أن تكون أجسـام الملائكة على ما هي علـيه اليوم

(١) في «ألف»: المستترون.

(٢) في «ألف»: الحلمي.

....

مخترعة كما اخترع عيسى وناقة صالح عليهما السّلام.

أمّا الفتح: فبمعنى أنّهم ليسوا محصورين في الأبنية والظلل ولكنّهم في فسحة وبساط(١)، انتهى.

وقال ابن الأثير في النهاية ما معناه: الملائكة الروحانيّون: يروى بضمّ الراء من الروح الذي يقوم به الجسد وبفتحها كأنه نسب إلى الروح بالفتح وهو نسيم الريح والألف والنون من زيادات النسب، ويريد أنّها أجسام لطيفة لايدركها البصر(٢)، انتهى.

وقال الشهرستاني: «رُوحاني» بالرفع من الرّوح و«رَوْحاني» بالنّصب من الرّوح، والرُّوح والرَّوح متقاربان وكان الرُّوح جوهر والرَّوح حالته الخاصّة به، انتهى(٣).

وقيل: إنّ الروحانيّين ـ بالفتح ـ هم ملائكة الرحمة فيكون نسبته إلى الروح بالفتح بمعنى الرحمة.

أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن عليّ بن أبي طالب عليه السّلام قال: إنّ في السماء السابعة حظيرة يقال لها حظيرة القدس فيها ملائكة يقال لهم الروحانيّون فإذا كان ليلة القدر استأذنوا ربّهم في النزول إلى الدنيا فيأذن لهم فلا يمرّون على مسجد إلّا ويصلّي فيه ولايستقبلون أحداً في طريق إلّا دعوا له فأصابهم منهم بركة(٤).

والزلفة بالضمّ: القرب والتقدّم كالزلفى، والمراد بهم: الملائكة المقرّبون، وليس المراد بالقرب، القرب المكاني لتنزّهه تعالى عن المكان، بل قرب المنزلة

---

(١) لم نعثر عليه. (٢) النهاية لابن الأثير: ج٢ ص ٢٧٢. (٣) الملل والنحل: ج٢ ص٦.

(٤) الدرّ المنثور: ج٦ ص٣٧٦ نقلاً عن البيهقي مع اختلاف يسير في بعض ألفاظ الحديث.

وَحُمَّالِ الغَيْبِ إلى رُسُلِكَ ، وَالمؤتَمَنينَ عَلىٰ وَحيك .

والرتبة منه، وهم الذين علمهم به سبحانه أكثر وخوفهم وخشيتهم له أشدّ، ومن كان كذلك كان أدنى منزلةً عنده وأقرب مرتبةً لديه، ويقال لهم: الكرّوبيّون من كرب إذا قرب.

روى أبو جعفر الصفّار في كتاب بصائر الدرجات: عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: إنّ الكرّوبيّين قوم من شيعتنا من الخلق الأوّل جعلهم الله خلف العرش لوقسم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم، ثمّ قال: إنّ موسى عليه السّلام لما أن سأل ربّه ما سأل أمر رجلاً من الكرّوبيّين فتجلّى للجبل فجعله دكّاً(١).

وسئل أبو الخطاب بن دحية عن الكرّوبيّين هل يعرف في اللغة أم لا؟ فقال: الكروبيّون بتخفيف الراء سادة الملائكة وهم المقرّبون من كرب إذا قرب.

قال الزمخشريّ في ربيع الأبرار: وفي الكرّوبيّ ثلاث مبالغات: الكروب أبلغ من القرب وأقصر مسافة، تقول: كربت الشمس أن تقرّب أي كادت، وفعول بناء مبالغة وياء النسب التي في نحو الأحمري(٢)*.

الحمّال: بضمّ أوّله وتشديد ثانيه جمع كثرة لحامل كعامل وعمّال.

والغيب: إمّا مصدر وصف به الغائب مبالغة كالشهادة في قوله تعالى: «عالم الغيب والشهادة»(٣). أو فيعل خفّف كهين في هيِّن وميت في ميِّت، لكن قيل: لم يستعمل فيه الأصل كما استعمل في نظائره. وأيّاً ما كان فهو ما غاب عن الحسّ والعقل غيبة كاملة بحيث لايدرك بواحد منهما بطريق البداهة وهو قسمان:

---

(١) بصائر الدرجات: ص ٦٩، وفيه «أمر واحداً».

(٢) ربيع الأبرار للزمخشري: النسخة المخطوطة ص ٢٥ باب الملائكة والجن والإنس والشيطان.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٧٣.

وَقَبائل المَلائِكَةِ الّذينَ اخْتَصَصْتَهُمْ لِنَفسِكَ ،وَأغنَيتَهُم عَنِ الطّعامِ وَالشّرابِ بِتَقدِيسِكَ ، وَأسكَنْتَهُمْ بُطونَ أطباقِ سَماواتِكَ .

قسم: لادليل عليه، وهو الذي أُريد بقوله تعالى: «وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلّا هو»(١).

وقسم: نصب عليه دليل، كوجود الصانع وصفاته والنبوّات وما يتعلّق بها من الشرائع والأحكام والإخبار عن اليومِ الآخر وأحواله من البعث والنشور والحساب والجزاء، والمراد به هنا: ما أوحاه تعالى إلى رسله وأنبيائه من النوعين وأفاضه عليهم بواسطة الملائكة، وقد عرفت السرّ في هذه الوساطة فيما تقدّم قريباً، ولعلّ المر بالمؤتمنين على الوحي هنا من أوحى الله تعالى إليه من ملائكته وائتمنه على أسر وحيه وهم غير الوسائط بينه تعالى وبين رسله إذ قد سبق ذكر أهل الأمانة على رسالاته الذين هم الوسائط، فيكون المراد بالمؤتمنين على الوحي هنا غيرهم تفادياً عن التكرار، والله أعلم *.

القبائل: في الأصل للرأس، وهي قطعة المتّصل بعضها ببعض ومنه قبائل العرب، الواحدة قبيلة وهم بنو أب واحد، ولمّا كانت الملائكة من عالم واحد أُطلق على طوائفهم لفظ القبائل كأنّهم بنو أب واحد، ويحتمل أن يراد بالقبائل هنا جمع قبيلة لغة في القبيل وهو الجماعة ثلاثة فصاعداً سواء كانوا بني أب واحد أو من نجر واحد أو من أقوام شتّى.

واختصّ فلان فلاناً: جعله خاصّة وقرّبه منه حتّى أنّه يضاف إليه.

وقوله: «لنفسك» أي صرفت جميع همهم إلى طاعتك وعبادتك حتّى لايشتغلوا بغير ما أهّلتهم له وكلّفتهم به، ويحتمل أن يكون من باب التمثيل مثّل حالهم بحال من يراه بعض الملوك أهلاً للتقريب والتكريم بخصائص فيه فيختصّه بالكرامة

---

(١) سورة الانعام: الآية ٥٩.

....

ويستخلصه لنفسه فلا يبصر إلّا بعينه ولايسمع إلّا بإذنه ولايأتمن على مكنون سرّه سواه وذكر النفس لكونها أدخل في معنى الإختصاص.

وأغنيته بكذا عن غيره: كفيته به فاستغنى، وغنى كرضى غناء بالفتح والمدّ إكتفى، والاسم الغنية بالضمّ.

والطعام:اسم لما يؤكل كالشراب اسم لما يشرب هذا إذا إجتمعا، وأمّا إذا انفرد الطعام فقد يطلق على ما يشرب أيضاً.

قال ابن فارس في المجمل وغيره من أهل اللغة: الطعام يقع على كلّ ما يطعم حتّى الماء(١)، قال الله تعالى: «فمن شرب منه فليس منّي ومن لم يطعمه فإنّه منّي»(٢).

وقال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ في زمزم ـ: «إنّها طعام طعم وشفاء سقم»(٣) أي يشبع منه. يقال: طعام طعم بالضمّ أي يشبع من أكله، والمعنى أعطيتهم قوّة الطاعمين والشاربين بذكرك الذي يقدّسونك وينزّهونك عمّا لايليق بمقدّس جنابك.

وفي الخبر: أنّ الله تعالى خلق الملائكة صمداً ليس لهم أجواف(٤).

والبطون: جمع بطن. وهو خلاف الظهر، وجوف كلّ شيء.

والأطباق: جمع طبق بفتحتين كسبب وأسباب، ويجمع على طباق أيضاً كجبل وجبال.

قال الله تعالى: «خلق سبع سماوات طباقاً»(٥) أي طبقة فوق طبقة والأصل في الطبق غطاء الشيء الذي يكون على مقداره مطبقاً له من جميع جوانبه فكأنّ كلّ

---

(١) لايوجد لدينا كتاب المجمل المطبوع بل لدينا المخطوط ولم نعثر فيه ولكن وجدناه في مقاييس اللغة لابن فارس: ج٤ ص ٤١١.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٤٩.

(٣) الدرّ المنثور: ج٣ ص٢٢٢.

(٤) لم نعثر عليه.

(٥) سورة الملك: الآية ٣.

وَالّذينَ علىٰ أرجائِها إذا نَزَلَ الأمْرُ بِتمامِ وَعدِكَ .

سماء طبق للأخرىٰ، وبطون أطباقها إشارة إلى ما بين السماوات كما قال أميرالمؤمنين عليه السّلام في خطبة له: «ثمّ فتق ما بين السماوات العُلى فَمَلأَهُنَّ أطواراً من ملائكته»(١).

واعلم: أنّ سكّان السماوات على نوعين:

أحدهما: الأرواح الموكّلة بها والمتصرّفة فيها بالتحريك والإرادة بإذن الله تعالى.

الثاني: الأرواح المبرّءة عن تدبير الأجسام المستغرقة في جمال حضرة الربوبيّة وجمالها على تفاوت مراتبهم.

قال بعض الحكماء: إن لم يكن في فضاء السماوات وسعة الأفلاك خلائق كيف يليق بحكمة الباري تركها فارغة خاوية مع شرف جوّها وهو لم يدرك قعور البحار المالحة المظلمة فارغة حتّى خلق فيها أنواع الحيوانات، وكذلك ما ترك جوّ الهواء الرقيق حتّى خلق له أنواع الطير تسبّح فيه كما يسبح السّمك في الماء ولم يترك البراري اليابسة والآجام الوحلة والجبال الراسية حتّى خلق فيها أنواع السباع والوحوش ولم يترك ظلمات التراب حتّى خلق فيها أنواع الهوامّ والحشرات، والله عليم حكيم.

الأرجاء: جمع رجا مقصوراً وهو ناحية الموضع، وأصله الواو لأنّه يثنّى على رجوين وفي المثل «لايرمي به الرجوان» يضرب لمن لا يخدع فيزال عن وجه إلى وجه، وأصله الدلو يرمىٰ بها رجوا البئر، والضمير في أرجائها عائد إلى السماوات، أي الذين يصيرون أو يقفون على جوانب السماوات وحافّاتها عند نزول الأمر والحكم بإنجاز ما وعد سبحانه من قيام الساعة فتنشقّ السماء فتعدل الملائكة عن مواضع الشقّ إلى جوانب السماء كما قال تعالى: «فيومئذٍ وقعت الواقعة * وانشقّت

(١) نهج البلاغة: الخطبة الأُولىٰ ص٤١.

وَ خُزّانِ المَطَرِ وَ زَواجِرِ السَّحابِ

السماء فهي يومئذٍ واهية* والملك على أرجائها...»(١) ولعلّ المراد بهم المستثنون عن الصعق في قوله تعالى: «ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلّا من شاء الله»(٢) وإلّا فسائر الملائكة يموتون في النفخة الأُولى فكيف يقفون على أرجاء السماء. أو لعلّهم يقفون لحظةً ثمّ يموتون.

وقال بعضهم: المراد بالملائكة الذين على أرجائها المحرّكون للسماء الحركة الدوريّة المانعةعن الإنشقاق المتوقّف على الحركة المستقيمة فإنّهم إذا صاروا على أرجائها لم يبق لهم تحريك فأمكن تحريك النفخ لهابالقسر(٣) على الإستقامة فلايمتنع إنشقاقها*.

الخزّان: جمع خازن من خزنت المال من باب (قتل) خزنا: إذا وضعته في الخزانة، وهي ما يحفظ فيه نفائس الأموال. شبّه الملائكة الموكّلين بالمطر بالجماعة الذين يحفظون خزائن الأموال ويخرجون منها ما أُمروا باخراجه فذكر الخزانة على طريق الإستعارة التخييليّة.

أخرج ابن جرير عن عليّ بن أبي طالب عليه السّلام قال: لم تنزل قطرة من ماء إلّا بكيل على يدي الملك إلّا يوم نوح فإنّه أُذن للماء دون الخزّان فطغى الماء على الخزّان فخرج، فذلك قوله تعالى: «إنّا لمّا طغى الماء»(٤).

والزواجر: جمع زاجرة، أي: الملائكة الذين يزجرون السحاب من زجر الإبل يزجرها من باب قتل: إذا حثّها وحملها على السرعة، والأصل في الزجر: المنع يقال: زجرته عن كذا: أي منعته، وإنّما قيل: لحثّ الإبل وسوقها زجر لأنّ الزاجر لها يمنعها عن البطء في السيروالتواني في المشي.

---

(١) سورة الحاقّة: الآية ١٥ و ١٦ و ١٧.

(٢) سورة الزمر: الآية ٦٨.

(٣) قسره على الأمر: قهره. المصباح المنير: ص٦٨٩.

(٤) الدرّ المنثور: ج٦ ص ٢٥٩.

وَالّذي بِصوتِ زَجرِهِ يُسمَعُ زَجَلُ الرُّعودِ، وَ إذا سَبَحَتْ بِهِ حَفيفَةُ السَّحابِ التَمَعَتْ صَواعِقُ البُروقِ.

وعن ابن عبّاس في قوله تعالى: «فالزاجرات زجراً» قال: يعني الملائكة الموكّلين بالسحاب(١)*.

الصوت: كيفيّة تحدث في الهواء من قلع أو قرع فيحملها إلى الصماخ.

والزجل: بفتحتين إختلاط الأصوات، والصوت الرفيع العالي.

والرعود: جمع رعد. وهو الصوت الذي يسمع من السحاب سُمّي باسم الملك المصوّت به الذي هو موكّل بالسحاب كما ورد في أخبار كثيرة من طرق الخاصّة والعامّة.

أخرج غير واحد عن ابن عبّاس قال: أقبلت يهود إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقالت: أخبرنا ما هذا الرعد؟ قال: ملك من ملائكة الله موكّل بالسحاب، بيده مخراق(٢) من نار يزجر به السحاب يسوقه حيث أمر الله. قالوا: فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال: صوته. قالوا: صدقت(٣).

وعنه: أنّه ملك من الملائكة اسمه الرعد وهو الذي تسمعون صوته(٤).

وفي رواية: إنّه بمنزلة الرجل يكون في الإبل فيزجرها هاد هاد(٥) كهيئة ذلك(٦).

وسبحت الفرس: تسبح من باب منع مدّت يديها في الجري كأنّها تسبح بهما.

والحفيفة: بالحاء المهملة فعيلة من حفّ الفرس حفيفاً: إذا سمع دويّ جوفه أو

(١) كتاب مجموعة من التفاسير: ج٥ ص٢٢٥.

(٢) المخراق: آلة تزجر بها الملائكة السحاب وتسوقه. النهاية لابن الأثير: ج٢ ص٢٦.

(٣) بحار الأنوار: ج٥٩ ص٣٥٧ مع اختلاف، والدرّ المنثور: ج٤ ص٥٠.

(٤) الدرّ المنثور: ج٤ ص٥٠

(٥) هكذا في الأصل: ولكن في البحار «هاي، هاي» وفي نسخة «ألف» هاو هاو.

(٦) بحار الأنوار: ج٥٩ ص٣٧٩ ح٢٠.

....

صوت جريه عند الركض، وفيه استعارة تخييليّة مرشحة، شبّه القطعة من السحاب التي يسمع لها دويّ عند مرورها بالفرس الذي يسمع دويّ جوفه عند ركضه ثمّ قرنها بما يلائم المستعار منه من السبح، يقال: فرس سابح وسبّوح، وفي نسخة ابن إدريس خفيقة بالخاء المعجمة والفاء ثمّ القاف بعد المثنّاة التحتيّة وهي فعيلة بمعنى مفعولة، من خفقه: إذا ضربه بالدرة أي مضروبة السحاب التي ضربها الملك بمخراقه، والباء في «به» للسببيّة، والضمير عائد إلى صوت زجره، وقول بعضهم: الخفيقة إحدى خوافق السماء وهي الجهات التي تهبّ منها الرياح الأربع لاوجه له، على أنّ واحدة الخوافق خافقة لاخفيقة وجمع الخفيقة خفائق لاخوافق.

والتمعت:أي أضاءت، وهو افتعال من اللمع يقال: لمع البرق كمنع لمأ ولمعاناً محرّكة أضاء كالتمع ،وفي الإلتماع زيادةفي المعنى كأنّها اجتهدت و بالغت في اللمعان.

والصواعق: جمع صاعقة وهي: نار تحدث من حركة صوت الملك كما في الحديث(١).

وقيل: هي قصفة الرعد الشديد من السحاب تخرج منه نار تحرق لا تمرّ بشئ إلّا أتت عليه، وبناؤها: إمّا أن يكون لقصفة الرعد فالتاء للتأنيث، أو للرعد والتاء للمبالغة كما في الرواية، أو هي مصدر كالعافية.

والبروق: جمع برق وهو سوط من نار يزجر به الملك السحاب.

وعن جابر بن عبدالله: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم سئل عن منشأ السحاب، فقال: إنّ ملكاً موكّلاً بالسحاب يلمّ القاصية ويلحم الرابية(٢) في يده مخراق فإذا رفع برقت وإذا زجر رعدت وإذا ضرب صعقت(٣).

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج٣ ص٣٢.

(٢) هكذا في الأصل: وفي الدرّ المنثور «الدانية». (٣) الدرّ المنثور: ج٤ ص٥٠.

....

تبصرة

قال بعض الطبيعيّين: إن سبب البرق والرعد أنّ البخار الممتزج بالدخان الصاعد من الأرض إذا وصل الكرة الزمهريريّة يحتبس في مابين السحاب، فما صعد إلى العلوّ لشدّة لطافته ويبسه أو هبط إلى السفل لتكاثفه بالبرد الشديد الواصل إليه مزّق السحاب صاعداً أو هابطاً تمزيقاً عنيفاً فيحصل صوت هائل وهو الرعد ويشتعل الدخان بالتسخين القويّ الحاصل من الحركة الشديدة والمصاكّة العنيفة، فإن كان لطيفاً وينطفي بسرعة كان برقاً ويرى قبل الرعد لأنّ الصوت لابدّ له من حركة الهواء ولاحركة دفعيّة فيحتاج إلى زمان، ولا كذلك الرؤية ولذلك ترى حركة يد القصّار قبل سماع الدّق بزمان. وإن كان كثيفاً لاينطفي بسرعة بل يصل إلى الأرض كان صاعقة. فربّما صار لطيفاً بحيث ينفذ في المتخلخل ولايحرقه ويذيب المندمج فيذيب الذهب في الكيس دون أن يحرقه إلّا ما احترقت من الذائب. وربّما كان كثيفاً غليظاً جدّاً فيحرق كلّ شيئ أصابه وكثيراً ما يقع على الجبل فيدكّه دكّاً.

وقال بعضهم: إنّ السحاب فيه كثافة ولطافة بالنسبة إلى الهواء والماء، وإذا هبّت ريح قويّة تخرقه بعنف فيحدث الصوت الزعد فيخرج منه النار للمصادمة العنيفة بينهما كما تخرج من ضربان الحديد على الحجر وهو البرق أو الصاعقة على مامرّ.

قال بعض أصحابنا العارفين: إعلم أنّ الإنسان عند نظره إلى حدوث الأمطار بعد انعقاد السحاب والرعد والبرق، وكان قد قرع سمعه من طريق الشرع أ نّ ملكاً يزجر السحاب ويسوقه إلى مواضع ويضربه بسوطه ليمطر وهذا الرعد صوت زجره أو

وَمُشَيِّعِي الثَّلْجِ وَالبَرَدِ، وَالهابِطِينَ مَعَ قَطْرِ المَطَرِ إِذا نَزَلَ

ضربه، والبرق نار تحدث من حركة سوطه وكان له رؤية قلبيّة وبصيرة باطنيّة علم يقيناً أنّ ماورد في هذا الباب حقّ وصدق وإنّما يقوله الطبيعيّون تخمينات لا تغني من الحقّ شيئاً *.

المشيّع: اسم فاعل من التشييع، قال صاحب المحكم: شيّعه وشايعه كلاهما خرج معه ليودّعه ويبلّغه منزله(١).

وقيل: هو أن يخرج معه يريد صحبته وإيناسه إلى موضع ما انتهى، والمراد بهم هنا الملائكة النازلون مع الثلج والبَرد ليبلغوهما حيث أمر الله تعالى.

قال بعض الطبيعيّين: هما ما تصاعد من الأبخرة إلى كرة الزمهرير ليكون مطراً فيتعاكس عليه الرياح الباردة فينعقد ويسقط في البلاد البعيدة عن الشمس إمّا كالدقيق ويخصّ باسم الثلج أو كالبنادق ويعرف بالبَرد اصطلاحاً.

وقال بعضهم: إنّ الشمس وغيرها من القوى الفلكيّة إذا أثّرت في الأرض خرج منها أبخرة متصاعدة إلى الكرة الزمهريريّة التي لايصل إليها أثر شعاع الشمس المنعكس من وجه الأرض، وهي منشأ السحب وما يتعلّق بها من الصواعق والبرق والرعد وغيرها، فإذا وصلت تلك الأبخرة إلى هذه الطبقة تتكاثف بالبرد وتصير سحاباً، فإمّا أن لايكون البرد قويّاً فتتقاطر أو يكون قويّاً، فإن أثّر في الأجزاء المائيّة قبل اجتماعها حصل الثلج، وإن أثّر بعده حصل البَرد، وقد يبرد الهواء برداً مفرطاً فينجمد وينعقد سحاباً وينزل منه المطر أو الثلج أو البَرد. هذا ماعليه الطبيعيّون.

والذي يدلّ عليه ظاهر قوله تعالى: «وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ»(٢) أنّ في السّماء جبالاً مِن بَرَد خلقها الله تعالى فيها كما خلق في الأرض جبالاً من حجر، وهو الذي عليه عامّة المفسّرين، وهذا وإن كان ممّا يستبعده الغافلون

(١) المحكم: ج٢ ص ١٥٤. (٢) سورة النور: الآية ٤٣.

....

لكن وجب قبوله إذا خبّر به المخبر الصادق كما في سائر الأسرار الإلٰهيّة، وليس في العقل ماينفيه من قاطع.

وقال المتأوّلون: إنّ المراد بالسماء هاهنا الغيم المرتفع على الرؤوس إذ كلّ ماعلا الرأس فهو سماء وبالجبال الكثرة كما يقال: فلان يملك جبالاً من ذهب، أو القطع العظام التي تشبه الجبال في عظمها وجمودها.

حكى ابن الديبع في بغية المستفيد(١) أنّه وقع باليمن سنة خمس وتسعين وستمائة مطر نزلت فيه بَردة كالجبل الصغير لها شرفات تزيد كلّ واحدة منها على ذراع فوقعت في مفازة فغاب في الأرض أكثرها وبقي بعضها على الأرض كان يدور وحوله عشرون رجلاً لايرى بعضهم بعضاً، ووقعت بَردة أُخرى حاول قلعها خمسون رجلاً فما أمكنهم فسبحان من هو على كلّ شيءٍ قدير.

قوله عليه السّلام: «والهابطين مع قطر المطر» الهبوط: النزول هبط يهبط من باب «ضرب» هبوطاً: نزل، وفي لغة قليلة يهبط هبوطاً من باب «قعد» وهبطه أنزله لازم ومتعدّ.

والقطر: ما يقطر واحده قطرة كتمر وتمرة، والمطر في الأصل مصدر مطرت السماء تمطر مطراً من باب طلب ثمّ سمّي الغيث بالمصدر.

روي عن أميرالمؤمنين عليه السّلام أنّ تحت العرش بحراً فيه ماء ينبت أرزاق الحيوانات فإذا أراد الله أن ينبت ما يشاء لهم رحمة منه لهم أوحى الله إليه فمطر ماشاء من سماء إلى سماء حتّى يصير إلى سماء الدنيا فيلقيه إلى السحاب، والسحاب بمنزلة الغربال فتقطر على النحو الذي يأمرها به فليس من قطرة تقطر إلّا ومعها ملك يضعها موضعها(٢). والحديث طويل نقلنا بعضه *.

---

(١) لم نعثر على هذا الكتاب. (٢) بحار الأنوار: ج٥٩ ص٣٧٢ ح٢ مع اختلاف يسير في العبارة.

والقَوّامِ عَلىٰ خَزائنِ الرّياحِ

القوّام: جمع قائم من قام الأمير على الرعيّة إذا وليها وملك أمرها.

والخزائن: جمع خزانة وقد تقدّم الكلام عليها في شرح الأسناد.

والرّياح: جمع ريح والعين فيها واو وقلبت ياء لانكسار ما قبلها وجمع القلّة أرواح بالواو إذ لم يوجد فيه ما يوجب الإعلال، زعم الحكماء أنّ حدوث الرياح من تموّج الهواء بحركته إلى الجهات، وكيفيّة حدوثها أنّ الأدخنة الّتي تحدث من تأثير الشمس في الأرض وغيرها من الأشياء اليابسة إذا وصلت إلى الطبقة الباردة إمّا أن ينكسر حرّها وإمّا أن تبقى على حرارتها، فإن انكسر حرّها تكاثفت وقصدت النزول فيتموّج بها الهواء، وإن بقيت على حرارتها تصاعدت إلى كرة النار المتحرّكة بحركة الفلك الدوريّة إلى أسفل فيتموّج بها الهواء أيضاً فتحدث منه الرياح.

واصولها أربعة: الشمال: ومهبّها من مطلع بنات نعش إلى مغرب الشمس، والجنوب: ومهبّها من مطلع سهيل إلى مشرق الشمس، والصبا: ومهبّها من المشرق إلى بنات نعش، والدبور: ومهبّها من المغرب إلى مطلع سهيل، ولكلّ واحدة منها ملك يهبّها ويحرّكها بأمر الله. كما وردت به الرواية الصّحيحة غن أبي جعفر عليه السّلام لا كما زعمه الحكماء.

روى ثقة الإسلام في الروضة بإسناد صحيح عن أبي بصير قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن الرياح الأربع: الشمال والجنوب والصبا والدبور، وقلت: إنّ الناس يذكرون أنّ الشّمال من الجنّة والجنوب من النار فقال: إنّ لله جنوداً من رياح يعذّب بها من يشاء ممّن عصاه، ولكلّ ريح منها ملك موكّل بها فإذا أراد الله عزّ ذكره أن يعذّب قوماً بنوع من العذاب أوحى إلى الملك الموكّل بذلك النوع من الريح التي يريد أن يعذّبهم بها، قال: فيأمرها الملك فتهيج كما يهيج الأسد المغضب. قال: ولكلّ ريح منها اسم، أما تسمع قوله عزّوجلّ: «كذّبت عاد فكيف كان

....

عذابي ونذر﴾ إنّا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمرّ».(١). وقال: «الريح العقيم» (٢) وقال: «ريح فيها عذاب أليم» (٣) . وقال: «فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت» (٤) وما ذكر من الرياح التي يعذّب الله بها من عصاه قال: ولله عزّ ذكره رياح رحمة لواقح وغير ذلك ينشرها بين يدي رحمته منها ما يهيج السحاب للمطر ومنها رياح تحبس السحاب بين السماء والأرض و منها رياح تعصر السحاب فتمطره بإذن اللّه تعالى، ومنها رياح ممّا عدّد الله في الكتاب، فأمّا الرياح الأربع: الشمال والجنوب والصبا والدبور. فإنّما هي أسماء الملائكة الموكّلين بها، فإذا أراد الله أن يهبّ شمالاً أمر الملك الذي اسمه الشمال فيهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشامي فضرب بجناحه فتفرّقت ريح الشمال، حيث يريد الله من البرّ والبحر، وإذا أراد الله أ ن يبعث جنوباً أمر الملك الذي اسمه الجنوب فهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشامي فضرب بجناحه فتفرّقت ريح الجنوب في البرّ والبحر حيث يريد الله، وإذا أراد أن يبعث الصبا أمر الملك الذي اسمه الصبا فهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشامي فضرب بجناحه فتفرّقت ريح الصبا حيث يريد الله عزّوجلّ في البرّ والبحر، وإذا أراد الله أن يبعث دبوراً أمر الملك الذي اسمه الدبور فهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشامي فضرب بجناحه فتفرّقت ريح الدبور حيث يريد الله من البرّ والبحر، ـ ثمّ قال أبو جعفر عليه السّلام: ـ أما تسمع لقوله، ريح الشمال وريح الجنوب وريح الصبا وريح الدبور إنّما تضاف إلى الملائكة الموكّلين بها (٥) .

و روى رئيس المحدّثين في كتاب العلل بإسناده عن العرزمي قال: كنت مع

---

(١) سورة القمر: الآية ١٨ و ١٩. (٢) سورة الذاريات: الآية ٤١.

(٣) سورة الأحقاف: الآية ٢٤. (٤) سورة البقرة: الآية ٢٦٦. (٥) الكافي: ٨ ص٩١ و ٩٢.

والمُوَكَّلِينَ بالجِبالِ فَلا تَزولُ.

أبي عبدالله عليه السّلام جالساً في الحجر تحت الميزاب ورجل يخاصم رجلاً وأحدهما يقول لصاحبه: والله ما تدري من أين تهبّ الريح، فلمّا أكثر عليه قال له أبوعبدالله عليه السّلام: هل تدري أنت من أين تهبّ الريح؟ فقال: لا، ولكنّي أسمع الناس يقولون، فقلت لأبي عبدالله عليه السّلام: من أين تهبّ الريح؟ فقال: إنّ الريح مسجونة تحت هذا الركن الشامي، فإذا أراد الله عزّوجلّ أن يرسل منها شيئاً أخرجه إمّا جنوباً فجنوب، وإمّا شمالاً فشمالٌ، وإمّا صبا (١) فصبا (٢)، وإمّا دبوراً فدبور، ثمّ قال: وآية ذلك أنّك لا تزال ترى هذا الركن متحرّكاً أبداً في الشتاء والصيف والليل والنهار (٣).

وأخرج ابن جرير عن عليّ عليه السّلام أنّه قال: لم ينزل شئ من الريح إلّا بكيل على يد ملك إلّا يوم عاد فإنّه أُذن لها دُون الخزّان فخرجت، فذلك قوله تعالى: «بريح صرصرٍ عاتية» عتت على الخزّان (٤) *.

الموكّل: اسم مفعول من وكّلته بالأمر توكيلاً إذا جعلت له القيام به، والجبال: جمع جبل وهو معروف، قال بعضهم: ولايكون جبلاً إلّا إذا كان مستطيلاً. قال الحكماء: إذا امتزج الماء بالطين وفي الطين لزوجة وأثّرت فيه حرارة الشمس مدّة طويلة صار حجراً كما ترى إنّ النّار إذا أثّرت في الطين جعلته آجراً، والآجر ضرب من الحجر، وكلّما كان أثّر النّار فيه أكثر كان أصلب وأشبه بالحجر، فزعموا أنّ تولّد الجبال من اجتماع الماء والطين وحرارة الشمس، وأمّا سبب ارتفاعها وشموخها فجاز أن يكون بسبب زلزلة فيها خسف فينخفض بعض الأرض ويرتفع بعضها ثمّ ذلك البعض يصير حجراً كما ذكر، وجاز أن يكون بسبب أنّ الرياح تنقل التراب

---

(١) و (٢) في «الف»: صباء.

(٣) علل الشرائع: ج٢ ص ٤٤٨.

(٤) تفسير الطبري: ج٢٩ ص ٣٢.

....

من مكان إلى مكان فتحدث تلال ووهاد ثمّ تتحجّر بالسبب المذكور.

وفي الخبر: إن الله تعالى خلق الأرض فجعلت تمور فقال الملائكة: ما هي بمقرّ أحد على ظهرها فأصبحت وقد أُرسيت بالجبال لم تدر الملائكة ممّ خلقت (١).

و روىٰ رئيس المحدّثين في كتاب العلل **بإسناده عن** أميرالمؤمنين عليه السّلام في حديث طويل: أنّه قام إليه رجل من أهل الشام فقال: يا أميرالمؤمنين إني أسألك عن أشياء، فقال: سل تفقّهاً ولا تسأل تعنّتاً فاحدق النّاس بأبصارهم. فقال: أخبرني عن أوّل ما خلق الله تبارك **وتعالى**؟ فقال: خلق النور. قال: فممّ خلق السماوات؟ قال: من بخار الماء. قال: فممّ خلق الأرض؟ قال: من زبد الماء. قال: فممّ خلقت الجبال؟ قال: من الأمواج (٢). والحديث طويل الذّيل أخذنا منه موضع الحاجة.

و روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: جاءني جبرئيل فقال: يا محمّد إنّ ربّك يقرؤك السلام، وهذا ملك الجبال قد أرسله معك وأمره أن لايفعل شيئاً إلّا بأمرك. فقال ملك الجبال: إن شئت دمدمت عليهم الجبال، وإن شئت رميتهم بالحصباء، وإن شئت خسفت بهم الأرض. قال: يا ملك الجبال فإنّي أ أنى بهم لعلّهم أن يخرج منهم ذرّيّة يقولون لا إله إلّا الله. فقال ملك الجبال: أنت كما سمّاك ربّك رؤوف رحيم (٣).

قوله: «فلا تزول» الفاء للسببيّة، أي: فبسبب توكّلهم بها لا تزول، وأغرب من قال: إنّها رابطة، أو للإستئناف. وتزول: إمّا من الزوال بمعنى الذهاب أي فلا تنهدّ وتندكّ فتذهب، أو بمعنى الإنتقال عن مكانها أي فلا تستقرّ في مواضعها *.

---

(١) الدر المنثور: ج٤ ص١١٣.
(٢) العلل: ج٢ ص ٥٩٣ ح ٤٤.
(٣) الدر المنثور: ج٣ ص٢٩٦.

وَالَّذينَ عَرَّفتَهُمْ مَثاقيلَ المِياهِ وَكَيْلَ ما تَحويهِ لَواعِجُ الأمطار وَعَوالِجُها.

المثاقيل: جمع مثقال وهو ميزان الشيء أي ما يعادله في الوزن.

قال ابن الأثير: المثقال في الأصل مقدار من الوزن أيّ شيء كان من قليل أو كثير، فمعنى مثقال ذرّة: وزن ذرّة، والناس يطلقونه في العرف على الدينار وليس كذلك (١).

والمياه: جمع ماء، أصله ماه بالهاء.

وقيل: مَوَهَ تحرّكت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً وقلبت الهاء همزة لإجتماعها مع الألف وهما حرفان حلقيّان ووقوعها طرفاً، ولهذا يردّ إلى أصله في الجمع والتصغير. فيقال: مياه ومويه. وقالوا: أمواه أيضاً مثل باب وأبواب. وربّما قالوا: أمواء بالهمز على لفظ الواحد.

وفي الخبر: ما يخرج من الماء شيء إلاّ عليه خزّان يعلمون قدره وعدده ووزنه وكيله حتّى كان أمر نوح فاندفق منه شيء لايعلمون قدره ولاوزنه ولا كيله غضباً لله تعالى فلذلك سمّي طاغياً (٢).

والكيل تحرير مقدار الشّيء بظرف مخصوص.

قال في النهاية: والذي يعرف به أصل الكيل والوزن أنّ كلّ مالزمه اسم القفيز والمكوك والصاع والمدّ فهو كيل، وكلّ مالزمه اسم الأرطال والأمناء والأواقي فهو وزن، انتهى (٣).

وقد يطلق الكيل على الوزن ومطلق المقايسة.

قال في القاموس: كال الدراهم: وزنها، والشيء بالشيء: قاسه (٤) واللواعج جمع لاعج من لعجة الحزن: اشتدّ عليه (٥).

(١) النهاية لابن الأثير: ج ١ ص ٢١٧.
(٢) الدرّ المنثور: ج٦ ص٢٥٩.
(٣) النهاية لابن الأثير: ج٤ ص٢١٨.
(٤) القاموس المحيط: ج٤ ص ٤٩.
(٥) القاموس المحيط: ج١ ص ٢٠٦.

وَ رُسُلِكَ مِنَ المَلائِكَةِ إِلىٰ أَهلِ الأَرضِ بِمَكرُوهِ ما يَنزِلُ مِنَ البَلاءِ وَ مَحبُوبِ الرّخاءِ.

قال صاحب المحكم: لعج الحزن والحبّ يلعج لعجاً: إستحرّ في القلب، أي اشتدّ (١).

والعوالج: جمع عالج، وهو المجتمع من الرمل.

قال في المحكم: تعلّج الرمل: إجتمع وعالج، رمل بالبادية كأنّه منه بعد طرح الزائد، انتهى (٢).

وقال ابن الأثير في النهاية: وفي حديث الدعاء «وما تحويه عوالج الرمال» هو جمع عالج وهو ما تراكم من الرمل ودخل بعضه في بعض، انتهى (٣).

والمعنى كيل ما تحويه الأمطار الشديدة والمتراكمة القطر من الماء فهو من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، والأصل الأمطار اللواعج، والعوالج فقدّم الصفة وجعلها نوعاً مضافاً إلى الجنس مثل كرام الناس، ولايرد أنّ المضاف في عوالجها ضمير، والضمير لايوصف ولايوصف به لأنّ الحكم بأن المضمر لايوصف فيما إذا كانت الصّفة جارية عليه لامضافة إليه *.

إلى والباء: كلاهما متعلّق برسلك، تقول: أرسلته إلى فلان بكذا، والباء: للمصاحبة نحو إهبط بسلام.

والمكروه ما يكرهه الإنسان ويشقّ عليه وما موصولة ومن البلاء بيان لها.

والبلاء: اسم من بلاه يبلوه بمعنى امتحنه.

والمحبوب: مفعول من حبّه يحبّه من باب ضَرَبَ، والقياس أن يكون بالضمّ من باب قتل لكنّه غير مستعمل وهي لغة في أحبّه بالألف وهي الكثيرة المستعملة لكنّهم استغنوا بمحبوب عن محبّ كما تقدّم بيانه في شرح الأسناد.

---

(١) و (٢) المحكم: ج١ ص ١٩٩ و ١٩٧. (٣) النهاية لابن الأثير: ج٣ ص ٢٨٧.

والسَّفَرَةِ الكِرامِ البرَرَةِ.

والرخاء: بالفتح والمدّ سعة العيش يقال: رخى عيشه، و رخو، من باب تعب وكرم رخاوة أي اتّسع فهو رخيّ على فعيل، والإسم الرخاء، وزيد رخي البال: أي في نعمة وخصب.

وقال الفارابي في ديوان الأدب: الرّخاء: مصدر قولك رخي البال.

وفي الحديث: تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة (١) *.

قيل: السفرة: هم الكتبة من الملائكة ينسخون الكتب من اللوح على أنّه جمع سافر من السفر وهو الكتب، وقيل هم الذين يسفرون بالوحي بينه تعالى وبين أنبيائه عليهم السلام على أنّه جمع سفير من السفارة، وأصل السفارة الإصلاح، يقال: سفرت بين القوم سفارة ـ بالكسر ـ أي أصلحت ثمّ سمّي الرسول سفيراً لأنّه يسعى في الإصلاح ويبعث له غالباً.

وقيل: إنّما سمّوا سفرة لنزولهم غالباً بما يقع به الصلاح بين الناس تشبيهاً بالسفير وهو المصلح.

والمراد بكونهم كراماً: إنّهم أعزّاءٌ على الله تعالى أو متعطّفون على المؤمنين مستغفرون لهم.

وقال عطاء: أراد أنّهم يتكرّمون عن أن يكونوا مع ابن آدم إذا خلا مع زوجته للجماع وعند قضاء الحاجة (٢).

وبكونهم بررة: أنهم أتقياء مطيعون لله تعالى فاعلون للخيرات منزّهون عن النقائص من البرّ بالكسر، وهو التقيّ والصلاح وفعل الخير، وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: «في صحف مكرّمةٍ * مرفوعة مطهّرة * بأيدى سفرة * كرام بررة» (٣)

---

(١) الجامع الصغير: ص ١٣١.

(٢) تفسير الرازي: ج ٣١ ص ١٥٨.

(٣) سورة عبس: الآية ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٦

والحَفَظَةِ الكِرامِ الكاتِبينَ.

قال بعضهم: وهذه اللفظة يعني السفرة مختصّة بالملائكة لا تكاد تطلق على غيرهم وإن جاز الإطلاق بحسب اللّغة (١) ، انتهى *.

الحفظة: محرّكة جمع حافظ من حفظ المال: إذا رعاه. وتوكّل به فهو حافظ وحفيظ ثمّ أُطلق على الذين يحصون أعمال العباد من الملائكة وهم الحافظون قال تعالى: «وإنّ عليكم لحافظين* كراماً كاتبين» (٢) وهم طائفتان: ملائكة اليمين للحسنات، وملائكة الشمال للسيّئات. قال تعالى: «إذ يتلقّى المتلقّيان عن اليمين وعن الشمال قعيد» (٣) .

عن الصادق عليه السّلام إنّه قال: استعبدهم الله بذلك وجعلهم شهوداً على خلقه ليكون العباد لملازمتهم إيّاهم أشدّ على طاعة الله مواظبة وعن معصيته أشدّ انقباضاً، وكم من عبدٍ همّ بمعصية فذكر مكانهم فارعوى وكفّ، فيقول: ربّي يراني وحفظتي عليّ. بذلك تشهد (٤) .

قال المفسّرون: وفي تعظيم الكاتبين بالثناء عليهم تفخيم لأمر الجزاء وإنّه عندالله تعالى من جلائل الأُمور حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام.

واعلم: أنّ الحفظة على قسمين: حفظة على العباد وهم الكرام الكاتبون المذكورون. وحفظة للعباد وهم الذين يحفظونهم بأمر الله تعالى من الآفات التي تعرض لهم كما قال تعالى: «له معقّبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله» (٥) .

عن أبي جعفر عليه السّلام يقول: من أمر الله من أن يقع في ركيّ (٦) أو يقع

---

(١) انتهى كلام البعض.
(٢) سورة الانفطار: الآية ١٠ و ١١.
(٣) سورة ق: الآية ١٧.
(٤) نور الثقلين: ج ٥ ص٥٢٢ ح١٤.
(٥) سورة الرعد: الآية ١١.
(٦) الركيّ: جنس للركيّة وهي البئر. النهاية: ج٢ ص٢٦١.

....

عليه حائط أو يصيبه شيء حتّى إذا جاء القدر خلّوا بينه و بينه فيدفعونه إلى المقادير وهما ملكان يحفظانه بالليل وملكان بالنهار يتعاقبانه (١) .

تكميل

قال بعض القدماء: إنّ هذه النفوس البشريّة والأرواح الإنسانيّة مختلفة بجواهرها، فبعضها خيّرة و بعضها شريرة، وكذا القول في البلادة والذكاء والفجور والعفّة والدناءة والشرف وغيرها من الهيئات، ولكلّ طائفة من هذه الأرواح السفليّة روح سماويّ هو لها كالأب الشفيق والسيّد الرحيم يعينها على مهمّاتها في يقظتها ومنامها، تارةً على سبيل الرؤيا، وأُخرى على سبيل الإلهامات وهو مبدأ لما يحدث فيها من خير وشرّ، وتعرف تلك المبادىء في مصطلحهم بالطباع التامّ يعني: أنّ تلك الأرواح الفلكيّة في تلك الطبائع والأخلاق تامّة بالنسبة إلى هذه الأرواح السفليّة وهي الحافظة لها وعليها، وهذا هو المراد بالحفظة.

وقال بعضهم: إنّ الله سبحانه خلق الطبائع المتضادّة ومزج بين العناصر المتنافرة حتّى استعدّ ذلك الممتزج بسبب ذلك الإمتزاج لقبول النفس المدبّرة والقوى الحسّيّة والمحرّكة، فالمراد بالحفظة: المرسلة في قوله تعالى: «و يرسل عليكم حفظة» (٢) هي تلك النفس، والقوى الّذي تحفظ تلك الطبائع المقهورة على إمتزاجاتها وهي الضابطة على أنفسها أعمالها، والمكتوب في ألواحها صورة ما تفعله لتشهد به على أنفسها يوم القيامة كما قال تعالى: «قالوا شهدنا على أنفسنا وغرّتهم الحياة الدّنيا وشهدوا على أنفسهم أنّهم كانوا كافرين» (٣) . وهي المعقّبات من

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٩ ص١٧٩ ح١٦.
(٢) و (٣) سورة الأنعام: الآية ٦١ و ١٣٠.

وَ مَلَكِ المَوتِ وَ أعوانِهِ.

بين يدي الإنسان ومن خلفه الحافظون له من أمر الله.

وقال آخرون: إن للنفوس المتعلّقة بهذه الأجساد مشاكلة ومشابهة بالنّفوس المفارقة عن الأجساد فيكون لتلك المفارقة ميل إلى النفوس الّتي لم تفارق فيكون لها تعلّق أيضاً بوجه ما بهذه الأبدان بسبب ما بينها وبين نفوسها من المشابهة والموافقة فتصير معاونة لهذه النفوس على مقتضى طباعها وشاهدة عليها كما قال تعالى: «ما يلفظ من قول إلّا لديه رقيبٌ عتيدٌ» (١) .

هذه جملة أقوال أرباب المعقول في حقيقة الحفظة. والذي يقتضيه ظاهر القرآن ودلّت عليه الأخبار: أنّهم أرواح سماويّة كلّفهم الله تعالى بحفظ عباده فمنهم حافظون لهم ومنهم حافظون عليهم كما عرفت والإيمان بذلك أظهر وأسلم، والله أعلم*.

ملك الموت: عبارة عن الروح المتولّي لإفاضة صورة العدم على قوى أعضاء هذا البدن وحال مفارقة النفس له واسمه على ما وردت به الأخبار المستفيضة عزرائيل.

عن أبي الحسن الأوّل عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إن الله تبارك وتعالى إختار من الملائكة أربعة: جبرئيل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت» (٢) .

وفي رواية: أنّ هؤلاء الأربعة هم المدبّرات أمراً* فالمقسمات أمراً (٣)

وعن أسباط بن سالم مولى أبان قال: قلت لأبي عبدالله عليه السّلام: جعلت فداك يعلم ملك الموت نفس من يقبض؟ قال: لا إنّما هي صكاك (٤) تنزل من

(١) سورة ق: الآية ١٨.

(٢) بحار الأنوار: ج٥٩ ص٢٥٠ ح٧، وفي الخصال ص٢٢٥.

(٣) مجمع البيان: ج٩ - ١٠ ص٤٣٠.

(٤) الصكاك : جمع صك وهو الكتاب، النهاية لابن الأثير: ج٣ ص٤٣.

....

السماء أقبض نفس فلان (١).

والأعوان: جمع عون بالفتح وهو الظهير على الأمر والمعاون عليه أعانه إعانة وعاونه معاونة.

روى الصدوق في الفقيه قال: سئل الصادق عليه السّلام عن قول الله عزّوجلّ: «الله يتوفّى الأنفس حين موتها» وعن قول الله عزّوجلّ: «قل يتوفّيكم ملك الموت الّذي وكّل بكم» وعن قول الله تعالى: «الّذين تتوفّيهم الملائكة طيبين» و «الذين تتوفّيهم الملائكة ظالمي أنفسهم» وعن قوله تعالى: «توفّته رسلنا» وعن قوله عزّوجلّ: «ولو ترى إذ يتوفّى الذين كفروا الملائكة» وقد يموت في الساعة الواحدة في جميع الآفاق ما لا يحصيه إلّا الله عزّوجلّ فكيف هذا؟ فقال: إنّ الله تبارك وتعالى جعل لملك الموت أعواناً من الملائكة، يقبضون الأرواح بمنزلة صاحب الشرطة له أعوان من الإنس يبعثهم في حوائجه فتوفّاهم الملائكة ويتوفّاهم ملك الموت من الملائكة مع ما يقبض هو ويتوفّاهم الله عزّوجلّ من ملك الموت (٢).

وعن ابن عبّاس في قوله تعالى: «توفّته رسلنا» قال: أعوان ملك الموت من الملائكة (٣).

قال بعض الصوفيّة: حقّ ملك الموت أن يحبّه المسلم من بين الملائكة فضل محبّة من حيث أنّه سبب بتعويض الحياة السنيّة الأبديّة من الحياة الدنيّة الدنيويّة، ولهذا أُمرنا بأن نقول في دعائنا: «اللّهمّ صلّ على جبرئيل وميكائيل وملك الموت» (٤) فإنّ جبرئيل وميكائيل سببان لانبائنا عن ذلك العالم بما فيه خلاصنا من دار الكون والفساد، وملك الموت سبب لإخراجنا من دار الكون والفساد فإذاً

---

(١) بحار الأنوار: ج٦ ص١٤٥ ح١٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج١ ص ١٣٦ ح٣٦٨.

(٣) تفسير الطبري: ج٧ ص١٣٩.

(٤) بحار الأنوار: ج٥٩ ص١٩٣ ح٥٦.

وَ مُنكَرٍ وَ نَكيرٍ وَ رُومانَ فَتّان القُبورِ.

حقّه عظيم وشكره لازم *.

منكر: اسم مفعول من أنكر الشيء إنكاراً خلاف عرفه.

والنكير فعيل بمعنى الإنكار. سمّي بهما ملكا القبر كما تظافرت به الأحاديث، وأنكر بعض أهل الإسلام تسميتهما بهذين الاسمين، وقالوا: إنّ المنكر هو ما يصدر عن الكافر من التلجلج عن سؤالهما إيّاه، والنكير هو ما يصدر عنهما من التقريع له، فليس للمؤمن منكر ولانكير عند هؤلاء، والأحاديث المستفيضة من طرق الخاصّة والعامّة صريحة في خلافهم.

أخرج الطبراني من العامّة في الأوسط بسند حسن عندهم عن ابن عبّاس قال: إسم الملكين اللذين يأتيان في القبر: منكر ونكير(١).

وأخرج البيهقي في كتاب عذاب القبر عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: كيف أنت يا عمر إذا انتهى بك إلى الأرض فحفر لك ثلاثة أذرع وشبر في ذراعين وشبر، ثمّ أتاك منكر ونكير أسودان يجرّان أشعارهما كأنّ أصواتهما الرعد القاصف، وكأنّ أعينهما البرق الخاطف يحفران لك الأرض بأنيابهما فأجلساك فزعا فتلتلاك وتوهلاك ؟ قال: يا رسول الله وأنا يومئذٍ على ما أنا عليه قال: نعم. قال: اكفيكهما بإذن الله (٢).

تلتله: حرّكه وأقلقه، وتوهّله: عرّضه لأن يهل أي: يغلط ويسهو.

وأخرج الترمذي (٣) والبيهقي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إذا قبر الميّت أتاه ملكان أسودان أزرقان. يقال: لأحدهما منكر وللآخر نكير (٤).

---

(١) الحبائك للسيوطي: ص٧٠ نقلاً عن الأوسط للطبراني. (٢) الحبائك للسيوطي: ص٧١.

(٣) سنن الترمذي: ج٣ ص٣٨٣ ح١٠٧١. (٤) الحبائك للسيوطي: ض٧٠ نقلاً عن البيهقي.

....

وعن أبي عبدالله عليه السّلام قال: يجيء الملكان منكر ونكير إلى الميّت حين يدفن، أصواتها كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف يخطّان الأرض بأنيابها ويطآن في شعورهما (١).

وعنه عليه السّلام: ملكا القبر وهما قعيدا القبر منكر ونكير (٢).

قوله عليه السّلام: «و رومان» فتّان القبور، رومان: بضمّ الراء المهملة إسم أحد ملائكة القبر، وهو فعلان من الروم يقال: رامه يرومه روماً إذا طلبه.

أخرج أبو نعيم عن ضمرة بن حبيب قال: فتّان القبر ثلاثة: أنكر وناكور و رومان (٣).

وأخرج أبو الحسن القطّان في المطوّلات عن ضمرة قال: فتّان القبور أربعة: منكر ونكير وناكور وسيّدهم رومان (٤).

ذكر ذلك الجلال السيوطي في الحبائك (٥).

وفي رواية عبدالله بن سلام قال: سألت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن أوّل ملك يدخل في القبر على الميّت قبل منكر ونكير. فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: ملك يتلألأ وجهه كالشمس اسمه: زومان يدخل على الميّت ثمّ يقول له: أكتب ما عملت من حسنة وسيّئة. فيقول: بأيّ شيءٍ أكتب؟ أين قلمي ودواتي ومدادي؟ فيقول: ريقك مدادك وقلمك اصبعك، فيقول: على أيّ شيءٍ أكتب وليس معي صحيفة؟ قال: صحيفتك كفنك فاكتب. فيكتب ما عمله في الدنيا خيراً، وإذا بلغ سيّئاته يستحي منه فيقول له الملك: يا خاطىء ما تستحي من خالقك حين عملته في الدنيا فتستحي الآن، فيرفع الملك العمود

---

(١) الكافي: ج٣ ص٢٣٦ ح٧.
(٢) بحار الأنوار: ج٦ ص٢٦٤ ح١٠٨.
(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٦ ص١٠٤.
(٤) و (٥) الحبائك للسيوطي: ص ٧٢.

....

ليضربه. فيقول: إرفع عنّي حتّى أكتبها فيكتب فيها جميع حسناته وسيئاته ثمّ يأمره أن يطوي ويختم. فيقول: بأيّ شيء أختم؟ وليس معي خاتم. فيقول: اختمها بظفرك وعلّقها في عنقك إلى يوم القيامة. كما قال الله تعالى: «وكلّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقيه منشوراً» (١).

وفتّان من أبنية المبالغة في الفتنة.

قال ابن الأثير وفي حديث الكسوف: «وإنّكم تفتنون في القبور» يريد مساءلة منكر ونكير من الفتنة الإمتحان والاختبار وقد كثرت استعاذته من فتنة القبر وفتنة الدجّال وفتنة المحيا والممات وغير ذلك.

ومنه الحديث: «فبي تفتنون وعنّي تسألون» أي تمتحنون بي في قبوركم ويتعرّف إيمانكم بنبوّتي. انتهى (٢).

وأصل الفتنة للفضّة وهي سبكها بالنار ليتميّز رديّها من جيّدها، وإضافة فتّان إلى القبور إمّا من إضافة اسم الفاعل إلى معموله على حذف مضاف أي فتّان أصحاب القبور أو إلى غير معموله كمصارع مصر وهذا أولى، ونصبه في رواية ابن إدريس على القطع بإضمار أعني.

تبصرة

القول بسؤال منكر ونكير وفتنة القبر وعذابه وثوابه حقّ يجب الإيمان به لما تواترت به الأخبار، بل هو من ضروريّات الدين والأظهر الأسلم في الإيمان بذلك

(١) بحار الأنوار: ج٥٩ ص٢٣٤ مع اختلاف يسير في العبارة، والآية ١٣ من سورة الإسراء.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج٣ ص٤١٠ سطر ١٣.

والطّائفينَ بِالبَيْتِ المَعمُورِ.

أن يصدّق بأنّها موجودة، وأنّ هناك ملكين أو أكثر على الصورة المحكيّة وإن كنّا لانشاهد ذلك، إذ لا تصلح هذه العين لمشاهدة الأمور الملكوتيّة. وكلّ ما يتعلّق بالآخرة فهو من عالم الملكوت كما كانت الصحابة يؤمنون بنزول جبرئيل، وأنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يشاهده وإن لم يكونوا يشاهدونه، وكما أنّ جبرئيل لايشبه الناس فكذلك منكر ونكير ورومان، فوجب التصديق بوجودهم والإيمان بسؤالهم وفتنتهم كما أخبر به المخبر الصّادق.

وأمّا التأويل الوارد عن غير أرباب العصمة على تقدير احتمال صحّته فلا موجب للقول به فضلاً عن الإذعان به *.

طاف بالشيء يطوف طوفاً وطوافاً: إستدار به. والبيت المعمور هو المسمّى بالضراح بضمّ الضاد المعجمة وفتح الراء المهملة المخفّفة وبعد الألف حاء مهملة على وزن غراب من المضارحة وهي: المقابلة والمصارعة. وراوي الصاد مصحّف، وهو في السماء الرابعة كما وردت به روايات، وفي رواية في السماء السادسة، وفي أُخرى في السابعة.

وعن أبي جعفر عليه السّلام: إنّ أركان البيت الحرام في الأرض حيال البيت المعمور في السماء (١).

وروى ثقة الإسلام في الكافي بإسناده عن محمّد بن مروان قال: سمعت أبا عبدالله عليه السّلام يقول: كنت مع أبي في الحجر، فبينا هو قائم يصلّي إذ أتاه رجل فجلس إليه فلمّا انصرف سلّم عليه ثمّ قال: إنّي أسألك عن ثلاثة أشياء لايعلمها إلّا أنت أو رجل آخر. قال: ما هي؟ قال: أخبرني أيّ شيء كان سبب الطواف بهذا البيت؟ فقال: إن الله عزّوجلّ لمّا أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم عليه السّلام

---

(١) الكافي: ج٤ ص١٩٥ ح٢.

....

ردّوا عليه فقالوا: «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك» قال الله تبارك وتعالى: «إنّي أعلم مالا تعلمون» فغضب عليهم ثمّ سألوه التوبة فأمرهم أن يطوفوا بالضراح وهو البيت المعمور، ومكثوا يطوفون به سبع سنين، يستغفرون الله عزّوجلّ ممّا قالوا، ثمّ تاب عليهم من بعد ذلك ورضي عنهم، فهذا كان أصل الطواف، ثمّ جعل الله البيت الحرام حذو الضراح توبة لمن أذنب من بني آدم وطهوراً لهم. فقال: صدقت (١).

وفي رواية أُخرىٰ عنه عليه السّلام: إنّ الله أمر ملكاً من الملائكة أن يجعل له بيتاً في السماء السادسة يسمّىٰ الضراح بازاء عرشه، فصيّره لأهل السماء يطوف به سبعون ألف ملك في كلّ يوم لايعودون ويستغفرون (٢).

وعن أبي عبدالله عليه السّلام: إنّ الله عزّوجلّ أمر للملائكة ببيت من مرمر، سقفه ياقوتة حمراء، وأساطينه الزبرجد، يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك، لايدخلونه بعد ذلك إلى يوم الوقت المعلوم. قال: ويوم الوقت المعلوم «يوم ينفخ في الصور نفخة واحدة» (٣).

وخرّج الأزرقي عن علي بن الحسين عليهما السّلام من جملة حديث: إنّ اللّه سبحانه وتعالىٰ وضع تحت العرش بيتاً على أربع أساطين من زبرجد وغشاهنّ بياقوتة حمراء، وسمّىٰ البيت: الضراح. ثمّ قال الله للملائكة: طوفوا بهذا البيت ودعوا العرش، فطافت الملائكة بالبيت وتركت العرش، فصار أهون عليهم، وهو البيت المعمور الذي ذكره الله يدخله كلّ يوم وليلة سبعون ألف ملك لايعودون فيه أبداً (٤) *.

---

(١) الكافي: ج٤ ص١٨٨ ح٢.
(٢) وسائل الشيعة: ج٩ ص٣٨٦ ح٣.
(٣) علل الشرائع: ج٢ ص ٤٠٢ ح٢.
(٤) الدرّ المنثور: ج١ ص١٢٨.

وَ مالكٍ وَالخَزَنَةِ وَ رُضوانَ وَسَدَنَةِ الجِنانِ

مالك: اسم مقدّم خزنة النار، أعاذنا الله منها، وهو اسم مشتقّ من الملك والقوّة حيث تصرّفت حروفه، قال تعالى: «ونادوا يامالك ليقض علينا ربّك قال إنّكم ماكثون»(١).

والخزنة: الملائكة المتولّون لأمرها، قال عزّوجلّ: «وقال الذين في النار لخزنة جهنّم» (٢) وقال تعالى: «عليها ملائكة غلاظ شداد» (٣).

روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إنّه قال: والّذي نفسي بيده لقد خلقت ملائكة جهنّم قبل أن تُخلق جهنّم بألف [بآلاف] عام، فهم كلّ يوم يزدادون قوّة إلى قوّتهم(٤)*.

رضوان: بكسر الراء وضمّها علَم منقول من الرضوان بمعنى: الرضا، وهو خلاف السخط، ولمّا كان رضوان الله تعالى أعظم السعادات وأشرف المرغوبات كما قال تعالى: «ورضوان من الله أكبر» (٥) سمّى الله تعالى رئيس خزّان الجنان برضوان إذ كان دخول الجنان وسكناها من مقتضيات رضوانه.

والسدنة: جمع سادن من السدانة بالكسر، وهي خدمة الأماكن المعظّمة كالكعبة والمسجد.

قال ابن الأثير: سدانة الكعبة هي خدمتها وتولّي أمرها وفتح بابها وإغلاقه(٦) انتهى.

وقال الزمخشري في الأساس: سدنة البيت: حَجَبَته، وسَدَن الستر وسدله: أرخاه، وهو سادن فلان وآذنه لحاجبه (٧) انتهى. فظهر أنّ السدانة مشتقّة من السدن كالستر وزناً ومعنًى، كما أنّ الحجّابة مشتقّة من الحجاب ثمّ أُطلقت على

(١) سورة الزخرف: الآية ٧٧. (٢) سورة غافر: الآية ٤٩. (٣) سورة التحريم: الآية ٦.
(٤) لئالي الأخبار: ج٥ ص١١٤. (٥) سورة التوبة: الآية ٧٢.
(٦) النهاية لابن الأثير: ج٢ ص ٣٥٥ (٧) أساس البلاغة: ص ٢٩١.

وَالذينَ لايَعْصُونَ اللهَ ما أمَرَهُمْ وَيَفعَلونَ ما يُؤمَرونَ

خدمة الكعبة ونحوها.

والجنان: جمع جنّة، واشتقاقها من الستر والتغطية، ومنه: الجنين لاستتاره في البطن، والجانّ لاستتاره عن العيون، وسمّي البستان جنّة لأنّه يستر داخله بالأشجار ويغطّيه فلا يستحقّ هذا الاسم إلّا موضع كثير الأشجار متهدّل (١) الأغصان.

والجنان المذكورة في القرآن ثمان وهي: جنّة النّعيم، وجنّة الفردوس، وجنّة الخلد، وجنّة المأوىٰ، وجنّة عدن، ودارالسلام، ودارالقرار، وجنّة عرضها السماوات والأرض أعدّت للمتّقين، ومن وراء الكلّ: عرش الرحمن ذي الجلال والإكرام. وسدنتها هم خزنتها الذين أشار إليهم سبحانه وتعالى بقوله: «حتّى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين» (٢) *.

إقتباس من قوله تعالى: «ناراً وقودها النّاس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون» (٣) .

قال المفسّرون: هم الزبانية، وذكره عليه السّلام للزبانية بعد هذا يدلّ على أنّهم غيرهم.

وقوله: «ما أمرهم» في محلّ نصب على أنّه بدل اشتمال من الله أي: لايعصون أمره، أو على نزع الخافض أي: فيما أمرهم.

ولايخفى أنّ عدم العصيان يستلزم قبول الأمر وامتثاله، فصرّح بما عرف ضمناً قائلاً: «ويفعلون ما يؤمرون» أي: يؤدّون ما يؤمرون به من غير تثاقل ولا توان.

---

(١) تهدّل أغصانها: أي تدلّت واسترخت لثقلها بالثمرة. النهاية لابن الأثير: ج٥ ص٢٥١.

(٢) سورة الزمر: الآية ٧٣.

(٣) سورة التحريم: الآية ٦.

وَالّذينَ يَقولونَ سَلامٌ عَلَيكُم بِما صَبَرتُمْ فنِعمَ عُقْبىٰ الدّارِ.
وَالزّبانِيَةِ الّـذينَ إذا قِيلَ لَهمْ خُذُوه فَغُلّوهُ ثُمَّ الجَحيمَ صَلُّوهُ إبْـتَـدَرُوهُ سِراعاً وَلَمْ يُنظِرُوهُ

ويجوز أن يكون الأوّل متعلّقاً بالماضي من الأمر، والثاني بالمستقبل منه *.

إقتباس آخر مـن قوله تعالى: «والملائكة يدخلون عليهم من كلّ بـاب* سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» (١) . أي: قائلين ذلك .

فقولهم: «سلام عليكم» بشارة بدوام السلامة لأهل الجنّة من جميع الآفات.

والـباء من قوله: «بما صبـرتم» متعلّق بالسـلام والمعنى: إنّما حصلت لكم هذه السلامة بسبب صبركم على الطاعات وعن المعاصي.

وقيل: مـتعـلّقهـا محذوف أي: هـذه الكرامـة العظـمىٰ بسبـب صبـركم أو بدل ما احتملتم من مشاقّ الصبر ومتاعبه، فالباء: للبدليّة والمعنى: لئن تعبتم في الدّنيا لقد استرحتم الساعة.

ونِعْمَ: بكسـر النون وسكون العين: فعل جامد للزومه إنشاء المدح على سبيل المبالغة.

وعقبى الدار: مرفوع على الفاعليّة له. و العقبى: مصدر كالعاقبة ومثلها البشرى والقربى. و المراد بـالدار: الدّنيا وعـقباها الجنّـة لأنّها الّتي أراد الله أن تكون عـاقبة الدّنيا ومرجع أهلها، يقولون: نعم ما أعقبكم الله بعد الدار الأُولىٰ.

ولعلّ المراد بالملائكة المذكورين سكّان الجنّة الّذين هم غير خزّانها، وهم الّذين يتلقّون عباد الله المخلصين بالشفقة والبشارة بمـا تقرّ به أعينهم، ويدخـلون عليهم من كلّ باب من أبواب قصورهم فيؤنسوهم ويسترونهم بما تنشرح به صدورهم ويزيد به سرورهم *.

الزبانيـة: الشُرط وهم أعـوان الولاة، قيل: هي جمع لاواحد لـه، وقيل: واحده

---

(١) سورة الرعد: الآية ٢٣ و ٢٤.

وَ مَنْ أوْهَمنا ذِكْرَهُ وَ لَمْ نَعْلَمْ مَكانَهُ مِنكَ وَبأيِّ أمرٍ وَكّلْتَهُ

زبنية كعفرية، وقيل: زبني بالكسر كأنّه نسب إلى الزبن وكسر الزاي لتغيير النسب كأمسيٰ، وأصلها: زباني فقيل: زبانية بتعويض التاء عن الياء، واشتقاقها من الزبن وهو الدفع، يقال: زبنت الشيء زبناً: إذا دفعته سمّي بها ملائكة العذاب لأنّهم يدفعون أهل النار إليها، وفي خبر: أنّ الزبانية أرجلهم في الأرض ورؤوسهم في السماء(١).

والضمير في خذوه: عائد على المستحقّ للجحيم وإن لم يجر له ذكر لدلالة السياق عليه.

وقوله: «فغلّوه» أي: شدّوه في الأغلال.

والجحيم: النار الشديدة التأجّج، وكلّ نار بعضها فوق بعض، وكلّ نار عظيمة في مكان هاو.

وصلاّه النار تصلية: أدخله إيّاها وأثواه فيها. وتقديم الجحيم على التصلية للحصر أي: لا تصلّوه إلاّ الجحيم.

وإبتدر الشيء كبادرة: عاجله.

وسراعاً: أي مسرعين وهو جمع سريع كصغير وصغار.

والإنظار: الإمهال، أي: لم يمهلوه.

روي: أنّه إذا قيل خذوه إبتدر إليه سائه ألف ملك وتجمع يده إلى عنقه(٢) *.

أوهم الشيء إيهاماً: تركه، وأوهم في الحساب مائة: أسقطها.

ولم نعلم مكانه: أي منزلته ومرتبته.

منك: أي عندك، مثلها في قوله تعالى: «لن تغني عنهم أموالهم ولاأولادهم

---

(١) الدرّ المنثور: ج٦ ص ٣٧٠.

(٢) تفسير غرائب القرآن و رغائب الفرقان: ج٨ ذيل الآية ٣٠ من سورة الحاقّة، وص٣٥ بهامش تفسير الطبري ج٢٩.

وَ سُكّانِ الهَوَاءِ وَالأَرْضِ وَالماءِ

من الله شيئاً» (١) أي: عنده.

والواو من قوله: «ولم نعلم» يحتمل أن تكون عاطفة أي: ومن لم نعلم مكانه، وأن تكون للحال أي ومن أوهمنا ذكره والحال انّا لم نعلم مكانه.

وقوله: «وبأيّ أمر وكّلته» عطف على قوله مكانه، أي: ولم نعلم بأيّ أمر وكّلته. وفيه دلالة على أنّه لايعلم أصناف الملائكة غير خالقها كما قال تعالى: «وما يعلم جنود ربّك إلّا هو» (٢)، حتّى قيل: ما من ذرّة من ذرّات العالَم إلّا قد وكّل به ملك أو ملائكة.

روى أبو جعفر الصفّار في كتاب بصائر الدرجات بإسناده عن حمّاد بن عيسى قال: سأل رجل أبا عبدالله عليه السّلام فقال: الملائكة أكثر أم بنو آدم فقال: والّذي نفسي بيده لملائكة الله في السماوات أكثر من عدد التراب في الأرض وما في السماء موضع قدم إلّا وفيه ملك يُسبّح له [يسبحه] ويقدّسه ولا في الأرض شجرة ولا مثل غرزة إبرة إلّا وفيها ملك موكّل يأتي الله كلّ يوم بعلمها والله أعلم بها، وما منهم أحد إلّا ويتقرّب إلى الله في كلّ يوم بولايتنا أهل البيت، ويستغفر لمحبّينا ويلعن أعداءنا، ويسأل الله أن يرسل عليهم العذاب إرسالاً (٣).

وأخرج الواحدي والبيهقي في الدلائل عن خارجة بن إبراهيم عن أبيه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لجبرئيل: من القائل يوم بدر أقدم حيزوم؟ فقال جبرئيل: ما كلّ أهل السماء أعرف (٤) *.

الهواء بالمدّ: الجوّ، والمراد بسكّانه هنا: سكّانه من الملائكة وإلّا فله سكّان آخرون كما ورد في بعض الروايات: إنّ الأعراب خرجوا يجتنون الكماءة فأصابوا

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠ و ١١٦.
(٢) سورة المدّثر: الآية ٣١.
(٣) بصائر الدرجات: ج٢ ص ٨٨ ح٩.
(٤) دلائل النبوّة: ج٢ ص ٣٣٩.

وَ مَنْ مِنهُم عَلىٰ الخَلْقِ

في البدو خلقاً ملقىٰ، فأتوا به الربيع حاجب المنصور فأدخله على المنصور ليعجبه منه فوضعه بين يديه، فلمّا رآه قال: نحّه وادع لي جعفر بن محمّد، فدعاه فقال: يا أباعبدالله أخبرني عن الهواء مافيه؟ فقال: في الهواء موج مكفوف. فقال: فيه سكّان؟ قال: نعم. قال: وما سكّانه؟ قال: خلق أبدانهم خلق الحيتان ورؤوسهم رؤوس الطير ولهم أعراف كأعراف الديكة ونغانغ كنغانغ الديكة، وأجنحة كأجنحة الطير في ألوانٍ أشدّ بياضاً من الفضّة المجلوّة. قال الربيع: فقال المنصور: هلمّ الطست فجئت بها وفيها ذلك الخلق، فإذا هو والله كما وصف جعفر بن محمّد فلمّا نظر إليه جعفر قال: هذا هو الخلق الذي يسكن الموج المكفوف. فأذن له بالإنصراف فلمّا خرج قال: ويلك يا ربيع هذا الشجا المعترض في حلقي من أعلم الناس (١).

ويحتمل أن يكون المراد بسكّان الهواء والأرض والماء: ملائكة العناصر، فقد صرّحوا بأنّ من أصناف الملائكة ملائكة العناصر وأن يكونوا غيرهم.

روى الصدوق في الفقيه قال: نهىٰ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم عن الغسل تحت السماء إلّا بمئزر، ونهىٰ عن دخول الأنهار إلّا بمئزر وقال: إنّ للماء أهلاً وسكّاناً (٢).

وعن عبدالرحمن بن أبي ليلىٰ قال: دخل الحسن بن علي عليهما السّلام الفرات في بردة كانت عليه قال: فقلت له: لونزعت ثوبك فقال لي: يا عبدالرحمن إنّ للماء سكّاناً (٣) *.

أي: موكّل على جميع المخلوقات السماويّة والأرضيّة، فقد روي: إنّ ما من

(١) بحار الأنوار: ج٥٩ ص ٣٣٨ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ج١ ص١١٠ ح ٢٢٦. (٣) المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤ ص ١٥.

فَصَلِّ عَلَيهِمْ يَومَ تَأْتي كُلُّ نَفْسٍ مَعَها قائِمٌ وَ شَهيدٌ

شيء من خلق الله إلّا وملك موكّل عليه (١).

قال بعض العلماء: روي أنّه ما من ذرّة ولاقطرة إلّا وقد وكّل بها ملك أو ملائكة (٢) وإذا كان هذا حال الذرّات والقطرات فما ظنّك بالسماوات والكواكب والهواء والغيوم والرياح والأمطار والأرض والجبال والقفار والبحار والعيون والأنهار والمعادن والنبات، فبالملائكة صلاح العالم، وتمام الموجودات، وكمال الأشياء بتقدير العزيز العليم *.

قائم: أي مطالب، من قام على غريمه إذا طالبه، ومنه قوله تعالى: «إلّا ما دمت عليه قائماً» (٣). وفي رواية ابن إدريس سائق وشهيد، وهو المطابق للتنزيل، قال تعالى: «وجاءت كلّ نفس معها سائق وشهيد» (٤) أي: معها ملكان أحدهما يسوقها إلى الحشر والآخر يشهد بعملها.

وما قيل من احتمال كون السائق والشهيد ملكاً واحداً جامعاً بين الوصفين كأنّه قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها.

يردّه ما رواه جابر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّ ابن آدم إذا قامت الساعة انحطّ عليه ملك الحسنات وملك السيّئات وانتشطا (٥) كتاباً معقوداً في عنقه ثمّ حضرا معه واحد سائق والآخر شهيد (٦).

وما روي عن الصادق عليه السّلام: سائق يسوقها إلى محشرها، وشاهد يشهد

---

(١) و (٢) بحار الأنوار: ج ٥٩ ص ٢٣٩ نقلاً بالمضمون وإليك نصّه: روي في العلل بإسناده عن أبي جعفر عليه السّلام قال: إنّ الله عزّوجلّ وكّل ملائكة بنبات الأرض من الشجر والنخل فليس من شجرة ولانخلة إلّا ومعها من الله عزّوجلّ ملك يحفظها وما كان فيها، ولولا أن معها من يمنعها لأكلها السباع وهوامّ الأرض إذا كان فيها ثمرها ـ الخبر.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٧٥.

(٤) سورة ق: الآية ٢١.

(٥) هكذا في الاصل: ولكن في الدرّ المنثور «فبسطا».

(٦) الدرّ المنثور: ج٦ ص ١٠٦.

وَ صَلِّ عَلَيهِم صَلاةً تَزِيدُهُمْ كَرامَةً عَلىٰ كَرامَتِهِمْ، وَطَهارَةً عَلىٰ طَهارَتِهِم.

اللّٰهُمَّ وَ إذا صَلَّيتَ عَلىٰ مَلائِكَتِكَ وَ رُسُلِكَ وَ بَلَّغتَهُم صَلاتَنا عَلَيهِم فَصَلِّ عَلَيهِم بِما فَتَحتَ لَنا مِن حُسْنِ القَولِ فيهِم، إنَّكَ جَوادٌ كَريمٌ.

عليها بعملها (١).

ومحلّ «معها» النصب على الحاليّة من «كلّ» لإضافته إلىٰ ما هو في حكم المعرفة كأنّه قبل كلّ النفوس، أو الجر على أنّه وصف لنفس أو الرفع على أنّه وصف لـ «كلّ» *.

الكرامة: الإسم من الإكرام. و إكرامهم: تقريبهم منه تعالى كما قال: «بل عبادٌ مكرمون» (٢).

وطهارتهم: تقدّسهم عن المعاصي والخروج عن الطاعات وجواذب الشهوات.

ولمّا كانت مراتب استحقاق نِعَم الله تعالى على أصناف خلقه غير متناهية دعا لهم عليه السّلام أن يزيدهم كرامةً على كرامتهم، وطهارةً على طهارتهم.

و«على» للإستعلاء المعنوي بمعنىٰ: فوق، كما في قوله تعالىٰ: «ظلمات بعضها فوق بعض» (٣) ويجوز أن تكون بمعنىٰ: «مع» أي: مع كرامتهم *.

إذا: ظرف للمستقبل متضمّن معنى الشرط وجوابه، قوله: «فصلِّ عليهم» إذ كان ذكر المؤمنين لأحد بالخير سبباً لرحمة الله تعالى إيّاه، وفي نسخة «فصلّ علينا» وهو الأنسب، بقوله: «بما فتحت لنا».

و«الباء» للسببيّة أي: بسبب ما فتحت لنا أي يسّرت على الفهم والفكر واللسان.

---

(١) تفسير الصافي: ج ٥ ص ٦١، ونهج البلاغة: خطبة ٨٥ ص ١١٦.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٢٦. (٣) سورة النور: الآية ٤٠.

....

و«من»: بيانيّة.

والمراد بحسن القول فيهم: وصفهم بالجميل والدعاء لهم.

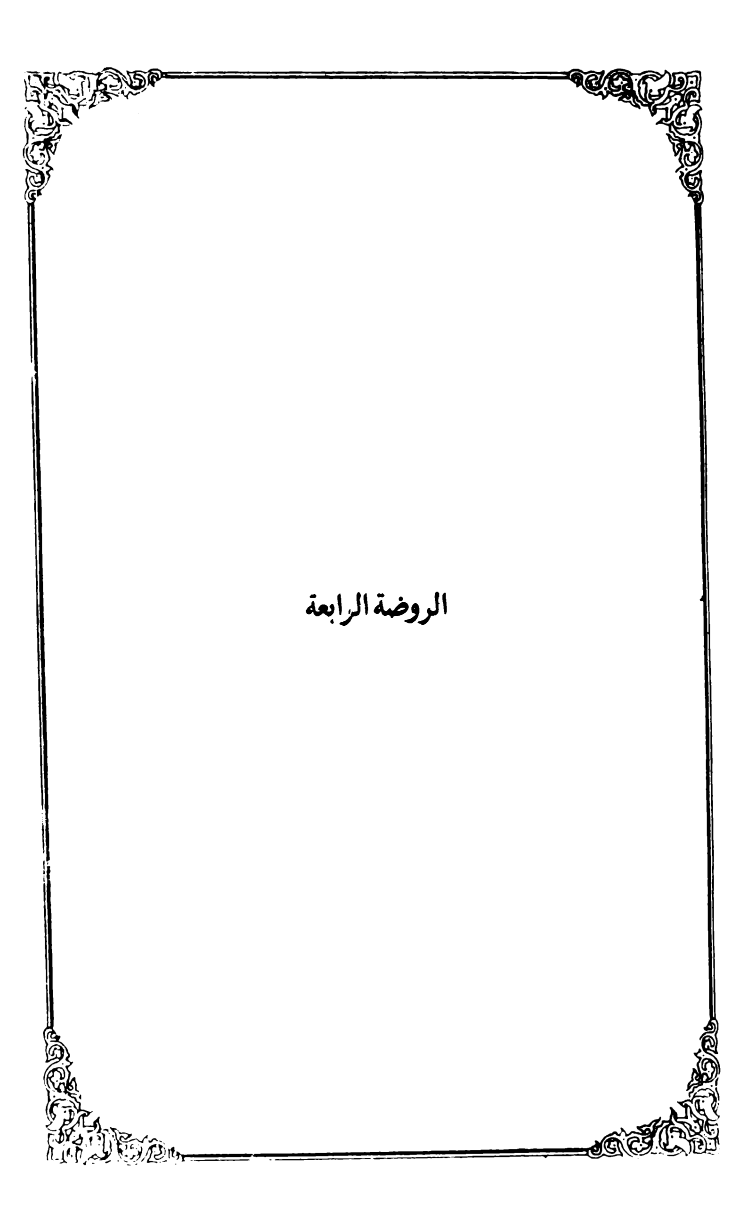
والجواد: الكثير الإنعام والإحسان.

و«الكريم» أعمّ منه، ولذلك قال بعض الفضلاء: الكريم: هو الذي إذا قدر عفا، وإذا وعد وفا، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء،ولم يبل بما أعطى ولالمن أعطى، وإن دفعت إلى غيره حاجة لايرضى، وإذا جفي عاتب وما استقصى، ولايضيع من لاذ به والتجا، ويغنيه عن الوسائل والشفعاء، فمن اجتمعت له هذه الاعتبارات حقيقة من غير تكلّف فهو الكريم المطلق وليس ذلك إلّا الله تعالى.

والجملة تعليل للدعاء ومزيد استدعاء الإستجابة، وأوردها مؤكّدة لكمال تحقّقه لمضمونها وهو جوده وكرمه تعالى.

نسأل الله تعالى بجوده وكرمه أنْ يسبغ علينا سوابغ نعمه وأن يجعل ما أوردته في هذه السطور حجّة لي لا عليّ يوم النشور. والحمدلله ربّ العالمين والصلاة على نبيّه وآله الأكرمين.

قال مؤلّفه غفر الله له: مكان الفراغ من تحرير هذه الروضة لثلاث عشرة خلون من صفر الخير، عام ستّ وتسعين وألف.



الروضة الرابعة

دُعاء ٤

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الصَّلوٰةِ عَلَى أَتْبَاعِ الرُّسُلِ وَمُصَدِّقِيهِمْ

اَللّٰهُمَّ وَأَتْبَاعُ الرُّسُلِ وَمُصَدِّقُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ بِالْغَيْبِ
عِنْدَ مُعَارَضَةِ الْمُعَانِدِينَ لَهُمْ بِالتَّكْذِيبِ وَالْاِشْتِيَاقِ إِلَى
الْمُرْسَلِينَ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ فِي كُلِّ دَهْرٍ وَزَمَانٍ أَرْسَلْتَ فِيهِ
رَسُولًا وَأَقَمْتَ لِأَهْلِهِ دَلِيلًا مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ مِنْ أَئِمَّةِ الْهُدٰى وَقَادَةِ أَهْلِ التُّقٰى عَلَى جَمِيعِهِمُ السَّلَامُ
فَاذْكُرْهُمْ مِنْكَ بِمَغْفِرَةٍ وَرِضْوَانٍ اَللّٰهُمَّ وَأَصْحَابُ مُحَمَّدٍ
خَاصَّةً الَّذِينَ أَحْسَنُوا الصَّحَابَةَ وَالَّذِينَ أَبْلَوُا الْبَلَاءَ الْحَسَنَ
فِي نَصْرِهِ وَكَانَفُوهُ وَأَسْرَعُوا إِلَى وِفَادَتِهِ وَسَابَقُوا إِلَى دَعْوَتِهِ
وَاسْتَجَابُوا لَهُ حَيْثُ أَسْمَعَهُمْ حُجَّةَ رِسَالَاتِهِ وَفَارَقُوا الْأَزْوَاجَ
وَالْأَوْلَادَ فِي إِظْهَارِ كَلِمَتِهِ وَقَاتَلُوا الْآبَاءَ وَالْأَبْنَاءَ فِي تَثْبِيتِ
نُبُوَّتِهِ وَانْتَصَرُوا بِهِ وَمَنْ كَانُوا مُنْطَوِينَ عَلَى مَحَبَّتِهِ يَرْجُونَ تِجَارَةً
لَنْ تَبُورَ فِي مَوَدَّتِهِ وَالَّذِينَ هَجَرَتْهُمُ الْعَشَائِرُ إِذْ تَعَلَّقُوا بِعُرْوَتِهِ
وَانْتَفَتْ مِنْهُمُ الْقَرَابَاتُ إِذْ سَكَنُوا فِي ظِلِّ قَرَابَتِهِ فَلَا تَنْسَ لَهُمُ
اَللّٰهُمَّ مَا تَرَكُوا لَكَ وَفِيكَ وَأَرْضِهِمْ مِنْ رِضْوَانِكَ وَبِمَا حَاشُوا

الخلق عليك وكانوا مع رسولك دعاة لك إليك واشكرهم
على هجرهم فيك ديار قومهم وخروجهم من سعة المعاش
إلى ضيقه ومن كثرت في إعزاز دينك من مظلومهم اللهم
وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين يقولون ربنا اغفر
لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان خير جزائك الذين قصدوا
سمتهم وتحروا وجهتهم ومضوا على شاكلتهم لم يثنهم ريب في
بصيرتهم ولم يختلجهم شك في قفو آثارهم والائتمام بهداية
منارهم مكانفين وموازرين لهم يدينون بدينهم ويهتدون
بهديهم يتفقون عليهم ولا يتهمونهم فيما أدوا إليهم اللهم وصل
على التابعين من يومنا هذا إلى يوم الدين وعلى أزواجهم وعلى
ذرياتهم وعلى من أطاعك منهم صلوة تعصمهم بها من معصيتك
وتفسح لهم في رياض جنتك وتمنعهم بها من كيد الشيطان و
تعينهم بها على ما استعانوك عليه من بر وتقيهم طوارق
الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير وتبعثهم بها على اعتقاد حسن
الرجاء لك والطمع فيما عندك وترك التهمة فيما تحويه أيدي

دعاء ٤

الْعِبَادِ لِتَرُدَّهُمْ إِلَى الرَّغْبَةِ إِلَيْكَ وَالرَّهْبَةِ مِنْكَ وَتُزَهِّدَهُمْ فِي سَعَةِ الْعَاجِلِ وَتُحَبِّبَ إِلَيْهِمُ الْعَمَلَ لِلْآجِلِ وَالْاِسْتِعْدَادَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَتُهَوِّنَ عَلَيْهِمْ كُلَّ كَرْبٍ يَحِلُّ بِهِمْ يَوْمَ خُرُوجِ الْأَنْفُسِ مِنْ أَبْدَانِهَا وَتُعَافِيَهُمْ مِمَّا تَقَعُ بِهِ الْفِتْنَةُ مِنْ مَحْذُورَاتِهَا وَكَبَّةِ النَّارِ وَطُولِ الْخُلُودِ فِيهَا وَتُصَيِّرَهُمْ إِلَى أَمْنٍ مِنْ مَقِيلِ الْمُتَّقِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين (١)

الحمدلله الّذي جعل اتّباع الرسل منوطاً بالشرف والكرامة فاستحقّ أتباعهم بتصديقهم إيّاهم تشريفه تعالى وإكرامه، والصلاة والسلام على نبيّه المظلّل بالغمامة وعلى أهل بيته المخصوصين بالولاية والإمامة.

وبعد: فهذه الروضة الرابعة من رياض السالكين تتضمّن شرح الدعاء الرابع من أدعية صحيفة سيّد العابدين. إملاء راجي ربّه الغني: عليّ صدرالدين الحسينيّ الحسنيّ أحسن الله أحواله وقرن بالسداد أفعاله وأقواله.

---

(١) في «ألف» وبه ثقتي.

شرح الدعاء الرابع

وكانَ من دُعائه عليه السَّلامُ في الصَّلاةِ عَلىٰ أتباع الرّسُلِ وَمُصَدِّقيهمْ. اللّهُمَّ وَأتباعَ الرّسُلِ وَمُصَدِّقوهُمْ مِن أهلِ الأرْضِ بِالغيب

الأتباع: جمع تابع كصاحب وأصحاب وطاهر وأطهار، أو جمع تبع كسبب وأسباب، والتبع وإن استوىٰ فيه الواحد والجمع تقول: المصلّي تبع لإمامه، والناس تبع له، لكنّهم أجازوا جمعه على أفعال، ويجوز أن يكون جمع تبيع كنصير وأنصار وزناً ومعنًى، والأوّل أولىٰ لأنّ المراد بالتابعين للرسل المقتدون بهم في كلّ ما يأتون ويذرون من أُمور الدنيا، فيدخل فيه الأتباع في النصرة دخولاً أوّليّاً، وإلّا دخل في العموم نحو: المنافقين الّذين كانوا في الظاهر من الأنصار، وعدم إرادتهم هنا ظاهر.

وقوله: «ومصدّقيهم» من قبيل عطف الشيء على مرادفه لأنّ كلّ تابع بالمعنى المذكور مصدّق وكلّ مصدّق تابع، إذ المراد بتصديقهم: الإيمان بهم وبما أنزل عليهم كما قالت الحواريّون: «ربّنا آمنا بما أنزلت واتّبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين» (١) *.

قوله: «وأتباع الرسل» مبتدأ خبره قوله بعد ذلك «فاذكرهم» والفاء جواب لأمّا مقدّرة كما مرّ بيانه في أوّل الدّعاء السّابق.

---

(١) سورة آل عمران: الاية ٥٣.

....

وقوله: «من أهل الأرض» بيان لجنس المصدّقين، كقوله تعالى: «فاجتنبوا الرجس من الأوثان» (١) أي: المصدّقون الذين هم من جنس أهل الأرض أي: البشر لبيان أنّ المقصود بالدعاء له هنا من صدّق من الثقلين، وأمّا أهل السماء ومن هو من جنسهم من الملائكة وإن كانوا مصدّقين فقد سبق الدعاء لهم.

وقوله: «بالغيب» يجوز أن يكون صلة للتصديق، فالباء للتعدية وهو واقع موقع المفعول الثاني، وعلى هذا يكون الغيب بمعنى الغائب، إمّا تسميته بالمصدر كما سمّي الشاهد بالشّهادة في قوله تعالى: «عالم الغيب والشهادة» (٢) والعرب تسمّي المطمئن من الأرض غيباً، وإمّا مخفّف فيعل كميت مخفّف ميّت، وعلى التقديرين فالمراد به الخفي الذي لاينفذ فيه ابتداءً إلّا علم اللطيف الخبير، وانّما نعلم نحن منه ما أعلمناه ونصب لنا دليلاً عليه وذلك نحو: الصانع وصفاته والنبوّات وما يتعلّق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك.

ويجوز أن يكون حالاً فالباء للمصاحبة، والغيب مصدر على حاله بمعنى الغيبة والخفاء كما في قوله تعالى: «يخشون ربّهم بالغيب» (٣) وقوله: «ليعلم أنّي لم أخنه بالغيب» (٤) أي: ومصدّقوهم ملتبسين بالغيبة إمّا عن المصدّقين: أي غائبين عن الرسل غير مشاهدين لما فيهم من شواهد النبوّة لما روي أنّ أصحاب ابن مسعود ذكروا أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وإيمانهم فقال ابن مسعود: إنّ أمر محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم كان بيّناً لمن رآه، والذي لاإله غيره ما آمن مؤمن أفضل من الإيمان بغيب، ثمّ تلا قوله تعالى: «الذين يؤمنون بالغيب» (٥).

وإمّا عن الناس أي: غائبين عن المؤمنين لا كالمنافقين الذين «وإذا لقوا

---

(١) سورة الحجّ: الآية ٣٠. (٢) سورة التوبة: الآية ٩٤ و١٠٥، وسورة المؤمنون: الآية ٩٢.

(٣) سورة فاطر: الآية ١٨. (٤) سورة يوسف: الآية ٥٢. (٥) الدرّ المنثور: ج١ ص ٢٦.

عِنْدَ مُعارَضَةِ المُعانِدِينَ لَهُمْ بِالتَّكْذِيبِ
والإشتِياقِ إلىٰ المُرسَلِينَ بِحَقايِقِ الإيمانِ

الذين آمنوا قالوا: آمنّا، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا: إنّا معكم»(١).

ويحتمل أن يكون المراد بالغيب: القلب لأنّه مستور، والمعنى: ومصدّقوهم بقلوبهم لا كالذين «يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم» (٢) فالباء حينئذٍ للآلة *

عند: هنا ظرف لزمان الحضور نحو: عند طلوع الشمس.

وعارض الشيء بالشيء معارضة: قابله.

وعاند فلان عناداً من باب قاتل: إذا ركب الخلاف والعصيان.

قال الأزهري: المعاند: المعارض بالخلاف لا بالوفاق(٣).

وقال صاحب المحكم: المعاندة والعناد: أن يعرف الرجل الشيء فيأباه ويميل عنه، وعانده عناداً: عارضه(٤).

وقوله: «لهم» متعلّق بالمعارضة أو بالمعاندين والضّمير عائد إلى الرسل.

وبالتكذيب: متعلّق بالمعارضة أي: عند مقابلتهم بالتكذيب *.

الإشتياق: بالشين المعجمة إفتعال من الشوق وهو نزاع النفس إلى الشيء، هكذا ضبط في جميع النسخ.

ونقل بعضهم إنّ في نسخة الشهيد «الاستباق» بالسين المهملة والباء المؤحّدة بعد التاء المثنّاة من فوق إفتعال من السبق وهو التقدّم ولا يكون إلّا من أثنين فصاعداً يجتهد كلّ منهم أن يسبق صاحبه ومنه: «واستبقا الباب» (٥) أي: تبادر إليه، وأيّاً ما كان فهو معطوف على معارضة المعاندين، وقيل: على الأرض، والأوّل أظهر.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٤. (٢) سورة آل عمران: الآية ١٦٧. (٣) تهذيب اللغة: ج٢ ص٢٢٢.
(٤) المحكم لابن سيده: ج٢ ص ١٤. (٥) سورة يوسف: الآية ٢٥.

....

والمعنى على الرواية المشهورة: ومصدّقوهم بالغيب عند اشتياق المؤمنين إلى المرسلين و ذلك في حال غيبتهم إذ الإشتياق لايكون إلّا مع عدم الحضور، وعلى ما نقل من نسخة الشهيد عند تسابق الناس إليهم، و ذلك في أوّل الدعوة وحال طلب فضيلة السبق إلى الإجابة والفوز بنيل درجته ومنزلته، كما رواه ثقة الإسلام في الكافي بإسناده عن أبي عمر والزبيري عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قلت له: إنّ للإيمان درجات ومنازل يتفاضل المؤمنون فيها عندالله. قال: نعم قلت: صفه لي رحمك الله حتّى أفهمه. قال: إنّ الله سبق بين المؤمنين كما يسبق بين الخيل يوم الرهان ثمّ فضّلهم على درجاتهم في السبق إليه، فجعل كلّ إمرىء منهم على درجة سبقه لاينقصه فيها من حقّه ولايتقدّم مسبوق سابقاً ولامفضول فاضلاً، تفاضل بذلك أوائل هذه الأمّة أواخرها ولولم يكن للسابق إلى الإيمان فضل على المسبوق، إذن للحق آخر هذه الأمّة أوّلها، نعم ولتقدّموهم إذا لم يكن لمن سبق إلى الإيمان الفضل على من أبطأ عنه ولكن بدرجات الإيمان قدّم الله السابقين وبالإبطاء عن الإيمان أخّر الله المقصّرين لأنّا نجد من المؤمنين من الآخرين من هو أكثر عملاً من الأوّلين وأكثرهم صلاةً وصوماً وحجّاً وزكاةً وجهاداً وإنفاقاً ولولم تكن سوابق يفضّل بها المؤمنون بعضهم بعضاً لكان الآخرون بكثرة العمل مقدّمين على الأوّلين، ولكن أبى الله تعالى أن يدرك آخر درجات الإيمان أوّلها ويقدّم فيها من أخّر الله، ويؤخّر فيها من قدّم الله.

قلت: أخبرني عمّا ندب الله تعالى المؤمنين إليه من الاستباق إلى الإيمان. فقال: قول الله تعالى: «سابقوا إلى مغفرة من ربّكم وجنّة» الآية، وقال: «السابقون السابقون * اولئك المقربون». وقال: «السابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والذين اتّبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه». فبدأ بالمهاجرين الأوّلين على درجة سبقهم ثمّ ثنّى بالأنصار، ثمّ ثلّث بالتابعين لهم

فِي كُلِّ دَهرٍ وَزَمانٍ أرسَلْتَ فيهِ رَسُولاً، وَأقَمتَ لأهلِهِ دَليلاً

بإحسان، فوضع كلّ قوم على درجاتهم ومنازلهم عنده (١). والحديث طويل اقتصرنا منه على ما تعلّق الغرض به.

وقوله: «بحقايق الإيمان» الباء: إمّا سببيّة متعلّق بالإشتياق، أو الإستباق على الروايتين، أو للمصاحبة متعلّقة بمحذوف وقع حالاً من الأتباع والمصدّقين، أو من فاعل الإشتياق أو الإستباق أي: ملتبسين بحقايق الإيمان.

«والحقايق»: جمع حقيقة: وهي ما به الشيء هو هو باعتبار تحقّقه، فحقايق الإيمان: التصديقات الحقّة بجميع ما جاء به المرسلون.

قال ابن الأثير في النهاية: وفي الحديث «لايبلغ المؤمن حقيقة الإيمان حتّى لايعيب مسلماً بعيب هو فيه» يعني خالص الإيمان ومَحْضَه وكُنْهَه (٢) انتهى *.

الدهر والزمان في اللغة: مترادفان، وقيل: الدهر طائفة من الزمان غير محدودة، والزمان: مرور الليالي والأيّام.

وقالت الحكماء: الدهر: هو الآن الدائم الذي هو امتداد الحضرة الإلهيّة، و هو باطن الزمان وبه يتحدّد (٣) الأزل والأبد، والزمان مقدار حركة الفلك الأطلس. وهذان المعنيان غير مرادين هنا.

وقال المتكلّمون: الزمان: عبارة عن متحدّد معلوم يقدّر به متحدّد آخر موهوم. كما يقال: آتيك عند طلوع الشمس، فإنّ طلوع الشمس معلوم ومجيئه موهوم، فإذا قرن ذلك الموهوم بذلك المعلوم زال الإبهام.

وجملة «أرسلت» في محلّ جرّ على أنّها وصف لكلّ.

وأقمت: أي نصبت، وهي جملة تابعة للأُولىٰ.

والدليل: المرشد، ولمّا كان المنصوب من الله تعالى مرشداً للخلق إلى سلوك

---

(١) الكافي: ج٢ ص ٤٠ ح١. (٢) النهاية لابن الأثير: ج١ ص ٤١٥. (٣) في «ألف»: يتجدّد.

مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلىٰ مُحَمَّدٍ صَلّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

سبيل الحقّ صدق عليه أنّه دليل *.

من: هنا لإبتداء الغاية في الزمان، نحو: مطرنا من الجمعة إلى الجمعة، وهي متعلّقة بمحذوف واقع حالاً من كلّ دهر وزمان، لوصفه بالجملة، والنكرة الموصوفة كالمعرفة أي: كائناً من لدن آدم، أو وصفاً له أي: كائن

ولَدُنْ: بفتح اللام وضمّ الدال المهملة وسكون النون من الظروف المبنيّة وهي لأوّل غاية زمان أو مكان وبنيت لشبهها بالحرف في لزومها إستعمالاً واحداً وهو الابتداء وعدم التصرّف والغالب إقترانها بمن، ولم تقع في التنزيل إلّا كذلك.

وآدم: أبو البشر، قيل: هو اسم أعجمي، والأقرب أنّ وزنه فاعل كآزر، وقيل: عربيّ ووزنه افعل.

قال الجواليقي: أسماء الأنبياء كلّها أعجميّة إلّا أربعة: آدم وصالح وشعيب ومحمّد عليهم السّلام (١). واختلف في اشتقاقه فقيل: من الأدمة بالفتح بمعنى: الاسوة.

يقال: هو أدمة أهله: أي أُسوتهم الذي به يعرفون.

وقيل: من الأُدمة بالضمّ بمعنى: الأُلفة والخُلطة.

وقيل: من أديم الأرض، وهو الصحيح. لما رواه الصدوق «قدّس سرّه» في كتاب العلل بإسناده عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «إنّما سمّي آدم آدم لأنّه خُلق من أديم الأرض» (٢).

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عبّاس قال: «إنّما سمّي آدم لأنّه خُلق من أديم الأرض» (٣).

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووي: الجزء الأوّل من القسم الأوّل ص٩٦.

(٢) علل الشرائع: ج١ ص١٤ ح١.

(٣) الدرّ المنثور: ج١ ص ٤٩.

....

وقال الصدوق: إسم الأرض الرابعة أديم وخلق آدم منها فلذلك قيل: خلق من أديم الأرض (١).

ومنعه من الصرف على القول الأوّل العلميّة والعجمة، وعلى الثاني للعلميّة ووزن الفعل.

قال ابن أبي حنتمة: عاش آدم سبعمائة سنة وستين سنة (٢).

وقال النووي: إشتهر في كتب التواريخ أنّه عاش ألف سنة (٣).

وفي حديث الخصال التى سأل أبو ذرعنها النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قلت: «يا رسول الله كم النبيّون؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبيّ. قلت: يا رسول الله كم المرسلون؟ قال: ثلا ثمائة وثلا ثة عشر جمّ الغفير. قلت: مَنْ كان أوّل الأنبياء؟ قال: آدم. قلت: وكان من الأنبياء مرسلاً؟ قال: نعم، خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه. ثمّ قال: يا أباذر أربعة من الأنبياء سريانيّون: آدم، وشيث، وإدريس وهو أوّل من خطّ بالقلم، ونوح، وأربعة من العرب: هود، وصالح، وشعيب، ونبيّك محمّد صلّى الله عليه وآله وعليهم، وأوّل الأنبياء آدم، وآخرهم محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، وأوّل نبيّ من أنبياء بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى صلّى الله عليهما وبينهما ألف نبيّ عليهم السلام» (٤).

قال بعض العلماء: «إنّ للّه تعالى في كلّ ألف سنة نبيّاً بعثه بمعجزات غريبة وبيّنات عجيبة لوضوح دينه القويم وظهور صراطه المستقيم وليس نقول على رأس ألف كلّ سنة بل نقول في كلّ ألف سنة فجاز أن يكون بين النبيّين أكثر من ألف سنة أو أقلّ. فكان في الألف الأوّل أبوالبشر آدم صلوات الله عليه، وفي الثّاني شيخ

---

(١) علل الشرائع: ج١ ص١٤ ذيل ح١. (٢) لم نعثر عليه.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات للنووي: الجزء الأوّل من القسم الأوّل ص٩٥.

(٤) الخصال: ص ٥٢٤.

مِن أئمَّةِ الهُدىٰ، وَقادَةِ أهْلِ التُّقىٰ، عَلى جَميعِهِمُ السَّلامُ

المرسلين نوح صلوات الله عليه، وفي الثالث خليل الله إبراهيم صلوات الله عليه، وفي الرابع كليم الله موسى صلوات الله عليه، وفي الخامس نبيّ الله سليمان بن داود صلوات الله عليه، وفي السادس روح الله عيسى صلوات الله عليه، وفي السابع حبيب الله المصطفىٰ صلوات الله عليه، ثمّ ختمت به النبوّة وانتهت آلاف الدنيا، لما روىٰ سعيد بن جبير عن ابن عبّاس: الدّنيا جمعة من جمعات الآخرة سبعة آلاف سنة وقد مضت ستة آلاف ومائة، وليأتين عليها مئون (١) انتهى *.

«من»: بيانيّة ظرف مستقرّ، وصف لدليل أي: دليلاً كائناً من أئمّة الهدىٰ.

والأئمّة: جمع إمام وهو المقتدىٰ به في أمر الدّين وأصله أئممة كأمثلة فادغمت الميم في الميم بعد نقل حركتها إلى الهمزة، فمن القرّاء: من يبقي الهمزة مخفّفة على الأصل، ومنهم من يسّهلها على القياس بين بين، وبعض النحاة يبدّ لها ياءً للتخفيف، وبعضهم يعدّه لحناً ويقول لاوجه له في القياس.

والهدىٰ: في الأصل مصدر هداه كالسرىٰ والبكىٰ ومعناه: الدلالة بلطف على مايوصل إلى البغية أي ما من شأنه ذلك. وقيل: الدلالة الموصلة إليها بدليل وقوع الضلالة في مقابلته في قوله تعالى: «اولئك الّذين اشتروا الضلالة بالهدىٰ» (٢) ولاشكّ في أنّ عدم الوصول معتبر في مفهوم الضلال فيعتبر الوصول في مفهوم مقابله، ولأنّه لايقال مهديّ إلّا لمن اهتدىٰ إلى المطلوب.

والقادة: جمع قائد من قاد الأمير الجيش قيادة، ويجمع على قوّاد أيضاً.

والتقىٰ: مصدر تقاه كهداه بمعنى أتقاه، والتاء مبدلة من واو، والاسم: التقوى، ويجوز أن تكون التقىٰ جمع تقاة في تقدير رطبة ورطب فيكون الجمع باعتبار مراتبه، وهو في اللغة بمعنى: الوقاية وهي فرط الصيانة، وخصّ في عرف الشرع بوقاية

---

(١) تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس: ج١ ص ٣٤. (٢) سورة البقرة: الآية ١٦.

....

النفس عمّا يضرّها في الآخرة وله ثلاث مراتب:

الأُولى: التوقّي عن العذاب المخلّد بالتبرّي عن الكفر، وعليه قوله تعالى: «وألزمهم كلمة التقوىٰ»(١) .

الثانية: التجنّب عن كلّ ما يؤثم من فعل أو ترك حتّى الصغائر عند قوم، وهو المتعارف بالتقوى في الشرع، وهو المعنيّ بقوله تعالى: «ولو أنّ أهل القرىٰ آمنوا واتّقوا» (٢) .

الثالثة: أن يتنزّه عن كلّ ما يشغل سرّه عن الحقّ ويتبتّل إليه بكلّيّته وهو التقوى الحقيقي المأمور به في قوله تعالى: «يا أيّها الّذين آمنوا إتّقوا الله حقّ تقاته» (٣) . ولهذه المرتبة عرض عريض تتفاوت فيه طبقات أصحابها (٤) حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة الإلهيّة، والمراد به هنا ما يعمّ المراتب الثلاث.

ثمّ المراد بالدليل الموصوف بكونه من أئمّة الهدى وقادة أهل التقى هو من نصبه الله حجّة على خلقه نبيّاً كان أو وصيّاً إذ لا تخلو الأرض من حجّة لله على عباده، كما رواه رئيس المحدّثين في كتاب العلل بإسناده عن أبي جعفر عليه السّلام قال: «والله ما ترك الله الأرض منذ قبض الله آدم إلّا وفيها إمام يُهتدىٰ به إلى الله وهو حجّة الله على عباده، ولا تبقى الأرض بغير حجّة لله على عباده» (٥) .

و روىٰ في كتاب الخصال بإسناده عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: خلق الله عزّوجلّ مائة ألف نبيّ وأربعة وعشرين ألف نبيّ، أنا أكرمهم على الله ولافخر، وخلق الله عزّوجلّ مائة ألف وصيّ وأربعة وعشرين ألف وصيّ فعليّ

---

(١) سورة الفتح: الآية ٢٦. (٢) سورة الأعراف: الآية ٩٦. (٣) سورة آل عمران: الآية ١٠٢.

(٤) في «ألف»: أصحابنا. (٥) علل الشرائع: ج١ ص ١٩٧ ح ١١.

فاذكُرْهُمْ مِنْكَ بِمغفِرَةٍ وَ رِضوانٍ ،اللّهُمَّ وَ أَصْحابُ مُحَمّدٍ خاصَّةً

أكرمهم على الله وأفضلهم (١) *.

خبر قوله «وأتباع الرسل».

قال الواحدي: أصل الذكر في اللغة: التنبيه على الشيء، ومن ذكّرك شيئاً فقد نبّهك عليه، وإذا ذكرته فقد نبّهت له. قال: ومعنى الذكر حضور المعنى في النفس ثمّ يكون تارةً بالقلب وتارةً بالقول، وليس شرطه أن يكون بعد نسيان (٢)، انتهى.

ولمّا كان الذكر بالمعنى المذكور يستلزم تخصيص الشيء بحضوره في النفس، كان المراد بذكر الله تعالى لعباده تخصيصهم بما يتعلّق بالثواب من باب إطلاق اللازم على الملزوم، فقوله «فاذكرهم» أي: فخصّهم، نحو: هل يستطيع ربّك: أي هل يفعل، وأطلق الإستطاعة على الفعل لأنّها لازمة له.

و«من» في قوله «منك» لابتداء الغاية مجازاً، ومتعلّقة بالذكر أي: ابتداءً منك على نهج التفضّل زائداً على ما وعدتهم في مقابلة أعمالهم *.

أي: بخصوصهم دون غيرهم فهي حال من الأصحاب، والتاء فيها للنقل كعامّة وكافّة لا للتأنيث.

والأصحاب: جمع صاحب وهو على أظهر الأقوال: من لقي النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم مؤمناً به ومات على الإسلام ولو تخلّلت ردّة.

والمراد باللقاء: ما هو أعمّ من المجالسة والمماشاة ووصول أحدهما إلى الآخر وإن لم يكالمه، ويدخل فيه رؤية أحدهما الآخر سواء كان ذلك بنفسه أو بغيره، كما إذا حمل شخص طفلاً و أوصله إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله. والمراد رؤيته في

---

(١) الخصال: ص ٦٤١ ح ١٨.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات للنووي الجزء الأوّل من القسم الثاني ص١١١.

....

حال حياته صلّى الله عليه وآله وسلّم، فلو رآه بعد موته قبل دفنه كأبي ذويب الهذلي فليس بصحابي على المشهور، وكذا المراد رؤيته أعمّ من أن تكون مع تمييزه وعقله حتّى يدخل فيه الأطفال الّذين حنّكهم ولم يَرَوه بعد التميز ومن رآه وهو لايعقل.

والتعبير باللقاء أولى من قول بعضهم: الصحابي من رأى النبيّ صلّى الله عليه و آله، لأنّه يخرج حينئذ ابن أمّ مكتوم و نحوه من العميان وهم صحابة بلا تردّد.

واللقاء في هذا التعريف كالجنس يشمل المحدود و غيره.

وقولنا: «مؤمناً» كالفصل يخرج من حصل له اللقاء المذكور، لكن في حال كونه كافراً لم يؤمن بأحد من الأنبياء كالمشركين.

وقولنا: «به»، فصل ثان يخرج من لقيه مؤمناً لكن بغيره من الأنبياء عليهم السلام لكنّه هل يُخرج من لقيه مؤمناً بأنّه سيبعث ولم يدرك البعثة كبحيرا الراهب، فيه تردّد، فمن أراد اللقاء حال نبوّته حتّى لايكون مثله صحابيّاً عنده يخرج عنه؛ ومن أراد أعمّ منه يدخل.

وقولنا: «مات على الإسلام» فصل ثالث يخرج من ارتدّ بعد أن لقيه مؤمناً ومات على الردّة كعبدالله بن جحش.

وقولنا: «ولو تخلّلت ردّة» أي: بين لقائه له مؤمناً وبين موته عليه السّلام بل بعده أيضاً. فإنّ اسم الصحبة باقٍ سواء رجع إلى الإسلام في حياته أم بعده، وسواء لقيه ثانياً بعد الرجوع إلى الإسلام أم لا. هذا مذهب الجمهور خلافاً لبعضهم، قالوا: ويدلّ عليه قصّة الأشعث بن قيس فإنّه كان ممّن ارتدّ وأُتي به إلى أبي بكر أسيراً فعاد إلى الإسلام، فقبل منه ذلك، و زوّجه أُخته وكانت عوراء فأولدها ابنه محمّداً أحد قتلة الحسين عليه السّلام، ولم يتخلّف أحد عن ذكره في الصحابة ولاعن

....

تخريج أحاديثه في المسانيد وغيرها.

وقيل: إنّ الصحابيّ هو من طالت مجالسته له عليه السلام على طريق التبع له والأخذ عنه. فلا يدخل من وفد عليه وانصرف بدون مكث، وهو قول أصحاب الاصول.

وحكي عن سعيد بن المسيّب أنّه قال: لايعدّ صحابيّاً إلّا من أقام معه عليه السّلام سنة وسنتين، وغزا معه غزوةً أو غزوتين (١).

ووجهه: أنّ صحبته صلّى الله عليه وآله وسلّم شرف عظيم فلا يظهر إلّا باجتماع يظهر فيه الخلق المطبوع عليه الشخص كالغزو المشتمل على السفر الذي هو محكّ أخلاق الرجال، والسنة المشتملة على الفصول الأربعة التي بها يختلف المزاج.

وعورض بأنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم بشرف منزلته أعطى كلّ من رآه حكم الصحبة، وأيضاً يلزم أن لايعدّ جويربن عبدالله ونحوه صحابيّاً، ولاخلاف في أنهم صحابة.

ثمّ الصحابة على مراتب كثيرة بحسب التقدّم في الإسلام والهجرة والملازمة والقتال معه والقتل تحت رايته والرواية عنه ومكالمته ومشاهدته ومماشاته، وإن اشترك الجميع في شرف الصحبة.

ويعرف كونه صحابيّاً بالتواتر والاستفاضة والشهرة القاصرة عن التواتر وأخبار الثقة.

وقبض رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن مائة وأربعة عشر ألف صحابي آخرهم موتاً على الإطلاق أبوالطفيل عامربن واثلة، مات سنة مائة من الهجرة، والله أعلم *.

---

(١) فتح الباري: ج٧ ص ٤.

ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا الصَّحابَةَ.

بفتح الصاد مصدر صحبه **بكسر الحاء، يصحبه** بفتحها كالصحبة، وتأتي جمعاً لصاحب، والجملة في محلّ رفع على أنّها صفة للأصحاب مقيّدة لهم، إذ حكم الصحابة عندنا حكم غيرهم، لايتحتّم الحكم بإيمانهم وعدالتهم ونجاتهم بمجرّد صحبتهم، بل لابدّ مع ذلك من تحقّق إيمانهم وعدالتهم وحسن صحبتهم لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بحفظهم وصيّته في أهل بيته وتمسّكهم بالثقلين بعده.

وأمّا من انقلب على عقبيه وأظهر العداوة لأهل البيت عليهم السلام فهو هالك لامحالة، بل تجب عداوته لله تعالى والبراءة إلى الله منه، خلافاً للعامّة والحشوية القائلين بوجوب الكفّ والإمساك عن جميع الصحابة وعمّا شجر بينهم، **واعتقاد** الإيمان والعدالة فيهم جميعاً، وحسن الظنّ بهم كلّهم.

قال بعض العلماء من الشيعة: لو كان الإمساك عن عداوة من عادى الله من أصحاب محمّد صلّى اللّه عليه و آله من حفظ رسول الله في أصحابه و رعاية عهده لم نعادهم ولو ضُربت رقابنا بالسيوف. ولكنّ محبّة رسول الله صلّى الله عليه وآله ليست كمحبّة الجهّال الذين يضع أحدهم محبّته لصاحبه مع العصبيّة، وإنّما أوجب رسول الله صلّى الله عليه وآله محبّة أصحابه لطاعتهم لله تعالى، فإذا عصوا الله وتركوا ما أوجب محبّتهم فليس عند رسول الله محاباة في ترك لزوم ما كان عليه من محبّتهم ولا تغطرس (١) في العدول عن التمسّك بموالاتهم، فلقد كان صلّى الله عليه وآله يحبّ أن يعادي أعداء الله ولو كانوا عترته، كما يحبّ أن يوالي أولياء الله ولو كانوا أبعد الخلق نسباً منه.

والشاهد على ذلك إجماع الامّة على أنّ الله تعالى قد أوجب عداوة من ارتدّ بعد الإسلام وعداوة من نافق وإن كان من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله.

---

(١) التغطرس: الكبر. النهاية لابن الأثير: ج٣ ص ٣٧٢.

....

فأمّا ما ورد في القرآن من قوله تعالى: «لقد رضي الله عن المؤمنين» (١) وقوله سبحانه: «محمّد رسول الله والذين معه» (٢) فشروط بسلامة العاقبة، وكيف يجوز أن نحكم حكماً جزماً أنّ كلّ واحد من الصحابة عدل، ومن جملة الصحابة الحكم بن أبي العاص، وكفاك به عدوّاً مبغضاً لرسول الله، ومن الصحابة الوليد بن عقبة الفاسق بنصّ الكتاب، ومنهم حبيب بن سلمة الذي فعل ما فعل بالمسلمين في دولة معاوية، وبسر بن أرطأة عدوّالله وعدوّ رسوله، وفي الصحابة كثير من المنافقين لايعرفهم الناس، ومن ذا الذي يجترئ على القول بأنّ أصحاب محمّد صلّى الله عليه وآله لايجوز البراءة من أحد منهم وإن أساء وعصى، بعد قول الله تعالى للذي شرّفوا برؤيته: «لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين» (٣)، وبعد قوله سبحانه: «قل إنّي أخاف إن عصيت ربّي عذاب يوم عظيم» (٤) وبعد قوله عزّوجلّ: «فاحكم بين الناس بالحقّ ولا تتبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله إنّ الذين يضلّون عن سبيل الله لهم عذاب شديد» (٥) إلّا من لافهم له ولا نظر معه ولا تمييز عنده.

نعم من ثبت إيمانه منهم وعدالته واستقامته على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وجبت موالاته والتقرّب إلى الله تعالى بمحبّته والدعاء له، كما وقع من سيّد العابدين عليه السّلام في هذا الدعاء، وكما قال الصادق عليه السّلام: اعلم أنّ الله اختار لنبيّه صلّى الله عليه وآله من أصحابه طائفة أكرمهم بأجلّ الكرامة، وحلّاهم بحلى التأييد والنصر والاستقامة لصحبته على المحبوب والمكروه، وأنطق لسان محمّد صلّى الله عليه وآله بفضائلهم ومناقبهم، فاعتقد محبّتهم واذكر فضلهم (٦) *.

---

(١) و (٢) سورة الفتح: الآية ١٨ و ٢٩. (٣) و (٤) سورة الزمر: الآية ٦٥ و ١٣.

(٥) سورة ص: الآية ٢٦. (٦) مصباح الشريعة: ص ٦٨.

وَالّذينَ أبلَوا البَلاءَ الحَسَنَ في نَصْرِهِ، وَكانَفُوه، وأسْرَعُوا إلىٰ وِفادَتِهِ، وَسابَقُوا إلىٰ دَعوَتِهِ.

واستَجابُوا لَهُ حَيثُ أسْمَعَهُم حُجَّةَ رِسالاتِهِ.

أبلى في الحرب بلاءً حسناً: إذا أظهر بأسه حتّى بلاه الناس، أي: خبروه، قاله الزمخشري في أساس اللغة (١).

وكانفه: أي عاونه.

والوفادة بالكسر: اسم من وفد فلان على الأمير، أي: ورد رسولاً فهو وافد، وأوفدته أنا، أي: أرسلته. أي: أسرعوا إلى تصديق رسالته والإيمان بوروده عليهم رسولاً، ومن قال إنّ المعنى أُسرعوا إلى الوفادة عليه فقد أبعد.

والدعوة ـ بالفتح ـ: اسم من دعوته: إذا طلبت إقباله، أي: سابقوا إلى إجابة دعوته. وإجماع الشيعة والمعتزلة على أنّ أوّل من أجاب دعوته وصدّق رسالته وأسلم أميرالمؤمنين عليه السّلام.

قال بعض العامّة: والروايات الصحيحة والأسانيد القويّة الوثيقة كلّها ناطقة بأنّ عليّاً عليه السّلام أوّل من أسلم.

و زعمت العامّة أنّ أوّل من أسلم أبوبكر.

قال أبو جعفر الإسكافي: وجمهور المحدّثين لم يذكروا إنّ أبابكر أسلم إلّا بعد عدّة من الرّجال منهم: عليّ بن أبي طالب وجعفر أخوه و زيد بن حارثة وأبوذر الغفاريّ وعمربن عنبسة السلميّ وخالد بن سعيد بن العاص وخبّاب بن الأرت (٢) . والله أعلم *.

استجاب له: إذا دعاه إلى شيء فأطاع كأجابه.

---

(١) هكذا في الأصل والصحيح أساس البلاغة ص ٥١.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٣ ص ٢٢٤.

وَفارَقُوا الأَزواجَ وَالأَوْلادَ في إِظهارِ كَلِمَتِهِ.

و«حيثُ» هنا ظرف زمان أي حين أسمعهم، وفيه شاهد على ورودها له، وفاقاً للأخفش وابن هشام(١).

والحجّة بالضمّ: الدليل والبرهان، والمراد بها هنا القرآن المجيد، وإنّما كان حجّة لإعجازه من حيث فصاحته وبلاغته ومباينته لسائر كلام الناس وعجز مدارة الفصحاء والبلغاء عن معارضة شيء منه وتأثيره في النفوس والقلوب بحيث يجد سامعه من اللذّة والحلاوة عند سماعه ما لايجد عند سماع غيره واحاطته بعلوم الأوّلين والآخرين كما قال تعالى: «ما فرّطنا في الكتاب من شيء» (٢) وإخباره بالمغيبات ممّا كان ويكون نحو: «والله يعصمك من الناس» (٣)، «إنّ الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد» (٤) أي إلى مكّة، «و إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنّها لكم» (٥)، «سيهزم الجمع ويولّون الدبُر» (٦) وغير ذلك.

«والأزواج»: جمع زوج وهو كما يقال للرجل يقال للمرأة أيضاً، و هي اللغة الفصيحة المشهورة التي جاء بها التنزيل قال تعالى: «اسكن أنت وزوجك الجنّة» (٧). وقد يقال للمرأة زوجة بالهاء (٨) وهي لغة مشهورة حكاها جماعة من أهل اللغة، قال أبوحاتم السجستاني في المذكّر والمؤنّث: لغة أهل الحجاز زوج وهي التي جاء بها القرآن، والجمع: أزواج، قال: وأهل نجد يقولون زوجة للمرأة، قال: وأهل مكّة والمدينة يتكلّمون بذلك أيضاً (٩).

و«في»: للتعليل أي: لأجل. إظهار كلمته: أي جعلها ظاهرة أي غالبة من

---

(١) مغني اللبيب: ص ١٧٦. (٢) سورة الأنعام: الآية ٣٨. (٣) سورة المائدة: الآية ٦٧.

(٤) سورة القصص: الآية ٨٥. (٥) سورة الأنفال: الآية ٧. (٦) سورة القمر: الآية ٤٥.

(٧) سورة البقرة: الآية ٣٥. (٨) في «ألف»: بالتاء.

(٩) تهذيب الأسماء واللغات للنووي: الجزء الأوّل من القسم الثاني ص١٣٧ نقلاً عن كتاب المذكّر والمؤنّث.

وقاتلوا الآباءَ والأبناءَ في تثبيتِ نبوّتِهِ، وانتصرُوا بِهِ

ظهر على عدوّه إذا غلبه أو بارزه، من ظهر الشيء إذا برز وبان بعد الخفاء.

وكلمته: دعوته إلى الإسلام ﷺ.

مصداق هذا الكلام قول أميرالمؤمنين عليه السّلام من خطبة له: «ولقد كنّا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، وما يزيدنا ذلك إلّا إيماناً وتسليماً و مضيّاً على اللقم (١) وصبراً على مضض (٢) الألم، وجدّاً في جهاد العدوّ، ولقد كان الرجل منّا والآخر من عدوّنا يتصاولان (٣) تصاول الفحلين يتخالسان (٤) أنفسهما أيّهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرّة لنا من عدوّنا ومرّة لعدوّنا منّا، فلمّا رأى الله صِدقنا أنزل بعدوّنا الكبت (٥) وأنزل علينا النصر حتّى استقرّ الإسلام ملقياً جرانه ومتبوأً أوطانه» (٦).

وقوله عليه السّلام: «وانتصروا به» من باب التكميل المسمّى بالإحتراس في علم البيان وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم، فإنّه لو اقتصر على ما قبل هذه الجملة لأوهم أنّ انتصارهم كان بمجرّد حسن بلائهم وجدّهم في القتال، فدفع ذلك بقوله «وانتصروا به» إيذاناً بأنّ انتصارهم إنّما كان ببركته صلّى الله عليه وآله وأنّه السّبب في نزول النصر عليهم من الله تعالى لأنّ النصر إنّما هو من عندالله، وقد وَعَدَالله نبيّه بالنصر فأنجز له ما وعده. فانتصارهم بسبب إيمانهم به وكونهم جنداً له، كما قال أميرالمؤمنين عليه السّلام: «إنّ هذا الأمر لم يكن نصرُه ولاخذلانه بكثرةٍ ولاقِلةٍ وهو دينُ الله الذي أظهره وجندُه الذي أعدّه

---

(١) اللقم بفتحتين: الطريق الواضح. المصباح المنير: ص ٧٦٥.

(٢) مضضت من الشيء مضضاً: تألّمت. المصباح المنير: ص٧٨٩.

(٣) صال الفحل صولاً: وثب. المصباح المنير: ص٤٨١.

(٤) خلست الشيء واختلسته: إذا سلبته. النهاية لابن الأثير: ج٢ ص ٦١.

(٥) كبته: أهانه وأذلّه. المصباح المنير: ص ٧١٧. (٦) نهج البلاغة: خطبة ٥٦ ص ٩١.

ومَنْ كانُوا مُنطَوِينَ عَلى مَحَبَّتِهِ يَرجُونَ تِجارَةً لَنْ تَبُورَ في مَوَدَّتِهِ. وَالَّذِينَ هَجَرَتْهُم العَشائِرُ إذْ تَعَلَّقوا بِعُرْوَتِهِ، وَانْتَفَتْ مِنْهُمُ القَراباتُ إذْ سَكَنوا في ظِلِّ قَرابَتِهِ.

وأمدّه حتّى تبلغ ما بلغ وطلع حيث طلع»(١) *.

«مَنْ»: موصول اسميّ يشترك فيه الواحد وغيره، تقول: جاءني مَنْ قام ومَنْ قاما ومَنْ قاموا.

وفلان منطوٍ على كذا: مضمر له.

والرجاء: ارتياج (٢) النفس لانتظار ما هو محبوب لها وتوقّعها حصوله لسبب حاصل، واستعار لفظ التجارة للثواب. والجملة في موضع نصب على الحال.

ولن تبور ترشيح أي: لن تكسد ولن تهلك بالخسران أصلاً، صفة للتجارة جيء بها للدلالة على أنّها ليست كسائر التجارات الدائرة بين الربح والخسران، بل هي تجارة لا كساد فيها ولا بوار (٣).

والمودّة: اسم من ودّه يودّه من باب تعب، ودّاً بفتح الواو وضمّها بمعنى: أحبّه.

وقيل: الودّ أشدّ من الحبّ.

و«في»: إمّا للتعليل متعلّقة بـ «يرجون»، أو للظرفيّة مجازاً وهي ومجرورها في موضع نصب إمّا صفة ثانية للتجارة أو حال منها ويحتمل تعلّقها بتبور*.

هجر صاحبه هجراً: من باب قتل، والشيء تركه، والاسم: الهجران بالكسر.

والعشائر: جمع عشيرة وهي القبيلة وقيل بنو أبي الرجل الأدنون.

قال أبو علي: قال أبو الحسن: ولم يجمع بجمع السلامة (٤).

---

(١) نهج البلاغة: خطبة ١٥٦ ص ٢٠٣. (٢) في «ألف»: ارتباح.

(٣) بار الشيء بواراً: كسد على الاستعارة. المصباح المنير: ص٩١.

(٤) لسان العرب: ج ٤ ص ٥٧٤.

....

وقال غيره: ويجمع على عشيرات، وقول بعضهم «العشائر المعاشرون» غلط فإنّ العشيرة بمعنى المعاشر لايجمع على عشائر بل جمعه عشراء ككريم وكرماء.

وتعلّق بالشيء: استمسك به.

وعروة: الدلو والكوز ونحوه: مقبضه الذي يتعلّق به، وعروة القميص: مدخل زرّه.

قال الزمخشريّ في الأساس: وتُستعار العُروة لما يوثق به ويُعوَّل عليه (١).

وهي هنا استعارة للاعتقاد الحقّ الذي هو دين الإسلام. والتعلّق بها ترشيح.

وانتفى من ولده: دفع نسبه إليه ولم يثبته، وأصله من نفى الحصى نفياً من باب رمى إذا رفعه عن وجه الأرض فانتفى، ثمّ قيل: لكلّ شيء تدفعه ولا تثبته نفيته فانتفى، ونفيت النسب إذا لم تثبته والرجل منفي النسب، وقد يقول الرجل لابنه لست بولدي، ولايريد به نفي النسب بل مراده نفي خلق الولد وطبعه الذي تخلّق به أبوه، فكأنّه قال: لست على خلقي وطبعي، وهذا نقيض قولهم: فلان ابن أبيه. والمعنى هو على خلقه وطبعه.

والقرابات: جمع قرابة، وهي كما تطلق على القرب في النسب تطلق على القريب وعلى الأقارب.

قال الزمخشريّ في الأساس: «بينهم قُربة وقُربى وقرابة وهو قريبي وقرابتي وهم أقربائي وقرابتي» (٢) انتهى.

فيكون المراد بالقرابات هنا: «الأقارب، ولاعبرة بقول صاحب القاموس: وهو قريبي وذو قرابتي ولا تقل قرابتي» (٣) بعد نقل الزمخشريّ لذلك ونصّه عليه، وهو الإمام الثبت الثقة في اللغة حتّى قال التفتازاني في شرح الكشّاف: «إن استعماله

---

(١) و(٢) أساس البلاغة: ص ٤١٨ و٤٩٩. (٣) القاموس المحيط: ج١ ص ١١٤.

....

بمنزلة روايته، على أنّه لم يتفرّد بذلك، بل قال الفارابي في ديوان الأدب: القرابة: القريب في الرحم، وهي في الأصل مصدر» (١) انتهى. وعلى تسليم إنكار صاحب القاموس فإسناد الإنتفاء إلى القرابات مجاز عقلي.

و«إذ»: في الفقرتين للتعليل، أي: هجرتهم العشائر لأجل تعلّقهم بعروته، وانتفت منهم القرابات لأجل سكونهم في ظلّ قرابته، مثلها في قوله تعالى: «ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنّكم في العذاب مشتركون» (٢) أي: ولن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب لأجل ظلمكم في الدنيا، وهل هي حرف بمنزلة لام العلّة أو ظرف؟ والتعليل مستفاد من قوّة الكلام لامن اللفظ، فإنّه إذا قيل ضربته إذ أساء وأُريد الوقت اقتضى ظاهر الحال أنّ الإساءة سبب الضرب قولان: أجاز ابن مالك الأوّل (٣).

و رجّحه الرضيّ حيث قال: «تجيء إذ للتعليل والأولى حرفيّتها إذاً، إذ لامعنى لتأويلها بالوقت حتّى تدخل في حدّ الاسم» (٤) انتهى.

واختار الشاربين الثاني (٥).

والظل: الفيء الحاصل من الحاجز بينك وبين الشمس.

وقيل: هو من الطلوع إلى الزوال، والفيء من الزوال إلى الغروب، ثمّ كنّي به عن الكنف والناحية والستر، فقيل: هو في ظلّ فلان أي: في كنفه وستره. ومنه الحديث: «سبعة في ظلّ العرش» (٦).

فقوله: «في ظلّ قرابته» أي: في كنفها وحمايتها، والقرابة هنا بمعنى القرب.

قال الفيوميّ في المصباح: «قرب الشيء منّا قرباً وقرابةً وقربةً وقربى،

---

(١) لم نعثر على هذا الكتاب.
(٢) سورة الزخرف: الآية ٣٩.
(٣) لم نعثر عليه.
(٤) الكافية في النحو للرضيّ: ج٢ ص ١١٥.
(٥) المغني اللبيب: ص ١١٥.
(٦) الخصال: ص ٣٤٢. وفيه: عرش الله.

فلا تَنسَ لَهُمْ اللّهُمّ ما تَركُوا لَكَ وفيكَ ، وَأرْضِهِمْ مِن رِضْوانِكَ ، وَبِما حاشُوا الخَلْقَ عَلَيكَ ، وَكانوا مَعَ رَسُولِكَ دُعاةً لَكَ إلَيكَ .

ويقال: القرب في المكان، والقربة في المنزلة، والقربى والقرابة في النسب»(١) انتهى.

وعلى هذا القول الأخير: فإطلاق القرابة على القرب من باب المشاكلة، وهو نوع من البديع *.

نسي الشيء كرضي ينساه نسياناً اشترك بين معنيين:

أحدهما: الترك على تعمّد وهو المراد هنا، أي: لا تترك ما تركوا لك وفيك هملاً (٢) من غير جزاء وثواب، وعليه قوله تعالى: «ولا تنسوا الفضل بينكم»(٣) أي: لا تقصدوا الترك والإهمال.

والثاني: ترك الشيء عن ذهول وغفلة، و ذلك خلاف الذكر له. وإن حملته على هذا المعنى هنا كان المراد: لا تعاملهم معاملة الناسين لهم فيما تركوا لك لاستحالة النسيان بهذا المعنى عليه تعالى.

والغرض، الدعاء لهم بإثابتهم ومجازاتهم على ما تركوه لله وفي سبيله من الأزواج والأولاد والأموال والأوطان ونحو ذلك ممّا يعزّ تركه وفراقه. وفائدته: طلب التجاوز عنهم على كلّ حال ومكافاتهم على كلّ فعل وترك وقع منهم له تعالى، كما يقول الإنسان إذا أراد أن يشفع لأحد عند عظيم: لا تنس له حسن بلائه في رضاك ، وما قاسى من الشدائد لأجلك .ثمّ ترقّى عليه السّلام عن ذلك إلى سؤال الرضا عنهم حتّى يرضوا، فقال: «وارضهم من رضوانك».

و«من»: ابتدائيّة لا بيانيّة كما توهّم بعضهم.

قوله: «وبما حاشوا الخلق عليك» الواو: عاطفة والمعطوف عليه مقدّر يتضمّنه

---

(١) المصباح المنير: ص ٦٧٩. (٢) في «ألف»: عملاً. (٣) سورة البقرة: الآية ٢٣٧.

وَاشْكُرْهُمْ عَلى هَجْرِهِمْ فيكَ دِيارَ قَوْمِهِمْ، وَخُروجِهِمْ مِن سَعَةِ المعاشِ إلىٰ ضَيِّقِهِ.

الكلام السابق والتقدير: وارضهم من رضوانك بسبب ما ذكر من جميل أعمالهم وبما حاشوا الخلق عليك.

و«ما»: مصدريّة أي: بحوشهم. يقال: حشت عليه الصيد، وأحشته إذا سقته إليه وجمعته عليه.

وفي القاموس: «حاش الصيد جاءه من حواليه يصرفه إلى الحبالة والإبل جمعها وساقها» (١). انتهى.

والمعنى: بسبب جمعهم الناس على دينك وترغيبهم لهم في طاعتك، وعلى هذا فحاشوا بضمّ الشين كقالوا وناموا، وفي نسخة بفتح الشين فأصله: حاشووا كفاعلوا، تحرّكت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً فالتقىٰ ساكنان الألف وواو الجماعة فحذفت الألف فصار حاشوا بفتح الشين أي: جانبوا الخلق، وصاروا على حاشيه كلّ شيء: ناحيته وطرفه الأقصىٰ.

و«على» من قوله: «عليك» للتعليل أي: لك، والمعنى: اعتزلوا الناس وجانبوهم لأجلك، كما قال الكوفيّون في قوله تعالى: «وقلن حاش لله» (٢) أنّ المعنى: جانب يوسف المعصية لأجل الله تعالى.

وكانوا مع رسولك: أي مجتمعين ومشتركين. واللام من قوله: «لك» للاختصاص متعلّقة بمحذوف صفة للدعاة أي: كائنين لك، فهو ظرف مستقرّ، وإليك ظرف لغو متعلّق بالدعاة أي: دعاة إلى طاعتك والدخول في دينك *.

أي: جازهم بجزيل الأجر على تركهم لأجلك ديار قومهم، ولمّا كان سبحانه

---

(١) القاموس المحيط: ج٢ ص ٢٧٠. وفيه «ليصرفه إلى الحبالة كأحاشه وأحوشه».

(٢) سورة يوسف: الآية ٣١.

....

مجازياً للمطيع بجزيل الثواب جعل مجازاته شكراً لهم على سبيل المجاز، وإلّا فالشكر هو الاعتراف بالإحسان، والله سبحانه هو المحسن إلى عباده والمنعم عليهم، وقيل: معنى شكره تعالى لعبده ثناؤه عليه إذا أطاعه. والمراد بهذا الكلام الدعاء للمهاجرين من الصحابة.

قال ابن الأثير في النهاية: «والهجرة هجرتان: إحداهما التي وعدالله عليها الجنّة في قوله: «إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة». فكان الرجل يأتي النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ويدع أهله وماله لايرجع في شيء منه، وينقطع بنفسه إلى مهاجرة، وكان النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يكره أن يموت الرجل بالأرض التي هاجر منها، فمن ثمّ قال: لكن البائس سعد بن خوله يرثي له أن مات بمكّة، وقال حين قدم مكّة: صارت دار إسلام كالمدينة وانقطعت الهجرة.

والهجرة الثانية: من هاجر من الأعراب وغزا مع المسلمين ولم يفعل كما فعل أصحاب الهجرة الأولى، فهو مهاجر، وليس بداخل في فضل من هاجر تلك الهجرة، وهو المراد بقوله عليه السّلام: لا تنقطع الهجرة حتّى تنقطع التوبة. فهذا وجه الجمع بين الحديثين.

وإذا أُطلق في الحديث ذكر الهجرتين فإنّما يراد بهما هجرة الحبشة وهجرة المدينة» (١) انتهى كلامه.

والسعة: خلاف الضيق، وهي مصدر وسع يسع، والهاء فيها عوض عن الواو، وتطلق على الجدة (٢) والطاقة، قال تعالى: «لينفق ذو سعة من سعته» (٣) أي: على قدر غناه وسعته.

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج٥ ص ٢٤٤.

(٢) وجد، يجد، جِدَةً: أي استغنى غنى لافقر بعده. النهاية لابن الأثير: ج٥ ص١٥٥.

(٣) سورة الطلاق: الآية ٧.

....

و «المعاش» هنا بمعنى المعيشة وهي ما يعاش به، ويقع مصدراً يقال: عاش عيشاً ومعاشاً، واسم زمان قال تعالى: «وجعلنا النهار معاشا»(١) . أي: وقت التقلّب في تحصيل المعاش.

وضاق الشيء ضيقاً وضيقاً بالفتح والكسر: خلاف اتّسع، وقيل: بالفتح مصدر، وبالكسر اسم. والضيق بالفتح أيضاً تخفيف الضيّق كميت وميّت، فيجوز حمله في الدعاء على هذا المعنى في رواية الفتح.

فائدة

روى رئيس المحدّثين في كتاب الخصال بإسناده عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «كان أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله اثنى عشر ألف، ثمانية آلاف من المدينة وألفين من غير المدينة، وألفين من الطلقاء، ولم ير فيهم قدريٌّ ولامرجيٌّ ولاحروريٌّ ولامعتزليٌّ ولاصاحب رأي كانوا يبكون الليل والنهار، ويقولون: اقبض أرواحنا قبل أن نأكل خبز الخمير» (٢) .

وفي خطبة لأميرالمؤمنين عليه السّلام: «أيْنَ الْقوم الّذين دُعوا إلى الإسلام فَقبلُوه، وَقرأوا الْقرآن فَأحْكَمُوه، وهِيجُوا إلى الْجهاد فَوَلِهُوا وَلَه اللِّقاح إلى أولادها، وسَلبوا السُّيُوفَ أغمادها، وأخذوا بأطرافِ الأرض زحفاً زحفاً، وصفّاً صفّاً، بعضٌ هَلَكَ وَبَعْضٌ نَجا. لايُبَشَّرُون بالأحياء ولايُعَزَّونَ بِالْموتى، مُرْهُ العيونِ مِنَ الْبُكاء، خُمْصُ الْبُطُونِ مِنَ الْصيام، ذُبُلُ الشِّفاهِ مِنَ الدُّعاءِ، صُفْرُ الألْوانِ مِنَ السّهرِ، عَلى وُجوهِهِمْ غبرَةُ الْخاشِعين، أولئِكَ إخواني الذاهِبُون. فَحقّ لَنا أن نظمأ إليهم وَنَعضّ

---

(١) سورة النبأ: الآية ١١.

(٢) الخصال: ص ٦٣٩.

ممن كثرت في إعزاز دينك من مظلوميهم

الأيدي في فراقهم» (١).

قال ابن أبي الحديد: «فإن قلت: مَنْ هؤلاء **الذين يشير عليه** السّلام إليهم؟ قلت: هم قوم كانوا في نأنأة الإسلام وفي زمان ضعفه وخموله أرباب زهد وعبادة وجهاد شديد في سبيل الله كمصعب بن عمير من بني عبدالدار، وكسعد بن معاذ من الأوس، وكجعفر بن أبي طالب و عبدالله بن رواحة وغيرهم ممّن استشهد من الصالحين أرباب الدين والعبادة والشجاعة في يوم أُحد وفي غيره من الأيّام في حياة رسول الله صلّى الله عليه وآله وكعمّار، وأبي ذرّ، والمقداد، وسلمان، وخَبّاب، وجماعة من أصحاب الصُفّة وفقراء المسلمين أرباب العبادة الذين قد جمعوا بين الزهد والشجاعة. وقد جاء في الأخبار الصحيحة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: إنّ الجنّة لتشتاق إلى أربعة عليّ وعمّار وأبي ذر والمقداد، وجاء في الأخبار الصحيحة أيضاً: أنّ جماعة من أصحاب الصُفّة مرّ بهم أبوسفيان بن حرب بعد إسلامه فعضّوا أيديهم عليه فقالوا: وا أسفاه كيف لم تأخذ السيوف مأخذها من عُنق عدوّالله! وكان معه أبوبكر فقال لهم: أتقولون هذا لسيّد البطحاء؟ فرفع قوله إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فأنكره، وقال لأبي بكر: انظر لا تكون أغضبتهم فتكون قد أغضبت ربّك. فجاء أبوبكر إليهم وترضّاهم وسألهم أن يستغفروا له. فقالوا: غفرالله لك» (٢) انتهى *.

عطف على الذين هجرتهم العشائر. وقيل: على ضمير الجمع في قوله: واشكرهم.

و«في»: للتعليل أي: لأجل إعزاز دينك.

---

(١) نهج البلاغة: خطبة ١٢١ ص ١٧٧، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٧ خطبة ١٢٠ ص ٢٩١. وفيها «على فراقهم».

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٧ خطبة ١٢٠ ص ٢٩٥.

....

وأعزّه إعزازاً: جعله عزيزاً أي: رفيعاً ممتنعاً، وأعزّه أيضاً إذا قوّاه وشدّده كعزّزه، ومنه: «فعزّزنا بثالث» (١) أي فقوّينا وشددنا.

قال صاحب المحكم: «وفي التنزيل: «أذلّةٍ على المؤمنين أعزّةٍ على الكافرين» (٢). أي أشدّاء عليهم، وليس هو من عزّة النفس» (٣).

و «من»: في قوله: «من مظلومهم» لبيان الموصول، مثلها في قوله تعالى: «ليمسّنّ الذين كفروا منهم عذابٌ أليم» (٤) وهي ومجرورها في موضع نصب على الحال، وصاحبها من الموصولة لأنّها في محلّ نصب مفعول كثرت وهو العامل فيها، والمراد بظلمهم: ما أصابهم من تعذيب المشركين لهم قبل الهجرة حتّى قالوا: «ربّنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها» (٥) وإخراجهم إيّاهم من ديارهم وأموالهم كما قال تعالى: «الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً» (٦) وذلك حين اضطرّتهم كفّار مكّة وأحوجوهم إلى الخروج وما أُصيبوا به في الأنفس من القتل والأسر والجراح، وفي الأموال من النهب والغصب، وما كانوا يقاسونه من سماع الأذىٰ من أهل الكتاب والمشركين من الطعن في الدين الحنيف والقدح في أحكام الشرع الشريف وصدّ من أراد أن يؤمن وتخطئة من آمن، ونحو ذلك. كما قال تعالى: «لتبلونّ في أموالكم وأنفسكم ولتسمعنّ من الذين أُوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً وأن تصبروا وتتّقوا فإنّ ذلك من عزم الأُمور» (٧).

ومن فواقر (٨) التأويلات هنا قول بعضهم: يجوز أن تكون «من» ابتدائيّة، على

---

(١) سورة يس: الآية ١٤. (٢) سورة المائدة: الآية ٥٤. (٣) المحكم لابن سيده: ج١ ص٣٣.

(٤) سورة المائدة: الآية ٧٣. (٥) سورة النساء: الآية ٧٥. (٦) سورة الحشر: الآية ٨.

(٧) سورة آل عمران: الآية ١٨٦. (٨) الفواقر: أي الدواهي. النهاية لابن الأثير: ج٣ ص٤٦٣.

اللّهمّ وأوصل إلى التّابعين لهم بإحسانٍ الّذين يقولون «ربّنا اغفرلنا ولإخواننا الّذين سبقونا بالإيمانِ» خيرَ جزائك.

أن يكون المظلوم بمعنى البلد الذي لارعي فيه ولامرعى للدواب والأرض التي لم تعهد للزرع قطّ، أعني مكّة زادها الله تعالى شرفاً وتعظيماً*.

التابعون: هم اللاحقون بالسابقين من المهاجرين والأنصار وفيه تلسيح إلى قوله تعالى: «والسابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والّذين اتّبعوهم بإحسان رضي الله عنهم و رضوا عنه» (١).

والباء في قوله: «بإحسان» للملابسة أي: ملتبسين به، والمراد به كلّ خصلة حسنة، فيدخل في التابعين ماعدا السابقين من الفريقين صحابيّاً كان أو تابعيّاً، أو التابعين لهم بالإيمان والطاعة إلى يوم القيامة، فالمراد بهم المؤمنون بعد الصحابة إلى آخر الدهر.

وقوله: «الّذين يقولون» إلى آخره، نعت للتابعين وهو اقتباس من قوله تعالى: «والّذين جاءوا من بعدهم يقولون ربّنا اغفرلنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان ولاتجعل في قلوبنا غلّاً للّذين آمنوا ربّنا إنّك رؤوفٌ رحيم» (٢).

والجملة مسوقة لمدحهم بمحبّتهم لمن تقدّمهم من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق الاخوّة في الدين، الّذي هو أعزّ وأشرف عندهم من النسب، والاعتراف لهم بفضل السبق بالإيمان الّذي أحرزوه دونهم.

وخير: للتفضيل، أصلها أخير، حُذفت الهمزة منها كما حذفت من شرّ، وهي لغة جميع العرب فيهما ماعدا بني عامر فإنّهم يقولون: هذا أخير من ذاك وأشرّ منه بإثباتها.

واختلف في سبب حذفها عند غيرهم، فقيل: لكثرة الاستعمال، وهو المشهور.

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٠٠. (٢) سورة الحشر: الآية ١٠.

اَلّذِينَ قَصَدُوا سَمْتَهم، وَتَحَرَّوا وِجْهَتَهُمْ، وَمَضَوا عَلى شاكِلَتِهِمْ

وقال الأخفش: لأنّهما لمّا لم يشتقّا من فعل خولف لفظهما، فعلى هذا فيهما شذوذان حذف الهمزة وكونهما لافعل لهما (١).

والجزاء: المكافاة على الشيء، **يقال: جزاه** به وعليه جزاء وجازاه مجازاة، وقد يطلق على المجازى **به، ومنه** «فإنّ جهنّم جزاؤكم جزاءً موفوراً» (٢) *.

قصدت الشيء له و إليه قصداً من باب ضرب: طلبته بعينه. **وقصدت قصده:** أي نحوت نحوه.

والسمت: الطريق والقصد، وحسن النحو والسكينة والوقار، وهو حسن السمت: أي الهيئة. وتحرّى الشيء: توخّاه وتعمّده وقصده، وأصل التحرّي طلب ما هو الأحرى، أي الأليق والأخلق.

والوجهة: بكسر الواو وتضمّ، قال المازني والمبرّد والفارسي (٣): هي اسم ظرف بمعنى المكان المتوجّه إليه، فلا شذوذ في إثبات واوها لأنّها ليس بمصدر، وهي إنّما تحذف ويعوّض عنها الهاء إذا كانت في المصادر كعدة وزنة.

و ذهب قوم إلى أنّها مصدر بمعنى التوجّه، وهو الّذي يظهر من كلام سيبويه (٤)، ونسب إلى المازني أيضاً (٥). وعلى هذا فإثبات الواو فيها شاذّ، والمسوّغ لإثباتها دون غيرها من المصادر أنّها مصدر غير جار على فعله إذ لا يحفظ وجه يجه، فلمّا فقد مضارعه لم يحذف منه الواو، وإذ لاموجب لحذفها منه إلّا حمله على مضارعه، ولامضارع له، والفعل المستعمل منه توجّه وإتّجه والمصدر الجاري عليه التوجّه فحذفت زوائده وقيل: وجهة.

(١) لم نعثر عليه.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٦٣.

(٣) و(٤) و(٥) راجع: تاج العروس: ج٩ ص ٤١٩.

لَمْ يَثْنِهِمْ رَيْبٌ في بَصيرَتِهِم، وَلَمْ يَخْتَلِجْهُمْ شَكٌّ في قَفْوِ آثارِهِم، والإِئْتِمام بِهِدايَةِ مَنارِهِم.

و رجّح الشلوبين (١). القول بأنّـها مصدر فقال: لأنّ رِجْهَة و جِهَة بمعنى واحد، فلا يمكن أن يقال في جهة أنّها اسم للمكان، إذ لا يبقى للحذف وجه (٢) .

و رجّح الرضي الأوّل، قال: وأمّا الجهة فشاذ لأنّه ليس بمصدر، فليس تاؤه بدلاً من الواو (٣).

والشاكلة: النيّة والطريقة والمذهب وما يشاكل الإنسان، ومنه قوله تعالى: «قل كلّ يعمل على شاكلته» (٤) أي: طريقته التي تشاكل حاله بالهدى والضلالة.

وقيل: جوهر روحه وأحواله التابعة لمزاج بدنه.

ومفاد هذه الفقرات من الدعاء بيان أتباع التابعين لهم بإحسان وتقرير اقتفائهم آثارهم وسلوكهم مسالكهم والاقتداء بهم في أعمالهم وأفعالهم ﷺ.

ثناه يثنيه من باب رمى: إذا عطفه وردّه، وعن مراده صرفه عنه.

والريب في الأصل: مصدر قولك: رابني الشيء، إذا حصل فيك الريبة بالكسر، وحقيقتها: قلق النفس واضطرابها ثمّ استعمل في معنى الشكّ مطلقاً، أو مع تهمة لأنّه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة.

---

(١) هو عمر بن محمّد بن عمر بن عبدالله الأزديّ الأندلسي الاشبيليّ، المعروف بالشلوبيني ـ نسبة لشلوبينية من قرى اشبيلية ـ (أبو علي) نحويّ لغويّ، ولد بإشبيلية عام ٥٦٢ هجرية وتوفي بها في العشر الأخير من صفر عام ٦٤٥ هجرية. من **تصانيفه:** كتاب في النحو سمّاه التوطئة، وكتاب القوانين، وتعليقة على شرح فخرالدين الرازي للمفصّل للزمخشري، وتعليق على كتاب سيبويه، وشرح المقدمة الجزولية وكلّها في النحو، وله شعر. (معجم المؤلّفين: ج٧ ص٣١٦).

(٢) راجع: الجامع لأحكام القرآن: ج٢ ص ١٦٤ ـ ١٦٥ من دون نسبة إلى **الشلوبين.**

(٣) الصحاح: ج٦، ص ٢٢٥٥: من دون نسبة إلى **الرضي.** (٤) سورة الإسراء: الآية ٨٤.

....

وفي الحديث: «دع ما يريبك إلى ما لايريبك» (١) فإنّ الشكّ ريبة والصدق طمأنينة.

والبصيرة: العقيدة والعلم والخبرة والفطنة وهي للنفس كالبصر للجسد.

والاختلاج: افتعال من الخلج وهو الجذب والنزع، يقال: خلجه من باب ضرب، واختلجه: إذا جذبه وانتزعه.

ومنه الحديث: «ليردنّ على الحوض أقوام ثمّ ليختلجنّ دوني» أي: يُجْتَذَبُون ويُقْتَطَعُون (٢). ومنه خالج قلبي أمر أي: نازعني فيه فكر، وتخالجته الأشواق والهموم: تجاذبته.

والشكّ: خلاف اليقين، وأصله: اضطراب القلب والنفس، ثمّ استعمل في التردّد بين الشيئين سواء استوى طرفاه أو ترجّح أحدهما على الآخر، قال تعالى: «فإن كنت في شكّ ممّا أنزلنا إليك» (٣) أي: غير مستيقن، وقال الأُصوليّون: هو تردّد الذهن بين الأمرين على حدّ سواء. قالوا: التردّد بين الطرفين إن كان على السواء فهو الشكّ، وإلّا فالراجح ظنّ والمرجوح وهم.

وقفوت أثره قفواً من باب قال: تبعته.

والآثار جمع أثر بفتحتين: وهو ما بقي من رسم الشيء، وإنّما قيل لمن تبع شخصاً قفا أثره واقتفى آثاره لأنّه كالماشي على أثر أقدامه.

والائتمام: الاقتداء من ائتمّ به أي: اقتدى، واسم الفاعل: مؤتمّ واسم المفعول: مؤتمّ به، فالصلة فارقة.

والهداية: مصدر هداه الطريق يهديه هداية أي: دلّه عليه. هذه لغة الحجاز، وفي

---

(١) الوسائل: ج١٨ باب ١٢ من أبواب صفات القاضي ص١٢٢ حديث ٣٨، سنن الترمذي: ج٤ ص٦٦٨ ح٢٥١٨. (٢) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ٥٩. (٣) سورة يونس: الآية ٩٤.

مُكانِفِينَ وَمُوازِرِينَ لَهُمْ، يَدِينُونَ بِدِينِهِم، وَيَهتَدونَ بِهَدْيِهِم.

لغة غيرهم يتعدّى بالحرف فيقال: هديته إلى الطريق وللطريق.

والمنار: بفتح الميم، قال **الجوهري:** «علم الطريق، و ذوالمنار ملك من ملوك اليمن واسمه أبرهة بن الحرث الرائش، وإنّما قيل له ذوالمنار لأنّه أوّل من ضرب المنار على طريقه في مغازيه ليهتدي بها إذا رجع» (١) انتهى.

وفي القاموس: «المنار: العلم وما يوضع بين الشيئين من الحدود ومحجّة الطريق» (٢) انتهى.

وقال ابن الأثير في النهاية: وفيه «لعن الله من غيّر منار الأرض» المنار: جمع منارة، وهي العلامة تجعل بين الحدّين، ومنارالحرم: أعلامه الّتي ضربها الخليل عليه السّلام على أقطاره ونواحيه، والميم زائدة. ومنه حديث أبي هريرة: «إنّ للإسلام صُوىً ومناراً» أي: علامات وشرائع يعرف بها (٣) انتهى.

وقال الزمخشريّ في الأساس: «اهتدوا بمنار الأرض: بأعلامها، وهدم فلان منار المسجد جمع منارة» (٤) انتهى.

وعلى هذا فقوله: بهداية منارهم يجوز أن يكون مفرداً بمعنى العلم، وأن يكون اسم جنس بمعنى الاعلام، وجملة لم يثنهم في محلّ نصب على الحال من الّذين أو ضميره *.

كانفه: عاونه، وفي النهاية في حديث الدعاء: مضوا على شاكلتهم، مكانفين: أي: يكنف بعضهم بعضاً (٥) أي: يعين، يقال: كنف صاحبه إذا أعانه.

والموازرة: التقوية والمساعدة من الأزر بالفتح بمعنى القوّة والشدّة، وواوها منقلبة عن همزة يقال: آزره يوازره موازرة. وأمّا وازره بمعنى صار له وزيراً فهو من الوزر بالكسر بمعنى الثقل لأنّ الوزير يحمل أثقال الملك مع الملك فواوه أصليّة.

(١) الصحاح للجوهري: ج٢ ص ٨٣٩.
(٢) القاموس المحيط: ج ٢ ص ١٤٩.
(٣) النهاية لابن الأثير: ج ٥ ص ١٢٧.
(٤) أساس البلاغة: ص ٦٥٧ وفيه «المساجد».
(٥) النهاية لابن الأثير: ج٤ ص ٢٠٥.

يَتَفِقُونَ عَليهِم وَلايَتَّهِمُونَهُم فيما أَدَّوا إِلَيهِم.

ويدينون بدينهم أي: يتّبعونهم ويوافقونهم على دينهم.

قال ابن الأثير في حديث الحج: «كانت قريش ومن دان بدينهم» أي: اتّبعهم في دينهم ووافقهم عليه فاتّخذ دينهم له ديناً وعبادةً (١).

والهدي: بفتح الهاء وسكون الدال على وزن فلس: مصدر بمعنى الهدى بضمّ الهاء وفتح الدال.

قال في **القاموس**: «هداه هدًى وهدياً وهدايةً وهديةً بكسرهما أرشده فتهدى واهتدى» (٢) انتهى.

والهدي على وزن فلس: الطريقة والسيرة والهيئة أيضاً، يقال: هدى هَدْيَ فلان، إذا سار سيرته، ومنه الحديث: «واهدوا هدي عمّار» (٣): أي سيروا سيرته وتهيّأوا بهيئته.

فقوله عليه السّلام: يهتدون بهديهم، يجوز أن يكون بمعنى الهداية، أي يهتدون بهدايتهم وإرشادهم. وأن يكون بمعنى الطريقة أي: يهتدون بطريقتهم وسيرتهم. والهدي بهذا المعنى أشهر منه بمعنى الهداية.

ونصب مكانفين وموازرين على الحال. وجملة يدينون إمّا حال متداخلة أو مستأنفة على وجه التعليل أي: لأنّهم يدينون بدينهم *.

أي: يجتمعون عليهم ولا يختلفون في أمرهم بأن يقول بعضهم فيهم قولاً، ويقول آخرون خلافه، بل كلمتهم مجتمعة عليهم.

والاتّفاق: افتعال من الوفق بمعنى الموافقة، وأصله: اوتفاق، إلّا أنّ الواو قلبت ياء لإنكسار ما قبلها وهي ساكنة **وأُدغمت** في تاء الافتعال بعد قلبها تاء لأجل

(١) النهاية لابن الأثير: ج٢ ص ١٤٩.

(٢) القاموس المحيط: ج٤ ص ٤٠٥.

(٣) سنن الترمذي: ج٥ ص٦٧٢ ح ٣٨٠٥.

اللهُمَّ وَصَلِّ عَلى التّابِعينَ مِن يَومِنا هذا و إلىٰ يَومِ الدِّينِ.

الإدغام فتولّدت التشديدة لذلك ، وهكذا الكلام في يتّفقون أصله: يوتفقون، جرى فيه نحو الإعلال المذكور من قلب الواو تاء وإدغامها في تاء الافتعال فصار يتّفقون.

وقس على ذلك الاتّهام ويتّهمون ونحوه، واتّهمه بكذا كافتعله: أدخل عليه التهمة كرطبة أي: ما يتّهم عليه، واتّهمه في كذا: شكّ في صدقه.

وأدّىٰ إليه الشيء: أوصله، ومنه أداء الأمانة، أي لايشكّون في صدقهم وصحّة ما أوصلوه إليهم من الآثار والأحوال والأحكام التي سمعوها وشاهدوها من النبيّ صلّى الله عليه وآله.

وجملة يتّفقون عليهم مستأنفة استئنافاً بيانيّاً كأنّه سئل كيف يكانفونهم ويوازرونهم ويدينون بدينهم فقال: يتّفقون عليهم إلى آخره، ولهذا لم يعطفها على ما قبلها *.

من يومنا هذا: أي من وقتنا، واليوم: و إن كان في اللغة عبارة عن الزمن الّذي يقع ما بين طلوع الشمس إلى غروبها إلّا أنّ العرب قد تطلقه وتريد به مطلق الوقت والحين، نهاراً كان أو ليلاً فيقولون: ذخرتك لهذا اليوم أي: لهذا الوقت الّذي افتقرت فيه إليك ، ومنه تلك أيّام الهرج: أي وقته، ولايكادون يفرّقون بين قولهم: يومئذٍ، وحينئذٍ، وساعتئذٍ.

ومن: لابتداء الغاية في الزمان عند من أثبتها له وهو الصحيح نحو:

تُخيّرنَ من أزمان يومِ حليمة   إلى اليوم قد جربن كلّ التجارب

ويجوز أن تكون بمعنى في، نحو: «إذا نودي للصّلاة من يوم الجمعة» (١) وهي متعيّنة لذلك عند من أنكر ورودها لابتداء الغاية في الزمان، وعلى التقديرين فهي متعلّقة بـ «التابعين» لابقوله «صلّ» كما توهّم بعضهم.

---

(١) سورة الجمعة: الآية ٩.

....

و «الواو» من قوله: «و إلى يوم الديـن» ثابتة في النسخ المشهـورة وهي عاطفة، والظرف بعدها متعلّق بمحذوف دلّ عليه ما قبله، والتقدير: «وعلى التابعين من بعد يومنا هذا إلى يوم الديـن» على كون «من» ابتدائيّة أو: «وعلى الـتابعين في كلّ يوم إلى يوم الدين» على كونها ظرفـيّة. وفائدة إيراد الواو: إدخال مـن تجدّد من التابعين في كلّ وقت إلى يوم القيامة.

وأمّا مـا قـيل من أنّ الإ تيـان بهـا لإرادة الـتـابعين الّذين بـقـيـت متابعتهم إلى ما يتـرتّب لهم على المتـابعة مـن الثواب إلى يوم الـدين ولايعتريهم تغـيّر ولا تبدّل فغير ظاهر، بل لوقيل: إنّ عدمها يدلّ على هذا المعنى كان أظهر، ويحتمل احتمالاً بعيداً أن تكون «مـن» في قوله: «من يـومنا هذا» لانتهاء الغايـة بمعنى إلى، كما ذهب إليه الكـوفيّون وتـبعـهم ابن مـالك من إثبات هـذا المعنى لها (١) واستدلّ لـه ابن مالك بصحّة قولك: «تقرّبت منه» وهو بمعنى تقرّبت إليه (٢).

وعلى هذا فيكون المعنى وصلّ على التابعين إلى يومنا هذا وإلى يوم الدين، فإيراد الواو حينئذٍ متـحتّم ومفادها ظاهـر، واليوم المضاف إلى الدين مراد به مطلق الوقت أيضاً.

والدين هـنا بمعنى الجزاء خـيراً كان أو شـراً ومنه: الثـاني، في المثل السائر: كما تدين تدان (٣)، والأوّل في بيت الحماسة:

ولم يـبـق سـوى الـعـدوان دنّـاهـم كما دانـوا

وأمّا الأوّل في الأوّل، والثاني في الثـاني فـليس بجزاء حقيـقـة وإنّما سـمّـي به مشاكلة، أو تسمية للشيء باسم مسبّبه كما سمّيت إرادة القيام والقراءة باسمهما في

---

(١) و (٢) شرح التصريح على التوضيح: ج ٢ ص ٨.

(٣) لسان العرب: ج ١٣ ص ١٦٩.

وَعَلى أزواجِهِم، وَعَلى ذُرِّيّاتِهِم، وَعَلى مَن أطاعَكَ مِنهُم

قوله تعالى: «إذا قمتم إلى الصلاة» (١). وقوله سبحانه: «فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله» (٢) ولعلّه هو السرّ في بناء المفاعلة من الأفعال الّتي تقوم أسبابها بمفعولاتها نحو: عاقبت اللصّ، ونظائره، فإنّ قيام السرقة الّتي هي سبب للعقوبة باللصّ نزل منزلة قيام المسبّب به وهي العقوبة، فصارت كأنها قامت بالجانبين وصدرت عنهما فبنيت صيغة المفاعلة الدالّة على المشاركة بين الاثنين وإضافة اليوم إليه لأدنىٰ ملابسة كإضافة سائر الظروف الزمانيّة إلى ما وقع فيها من الحوادث كيوم الأحزاب وعام الفتح وتخصيصه من بين سائر ما يقع فيه من القيامة والجمع والحساب، لكونه أدخل في الترغيب والترهيب، فإنّ ما ذكر من القيامة وغيرها من مبادي الجزاء ومقدّماته *.

إعادة الجار للتأكيد وإفادة تعدّد الصلوات لتكون الصلاة على كلّ منهم مستقلّة لا بطريق التبعيّة.

و زوج الرجل: امرأته، و زوج المرأة: بعلها أيضاً، والجمع فيهما أزواج، هذه اللغة العالية وبها جاء التنزيل.

قال أبو حاتم: «وأهل نجد يقولون في المرأة زوجة بالهاء، وأهل الحرم يتكلّمون بها» وعكس ابن السكّيت فقال: «وأهل الحجاز يقولون زوج بغير هاء، وسائر العرب زوجة بالهاء، وجمعها زوجات» (٣) والفقهاء يقتصرون في الاستعمال عليها للإيضاح وخوف لبس الذكر بالأُنثىٰ إذ لو قيل: تركة فيها زوج وابن، لم يعلم أذكر أم أُنثىٰ.

والذرّيات: جمع ذرّيّة مثلّثة الأوّل والضمّ أشهر وهي نسل الرجل قيل: هي فعولة من ذرّوت أو ذريت والأصل ذرووة أو ذروية فاجتمع في الأُولىٰ **واوان**

---

(١) سورة المائدة: الآية ٦. - (٢) سورة النحل: الآية ٩٨. (٣) تاج العروس: ج ٢ ص ٥٤.

صَلاةً تَعصِمُهمْ بِها مِن مَعصِيَتِكَ، وَتَفْسَحُ لَهُمْ في رِياضِ جَنَّتِكَ.

زائدة وأصليّة، فقلبت الأصليّة ياء فصارت كالثانية فاجتمعت ياء و واو وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأُدغمت الياء في الياء فصارت ذرّيّة.

وقيل: فعيلة منهما والأصل في الأُولى ذريوة فقلبت الواو ياء لما سبق من اجتماعهما بالسكون فصارت ذريية كالثانية فادغمت الياء في مثلها فصارت ذرّية.

وقيل: فعلية من الذرء بالهمز بمعنى الخلق، والأصل ذريئة فخففت الهمزة بإبدالها ياء كهمزة خطيئة ثمّ أُدغمت الياء الزائدة في المبدلة.

وقيل: فعلية من الذرّ بمعنى التفريق والأصل ذرّيرة قلبت الراء الأخيرة ياء لتوالي الأمثال كما في تقصّي وتظنّي فأُدغمت الياء في الياء كما مرّ.

وقيل: فعُولة منه والأصل ذرورة، فقلبت الراء الأخيرة ياء فجاء الإدغام.

وقوله عليه السّلام: «وعلى من أطاعك منهم» من عطف الخاص على العام إظهاراً لشرف الطاعة وإبانة لخطرها واهتماماً بشأن أهلها بتخصيصهم بالذكر بعد العموم، والدعاء لهم ضمناً واستقلالاً، والضمير في «منهم» إمّا للأولاد أو للأزواج والأولاد معاً، فتذكيره على سبيل التغليب*.

تعصمهم: في محلّ نصب على النعت لاصلاة وهي منصوبة على المفعوليّة المطلقة، وعصمه الله من المكروه ونحوه: يعصمه من باب ضرب حفظه ووقاه، والاسم: العصمة.

والباء من «بها» للسببيّة، والضمير للصلاة.

والمعصية مفعلة من العصيان، يقال: عصاه يعصيه عصياً وعصياناً، ومعصيةً: لم يطعه.

قال سيبويه: «لا يجيء هذا الضرب على مفعل إلّا وفيه الهاء لأنّه إن جاء على مفعل بغير هاء اعتلّ فعدلوا إلى الأخف» (١).

---

(١) كتاب سيبويه: ص ٢٩٧ و ٢٩٨ نقلاً بالمضمون.

وَتَمْنَعُهُمْ بِهامِن كَيْدِالشَّيطانِ، وَتُعِينُهُمْ بِها عَلى مااسْتَعانُوكَ عَلَيه مِن بِرٍّ.

وفسح له في المكان: من باب نفع و وسّع، والاسم: الفسحة بالضمّ بمعنى السعة.

والرياض: جمع روضة والأصل رواض، قلبت الواو ياء **لكسرة** ما قبلها، وهي الموضع المعجب بالزهور.

وقيل: كلّ أرض ذات نبات وماء **ورونق ونضارة.**

وقيل: سمّيت بذلك لاستراضة المياه السائلة فيها أي: لسكونها بها، قال تعالى: «فأمّا الّذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون» (١) أي: يسرّون أو ينعّمون *.

المنع: تحجير الشيء، وفلان يمنع الجار: يحميه من أن يضام.

وكاده كيداً: من باب باع: خدعه ومكر به.

وفي الشيطان: قولان (أحدهما) أنّه من شطن إذا بعد فإنّه بعيد عن الخير والرحمة فتكون نونه أصليّة، ووزنه: فيعال.

(الثاني) إنّ الياء أصليّة والنون زائدة عكس الأوّل وهو من شاط يشيط: إذا بطل واحترق، فوزنه: فعلان.

واستعانه واستعان به: طلب معونته، يتعدّى بنفسه و بالحرف.

والبرّ بالكسر: التوسّع في الخير من البرّ بالفتح الّذي هو الفضاء الواسع يتناول جميع أصناف الخيرات، ولذلك قيل: البرّ ثلاثة: برّ في عبادة الله تعالى، وبرّ في مراعات الأقارب، وبرّ في مسالمة الأجانب.

و «من»: بيان لما. وتنكير «البرّ» هنا للإستغراق، والنكرة في الإيجاب وإن كانت ظاهرة في عدم الاستغراق إلّا أنّها قد تستعمل فيه مجازاً كثيراً في المبتدأ، نحو:

---

(١) سورة الروم: الآية ١٥.

وَتَقِيهِمْ من طوارق الليلِ وَالنّهارِ إلّا طارِقاً يَطرُقُ بِخَيرٍ.

تمرة خير من جرادة، وقليلاً في غيره نحو: «علمتْ نفسٌ ما أحضرت» (١) .

وقول الحريري: يا أهل ذا المغنى وقيتم شرّاً (٢) ، وما نحن فيه من هذا القبيل. وإنّما قدّم طلب المنع من كيد الشيطان على طلب الإعانة على البرّ جرياً على القاعدة المشهورة من تقديم التخلية على التحلية *.

وقاه الله السوء: يقيه وقايةً بالكسر: حفظه منه وصانه عنه.

والطوارق: جمع طارقة وهي في الأصل اسم فاعل من طرق طرقاً وطروقاً: إذا جاء ليلاً. قال الماوردي: «وأصل الطرق: الدقّ، ومنه سمّيت المطرقة، وإنّما سمّي قاصد الليل طارقاً لاحتياجه إلى طرق الباب غالباً، ثمّ اتّسع في كلّ ما ظهر بالليل كائناً ما كان، ثمّ اتّسع في التوسّع حتّى أُطلق على الصور الخياليّة فقالوا: طرق الخيال» (٣) والمراد هاهنا مطلق الحوادث ليلاً كانت أو نهاراً لإضافتها إليهما، والإضافة بمعنى في نحو «مكر الليل»، و«تربّص أربعة أشهر» على الصحيح وفاقاً لابن الحاجب (٤) وابن مالك (٥) وقال الجمهور: ما أوهم معنى في، فهو على معنى اللام مجازاً، وهو تكلّف لا داعي إليه.

وقوله: «إلّا طارقاً» أي حادثاً.

و «الباء» في «بخير» للملابسة أي ملتبساً بخير، مثلها في قوله تعالى: «اهبط بسلام منّا» (٦) قال الرضي: قيل ولا تكون بهذا المعنى إلّا مستقرّاً، والظاهر: أنّه لامنع من كونها لغواً (٧) *.

---

(١) سورة التكوير: الآية ١٤. راجع شرح الكافية في النحو: ج٢ ص١٤٥. (٢) لم نعثر عليه.

(٣) لم نعثر عليه بل وجدنا ما بمعناه من دون نسبة إلى الماوردي في النهاية لابن الأثير: ج٣ ص١٢١.

(٤) شرح الكافية في النحو: ج ١ ص ٢٧٢. (٥) شرح ابن عقيل: ج ٢ ص ٤٣.

(٦) سورة هود: الآية ٤٨. (٧) شرح الكافية في النحو للرضي: ج ٢ ص ٣٢٧.

وَتَبعَثُهُم بِهاعَلى اعْتِقادِ حُسْنِ الرّجاءِ لَكَ ، وَالطَّمَعِ فِيما عِندَكَ ، وَتَرْكِ التُّهَمَةِ فِيما تَحْوِيهِ أيْدِي العِباد.

بعثه على الشيء: حمله على فعله.

واعتقدت كذا: عقدت عليه القلب والضمير، حتّى قيل: العقيدة ما يدين الإنسان به.

والرجاء بالمدّ: الأمل.

قال بعض المحقّقين: وحقيقته ارتياح النفس لانتظار ما هو محبوب عندها فهو حالة لها تصدر عن علم وتقتضي عملاً، بيان ذلك: إنّ ما تتصوّره النفس من محبوب أو مكروه: إمّا أن يكون موجوداً في الماضي أو الحال أو يوجد في الاستقبال، والأوّل يسمّى ذكراً وتذكّراً، والثاني يسمّى وجداً لوجدان النفس له في الحال، والثالث وهو أن يغلب على ظنّك وجود شيء في الاستقبال لنفسك به تعلّق فيسمّى ذلك انتظاراً وتوقّعاً فإن كان مكروهاً حدث منه في القلب تألّم يسمّى خوفاً، وإن كان محبوباً حصل من انتظاره وتعلّق القلب به لذّة للنفس وارتياح بإخطار وجوده بالبال يسمّى ذلك الارتياح رجاء، ولكن ذلك المتوقّع لابدّ أن يكون لسبب، فإن كان توقّعه لأجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء صادق عليه، وإن كان انتظاره مع العلم بانتفاء أسبابه فاسم الغرور والحمق عليه أصدق، وإن كانت أسبابه غير معلومة الوجود ولا الانتفاء فاسم التمنّي أصدق على انتظاره.

واعلم: أنّ الرجاء لثواب الله و رحمته والفوز بالسعادات الأُخرويّة مقام شريف مستلزم لمقامات عالية لأنّه يستلزم الصبر على المكاره وفعل الطاعات وترك المنهيّات لعلمه بأنّ الجنّة حُفّت بالمكاره والنار حُفّت بالشهوات، ومقام الصبر يؤدّي إلى مقام المجاهدة والتجرّد لذكر الله تعالى و دوام الفكر فيه، ومقام المجاهدة يؤدّي إلى مقام كمال المعرفة المؤدّي إلى مقام الأُنس المؤدّي إلى مقام المحبّة المستلزم لمقام الرضا والتوكّل، إذ من ضرورة المحبّة الرضا بفعل المحبوب وتفويض نفسه وأمره إليه

....

والوثوق بعنايته، ولذلك قيل: الرجاء لاينفكّ عن الأعمال الصالحة.

وقيل: الرجاء مادّة الاستهتار بلزوم الطاعة، ويدلّ عليه ما روي عن الصادق عليه السّلام: قيل له: إنّ قوماً من مواليك يلمّون بالمعاصي ويقولون نرجو فقال: كذبوا ليسوا لنا بموال، أُولئك قوم ترجّحت بهم الأمانيُّ، من رجا شيئاً عمل له، ومن خاف من شيء هرب منه (١).

وفي خطبة لأميرالمؤمنين عليه السّلام: «زعم أنّه يرجو الله، كذَب والعظيم، ما له لايتبيَّن رجاؤه في عمله، وكلّ من رجا عُرِفَ رجاؤه في عمله» (٢) .

ومن ثمّ قالوا: الرجاء من الفضائل إذا قارنه خوف، لأنّ كلّ واحد منهما من دون الآخر من **الملكات الردية** المهلكة كما يرشد إليه قوله تعالى: «يدعون ربّهم خوفاً وطمعاً» (٣) .

وقول الباقر عليه السّلام: إنّه ليس من عبد مؤمن إلّا وفي قلبه نوران: نور خيفة ونور رجاء، لووزن هذا لم يزد على هذا، ولو وزن هذا لم يزد على هذا (٤) .

وقول بعض العارفين: من حمل نفسه على الرجاء تعطّل، ومن حمل نفسه على الخوف قنط، ولكنّه ينبغي أن يخاف العبد راجياً ويرجو خائفاً. وتقييده (عليه السّلام) الرجاء بالحسن في قوله: «حسن الرجاء» إشارة إلى ذلك.

وقوله: «لك» أي: لثوابك أو لرحمتك كقوله تعالى: «لمن كان يرجو الله» (٥) أي: رحمته، بدليل قوله سبحانه: «ويرجون رحمته» (٦) .

قوله عليه السّلام: «والطمع فيما عندك» طمع فيه وبه: من باب فرح طمعاً وطماعاً وطماعيّة مخفّفة: حرص عليه ورجاه، وأكثر ما يستعمل فيما يقرب حصوله.

(١) الكافي: ج ٢ ص ٦٨ ح ٦.
(٢) نهج البلاغة: **ص٢٢٥ خطبة ١٦٠.**
(٣) سورة السجدة: الآية ١٦.
(٤) الكافي: ج ٢ ص ٦٧ ح ١.
(٥) سورة الممتحنة: الآية ٦.
(٦) سورة الإسراء: الآية ٥٧.

....

والمراد بما عنده سبحانه خزائن رحمته الدنيويّة والأُخرويّة كما قال تعالى: «إنّ **ما عند اللّه هو خير لكم إن كنتم تعلمون، ما عندكم ينفد وما عند اللّه باق**» (١). أمّا الأُخرويّة فبقاؤها ظاهر، وأمّا الدنيويّة فحيث كانت موصولة بالأُخرويّة ومستتبعة لها فقد انتظمت في سمط الباقيات الصالحات، وبهذا يظهر أنّ هذه الفقرة ليست تكراراً للأُولى لاختصاص الأُولى بالرحمة الأُخرويّة وعموم هذه للدنيويّة والأُخرويّة معاً، فهي من قبيل عطف العامّ على الخاصّ.

قوله: «وترك التهمة فيما تحويه أيدي **العباد**» التهمة: على وزن رطبة، اسم من اتّهمته بكذا: إذا ظننت به. وسكون الهاء لغة حكاها الفارابي، وأصل التاء واو (٢) كما مرّ بيانه.

وحواه يحويه: ضمّه واستولى عليه، وحواه أيضاً: ملكه وجمعه كاحتواه واحتوى عليه.

وأيدي: جمع قلّة، ولامها محذوفة، والأصل يدي. قيل: بفتح الدال، وقيل: بسكونها، وجمع الكثرة: الأيادي. ولمّا كانت اليد من بين جوارح الإنسان مناط عامّة صنائعه ومدار أكثر منافعه عبّر بها تارةً عن النفس كما يقال: هو ملك يده أي: ملكه، وتارةً عن القدرة كما يقال: أخذته عن يد **أي عن قدرة** عليه، وتارةً عن الملك كما يقال: الدار في يد فلان أي: في ملكه، وتارةً عن التصرّف كما يقال: الأمر بيده أي: في تصرّفه.

والمراد بترك التهمة: إمّا ترك التهمة لله سبحانه في قضائه بسبب ما تحويه أيدي الناس من متاع الدنيا بأن يتّهموه بعدم العدل في القسمة إذا نظروا إلى خلوّ أيديهم عمّا جمعه وملكه غيرهم. كما رواه ثقة الإسلام في الكافي بإسناده عن أبي

---

(١) سورة النحل: الآية ٩٥ و ٩٦. (٢) المصباح المنير: ص ٩٢٩.

لِتَرُدَّهُمْ إِلى الرَّغْبَةِ إِلَيكَ وَالرَّهْبَةِ مِنْكَ.

الحسن الأوّل عليه السّلام قال: «ينبغي لمن عقل عن الله أن لايستبطئه في رزقه، ولايتّهمه في قضائه» (١).

وفي ذلك يقول الشاعر:

من لم يكن لله متّهماً   لم يمس محتاجاً إلى أحد

وقال آخر:

لا أقول الله يظلمني   كيف أشكو غير متّهم

أو ترك التّهمة للعباد فيما جمعوه وملكوه بأن يسيئوا الظنّ فيهم إذا منعوهم ما في أيديهم. كما رواه في الكافي أيضاً عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: «من صحّة يقين المرء المسلم أن لايرضي الناس بسخط الله، ولايلومهم على ما لم يؤته الله» (٢).

قال بعض العلماء: والنهي عن لومهم لوجوه:

الأوّل: أنّ لومهم ظلم لهم، لأنّهم لم يمنعوه بل الله لم يؤته ما سأل منهم.

الثاني: أنّ لومهم ينتهي إلى الله، لأنّه إنّما يُلام المانع من الإعطاء، ولامعطي ولامانع إلّا الله، فيرجع اللوم إليه.

الثالث: أنّ لومه للمانع من الخلق شرك، لأنّه اعتقد أنّه مانع له، فلامه وأشرك في المنع مع الله غيره.

وفي رواية ترك النَهمة بفتح النون وسكون الهاء أي: الشهوة.

قال في الأساس: «له في هذا الأمر نهمة أي: شهوة» (٣). والمعنى على هذه الرواية ظاهر*.

«اللام» للتعليل. قال ابن هشام: «وانتصاب الفعل بعدها بأن مضمرة بعينها وفاقاً للجمهور، لا بـ «أن» مضمرة أو بـ «كي» مصدريّة مضمرة خلافاً للسيرافي

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٦١ ح ٥. (٢) الكافي: ج ٢ ص ٥٧ ح٢. (٣) أساس البلاغة: ص ٦٦١.

....

و ابن كيسان، ولا بـ «اللام» بطريق الأصالة خلافاً لأكثر الكوفيّين، ولابها لنيابتها عن أنّ خلافاً لثعلب» (١) انتهى. ومتعلّقها قوله وتبعثهم.

و ردّه ردّاً: بمعنى صرفه، أي: لتصرفهم إلى الرغبة إليك، أي: الضراعة والمسألة لك. يقال: رغب إلى الله رغبة: إذا دعاه وسأله. و إذا عدّيت بـ «في» فهي بمعنى الإرادة، يقال: رغب فيه أي: أراده. أو بـ «عن» فهي بمعنى الكراهة، يقال: رغب **عنه**: إذا كرهه ولم يرده.

والرهبة: الخوف.

قال المحقّق الطوسي في أوصاف الأشراف: «هو تألّم النفس من العقاب بسبب ارتكاب المنهيّات والتقصير في الطاعات، كما في أكثر الخلق. وقد يحصل بمعرفة عظمة الحقّ ومشاهدة هيبته كما في الأنبياء والأولياء» (٢).

وفرّق بعض العارفين بين الخوف والرهبة فقال: «الخوف هو توقّع الوعيد، وهو سوط الله يقوّم به الشاردين عن بابه ويسيّرهم على صراطه حتّى يستقيم به **أمرمن** كان مغلوباً على رشده، ومن علامته قصر الأمل، وطول البكاء. والرهبة: هي انصباب إلى وجهة الهرب بل هي الهرب.

رهب وهرب: مثل جبذ وجذب، فصاحبها يهرب أبداً لتوقّع العقوبة. ومن علاماتها: حركة القلب إلى الانقباض من داخل وهربه وانزعاجه عن انبساطه حتّى أنّه يكاد أن يبلغ الرهابة في الباطن مع ظهور الكمد والكآبة على الظاهر» انتهى.

والرهابة كسحابة: عظم في **الصدر** مشرف على البطن*.

(١) مغني اللبيب: ص ٢٧٧.

(٢) أوصاف الأشراف: ص ٢٥، اعلم أنّ الكتاب فارسي فالمؤلّف ترجم قول الطوسي قدّس سرّه باللغة العربيّة.

وَتُزَهِّدَهُمْ في سَعَةِ العاجِلِ، وَتُحَبِّبَ إِلَيْهِمُ العَمَلَ لِلآجِلِ وَالاسْتِعداد لِما بَعْدَ المَوْتِ.

وَتُهَوِّنَ عَلَيْهِم كُلَّ كَرْبٍ يَحِلُّ بِهِمْ يَوْمَ خُروجِ الأنفُسِ مِن أبدانِها.

زهد في الشيء و زهد عنه أيضاً زهداً و زهادةً: تركه وأعرض عنه فهو زاهد، والجمع: زهّاد، ويتعدّى بالتضعيف فيقال: زهّدته فيه.

والعاجل: اسم فاعل من عجل عجلاً من باب تعب إذا أسرع **وحضر،ومنه:** العاجلة للساعة الحاضرة وهو صفة لموصوف محذوف أي: سعة المعاش العاجل، كما ورد في دعاء آخر: «ولا تشغل قلبي بدنياي وعاجل معاشي عن آجل ثواب آخرتي»(١) .

وتحبّب إليهم العمل: أي تجعله محبوباً لهم، ولمّا كان في التحبيب معنى إنهاء المحبّة و إيصالها إليهم، استعمله بكلمة إلى.

والآجل: فاعل من أجل الشيء أجلاً من باب تعب، وأجل أُجولاً من باب قعد لغة بمعنى تأخّر، ومنه: أجل الشيء لمدّته و وقته الّذي يحلّ فيه.

و «اللام»: للتعليل متعلّقة بالعمل، والموصوف محذوف أي: للثواب الآجل.

والاستعداد للأمر: التهيّؤ له، والمراد به هنا ترك المعاصي وفعل الطاعات ليصيروا بذلك بعد الموت ناجين من العذاب فائزين بجزيل **الثواب**،وفيه إشعار بتجرّد النفس الإنسانيّة و بقائها بعد الموت كما وردت به نصوص **كثيرةعنهم** عليهم السلام (٢) ✻.

تهوّن: أي تسهّل،من هان يهون هوناً بالفتح إذا لان وسهل فهو هيّن، ويعدّى بالتضعيف فيقال: هوّنته.

والكرب: الحزن والغمّ يأخذ بالنفس، وكربه الأمر من باب قتل: شقّ عليه،

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٥٨٨ ح ٢٦. (٢) بحار الأنوار: ج ٦ ص ١٢٤.

....

والكربة بالضمّ اسم منه.

وحلّ العذاب يحلّ حلولاً من باب ضرب وقعد: أي نزل، وأمّا حلّ بالبلد حلولاً فهو من باب قعد لاغير.

ويوم خروج الأنفس: أي وقت خروجها، فالمراد باليوم: مطلق الوقت كما تقدّم بيانه.

وأراد بكلّ كرب يحلّ بهم: غمرات الموت وسكراته التي هي أفظع من أن يحيط بها وصف أو يقوم ببيانها شرح، كما قال أميرالمؤمنين عليه السّلام في خطبة له: «وإنّ للموت لغمَرات هي أفظع من أن تستغرق بصفةٍ أو تعتدل على عقول أهل لدنيا» (١) أي: لا تستقيم على العقول فلا تصدّق بها لهولها وعظمها.

وروي أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله كان يقول في سكرات الموت: «اللّهمّ أعنّي على سكرات الموت» (٢).

قال بعض المحقّقين: وأمر يستعين عليه الرسول صلّى الله عليه وآله مع كمال اتّصاله بالعالم الأعلىٰ فلا شكّ في شدّته، والله المستعان.

تنبيه

ظاهر قوله عليه السّلام: «يوم خروج الأنفس من أبدانها» أنّ النفس داخلة في البدن فهي عند الموت تخرج منه، وهو بظاهره يؤيّد قول المنكرين لتجرّد النفس كالنظام (٣) القائل بأنّها أجسام لطيفة سارية في البدن سريان ماء الورد في

(١) نهج البلاغة: خطبة ٢٢١ ص ٣٤١. (٢) الدرّ المنثور: ج ٦ ص ١٠٥.

(٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار بن هاني البصري ابن أُخت أبي الهذيل العلاف شيخ المعتزلة، وكان النظام صاحب المعرفة بالكلام، أحد رؤساء المعتزلة، استاذ الجاحظ وأحمد بن الخالط، كان في أيّام ←

....

الورد (١). وجمهور المعتزلة القائلين بأنّها جسم لطيف بخاريّ يتكوّن من ألطف أجزاء الأغذية ينفذ في العروق الضوارب، والحياة عرض قائم بالنفس وحالّ فيها.

قالوا: وكيفيّة قبض ملك الموت للنفس أنّه يلج في فم الإنسان إلى قلبه لأنّه جسم لطيف هوائي لايتعذّر عليه النفوذ في المخارق الضيّقة فيخالط النفس التي هي كالشبيهة به لأنّها جسم لطيف بخاريّ ثمّ يخرج من حيث دخل والنفس معه، وإنّما يكون ذلك في الوقت الذي يأذن الله تعالى له فيه وهو حضور الأجل وهؤلاء نافون للنفس الناطقة، لكن أعاظم الحكماء **الإلٰهيّين**، وأكابر الصوفيّة العارفين (٢) كلّهم قائلون: بإثبات النفس الناطقة وتجرّدها عن عالم الأجسام، ووافقهم من متكلّمي الإسلام قدماء أصحابنا الإماميّة رحمهم الله كابن بابويه (٣) والشيخ المفيد (٤) والمرتضى علم الهدى (٥) وبني نوبخت (٦) حسب ما استفادوه من أئمّتهم المعصومين عليهم السّلام. ومن الأشاعرة: الغزالي (٧) والفخر الرازي (٨)، فذهبوا إلى أنّ النفس الناطقة موجود ليس بجسم ولاجسماني أي: حالّ في الجسم وهي التي يشير إليها كلّ واحد منّا بقوله أنا، وإنّها ليست بداخلة في البدن

هارون الرشيد، وقد ذكر جملة من كلماته وعقائده في كتاب الحسنية المعروف، وإيّاه عنى أبونؤاس بقوله:

فقل لمن يدّعي في العلم فلسفة حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء

والنظام: كشداد لُقّب به أبو إسحاق به لأنّه كان ينظم الخرز في سوق البصرة ويبيعها.

وقالت المعتزلة: إنّما سُمّي ذلك لحسن كلامه نثراً ونظماً.

(الكنىٰ والألقاب: ج ٣ ص ٢١١)

(١) بحارالأنوار: ج ٦١ ص ٧٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٦١ ص ٨٤.

(٣) بحار الأنوار: ج ٦١ ص ٧٨ - ٧٩ نقلاً عن رسالة العقائد.

(٤) بحار الأنوار: ج ٦١ ص ٧٩ و ٨٠ نقلاً عن شرح العقائد.

(٥) و (٦) و (٧) بحار الأنوار: ج ٦١ ص ٨٤ و ٨٦.

(٨) التفسير الكبير: ج ٢١ ص ٣٨.

....

ولاخارجة عنه بالمباينة ولامتّصلة به ولامنفصلة عنه لأنّ مصحّح الاتّصاف بهذه الأُمور الجسميّة والتحيّز وقد انتفيا عنها.

وليست أيضاً في جهة من الجهات بل منزّهة عن الاختصاص بالجهات والاتّصال بالأجسام والحلول فيها.

ولاهي عرض مطلقاً لأنّ العرض لايتّصف بصفة لأنّه نفس الصفة فلا يقبل صفة أُخرىٰ سيّما الصفة المقابلة كالعلم والجهل والشجاعة والجبن، وتعلّقها بالبدن إنّما هو كتعلّق العاشق بالمعشوق عشقاً جبلّيّاً إلهامياً لايمكن العاشق بسببه مفارقة معشوقه ما دامت مصاحبته ممكنة، ولذلك يكره مفارقته ولايملّه مع طول مصاحبته إيّاه، وكتعلّق الصانع بالآلات التي يحتاج إليها في أفعاله فكان من الواجب أن يكون لها بحسب كلّ فعل آلة مناسبة لذلك الفعل، فلذلك خلق في البدن قوى مختلفة كلّ واحدة منها آلة لفعل مخصوص كقوّة البصر للإبصار والسمع للسماع، فتبارك الله أحسن الخالقين.

وحقيقة الموت عند هؤلاء: هو انقطاع تعلّق النفس بالبدن وتصرّفها فيه لخروجه عن حدّ الانتفاء به، وكيفيّة قبض ملك الموت لها أنّه يتولّىٰ إفاضة العدم على قوىٰ هذا البدن حال انقطاع تعلّق النفس به، وعلى هذا فيكون خروج الأنفس عن أبدانها كناية عن مفارقتها لها وانقطاع تعلّقها بها.

ولمّا كانت النفس منغمسة منغمرة في عوارض البدن وعلائقه المادّية وملاحظتها إيّاه دائماً لا تنفكّ عن الالتفات إليه ما دامت متعلّقة به لسعيها في مصالح هذا المزاج وإصلاحه، وإعدادها إيّاه لتمام التصريف والاستعمال كانت كأنّها حالّة فيه حلول الساكن في الدار القائم بمصالحها، فعبّر عن إلقائها إيّاه وطرحها له وتخلّيها عنه بالخروج عنه، وفيه دلالة على أنّ النفس الإنسانيّة شيء غير هذا الهيكل المحسوس، لأنّ الخارج يجب أن يكون مغائراً للمخروج منه خلاف

وَتُعافِيَهُم مِمّا تَقَعُ بِهِ الفِتنَةُ مِن مَحذوراتِها.

وَكَبَّةِ النّارِ وَطُولِ الخُلودِ فيها.

الجمهور المتكلّمين القائلين بأنّ النفس هي الهيكل المخصوص، والله أعلم ﷺ.

عافاه الله من المكروه معافاةً وعافيةً: وهب له العافية، وهي دفاع الله عن العبد. تكون اسماً وتكون مصدراً وهو الأصل فيها، جاءت على فاعله، ومثله ناشئة الليل بمعنى نشوء الليل. والخاتمة بمعنى الختم، والعاقبة بمعنى العقب ومنه: «ليس **لوقعتها** كاذبة» (١) أي كذب.

و وقع الشيء: حصل و وجد والمكروه نزل، وأوقعه: أوجده وأحدثه كوقع به **مثل:** أذهبه وذهب به، فالباء للتعدية وهي المعاقبة للهمزة في تصيير الفاعل مفعولاً.

قال صاحب المحكم: «وقع بالأمر: أحدثه وأنزله» (٢).

و «من» بيان لما. والمعنى ممّا توقعه الفتنة من محذوراتها أي: تحدثه وتنزله، **ومن** جعل الباء للسببيّة ومن بيان للفتنة فقد أخطأ أو تعسّف.

والفتنة بالكسر: اسم عن فتنه يفتنه من باب ضرب، فتناً وفتوناً إذا امتحنه واختبره، وقد كثر استعمالها فيما أخرجه الاختبار للمكروه، ثمّ كثر حتّى استعمل بمعنى الضلال والإثم والكفر والفضيحة والعذاب والجنون والقتال والإحراق والإزالة والصرف عن الشيء، والمراد بها هنا المحنة.

والمحذورات: المخوفات، من حذر الشيء من باب تعب إذا خافه، فالشيء محذور أي مخوّف ﷺ.

كبّة الشيء بالفتح: شدّته وصدمته، يقال: جاءت كبّة الشتاء أي: شدّته.

وقال الزمخشريّ في الفائق: «كبّة النار: معظمها» (٣).

---

(١) سورة الواقعة: الآية ٢. (٢) المحكم لابن سيده: ج ٢ ص ١٩٧. ـ(٣) الفائق: ج١ ص ٣٣٨.

وَتُصَيِّرُهُم إلى أمنٍ مِن مَقيلِ المُتَّقِينَ.

وفي النهاية: «كبّة النار: صَدْمَتُها»(١).

وطال الشيء طولاً بالضمّ: امتدّ، ومنه طال الجلوس: إذا امتدّ زمانه.

وخلد بالمكان خلوداً من باب قعد: أقام فيه، وخلد في النعيم خلوداً أيضاً: بقى فيه أبداً، وهذا من قبيل نفي الشيء بنفي لازمه لأنّ الخلود يلزمه امتداد الزمان، فإذا نفاه فقد انتفى مطلق الخلود. والمراد: معافاتهم من الكون في النار مطلقاً *.

أي تنقلهم، من صار زيد غنيّاً إذا انتقل إلى حالة الغنى بعد أن لم يكن عليها، أو تجعل مصيرهم أي عاقبتهم ومآلهم من صار الأمر إلى كذا إذا آل إليه ورجع، يقال: مصيره إلى كذا: أي مرجعه ومآله.

والأمن: ضدّ الخوف، والمراد محلّ ذو أمن، جعله نفس الأمن مبالغة كقولهم: رجل عدل، فحذف الموصوف وأقام الوصف مقامه، نحو: «وعندهم قاصرات الطرف» (٢) أي: حور قاصرات الطرف، أو هو على حذف المضاف أي: محلّ أمن نحو: «واسئل القرية التي كنّا فيها والعير التي أقبلنا فيها» (٣) أي: أهل القرية وأهل العير.

وقوله: «من مقيل المتّقين» صفة له، أي: كائن من مقيل المتّقين.

والمقيل: اسم مكان من القيلولة وهي الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم.

وقيل: هي نوم نصف النهار، يقال: قال يقيل قيلاً وقيلولةً فهو قائل، ثمّ أُطلق على المكان الّذي يؤوى إليه راحة للاستراوح إلى الأزواج والتمتّع بمغازلتهنّ، لأنّ التمتّع به يكون وقت القيلولة غالباً، قال تعالى: «أصحاب الجنّة يومئذٍ خير مستقرّاً

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٤ ص ١٣٨.

(٢) سورة الصافّات: الآية ٤٨. (٣) سورة يوسف: الآية ٨٢.

....

وأحسن مقيلاً»(١) قال المفسّرون: المقيل: المكان الّذي يأوون إليه للاسترواح إلى أزواجهم والاستمتاع بمغازلتهنّ وملامستهنّ كحال المترفين في الدنيا ولانوم في الجنّة، وإنّما سمّي مكان دعتهم واسترواحهم إلى الحور مقيلاً على طريق التشبيه.

وعن ابن عبّاس: «لا ينتصف النهار من يوم القيامة حتّى يقيل أهل الجنّة في الجنّة وأهل النار في النار»(٢).

وعن سعيد بن جبير: «إنّ الله تعالى إذا أخذ في فصل القضاء قضى بينهم كقدر ما بين صلاة الغد(٣) إلى نصف النهار فيقيل أهل الجنّة في الجنّة وأهل النار في النار»(٤).

وقال مقاتل: يخفّف الحساب على أهل الجنّة حتّى يكون بمقدار نصف يوم من أيّام الدنيا ثمّ يقيلون يومهم ذلك في الجنّة(٥).

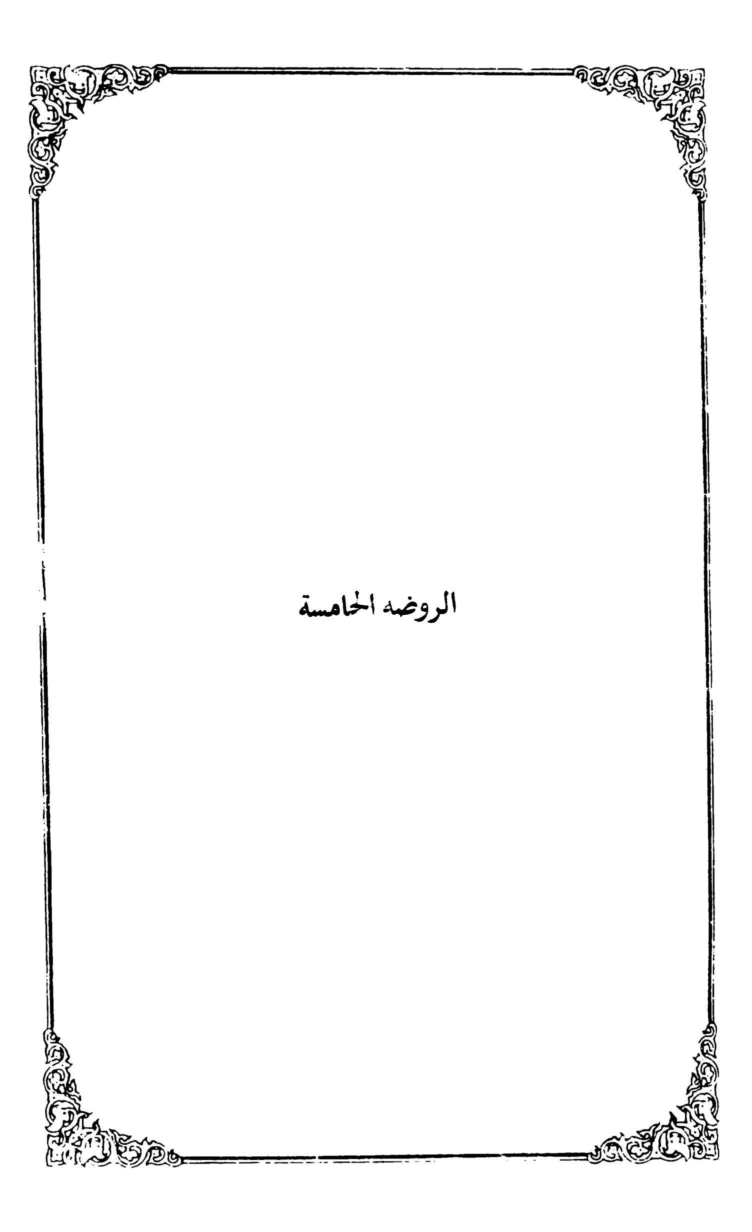
وإنّما ذكر المتّقين دون سائر أوصاف أهل الجنّة تلميحاً إلى الآية المذكورة، فإنّ أصحاب الجنّة فيها هم المتقون المشار إليهم في الآية الّتي قبلها بآيات من سورة الفرقان، وهي قوله تعالى: «قل أذلك خير أم جنّة الخلد الّتي وعد المتّقون كانت لهم جزاءً ومصيراً»(٦) كما نبّه عليه بعض متأخّري المفسّرين.

والمتقون: هم الّذين وقوا أنفسهم عمّا يضرّها في الآخرة من اعتقاد وخلق وعمل. وقد تقدّم الكلام على حقيقة التقوى، والله أعلم.

هذا آخر الروضة الرابعة من رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد العابدين وقد وفّق الله لإتمامه عصر يوم الأربعاء لسبع خلون من شهر ربيع الثاني سنة ستّ وتسعين وألف، والحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٢٤. (٢) مجمع البيان: ج ٧ - ٨ ص ١٦٧. (٣) في «ألف»: الغداة.
(٤) و(٥) التفسير الكبير للرازي: ج ٢٤ ص ٧٣. (٦) سورة الفرقان: الآية ١٥.



الروضه الخامسة

وكان من دعائه عليه السلام لنفسه وأهل ولايته

يا من لا تنقضي عجائب عظمته صل على محمد وآله واحجبنا عن
الإلحاد في عظمتك ويا من لا تنتهي مدة ملكه صل على محمد و
آله وأعتق رقابنا من نقمتك ويا من لا تفنى خزائن رحمته صل
على محمد وآله واجعل لنا نصيبا في رحمتك ويا من تنقطع
دون رؤيته الأبصار صل على محمد وآله وأدننا إلى قربك
ويا من تصغر عند خطره الأخطار صل على محمد وآله وكرمنا
عليك ويا من تظهر عنده بواطن الأخبار صل على محمد وآله
ولا تفضحنا لديك اللهم أغننا عن هبة الوهابين بهبتك و
اكفنا وحشة القاطعين بصلتك حتى لا نرغب إلى أحد مع بذلك
ولا نستوحش من أحد مع فضلك اللهم فصل على محمد وآله
وكد لنا ولا تكد علينا وامكر لنا ولا تمكر بنا وأدل لنا ولا تدل
منا اللهم صل على محمد وآله وقنا منك واحفظنا بك و
اهدنا إليك ولا تباعدنا عنك إن من تقه يسلم ومن تهده
يعلم ومن تقربه إليك يغنم اللهم صل على محمد وآله واكفنا

دُعاء ٥

حَدَثِ النَّوَائِبِ الزَّمَانِ وَشَرِّ مَصَائِدِ الشَّيْطَانِ وَمَرَارَةِ صَوْلَةِ السُّلْطَانِ

اَللّٰهُمَّ اِنَّمَا يَكْتَفِي الْمُكْتَفُوْنَ(١) بِفَضْلِ قُوَّتِكَ فَصَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّاٰلِهٖ

وَاكْفِنَا وَاِنَّمَا يُعْطِي الْمُعْطُوْنَ مِنْ فَضْلِ جِدَتِكَ فَصَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّ

اٰلِهٖ وَاَعْطِنَا وَاِنَّمَا يَهْتَدِي الْمُهْتَدُوْنَ بِنُوْرِ وَجْهِكَ فَصَلِّ عَلٰى

مُحَمَّدٍ وَّاٰلِهٖ وَاهْدِنَا اَللّٰهُمَّ اِنَّكَ مَنْ وَّالَيْتَ لَمْ يَضْرُرْهُ خِذْلَانُ

الْخَاذِلِيْنَ وَمَنْ اَعْطَيْتَ لَمْ يَنْقُصْهُ مَنْعُ الْمَانِعِيْنَ وَمَنْ هَدَيْتَ لَمْ

يُغْوِهٖ اِضْلَالُ الْمُضِلِّيْنَ فَصَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّاٰلِهٖ وَامْنَعْنَا بِعِزِّكَ مِنْ

عِبَادِكَ وَاَغْنِنَا عَنْ غَيْرِكَ بِاِرْفَادِكَ وَاسْلُكْ بِنَا سَبِيْلَ الْحَقِّ

بِاِرْشَادِكَ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّاٰلِهٖ وَاجْعَلْ سَلَامَةَ قُلُوْبِنَا

فِيْ ذِكْرِ عَظَمَتِكَ وَفَرَاغَ اَبْدَانِنَا فِيْ شُكْرِ نِعْمَتِكَ وَانْطِلَاقَ

اَلْسِنَتِنَا فِيْ وَصْفِ مِنَّتِكَ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّاٰلِهٖ وَ

اجْعَلْنَا مِنْ دُعَاتِكَ الدَّاعِيْنَ اِلَيْكَ وَهُدَاتِكَ الدَّالِّيْنَ عَلَيْكَ

وَمِنْ خَاصَّتِكَ الْخَاصِّيْنَ لَدَيْكَ يَا اَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ

(١) يكتفي الكفاة خ ل

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمدلله الّذي دعا إلى الطاعة لنفسه وأهل ولايته. والصلاة والسّلام على من انتقذ عباده من الضلال بهدايته. وعلى أهل بيته القائمين بأعباء وصايته، العاملين بروايه حكمه الشريف و درايته.

وبعد: فهذه الروضة الخامسة من رياض السالكين تتضمّن شرح الدعاء الخامس من أدعية صحيفة سيّد العابدين إملاء العبد الفقير إلى ربّه الغني علي الصدر الحسيني الحسنيّ، أصلح الله أعماله، وبلّغه في الدارين آماله.

شرح الدعاء الخامس

وَكانَ مِن دُعائِهِ عَليه السَّلامُ لِنَفسِه وَ أهلِ ولايته:

يا مَن لا تَنقَضي عَجائِبُ عَظَمَتِهِ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاحْجُبْنا عَن الإلحادِ في عَظَمَتِكَ .

النفس: ذات الشيء وحقيقته، وقد يقال للروح لأنّ نفس الحيّ به، وللقلب أيضاً لأنّه محلّ الروح أو متعلّقه، وللدم أيضاً لأنّ قوامها به، وللماء أيضاً لشدّة حاجتها إليه. والمراد هنا هو المعنى الأوّل لأنّ المقصود أنّ الدعاء مختصّ به عليه السّلام وبأهل ولايته الذين أشركهم معه فيه.

و أصل الأهل: القرابة ثمّ أطلق على من اختصّ بشيء واتّصف به كأهل البلد وأهل العلم، وهو هنا كذلك، إذ المراد بأهل ولايته من اتّصف بها.

والولاية بالفتح والكسر: المحبّة والنصرة.

وقيل: هي بهذا المعنى بالفتح وأمّا بالكسر فهي بمعنى الإمارة.

انقضى الشيء: فنى وتصرّم كتقضّى.

والعجائب: إمّا جمع عجيبة اسم من العجب. قال صاحب المحكم: «العُجب والعَجب إنكار ما يرد عليك لقلّة اعتياده. والاسم: العجيبة والأُعجوبة» (١) .

---

(١) المحكم لابن سيده: ج١ ص ٢٠٥.

....

وإمّا جمع عجيب، بمعنى معجب عند من قال إنّه يجمع على عجائب. وقيل: لايجمع.

قال الجوهري: «العجيب» الأمر يتعجّب منه، ولا يجمع عجب ولاعجيب، وقيل: جمع عجيب عجائب مثل أفيل وأفائل وتبيع وتبائع (١). انتهى.

وعرّف العجب بأنه تحيّر النفس فيما خفي سببه وخرج عن العادة مثله.

وقال الراغب: «العجب» حيرة تعرض للإنسان عند جهل سبب الشيء وليس هو شيئاً له في ذاته حالة بل هو بحسب الإضافات إلى من يعرف السبب وإلى من لايعرفه، ولهذا قال قوم: كلّ شيء عجب، وقال قوم: لاشيء بعجب (٢). انتهى.

وعظمته تعالى: عبارة عن كمال ذاته وعلوّ شأنه وجلالة قدره وكمال شرفه وشدّة غنائه عن الخلق ونهاية افتقارهم إليه في كلّ حال، ودوام تسلّطه وجريان حكمه على جميع ما سواه لكونه مبدأ شأن كلّ ذي شأن، ومنتهى سلطان كلّ ذي سلطان، فلا شأن أرفع من شأنه ولاسلطان أعظم من سلطانه.

واعلم: أنّ العظيم يطلق على كلّ كبير محسوساً كان أو معقولاً عيناً كان أو معنىً، وإذا استعمل في الأعيان فأصله أن يقال في الأجزاء المتّصلة، والكبير يقال في المنفصلة.

ثمّ قد يقال: في المنفصل عظيم نحو قولهم: جيش عظيم ومال عظيم. والعظيم المطلق هو الله سبحانه لاستيلائه على جميع الممكنات بالايجاد والافناء، وليست عظمته عظمة مقداريّة ولاعظمة عدديّة لتنزّهه عن المقدار والمقداريّات والكمّ والكمّيّات، بل هي عبارة عن كمال الذات والصفات، ومعنى عدم انقضاء

---

(١) الصحاح للجوهري: ج ١ ص ١٧٧. (٢) المفردات للراغب: ص ٣٢٢.

....

عجائبها أنّ كلّما تأمّلها الإنسان وأجال فيها النظر يجد في كمال قدرته وآثار حكمته الدالّة على جليل عظمته أُموراً معجبة لم يكن وجدها في بادي النظر، فإنّ عظمته جلّ شأنه لا تتناهى قدراً وعرفاناً، بل كلّما غاص العارف المتقرّب إليه في البحر الزاخر من عظمته، وعبر منزلاً من منازلها ازدادت عظمته في نفسه، وعلم منها فوق ما علم أوّلاً، وهكذا حتّى يكمل عقد يقينه بذلك، ويبلغ إلى غاية ما يتصوّر له من منازلها فينادي بالعجز عن معرفته مقرّاً بعلوّ عظمته كما نطق به لسان سيّد الأنبياء وأشرف الأوصياء صلوات الله عليهما وعلى أبنائهما الطاهرين.

وبدأ الدعاء بالصلاة على النبيّ وآله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لما روي عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «إذا كانت لك إلى الله حاجة فابدأ بمسألة الصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وآله ثمّ سل حاجتك، فإنّ الله أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضي إحداهما ويمنع الأُخرى» (١).

وحجبه حجباً ـ من باب قتل ـ: منعه، ومنه قيل للستر: حجاب لأنّه يمنع من المشاهدة. وقيل للبوّاب: حاجب لأنّه يمنع من الدخول. أي: امنعنا عن الإلحاد بحسم أسبابه وعدم الإعداد له وإلّا فقد وقع المنع عنه بالنواهي. وأصل الإلحاد: الميل والعدول عن الشيء، ومنه: «لسان الذي يلحدون إليه أعجمي» (٢) أي: يميلون ويشيرون إليه، ثمّ خصّ بالطعن في الدين يقال: لحد الرجل في الدين لحداً وألحد إلحاداً: إذا طعن كأنّه مال وعدل إلى غيره فطعن فيه.

وقال أبو عبيدة: «ألحد إلحاداً»: جادل وماري. و«لحد» (٣): جار وظلم. و«ألحد في الحرم» بالألف: استحلّ حرمته وانتهكها (٤).

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٣٦١ ص ٥٣٨.
(٢) سورة النحل: الآية ١٠٣.
(٣) في «ألف»: أو لحد.
(٤) المصباح المنير: ص ٧٥٥.

وَيا مَن لا تَنْتَهي مُدَّةُ مُلْكِهِ صَلِّ عَلى مُحَمّدٍ وَآلِهِ وَاعْتِقْ رِقابَنا مِن نَقِمَتِكَ.

والإلحاد في عظمته تعالى: إمّا بمعنى الميل والعدول عن الحقّ فيها، أو بمعنى المماراة والمجادلة فيها، أو انتهاك حرمتها بارتكاب المعاصي والإعراض عن مراقبتها، والله أعلم *.

انتهى الأمر: بلغ النهاية وهي أقصى ما يمكن أن يبلغه.

والمدّة - بالضمّ -: البرهة من الزمان، تقع على القليل والكثير، والجمع: مدد كغرفة وغرف.

والملك - بضمّ الميم -: اسم من ملك على الناس أمرهم إذا تولّى السلطنة فهو ملك بكسر اللام، وتخفّف بالسكون، والجمع: ملوك.

وملكه سبحانه: عبارة عن سلطانه القاهر واستيلائه الباهر وغلبته التامّة وقدرته على التصرّف الكلّي في الأمور العامّة بالأمر والنهي. ونفي الانتهاء عن مدّته من باب نفي الشيء بنفي لازمه مبالغة في النفي، أي لامدّة لملكه فلا انتهاء لها، كقوله: ولا ترى الضبّ بها ينجحر أي: لاضبّ فلا انجحار. وقد تقدّم بيان ذلك في دعاء التحميد عند قوله عليه السّلام: «حمداً لامنتهى لحدّه، ولاحساب لعدده» (١) فليرجع إليه.

واعتق العبد إعتاقاً: حرّره فهو معتق على قياس الباب، ولايتعدّى بنفسه فلا يقال: عتقته، ولايجوز عبد معتوق لأنّ مجيء مفعول من أفعلت شاذّ مسموع لايقاس عليه.

والرقاب: جمع رقبة وهي مؤخّر أصل العنق.

وقيل: إنّ اشتقاقها من المراقبة، و ذلك أنّ مكانها من البدن مكان الرقيب

(١) رياض السالكين: ج١ ص٤٠١.

و يا مَن لا تَفنىٰ خَزائِنُ رَحمتِهِ صَلِّ عَلى مُحَمّد وَآلِهِ، وَاجْعَلْ لَنا نَصيباً في رَحْمَتِكَ.

المشرف على القوم، ولهذا يقال للمملوك رقبة كأنّه يراقب العذاب، ولايقال له عنق.

وقال ابن الأثير: «قد تكرّرت الأحاديث في ذكر الرقبة وعتقها وتحريرها وفكّها، وهي في الأصل العنُقُ فجعلت كناية عن جميع ذات الإنسان تسمية للشيء ببعضه، فإذا قال: اعتق رقبة فكأنّه قال: أعتق عبداً أو أمة، ومنه قولهم: «دينه في رقبته»(١) انتهى.

قال الزمخشري في الأساس: «ومن المجاز هذا الأمر في رقابكم وفي رقبتك، والموت في الرقاب، وأعتق الله رقبته وأوصىٰ ماله في الرقاب»(٢) انتهى.

قال بعضهم: و إنّما أُقيمت الرقبة مقام جميع ذات الإنسان لموته بضربها، كما أُقيم الرأس مقامه في قولهم: فلان يملك كذا رأساً من الرقيق لموته بقطعه أيضاً، ولايلزم من ذلك إطلاق العنق عليه لأنّه من قبيل وجه المناسبة للتسمية وهو لايلزم اطّراده.

والنقمة: على وزن كلمة وتخفّف بإسكان العين مع كسر الفاء فيقال: نقمة كسدرة: وهي اسم من انتقمت منه إذا عاقبته والمراد بإعتاق الرقاب منها: إطلاقها وتخليصها منها كما يطلق العبد من قيد الرق بتحريره، والله أعلم *.

فنىٰ المال يفنىٰ من باب تعب، وفي لغة من باب منع: عَدُمَ، ويعدّى بالهمزة فيقال: أفنيته.

والخزائن: جمع خزانة وهي ما يخزن فيه الشيء كالمخزن، وخزنت الشيء خزناً من باب قتل: أحرزته بحيث لا تصل إليه الأيدي وجعلته في المخزن.

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ٢٤٩. (٢) أساس البلاغة: ص ٢٤٤.

وَيا مَن تَنْقَطِعُ دُونَ رُؤْيَتِهِ الأبْصارُ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَدْنِنا إلَى قُرْبِكَ.

شبّه رحمته تعالى بالشيء النفيس الذي يحرز ويخزن استعارة بالكناية فأثبت له الخزائن استعارة تخييليّة، وجاء بالخزائن بلفظ الجمع اشعاراً بأنّ رحمته لوفورها لايكفي في إحرازها خزانة واحدة، بل لابدّ له من خزائن متعدّدة.

قال المفسّرون في تفسير قوله تعالى: «قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي» (١) أي: أرزاقه وسائر نعمه على خلقه، وقد تقدّم معنى الرحمة لغةً ووجه إطلاقها عليه سبحانه في شرح الدعاء الأوّل (٢) فليرجع إليه.

والنصيب: الحصّة والجمع: أنصبة وأنصباء ونصب أيضاً بضمّتين أي: اجعل لنا حصّة في رحمتك وإنّما سأل نصيباً منها لحصول الغرض به إذ أدنى حصّة منها يستغرق العالم نعمةً وعفواً كما قيل:

قليل منك يكفيني ولكن قليلك لايقال له قليل

و «في»: من قوله عليه السلام «في رحمتك» إمّا للظرفيّة المجازيّة أو بمعنى «من»، نحو قوله تعالى: «ويوم نبعث في كلّ أُمّةٍ شهيداً» (٣) أي: منهم بدليل الآية الأُخرى*.

تنقطع: أي تقف فلم تمض. قال صاحب المحكم: «إنقطع كلامه»: وقف فلم يمض (٤).

و دون رؤيته أي: قبل الوصول إليها، ومنه: إذا ركع المصلّي دون الصف: أي قبل وصوله إلى الصف كره.

وقد تقدّم الكلام على امتناع رؤيته سبحانه، في شرح الدعاء الأوّل عند قوله

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١٠٠.
(٢) رياض السالكين: ج١ ص٣٧٨.
(٣) سورة النحل: الآية ٨٩.
(٤) المحكم لابن سيده: ج ١ ص ٩٠.

وَ يا مَن تَصْغُرُ عِنْدَ خَطَرِهِ الأخْطارُ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَكَرِّمْنا عَلَيكَ .

عليه السّلام: «الذي قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين» (١). فليرجع إليه.

و دنا منه و دنا إليه يدنو دنوّاً: قرب، ويتعدّى بالهمزة فيقال: أدناه يدنيه.

وقربك أي: القرب منك، وليس المراد القرب المكاني لتنزّهه تعالى عن المكان بل قرب المنزلة والرتبة منه. وفي الحديث: «من تقرّب إليّ شبراً تقرّبت إليه ذراعاً» (٢) .

قال ابن الأثير: «المراد بقرب العبد إلى الله تعالى: القرب بالذكر والعمل الصالح لا قرب الذات والمكان لأنّ ذلك من صفات الأجسام، والله يتعالى عن ذلك ويتقدّس. والمراد بقرب الله من العبد: قرب نعِمه وألطافِه منه وبِرّه وإحسانه إليه وترادُفِ مِنَنه عنده وفيْض مَواهِبه عليه» (٣) انتهى *.

صغر الشيء على وزن كرم صغراً وزان عنب: خلاف عظم، وصغر في عيون الناس ككرم أيضاً ذهبت مهابته فهو صغير، ومنه يقال: جاء الناس صغيرهم وكبيرهم أي: من لاقدر له ولامنزلة ومن له قدر وجلالة، وهذا المعنى هو المراد هنا.

وأمّا المعنى الأوّل فهو مختصّ بالجرم، وأمّا الصغار بمعنى الذلّ والهوان فهو وإن ناسب معناه في هذا المقام إلّا أنّ المسموع في فعله صغر من باب تعب. والرواية في الدعاء تصغر بالضمّ فلا تساعد هذا المعنى.

وخطر الرجل بالتحريك: قدره ومنزلته، والجمع: أخطار كسبب وأسباب، يقال منه: خطر الرجل خطراً كشرف شرفاً إذا ارتفع قدره ومنزلته فهو خطير، والخطر أيضاً: الإشراف على الهلاك وخوف التلف، والجمع: أخطار أيضاً، ويأتي بمعنى العوض، ومنه الحديث: «الجنّة لاخطر لها» (٤) أي: لاعوض لها. والمراد

(١) رياض السالكين: ج١ ص٢٤٤.

(٢) سنن ابن ماجة: ج ٢ كتاب الأدب ص ١٢٥٥.

(٣) النهاية لابن الأثير: ج ٤ ص ٣٢. (٤) سنن ابن ماجة: ج ٢ ص ١٤٤٨ ح ٤٣٣٢.

وَيا مَنْ تَظْهَرُ عِنْدَهُ بَواطِنُ الأخبارِ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَلا تَفْضَحْنا عِنْدَكَ .

ـ هنا: المعنى الأوّل، والقول باحتمال غيره تعسّف لاداعي إليه.

وكرّمه: عظّمه وعزّزه، يقال: كرّم علينا فلان كرامة. أي: عزّ، وله علينا كرامة أي: عزازة أي: واجعلنا مكرمين عليك عزيزين لديك .

و «على»: للإستعلاء مجازاً، إذ الحقيقي إنّما هو الحسّي، مثلها في قوله تعالى: «كتب على نفسه الرحمة» (١) . أي: أوجبها بطريق التفضّل والإحسان على ذاته المقدّسة، فكأنّه عليه السّلام قال: وأوجب كرامتنا عليك تفضّلاً وإحساناً.

والظاهر انّ هذا التكريم المطلوب غير التكريم المذكور في قوله تعالى: «ولقد كرّمنا بني آدم» (٢) إذ ذلك واقع بل المراد به تكريم أخصّ منه عاجلاً وآجلاً، أو هو من قبيل بسط الكلام مع المحبوب، فليس الغرض حصول مضمونه فلا يضرّكون مضمونه واقعاً كما في قوله تعالى: «ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا» (٣) فإنّه حاصل بقوله تعالى: «لا يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إلّا وُسْعَها» (٤) وحيث إنّ الكلام مع المحبوب أمر لذيذ مطلوب اقتضى الكلام تطويله كما قاله علماء المعاني في قول موسى عليه السّلام: «هِيَ عَصايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْها وَأَهُشُّ بِها عَلى غَنَمي وَلِيَ فِيها مَآرِبُ اخرى» (٥) *.

ظهر الشيء يظهر ظهوراً: تبيّن.

والبواطن: جمع باطن اسم فاعل من بطن الشيء يبطن من باب قتل خلاف ظهر.

والأخبار: جمع خبر وهو اسم لما ينقل ويتحدّث به.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٢.
(٢) سورة الإسراء: الآية ٧٠.
(٣) و (٤) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.
(٥) سورة طه: الآية ١٨.

....

قال بعض العلماء: ظهور الأشياء: هو انكشافها للحسّ أو للعقل انكشافاً بيّناً، ويقابله بطونها أي: خفاؤها عن أحدهما.

ولمّا ثبت أنّه تعالى منزّه عن الجسميّة ولواحقها علم أنّ المراد بظهور الأشياء عنده علمه بها، إذ كلّ ممكن وإن خفي على غيره فهو ظاهر في علمه. فظهور البواطن عنده عبارة عن علمه سبحانه بخفيّات الأُمور ومضمرات السرائر، فعلمه نافذ في كلّ مستتر وغائب بحيث لايستره ساتر ولايحجبه حاجب حتّى أنّه يعلم ما دقّ من عقائد القلوب وأسرار الصدور وخطرات الخواطر.

و إنّما عبّر عن علمه تعالى **بعدم الخفاء** في قوله: «إنّ الله لايخفى عليه شيء في الأرض ولافي السماء»(١) وقوله: «وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء»(٢) إيذاناً بأنّ علمه تعالى بمعلوماته وإن كانت في أقصى الغايات الخفيّة ليس من شأنه أن يكون على وجه يمكن أن يقارنه شائبة خفاء بوجه من الوجوه كما في علوم المخلوقين بل هو في غاية الوضوح والجلاء.

و إنّما خصّ البواطن بالذكر دون الظواهر لأنّ من ظهر عنده الباطن فظهور الظاهر أولى، أو لأنّ ما من شيء يظهر إلّا وهو أو مباديه قبل ذلك باطن، فكان الباطن أصلاً للظاهر، فذكر الأصل وإن كان علمه تعالى بهما في الحقيقة على السواء فإنّ علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كلّ شيء في نفسه علم بالنسبة إليه تعالى، فإذا كان علمه بهذا المعنى لاتختلف الحال بين الأشياء البارزة والكامنة.

و فضحته فضحاً من باب نفع: كشفته.

قال الفيّومي في المصباح: وفي الدعاء: «لا تفضحنا بين خلقك» أي: استر

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٥. (٢) سورة إبراهيم: الآية ٣٨.

اَللّهُمَّ اَغْنِنا عَن هِبَةِ الوَهّابِينَ بِهِبَتِكَ. وَاكْفِنا وَحْشَةَ القاطِعِينَ بِصِلَتِكَ.

عيوبنا ولا تكشفها، ويجوز أن يكون المعنى: اعصمنا حتّى لانعصي فنستحقّ الكشف (١) انتهى.

وفي القاموس: «فضحه كمنعه: كشف مساويه فافتضح، والاسم: الفضيحة» (٢).

ولاشك أنّ المراد بسؤال عدم الفضيحة هنا سؤال العصمة عنها وحسم أسبابها وعدم الإعداد لها، وقوله: «عندك» يعيّن هذا المعنى *.

أغننا: من الغناء بالفتح والمدّ على وزن كلام بمعنى الاكتفاء يقال: غنيت بكذا عن غيره من باب تعب إذا استغنيت به، والاسم: الغنية بالضمّ فأنا غنيّ به، ويتعدّى بالهمزة فيقال: أغنيته.

والهبة: العطيّة بلا عوض، أصلها وهب، حذفت الواو وعوّضت الهاء عنها.

قال بعض العلماء: الهبة هي العطيّة الخالصة عن الأعواض والأغراض، فاذا كثرت العطايا والصِلات سُمّي صاحبها وهّاباً. ولايتحقّق معنى الهبة إلّا في الله تعالى لأنّه وهب كلّ محتاج ما يحتاج من غير عوض *.

كفى: تستعمل متعدّية لواحد ومتعدّية لاثنين، فالأولى بمعنى: أجزأ وأغنى تقول: كفاني الشيء أي: أغناني، والثانية بمعنى: وقى كقوله تعالى: «وكفى الله المؤمنين القتال» (٣) أي: وقاهم.

وقيل: هي في الآية بمعنى أغنى أيضاً أي: أغناهم عن القتال، وتستعمل بهذا المعنى متعدّية لواحد ومتعدّية لاثنين، وكلا المعنيين صحيحان هنا، إذ يصحّ أن يفسّر قوله عليه السّلام: «اكفنا» بمعنى: أغننا عن وحشة القاطعين، وبمعنى: قنا وحشة القاطعين.

---

(١) المصباح المنير: ص ٦٥٠. (٢) القاموس المحيط: ج ١ ص ٢٤٠. (٣) سورة الأحزاب: الآية ٢٥.

حَتّى لانَرْغَبَ إلى أحَدٍ مَعَ بَذْلِكَ ، وَلانَسْتَوْحِشَ مِن أحَدٍ مَعَ فَضْلِكَ .

والوحشة: الانقطاع وبعد القلوب من المودّات، وهو المراد هنا.

وقال الجوهري: «الوحشة: الخلوة والهم» (١).

والمعنى الثاني صحيح هنا أيضاً دون الأوّل وهي من الوحش وهو مالايستأنس من دوابّ البرّ.

والقاطعين: جمع قاطع من القطيعة ضدّ الصلة، يقال: قطع فلان صديقه قطيعة: إذا هجره، وقطع رحمه قطيعة: إذا هجرها وصدّ عنها، وذلك بترك البرّ والإحسان إليها.

والصلة: ضدّ القطيعة. والباء في الفقرتين من قوله عليه السّلام: «بهبتك وبصلتك»: للسببيّة. والمراد بصلته تعالى: برّه وإحسانه، ورحمته مأخوذ من صلة الرحم.

قال ابن الأثير: «وهي كناية عن الإحسان إلى الأقربين، من ذوي النسب والأصهار، والتعطّف عليهم والرفق بهم، والرعاية لأحوالهم، وكذلك إن بعدوا أو أساءوا، وقطع الرحم ضدّ ذلك كلّه يقال: وصل رحمه يصلها وصلاً وصلةً، والهاء فيها عوض من الواو المحذوفة، فكأنّه بالإحسان إليهم قد وصل ما بينه وبينهم من علاقة القرابة والصهر» (٢) انتهى *.

«حتّى» هذه بمعنى «كي» التعليليّة أي: كي لانرغب، مثلها في قوله تعالى: «هم الذين يقولون لا تُنفِقوا على مَن عِندَ رسولِ الله حتّى ينفضُّوا» (٣) وقولك: أسلم حتّى تدخل الجنّة.

و رغب إليه رغباً محرّكة: سأله.

---

(١) الصحاح للجوهري: ج ٣ ص ١٠٢٥.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج ٥ ص ١٩١. (٣) سورة المنافقون: الآية ٧.

اللّهُمَّ صَلِّ على مُحمّدٍ وَآلِهِ وَكِدْ لَناولا تَكِدْ عَلينا،وَامْكُرْ لَنا وَلا تَمكُرْ بِنا

والبذل: العطاء.

واستوحش: وجد الوحشة. ومع بذْلِك: متعلّق بنرغب ومع فضلك: متعلّق بنستوحش.

والفضل: الخير والإحسان والإفضال *.

الكيد والمكر: الخديعة وهي أن تُري غيرك أنّك تفعل شيئاً ثمّ تفعل خلافه.

قال بعض العلماء: «الكيد إرادة مضرّة الغير خفيّة وهو من الخلق الحيلة السيّئة، ومن الله تعالى التدبير بالحق بمجازات أعمال الخلق، والمكر من جانب العبد إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لايشعر، ومن جانب الحقّ هو إرداف النعم مع المخالفة وإبقاء الحال مع سوء الأدب وإظهار الكرامات من غير جهد» انتهى.

وقيل: المراد بكيده تعالى ومكره: صرف الكيد والمكر أو جزاء أهلهما. والتسمية من باب المشاكلة.

وقال المفسّرون في قوله تعالى: «وكذلك كدنا ليوسُف» (١) أي: علّمناه الكيد وأوحينا به إليه.

قال بعضهم: والكيد مبدأه السعي في الحيلة والخديعة، ونهايته إلقاء الإنسان من حيث لايشعر في أمرٍ مكروه لاسبيل إلى دفعه. وأمثال هذه الألفاظ في حقّه تعالى محمولة على النهايات لاعلى البدايات، انتهى.

وقال ابن الأثير في حديث الدعاء «اللهمّ امكر لي ولا تمكر بي»: مكر الله: إيقاع بلائه بأعدائه دون أوليائه، وقيل: هو استدراج العبد بالطاعات فيتوهّم أنّها مقبولة وهي مردودة والمعنى: ألحِق مكرك بأعدائي لا بي(٢) انتهى.

---

(١) سورة يوسف: الآية ٧٦.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج ٤ ص ٣٤٩.

وَ أدِلْ لَنا وَلا تُدِلْ مِنّا.

وكلّ من هذه المعاني المذكورة للكيد والمكر منه سبحانه يمكن حمل معنى الدعاء عليه كما لايخفى.

و «على»: من قوله: «علينا» للاستعلاء المعنوي.

قال ابن مالك: «ومنه المقابلة للام المفهمةمايحبّ (١) **كقوله:فيوم** علينا ويوم لنا» انتهى *.

أدل لنا: من الدولة بالفتح.

قال الجوهري: «الدولة في الحرب: أن تدال إحدىٰ الفئتين على الأُخرىٰ، يقال: كانت لنا عليهم الدَوْلَة، والجمع: الدول، والدولة بالضمّ، في المال. يقال: صار الفيء دولة بينهم يتداولونه يكون مرّة لهذا ومرّة لهذا، والجمع: دولات و دُولٌ، وقال أبوعبيد: الدولة بالضم: اسم الشيء الذي يتداول به بعينه، والدولة بالفتح: الفعل، وقال بعضهم: الدُولَةُ والدَولَةُ لغتان بمعنىٰ. وقال محمّد بن سلام الجمحي: سألت يونس عن قول الله تعالى: «كي لايكونَ دولَةً بين الأغنياءِ **منكم**» (٢) فقال: قال أبوعمرو بن العلاء: الدولة بالضمّ في المال، والدولة بالفتح في الحرب. وقال عيسى بن عمر: كلتاهما تكون في الحرب والمال سواء، وقال يونس: أمّا أنا فوالله ما أدري ما بينهما. وأدالنا الله من عدوّنا من الدولة. والإدالة: الغلبة، يقال: اللهمّ أدلني على فلان وانصرني عليه» (٣) انتهى كلام الجوهري.

وقال ابن الأثير: الإدالة: الغلبة، يقال: أُديل لنا على أعدائنا أي: نُصِرْنا عليهم، وكانت الدولة لنا. والدولة: الإنتقال من حال الشدّة إلى حال الرخاء، ومنه حديث أبي سفيان وهرقل: «نُدالُ عليه ويُدال علينا» أي نغلبه مرّة ويغلبنا

---

(١) في «ألف»: مايجب.

(٢) سورة الحشر: الآية ٧.

(٣) الصحاح للجوهري: ج ٤ ص ١٦٩٩.

اللّـهُمَّ صَـلِّ على مُحَمّدٍ وَآلِهِ وَقِنـا مِنـكَ.وَاحْفَظْنـا بِكَ،وَاهْـدِنا إِلَيْكَ، وَلا تُباعِدْنا عَنْكَ.

أُخرىٰ (١) انتهى.

قال الزمخشري في الفائق في حديث الحجّاج: «يوشك أن تدال الأرض منّا» أي: يجعل للأرض الكرّة علينا، تقول: أدال الله زيداً من عمرو مجازه نزع الله الدولة من عمرو فآتاها زيداً وفي أمثالهم: «يدال من البقاع كما يدال من الرجال» أي: تؤخذ منها الدول (٢) انتهى.

وقال في الأساس: «أدال الله بني فلان من عدوّهم»: جعل الكرّة لهم عليه (٣).

إذا عرفت ذلك، فمعنى الدعاء: اجعل الدولة والكرّة لنا على عدوّنا، ولا تنزعها منّا فتؤتيها غيرنا، والله أعلم *.

وقيت الشيء أقيه وقياً ووقاية: إذا صنته وحفظته من الأذىٰ.

قيل: معناه وقنا من عذابك وسخطك، وهو مثل قوله صلّى الله عليه وآله: «أعوذ بك منك» (٤).

وقال بعض العارفين في قوله عليه السّلام في سجوده: «أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك» إنّه حين أمر بالقرب في قوله تعالى: «واسجد واقترب» (٥) قال في سجوده: «أعوذ بعفوك من عقابك» وهو كلام عن مشاهدة فعل الله، فاستعاذ ببعض أفعاله من بعض، والعفو كما يراد به صفة العافي قد يُراد به الأثر الحاصل عن صفة العفو في المعفوّ عنه كالخلق والصنع، ثمّ لمّا قرب فغنىٰ عن مشاهدة الأفعال وترقّى إلى مصادرها وهي

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ١٤١. (٢) الفائق: ج ١ ص ٤٤٦. (٣) أساس البلاغة: ص ١٩٨.
(٤) سنن الترمذي: ج ٥ ص ٥٦١ ح ٣٥٦٦. (٥) سورة العلق: الآية ١٩.

إنَّ مَن تَقِهِ يَسْلَمْ، وَمَنْ تَهدِهِ يَعْلَمْ، وَمن تُقرِّبْهُ إِلَيكَ يَغنَم

الصفات قال: «وأعوذ برضاك من سخطك» وهما صفتان متضادّتان، ثمّ لمّا رأى ذلك نقصاناً في التوحيد اقترب وترقّى عن مشاهدة الصفات إلى ملاحظة الذات فقال: «وأعوذ بك منك» وهذا فرار إليه منه مع قطع النظر عن الأفعال والصفات فهذه ثلاث مراتب والمرتبة الثالثة هي أوّل مقام الوصول إلى ساحة العزّة ثمّ للسباحة في لجّة الوصول درجات أُخر لا تتناهى، ولذلك لمّا ازداد صلّى الله عليه وآله قرباً قال: «لا أُحصي ثناءً عليك» فكان ذلك حذفاً لنفسه عن درجة الاعتبار في ذلك المقام، واعترافاً منه بالعجز عن الإحاطة بما له من صفات الجلال ونعوت الكمال، وكان قوله بعد ذلك: «أنت كما أثنيت على نفسك» كمالاً للإخلاص، وتجريداً للكمال المطلق الّذي به هو هو، عن أن يلحقه حكم لغيره وهميّ أو عقلي (١) انتهى.

فعلى هذا ليس هناك مضاف مقدّر كسخطك وعقابك، بل هو من باب الترقّي إلى المرتبة الثالثة من المراتب الثلاث المذكورة التي هي ملاحظة الذات دون الأفعال والصفات، والله أعلم.

وقس على ذلك قوله عليه السّلام: «واحفظنا بك واهدنا إليك ولا تباعدنا عنك» فلا حاجة إلى تقدير مضاف في شيء من ذلك، كما قيل إنّ معناه: واحفظنا بحفظك واهدنا إلى صراطك المستقيم المدلول عليه بالأوامر الشرعيّة، ولا تباعدنا عن رحمتك، وإن كان هذا المعنى في نفسه صحيحاً ظاهراً إلّا أنّ حمله على ذلك التحقيق أليق بمقام الداعي صلوات الله عليه.

هذا تعليل لما قبله من طلب الوقاية والحفظ والهداية والقرب على طريقة اللفّ والنشر المرتّب، وأدرج الحفظ في الوقاية لأنّهما بمعنى.

(١) تفسير القرآن الكريم لصدر المتألّهين: ج ٤ ص ٥٩.

....

و بيان التعليل: أنّه لمّا كان حصول الوقاية والحفظ مانعاً من دواعي التفريط والإفراط كان العبد مستقيم الحركات على سواء الصراط، وذلك هو السلامة من الزيغ والوقوع في هوىٰ المهالك، وكذلك لمّا كان حصول الهداية مانعاً من الضلالة عن الصراط المستقيم كان العبد عالماً بسلوك جادّة سبيل الحقّ وذلك هو العلم. وكذلك لمّا كان حصول القرب مستلزماً للفوز بالسعادة الأبديّة كان العبد فائزاً بالغنىٰ الحقيقي والملك الأبدي، وذلك هو الغنيمة التي لايقاس بها مغنم، فكأنّه قال: «أسألك الوقاية والحفظ» المستلزمين للسلامة والهداية المستلزمة للعلم والقرب المستلزم للغنم.

و «مَن» هنا شرطيّة، مثلها في قوله تعالى: «من يعمل سوءً يُجزَ به» (١) ومحلّها الرفع على الابتداء فيكون اسم إنّ ضمير شأن محذوفاً والأصل: إنّه من تقه يسلم، كقوله: «إنّ من يدخل الكنيسة يوماً يلق فيها جاذراً وظباءً»، وإنّما لم نجعل «مَن» اسمها لأنّها شرطيّة بدليل جزمها الفعلين، والشرط له الصدر فلا يعمل فيه ما قبله.

وسلّم يسلم من باب تعب سلامة: خلص من الآفات والمراد: السلامة من الآفات النفسانيّة والآراء الفاسدة والعقائد الباطلة مثل: الكفر والكبر والحسد والنفاق في الدنيا ومن العقوبات في الآخرة.

والهداية: مطلق الإرشاد والدلالة على المطلوب بلطف، سواء كان معها وصول إليه أو لا، وسواء تعدّت إلى ثاني المفعولين بنفسها أو بالحرف. هذا هو الحقّ في تفسير الهداية. وهدايته جلّ شأنه للعباد على أربعة أنواع مرتّبة:

الأوّل: الهداية إلى جلب المنافع و دفع المضارّ بإفاضة المشاعر الظاهرة والمدارك الباطنة، وإليه الإشارة بقوله تعالى: «أعطىٰ كلّ شيء خلقه ثمّ هدىٰ» (٢).

---

(١) سورة النساء: الآية ١٢٣.

(٢) سورة طه: الآية ٥٠.

....

و ثانيها: نصب الدلائل العقليّة الفارقة بين الحقّ والباطل، وإليه يشير قوله تعالى: «وهديناه النجدين» (١) .

و ثالثها: الهداية بإرسال الرسل، و إليه ينظر قوله تعالى: «وأمّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدىٰ» (٢) .

و رابعها: الهداية إلى حظائر القدس ومقامات الأُنس بانطماس آثار التعلّقات البدنيّة واندراس أكدار التعلّقات الهيولانيّة، والاستغراق في ملاحظة أسرار الجلال ومطالعة أنوار الجمال، وهذا النوع من الهداية يختصّ به الأولياء ومن يحذو حذوهم، وهو المقصود هنا كما يدلّ عليه قوله عليه السّلام: «واهدنا إليك» على ما مرّ تحقيقه، ولأنّ هذه الهداية هي التي يترتّب عليها العلم ترتّب الجزاء على الشرط إذ المعنى: ومن تهده يحصل له العلم.

فإن قلت: ما المراد بهذا العلم الذي يحصل بهدايته إليه سبحانه؟.

قلت: المراد به العلم الإلهي والحكمة اللدنيّة المشار إليها في الذكر الحكيم بقوله تعالى: «ومَن يؤتَ الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً» (٣) فمن حصل له هذا العلم انتقش قلبه بالأسرار الغيبيّة والصور الكلّيّة والجزئيّة وكيفيّة انشعابها وتفاصيلها، واستفاد بذلك الأحكام والوقائع والأخلاق وأحوال المبدأ والمعاد وغيرها من الفضائل الشرعيّة ومقاصدها من الكتاب والسنّة. وكان المتّصف به هو العالم الذي هو على هدىً من ربّه المالك للحقيقة الإنسانيّة بالعقل وهي الوصول إلى ما خُلق الإنسان لأجله من المعارف الإلهيّة والطاعات البدنيّة والطهارة القلبيّة الموجبة لكمال قربه ورفع درجته عنده تعالى والخلوص عن كلّ مايوجب البُعد عنه جلّ شأنه.

وقرّبه ـ بالتضعيف ـ : أدناه.

---

(١) سورة البلد: الآية ١٠. (٢) سورة فصّلت: الآية ١٧. (٣) سورة البقرة: الآية ٢٦٩.

اللّهُمَّ صَلِّ على مُحَمّدٍ وَآلِهِ وَاكْفِنا حَدَّ نَوائب الزّمانِ.

وغنمت الشيء: أغنمه كعلمته أعلمه، غُنماً بالضمّ: فزت به بلامشقّة. والغنيمة: اسم لما يُغنم.

وفي التهذيب: الغنيمة في اللغة: الفائدة(١).

وقيل: هي في الأصل ما أُصيب من أموال أهل الحرب وأوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب، يقال: غنم يغنم إذا أصاب غنيمة ومغنماً، ثمّ استُعمل في كلّ أمر نفيس شريف.

ومنه الحديث: «الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة» (٢).

قال ابن الأثير: «إنّما سمّاه غنيمة لما فيه من الأجر والثواب»(٣).

والمعنىٰ: إنّ من تقرّبه إليك تحصل له الغنيمة أو يتّصف بكونه غانماً، فإنّ «غنم» وإن كان متعدّياً ولكنّه نزل منزلة ما لامفعول له؛ لأنّ القصد الإعلام بمجرّد إسناد الفعل إلى الفاعل لابإيقاعه على مفعول.

وكذلك قوله: «يعلم» من قوله عليه السّلام: «ومن تهده يعلم» فهو مثل قوله تعالى: «هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون» (٤) أي: مَن يتّصف بالعلم ومَن ينتف عنه العلم.

قال بعض المحقّقين: والقرب المذكور ليس بالمكان ولابالزمان بل إنّما هو بحسب الذات قرباً معنوياً لأجل الشرافة والبراءة عن الدنيا وسرورها ونقائص المواد وآفاتها. والله أعلم *.

حدّ الشيء وحدّته: بأسه وشدّته.

والنوائب: النوازل جمع نائبة وهي ما ينوب الإنسان أي: ينزل به من الحوادث

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووي: الجزء الثاني من القسم الثاني ص٦٤.

(٢) سنن الترمذي: ج٣ ص١٦٢ ح ٧٩٧.

(٣) النهاية لابن الأثير: ج ٣ ص ٣٩٠.

(٤) سورة الزمر: الآية ٩.

وَ شَرَّ مَصائدِ الشَّيطانِ.

والمصائب نابه ينوبه نوباً: إذا نزل به، وإضافة النوائب إلى الزمان يحتمل أن تكون بمعنى في نحو: «مكر الليل»(١) و«تربّص أربعة أشهر»(٢) أي: النوائب الواقعة في الزمان أي: في زماننا، وإلّا فكلّ نائبة لابدّ لها من زمان تقع فيه. والأظهر أنّها بمعنى اللام أي: النوائب التي للزمان.

قال بعض العلماء: إنّ نسبة الشرّ إلى بعض الأزمنة كالخير إلى بعض آخر نسبة صحيحة لما أنّ الزمان من الأسباب المعدّة لحصول ما يحصل في هذا العالم من الامتزاجات وما يتبعها ممّا يعدّ خيراً أوْ شرّاً. والله أعلم*.

الشر: السوء والفساد.

والمصايد بغير همز: جمع مصيدة بكسر الميم وسكون الصاد وفتح الياء، أو مصيد بحذف الهاء، وهي آلة الصيد، وإنّما لم تهمز لأنّ الياء فيها أصليّة كما تقدّم بيانه في ضابط هذا الجمع في شرح السند عند ذكر الخزائن. ووقع في بعض نسخ الصحيفة همزها، فإن صحّ فهو على لغة من همز معائش ومنائر تشبيهاً للأصلي بالزائد.

والمراد بـ «مصايد»: الشهوات واللذّات الدنيويّة التي يغرّ الشيطان بها الخلق فيوقعهم بها في الهلاك ، واستعار لها لفظ المصايد لمشابهتها إيّاها في استلزام الحصول فيها للبُعد عن السلامة والحصول في العذاب، وهي استعارة تبعيّة.

ويمكن أن يقال: إنّه شبّه الشيطان بالمصايد في احتياله واغتياله وهي استعارة بالكناية ثمّ أثبت له المصايد التي لايكمل الاحتيال والاغتيال إلّا بها تحقيقاً للمبالغة في التشبيه وهي استعارة تخييليّة كقوله:

* وإذا المنيّة أنشبت أظفارها *

وإضافة الشرّ إلى المصايد الشيطانيّة من باب إضافة النتيجة إلى المقدّمات.

---

(١) سورة سبأ: الآية ٣٣. (٢) سورة البقرة: الآية ٢٢٦.

وَ مَرارَةَ صَولَةِ السُّلطانِ.

اللّهُمَّ إنّما يَكتَفِي المُكتَفُونَ بِفَضْل قُوَّتِكَ ، فَصَلِّ على مُحمّدٍ وَآلِهِ وَاكْفِنا.

و في مواعظ أبي عبدالله عليه السّلام لعبدالله بن جندب: «يا ابن جندب إنّ للشيطان مصائد يصطاد بها فتحاموا شباكه ومصائده، قلت: يا ابن رسول الله: وما هي؟ قال: أمّا مصائده فصدّ عن برّ الإخوان، و أمّا شباكه فنوم عن قضاء الصلاة التي فرضها الله تعالى» (١) والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة*.

المرارة: اسم من مرّ الشيء يمرّ من باب تعب وقتل ضدّ حلا، و هي حقيقة في الكيفيّة المخصوصة للأجسام استعارها عليه السلام لما يوجد من التألّم بسبب صولة السلطان.

والصولة: الحملة والوثبة والسطوة والاستطالة، يقال: صال الفحل يصول صولاً: وثب، وصال على قرنه: سطا واستطال.

قال **السرقُسطي**: ومن العرب من يقول: «صؤل» مثل قرب بالهمزة للبعير، و«صال» بغير همز على قرنه (٢).

والمراد بصولة السلطان: قهره وبأسه وسطوته، والسلطان هنا بمعنى الملك أي: صاحب السلطنة والولاية، وقد يطلق على الولاية نفسها، ويحتمل حمله هنا على هذا المعنى أيضاً، والأوّل أظهر*.

إنّما: للحصر أي: لايكتفي المكتفون إلّا بفضل قوّتك.

والفضل: هنا بمعنى الزيادة، يقال: فضل فضلاً من باب قتل أي: زاد.

والقوّة: تطلق على كمال القدرة وعلى شدّة الممانعة والدفع ويقابلها الضعف.

ولمّا كان سبحانه مستند جميع الموجودات والمفيض على كلّ قابل ما يستعدّ له

---

(١) تحف العقول: ص ٢٢٢ وفيه «قضاء الصلوات».

(٢) المصباح المنير: ص ٤٨١ مع اختلاف يسير.

و إنّما يُعطِي المُعطُونَ مِن فَضْلِ جِدَتِكَ ، فَصَلِّ على مُحَمّدٍ وَآلِهِ وَاعْطِنا.

ويستحقّه كان هو المعطي لكلّ مكتفٍ كماله وقوّته، فصحّ أنّ كلّ مكتفٍ إنّما يكتفي بسبب قوّته الزائدة على كلّ قوّة بالمعنيين المذكورين لها.

وروي أنّ الحسن قال: واعجباً لنبيّ الله لوط إذ قال: «لو أنّ لي بكم قوّة أو آوي إلى ركن شديد»(١) أتراه أراد ركناً أشدّ من الله تعالى(٢)٭

المعطون: جمع معطي: اسم فاعل من أعطى يعطي إعطاءً والأصل: المعطيّون بكسر الطاء وضمّ الياء، حذفت ضمّة الياءللاستثقال ثمّ حذفت الياء لالتقاء الساكنين، وحذفت الكسرة التي كانت قبل الياء لئلا يلزم قلب الواو ياء لوقوعها ساكنة أثر كسرة، ثمّ عوّض من الكسرة الضمّة لمناسبة الواو. وإن شئت قلت: استثقلت الضمّة على الياء فنقلت منها إلى ما قبلها بعد سلب حركة ما قبلها ثمّ حذفت الياء لالتقاء الساكنين، وقس على ذلك كلّ اسم منقوص يجمع جمع المذكّر السالم.

والجدة: بكسر الجيم وفتح الدال المهملة مخفّفة كهبة الغني.

قال ابن الأثير: «في أسمائه تعالى الواجد هو الغنيّ الذي لايفتقر، وقد وجد يجد جدة: أي استغنى غنًى لافقر بعده»(٣) انتهى.

وأصلها: وجد بالواو حذفت الواو وعوّض منها الهاء كما في عدة وهبة وصلة. وإنّما حصر إعطاء المعطين في كونه فضل جدته لما علمت أنّه تعالى مستند جميع الموجودات، وكلّ ممكن فهو مفتقر في طرفيه، منتهٍ في سلسلة الحاجة إليه، فكلّ معط غيره مجاز لاحقيقة٭.

---

(١) سورة هود: الآية ٨٠.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٧ ص ١٩٥.

(٣) النهاية لابن الأثير: ج ٥ ص ١٥٥.

وَ إنّما يَهتَدي المُهتَدونَ بِنورِ وَجْهِكَ ، فَصَلِّ على مُحَمّدٍ وَآلِهِ وَاهْدِنا . اللّهُمَّ إنّكَ مَن والَيْتَ لَم يَضرُرْهُ خِذلانُ الخاذِلينَ.

النور: هو ما تنكشف به الأشياء، ويظهر وجودها عند الحسّ، وهو إمّا جسم كما ذهب إليه جماعة من المحقّقين، أو عرض كما قيل. وعلى التقديرين فليس هو المراد هنا، بل المراد: إمّا الهداية أو العلم على سبيل الاستعارة وتشبيه المحسوس بالمعقول لجامع عقلي وهو الإيصال إلى المطلوب.

وفي كلام أمير المؤمنين عليه السلام: «ومضيت بنور الله حين وقفوا» قال شارحو كلامه أي: كان سلوكي لسبيل الحقّ على وفق العلم وهو نور الله الذي لا يضلّ من اهتدى به انتهى (١) .

والوجه: بمعنى الذات. والمعنى: لا يهتدي المهتدون إلّا بهدايتك أو بعلمك كما قاله سبحانه: «قل إنّ الهدىٰ هدى الله» (٢) وقال سبحانه: «من يهدي الله فهو المهتدي» (٣) .

وفي الحديث القدسي: «يا عبادي كلّكم ضالّ إلّا من هديته، فاستهدوني أهدكم» (٤) ❁.

والاه ولاءً وموالاةً: نصره. قال الفيّومي في المصباح: الولاء: النصرة لكن خصّ في الشرع بولاء العتق. ويقال: والاه أيضاً بمعنى تابعه (٥) .

وقال الفارابي في ديوان الأدب: «والموالاة نقيض المعادات» (٦) .

والخذلان بالكسر: اسم من خذله يخذله من باب قتل أي: ترك نصره وإعانته وتأخّر عنه، ومفعول «واليت» محذوف أي: واليته، وحذف المفعول يكثر عائداً على

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ج ٢ ص ٩٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٧٣.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٧٨.

(٤) سنن ابن ماجة: ج ٢ ص ١٤٢٢ ح ٤٢٥٧ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٥) المصباح المنير: ج٢ ص ٩٢٧.

(٦) ديوان الأدب للفارابي: ج ٣ ص ٢٧٩.

وَ مَن أَعْطَيْتَ لَمْ يَنقُصْهُ مَنعُ المانِعِينَ.
وَمَن هَدَيتَ لم يُغوِهِ إِضلالُ المُضِلِّينَ.

الموصول نحو: «ومن يهد الله فما له من مضلّ» (١) أي: يهده. ونحو: «أهذا الذي بعث الله رسولاً» (٢) أي: بعثه.

والمعنى: إنّ من تنصره لايبال بمن تأخّرعنه وترك نصره ولم يعنه، وهذا يستلزم تمام قدرة الله جلّ شأنه وكمال سلطانه تعالى لأنّ أمره وقضاءه واقع لامحالة إذ كان ما علم وجوده فلا بدّ من وجوده سواء كان مكروهاً للخلق أو محبوباً لهم كما قال الله تعالى: «ويأبىٰ الله إلّا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون» (٣) «وإن يمسسك الله بضرّ فلا كاشف له إلّا هو وإن يمسسك بخيرٍ فهو على كلّ شيء قدير» (٤) *.

أي: من أعطيته كما مرّ.

ونقص: يأتي لازماً ومتعدّياً فيقال: نقص الشيء من باب قتل نقصاً ونقصاناً بالضمّ أي: ذهب منه شيء بعد تمامه، ونقصه أي: أذهبت منه شيئاً، هذه اللغة الفصيحة وبها جاء القرآن في قوله تعالى: «ننقصها من أطرافها» (٥). وفي لغة ضعيفة يتعدّىٰ بالهمزة والتضعيف ولم يأت في كلام فصيح. ويتعدّى أيضاً إلى مفعولين فيقال: نقّصت زيداً حقّه.

ومنعه يمنعه بفتح النونين منعاً: ضدّ أعطاه. والمعنىٰ: إنّ من جدت عليه وأنلته فضلك لم ينقص من حظّه حرمان غيرك له إذ لامانع لما أعطيت ولامعطي لما منعت *.

غوىٰ يغوي غيّاً من باب ضرب، وأغواه: غيّره. والاسم: الغواية بالفتح أي: من هديته لم يضلّه مضلّ يصرفه عن مقصده، أو يصيبه بسوء يخلّ بسلوكه إذ لا رادّ

(١) سورة الزمر: الآية ٣٧. (٢) سورة الفرقان: الآية ٤١. (٣) سورة التوبة: الآية ٣٢.
(٤) سورة الأنعام: الآية ١٧. (٥) سورة الرعد: الآية ٤١، وسورة الأنبياء: الآية ٤٤.

فَصَلِّ على مُحَمّدٍ وَآلِهِ وَامْنَعْنا بِعِزِّكَ مِن عِبادِكَ .
وَ أغْنِنا عَن غَيرِكَ بإرْفادِكَ .

لفضله ولامعارض لإرادته سبحانه كما قال تعالى: «ومن يهد الله فما له من مضلّ أليس الله بعزيز ذي انتقام» (١) ، أي: أليس هو بغالب لايُغالَب، منيع لايمانع ولاينازع *.

«الفاء»: فصيحة، أي: إذا ثبت إنّك من واليت لم يضرره خذلان الخاذلين، وهذا الوصف يقتضي أنّك لعزّك تمنع من تشاء من كلّ أحد، ولايمنع منك أحد، فامنعنا بعزّك من عبادك . والمنع وإن كان في الأصل تحجير الشيء إلّا أنّه يستعمل بمعنى الحماية.

قال الزمخشريّ في الأساس: «ومن المجاز فلان يمنع الجار: يحميه من أن يضام» (٢) .

والعزّ والعزّة: الامتناع والشدّة والغلبة، ورجل عزيز: منيع لايغلب ولايقهر.

أي: احمنا بغلبتك وشدّتك من عبادك الذين يريدون بنا سوءاً.

والباء في «بعزّك »: للسببيّة، ويحتمل أن تكون للإستعانة.

وأغرب من قال إنّ المعنى: امنعنا بإفاضة عزّمنك نستغني به عن الالتجاء بعبادك *.

الإرفاد: الإعطاء والإعانة، يقال: أرفده **ورفده** كضربه بالهمزة **وبدونها** بمعنى.

قال الجوهري: الرِّفد بالكسر: العطاء والصّلة، والرَّفد بالفتح: المصدر، تقول: رفدته أرفده أي: أعطيته، وكذلك إذا أعنته. **والإرفاد: الإعطاء والإعانة(٣)** انتهى.

وقال الزمخشريّ في الأساس: رَفَدَ فلاناً وأرفده: أعانه بعطاء أو قول أو غير ذلك (٤) .

---

(١) سورة الزمر: الآية ٣٧.
(٢) أساس البلاغة: ص ٦٠٥.
(٣) الصحاح للجوهري: ج ٢ ص ٤٧٥.
(٤) أساس البلاغة: ص ٢٤٠.

وَاسْلُكْ بِنا سَبيلَ الحَقِّ بإرْشادِكَ .

وهذه الفقرة مرتبة على قوله عليه السلام: «ومن أعطيت لم ينقصه منع المانعين» (١) أي: إذا كان الأمر هكذا فأغننا عن غيرك بإعطائك لأنّها معطوفة على مدخول الفاء الفصيحة.

وممّا يناسب إيراده هنا من الحكايات ما حكي عن بعضهم قال: كنت جالساً في جماعة، فوقف علينا سائل وسأل شيئاً، فلم يعطه أحد شيئاً، فبكى ذلك الرجل بكاءً شديداً، فرقّ له قلبي فقلت له: تعال حتى أعطيك شيئاً. فقال: إنّي لم أبك لما توهمت ولكنّي تذكّرت ذلّ من يفتقر إلى رحمة الله كيف يكون حاله! فلمّا كان بعد أيّام إذا نحن بإنسان عليه ثياب حسنة فوقف علينا وقال: أتعرفوني؟ فقلنا: ولاننكرك فمن أنت؟ قال: أنا السائل الذي رددتموه ذلك اليوم رجعت بمسألتي إلى ربّي فوهب لي أنعاماً وأغناني عن غيره*.

سلكت الطريق سلوكاً، من باب قعد: ذهبت فيه، يتعدّى بنفسه، وبالباء أيضاً، وهو الأكثر استعمالاً، فيقال: سلكت زيداً الطريق، وسلكت به الطريق.

والسبيل: الطريق، يذكّر ويؤنّث.

والإرشاد: خلاف الإضلال، ومنه الحديث: «و إرشاد الضالّ» (٢) أي: هدايته الطريق وتعريفه.

وهذه الفقرة مرتّبة على قوله عليه السلام: «ومن هديت لم يغوه إضلال المضلّين» (٣) أي: إذا كان من شأنك ذلك فاجعلنا ممّن يسلك طريق الحقّ بهدايتك وتعريفك.

والمراد بـ «سبيل الحقّ»: الطريق الموصلة إليه تعالى، وهي التي تطابقت على

---

(١) كما تقدم في هذه الروضة قبل صفحتين.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج ٢ ص ٢٢٥. (٣) كما تقدم في هذا الدعاء: ص ١٦٣.

اللّهُمَّ صَلِّ على مُحَمّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْ سَلامَةَ قُلوبِنا في ذِكْرِ عَظَمَتِكَ .

الهداية إليها ألسنة الرسل والأنبياء ﷺ.

السلامة: الخلوص من الآفات، والمراد بسلامة القلوب: سلامتها من الأمراض الروحانيّة كالجهل وسائر الأخلاق الذميمة، ويندرج في سلامة القلب سلامة سائر الجوارح لأنّه رئيسها.

و «في»: إمّا للظرفيّة المجازيّة كقوله تعالى: «ولكم في القصاص حياة» (١) وإنّما سأل أن يجعل سلامة قلوبهم في ذكر عظمته فيكون ذكر عظمته ظرفاً لها؛ لأنّ المظروف إذا احتواه الظرف لايصيبه ما يفرّقه، ولاهو بنفسه يتفرّق، ويتلاشى خصوصاً إذا كان الظرف حصيناً منيعاً، فيكون ذكر عظمته حينئذٍ حامياً لسلامة القلوب من الآفات التي تتطرق إليها. أو يكون المعنى إذا سلّمت قلوبنا من الآفات فاجعل سلامتها في ذكر عظمتك لافي غيره لتتوفّر على ذكرها والاشتغال به دون غيره.

أو للسببيّة كقوله تعالى: «لمسّكم فيما أفضتم» (٢) . وفي الحديث: «إنّ امرأة دخلت النار في هرّة» (٣) أي: اجعل سلامة في قلوبنا متسبّبة عن ذكر عظمتك بحيث كلّما ذكرت عظمتك سلمت من كلّ آفة، حتى يكون ذكر عظمتك حجّة لها لاعليها.

والذكر باللسان والقلب، يكسر ويضمّ، يقال: ذكرته بلساني وبقلبي، ذِكري بالتأنيث وكسر الذال، والاسم: الذكر بالضمّ والكسر، نصّ عليه جماعة منهم أبوعبيدة وابن قتيبة. وأنكر الفراء الكسر في القلب وقال: اجعلني على ذكر منك، بالضمّ لاغير، ولهذا اقتصر عليه جماعة (٤) .

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٩. (٢) سورة النور: الآية ١٤.

(٣) سنن ابن ماجة: ج ٢ ص ١٤٢١ ح ٤٢٥٦ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٤) المصباح المنير: ص ٢٨٤.

....

والصحيح ما ذكرناه أولاً، وكفاه شاهداً وروده في كلام سيّد العابدين عليه السلام، فإنّ نسخ الصحيفة متطابقة على ضبطه بالكسر هنا، والله أعلم.

وقد تقدم بيان معنى عظمته سبحانه فليرجع إليه.

تنبيه

القلب: في اللغة صرف الشيء إلى عكسه، ومنه القلب، سمّي به لكثرة تقلّبه. قال الشاعر:

قَدْ سُمِّيَ الْقَلْبُ قَلْباً مِنْ تَقَلّبِهِ فَاحْذَرْ عَلىٰ الْقَلْبِ مِنْ قَلْبٍ وَتَحْوِيل

وله ظاهر: وهو المضغة الصنوبريّة المودعة في التجويف الأيسر من الصدر، **وهو** محلّ اللطيفة الإنسانيّة، ولذا ينسب إليه الصلاح والفساد.

وباطن: وهو اللطيفة الربّانيّة النورانيّة العالمة التي هي مهبط الأنوار الإلهيّة وبها يكون الإنسان إنساناً، وبها يستعدّ لامتثال الأحكام، وبها صلاح البدن وفساده، ويعبّر عنها بالنفس الناطقة «ونفسٍ وما سوّاها * فألهمها فجورها وتقواها» (١)، وبالروح «قل الروح من أمر ربّي» (٢).

ولذا كانت معرفته كما هي متعذّرة، والإشارة إلى حقيقته على أرباب الحقائق متعسّرة، وهو مقرّ الإيمان «اولئك كتب في قلوبهم الإيمان» (٣)، كما أنّ الصدر محلّ الإسلام «أفمن شرح الله صدره للإسلام» (٤)، والفؤاد مقرّ المشاهدة «ما كذب الفؤاد ما رأىٰ» (٥)، واللبّ مقام **التوحيد** «إنّما يتذكّر أولوا الألباب» (٦) أي:

---

(١) سورة الشمس: الآية ٨. (٢) سورة الإسراء: الآية ٨٥. (٣) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

(٤) سورة الزمر: الآية ٢٢. (٥) سورة النجم: الآية ١١. (٦) سورة الرعد: الآية ١٩.

وَ فَراغَ أَبْدانِنا في شُكْرِ نِعمَتِكَ . وَانْطِلاقَ أَلْسِنَتِنا في وَصْفِ مِنَّتِكَ .

الذين خرجوا من قشر الوجود المجازي وبقوا بلبّ الوجود الحقيقي، فافهم فإنّه من نفائس الرموز وبدائع الكنوز.

تتمّة

قال بعض العارفين: القلوب هدف سهام القهر واللطف وهي متقلّبة (١) **في قبضة خالقها**، فإذا وقعت في بحار النكرات مالت من تأثير القهريّات إلى **عالم الشهوات وأفاضت** على الجوارح مباشرة الآثام، وإذا وقعت في بحار المعارف مالت **بعث المحبّة** والشوق إلى مشاهدة الله فاستنارت بنورها فنوّرت العقل والحسّ **والروح والصورة**، ويتولّد من حسن جوارحها خشوع الصورة وصلاح الجوارح في خدمته *.

الفراغ: اسم من فرغ من الشغل فروغاً من باب قعد: إذا تخلّى منه، أي: واجعل فراغ أبداننا إذا تخلّت عن كلّ ما يشغلها مصروفاً في شكر نعمتك لا في غيره.

والشكر: يحتمل أن يكون المراد به هنا اللغوي، وهو الوصف بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل من اللسان والجنان والأركان، ويحتمل أن يراد به العرفي، **وهو** صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه من السمع والبصر وغيرهما إلى ما خلق**الله** لأجله.

وبين الشكرين عموم وخصوص مطلق، و ذكر الأبدان يرجّح إرادة الثاني، والله أعلم *.

يقال: رجل طَلْق اللسان و طِلْق و طَلِيق أي: ماضي القول سريع النطق،

(١) في «ألف»: متعلّقة.

اللّهُمَّ صَلِّ على مُحَمّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْنا مِن دُعاتِكَ الدّاعِينَ إِلَيكَ .

كذا في النهاية(١) .

وفي المصباح: «طلق لسانه» بالضمّ طلوقاً وطلوقة فهو طلق اللسان وطليقه أي: فصيح عذب المنطق(٢) .

وفي الأساس: رجل منطلق اللسان وطلقه وطليقه(٣) انتهى.

والحاصل: أنّه متى وصف اللسان بالإنطلاق فالمراد: جريانه وإمضاؤه وذلاقته بحيث لايعترضه لكنة، ولا تقف به حبسة عند الكلام وبسط المقال، وهو من لوازم الفصاحة.

و وصفته وصفاً: من باب وعد: نعتّه بما فيه. والوصف والصفة مترادفان عند أهل اللغة، والهاء عوض من الواو كالوعد والعدة.

وعند بعض المتكلّمين: الوصف هو الكلام الواصف، والصفة هي المعنى القائم بالموصوف.

قال بعضهم: والتحرير أنّ الوصف لغة كما ذكر في الموصوف من الصفة، والصفة هي ما فيه، ولاينكر أنّه يطلق الوصف ويراد الصفة، وبهذا لايلزم الاتّحاد لغة، إذ لاشكّ في أنّ الوصف مصدر، وصفة إذا ذكر ما فيه. انتهى، فتأمّل.

والمنّة: النعمة الثقيلة، منّ عليه: أثقله بالنعمة، ومنه «لقد منّ الله على المؤمنين» (٤) .

والمعنى: اجعل جريان ألسنتنا و ذلاقة منطقنا مصروفة في ذكر ما في نعمتك الجليلة من الصفات الجميلة. والله أعلم *.

الدعاة بالضمّ: جمع داع، من دعاه يدعوه بمعنى: ناداه وطلب إقباله، وأصله:

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٣، ص ١٣٤.
(٢) المصباح المنير: ج ٢، ص ٥١٥.
(٣) أساس البلاغة: ص ٣٩٤.
(٤) سورة آل عمران: الآية ١٦٤.

وَ هُداتِكَ الدّالّينَ عَلَيكَ .

دعوة بضمّ أوّله وفتح ثانيه، قلبت الواو ألفاً لتحرّكها وانفتاح ما قبلها.

وقيل: أصله فعلة بفتح الفاء، وأنّ الفتحة حوّلت ضمّة للفرق بين معتلّ اللام وصحيحها، وهذا الجمع مطّرد في وصف العاقل على زنة فاعل معتلّ اللام كهادٍ وقاض وغازٍ.

والداعين: جمع داع أيضاً بالمعنى المذكور إلّا أنّ الأوّل جمع تكسير وهذا جمع سلامة، وقد سبق إعلال نظيره فليقس عليه.

و وصف دعاته بالدّاعين إليه:

إمّا للتخصيص إن أراد بالدعاة طالبي إحسانه من دعا الله: إذا طلبه وابتهل إليه بالسؤال.

أو للتوضيح إن أراد بهم معنى الداعين إليه فوصفهم بذلك لرفع احتمال إرادة المعنى الأوّل.

والمعنى: اجعلنا من المبتهلين إليك بالسؤال، الطالبين إقبال الناس إلى طاعتك وعبادتك، واجعلنا من طالبي إقبال الخلق إلى جنابك.

و إضافة الدعاة إلى كاف الخطاب على المعنى الأوّل من إضافة الفاعل إلى المفعول فهي لفظيّة، وعلى الثاني معنويّة كغلام زيد*.

وصف الهداة بالدالّين عليه: إمّا للتخصيص أو للتوضيح أيضاً كما مرّ آنفاً.

وعلى الأوّل فالمعنى: واجعلنا من الهداة المنسوبين إليك الدالّين على طاعتك.

وعلى الثاني: اجعلنا من الهداة إليك الدالّين على سبيلك. والإضافة على الوجهين معنويّة.

والفرق بين المعنيين: أنّ الهداة على الأوّل أعمّ منه على الثاني.

ويحتمل أن يكون «الهداة» جمع هاد من هدى بمعنى اهتدى.

وَ مِن خاصَّتِكَ الخاصِّينَ لَدَيكَ . يا أرحَمَ الرّاحِمِينَ.

قال الجوهري: هدىٰ واهتدىٰ بمعنىٰ (١).

وقرأ حمزة والكسائي: «**أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ** أن يتّبع أم من لايهدّي إلّا أن **يُهدىٰ**» بفتح الياء وسكون الهاء وكسر الدال من يهدي الأوّل، والثاني لازم بمعنى يهتدي (٢).

وعلى هذا فالمعنى واجعلنا من المهتدين المنسوبين إليك الهادين غيرهم إلى سبيلك ، فيكون الوصف للتخصيص على هذا المعنىٰ أيضاً *.

الخاصّة: خلاف العامّة، من خصّ الشيء يخصّ من باب قعد، خلاف عمّ فهو خاص، والهاء فيها للتأكيد.

وعن الكسائي: «الخاصّ والخاصّة» واحد(٣).

وفي الأساس للزمخشريّ: له بي خصوص و **خصوصيّة** وهذا خاصّتي وهم خاصّتي (٤).

والمراد بخاصّته تعالى: أولياؤه المخلصون له في المحبّة(٥) والطاعة، الّذين لهم به خصوصيّة دون غيرهم لاختصاصه إيّاهم لنفسه. ووصفهم بقوله: «الخاصّين لديك» للتخصيص أو الإيضاح أو المدح لما فيه من الإشارة إلى الإعتناء بهم إذ المراد عنديّة الشرف **والرتبة***.

ختم الدعاء عليه السلام بهذا النداء توقّعاً لحصول المطلب واستعطافاً بوصفه(٦) الدالّ على أنّه الجواد المطلق الذي لايرحم لمنفعة تعود إليه ولالمضرّة يدفعها عنه، وكلّ رحيم سواه فرحمته لغرض من الأغراض: إمّا ثناءً دنيويّاً، أو ثواباً أُخرويّاً، **أو** للرقّة الناشئة من الجنسيّة أو نحو ذلك ، على أنّ تلك الرحمة أيضاً تتوقّف على **داعية**

---

(١) الصحاح للجوهري: ج ٦ ص ٢٥٣٣.
(٢) الجامع لأحكام القرآن: ج ٨ ص ٣٤٢.
(٣) المصباح المنير: ص ٢٣٤.
(٤) أساس البلاغة: ص ١٦٤.
(٥) في «ألف»: الحب.
(٦) في «ألف»: **بوضعه**.

....

يخلقها الله تعالى فيه. والآفات والآلام الّتي تراها في هذا العالم لا تنافي رحمته سبحانه لأنّ كلّها مستتبعة لمصالح وغايات لايعلمها إلّا هو، وأنّها ضروريّة في الوجود لاشتمالها على خيرات أكثر من الشرور.

ثمّ إطلاق الراحم عليه تعالى وعلى غيره إنّما هو من باب الإشتراك اللفظي دون المعنى، إذ لاشركة بينه وبين غيره في المعنى أصلاً، فإنّ رحمته تعالى تناسب ذاته المقدّسة (١)، أو هي عبارة عن إحسانه ولطفه بعباده. ورحمة غيره رقّة وانعطاف يقتضي الشفقة واللطف بالخلق. وهو سبحانه منزّه عن هذا المعنى، وقد سبق بيان ذلك في الروضة الأولى (٢) فلا وجه لإعادته.

وممّا يناسب إيراده هنا **ماروا**ه أصحاب السير أنّه أوقف صبيّ في بعض الغزوات ينادى عليه بمن يزيد في يوم صائف شديد الحر، فبصرت به امرأة وهو ينادى عليه، فعدت مسرعة إليه وأخذته وألصقته إلى بطنها، ثمّ ألقت ظهرها على البطحاء وأجلسته على بطنها تقيه الحرّ وتقول: ابني ابني، فبكى الناس وتركوا ما هم فيه. فأقبل رسول الله صلّى الله عليه وآله حتّى وقف (٣) عليهم فأخبروه فقال: **أعجبتم** من رحمة هذه ابنها، إنّ الله أرحم بكم جميعاً من هذه بابنها. فتفرّق المسلمون وهم فرحون مستبشرون (٤).

اللّهمّ إنّا نسألك يا أرحم الراحمين برحمتك الّتي وسعت العالمين أن ترحمنا رحمةً تغنينا بها عن رحمة من سواك، وأن تجعلنا ممّن وسعه رحمتك ورضاك، إنّك أجود مسؤول وأكرم مأمول.

قال مؤلّفه عفا الله عنه: وفّق الله لإتمام هذه الروضة صبح يوم الجمعة الأغر لستٍّ بقين من شوّال المبارك أحد شهور سنة سبع وتسعين، والحمدلله ربّ العالمين.

---

(١) في «ألف»: القدسيّة.
(٢) ج ١ ص ٣٧٨.
(٣) في «ألف»: وقعت.
(٤) المحجّة البيضاء: ج ٨ ص ٣٨٩.



الروضة السادسة

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ

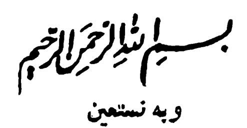
الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ بِقُوَّتِهِ وَمَيَّزَ بَيْنَهُمَا بِقُدْرَتِهِ وَ
جَعَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدّاً مَحْدُوداً وَأَمَداً مَمْدُوداً يُولِجُ كُلَّ
وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي صَاحِبِهِ وَيُولِجُ صَاحِبَهُ فِيهِ بِتَقْدِيرٍ مِنْهُ لِلْعِبَادِ
فِيمَا يَغْذُوهُمْ بِهِ وَيُنْشِئُهُمْ عَلَيْهِ فَخَلَقَ لَهُمُ اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ
مِنْ حَرَكَاتِ التَّعَبِ وَنَهَضَاتِ النَّصَبِ وَجَعَلَهُ لِبَاساً لِيَلْبَسُوا
مِنْ رَاحَتِهِ وَمَنَامِهِ فَيَكُونَ ذٰلِكَ لَهُمْ جَمَاماً وَقُوَّةً وَلِيَنَالُوا
بِهِ لَذَّةً وَشَهْوَةً وَخَلَقَ لَهُمُ النَّهَارَ مُبْصِراً لِيَبْتَغُوا فِيهِ مِنْ فَضْلِهِ
وَلِيَتَسَبَّبُوا إِلَى رِزْقِهِ وَيَسْرَحُوا فِي أَرْضِهِ طَلَباً لِمَا فِيهِ نَيْلُ الْعَاجِلِ
مِنْ دُنْيَاهُمْ وَدَرَكُ الْآجِلِ فِي أُخْرَاهُمْ بِكُلِّ ذٰلِكَ يُصْلِحُ شَأْنَهُمْ وَ
يَبْلُو أَخْبَارَهُمْ وَيَنْظُرُ كَيْفَ هُمْ فِي أَوْقَاتِ طَاعَتِهِ وَمَنَازِلِ
فُرُوضِهِ وَمَوَاقِعِ أَحْكَامِهِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ
الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى اللّٰهُمَّ فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا فَلَقْتَ لَنَا مِنَ
الْإِصْبَاحِ وَمَتَّعْتَنَا بِهِ مِنْ ضَوْءِ النَّهَارِ وَبَصَّرْتَنَا مِنْ مَطَالِبِ
الْأَقْوَاتِ وَوَقَيْتَنَا فِيهِ مِنْ طَوَارِقِ الْآفَاتِ أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَتِ

الأشياء كلها بجملتها لك سماؤها وأرضها وما بثثت في كل واحد
منهما ساكنه ومتحركه ومقيمه وشاخصه وما علا في الهواء و
ما كن تحت الثرى أصبحنا في قبضتك يحوينا ملكك وسلطانك
وتضمنا مشيتك ونتصرف عن أمرك ونتقلب في تدبيرك ليس لنا
من الأمر إلا ما قضيت ولا من الخير إلا ما أعطيت وهذا يوم حادث
جديد وهو علينا شاهد عتيد إن أحسنا ودعنا بحمد وإن
أسأنا فارقنا بذم اللهم صل على محمد وآله وارزقنا حسن مصاحبته
واعصمنا من سوء مفارقته بارتكاب جريرة أو اقتراف صغيرة
أو كبيرة وأجزل لنا فيه من الحسنات وأخلنا فيه من السيئات
واملأ لنا ما بين طرفيه حمدا وشكرا وأجرا وذخرا وفضلا و
إحسانا اللهم يسر على الكرام الكاتبين مؤونتنا واملأ لنا
من حسناتنا صحائفنا ولا تخزنا عندهم بسوء أعمالنا اللهم
اجعل لنا في كل ساعة من ساعاته حظا من عبادك ونصيبا
من شكرك وشاهد صدق من ملائكتك اللهم صل على
محمد وآله واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن

شمائلنا ومن جميع نواحينا حفظاً عاصماً من معصيتك هادياً
إلى طاعتك مستعملاً لمحبّتك اللّهمّ صلّ على محمّد وآله ووفّقنا
في يومنا هذا وليلتنا هذه وفي جميع أيّامنا لاستعمال الخير وهجران
الشّرّ وشكر النّعم واتّباع السّنن ومجانبة البدع والأمر بالمعروف
والنّهي عن المنكر وحياطة الإسلام وانتقاص الباطل وإذلاله و
نصرة الحقّ وإعزازه وإرشاد الضّالّ ومعاونة الضّعيف وإدراك
اللّهيف اللّهمّ صلّ على محمّد وآله واجعله أيمن يوم عهدناه
وأفضل صاحب صحبناه وخير وقت ظللنا فيه واجعلنا من أرضى
من مرّ عليه اللّيل والنّهار من جملة خلقك أشكرهم لما أوليت
من نعمك وأقومهم بما شرعت من شرائعك وأوقفهم عمّا
حذّرت من نهيك اللّهمّ إنّي أشهدك وكفى بك شهيداً
وأشهد سماءك وأرضك ومن أسكنتهما من ملائكتك و
سائر خلقك في يومي هذا وساعتي هذه وليلتي هذه ومستقرّي
هذا أنّي أشهد أنّك أنت الله الّذي لا إله إلّا أنت قائم بالقسط
عدل في الحكم رؤف بالعباد مالك الملك رحيم بالخلق وأنّ

دعاء ٦

محمداً عبدك ورسولك وخيرتك من خلقك حملته رسالتك فأداها وأمرته بالنصح لأمته فنصح لها اللهم فصل على محمد وآله أكثر ما صليت على أحد من خلقك وآته عنا أفضل ما آتيت أحداً من عبادك واجزه عنا أفضل وأكرم ما جزيت أحداً من أنبيائك عن أمته إنك أنت المنان بالجسيم الغافر للعظيم وأنت أرحم من كل رحيم فصل على محمد وآله الطيبين الطاهرين الأخيار الأنجبين



وبه نستعين

الحمد لله فالق الإصباح وجاعل الليل سكناً، وسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون سرّاً وعلناً، والصلاة والسلام على نبيّه الذي شرّع بملّته فروضاً وسنناً، وعلى أهل بيته الذين نهج بولايتهم لسلوك الحقّ سنناً.

وبعد: فهذه الروضة السادسة من رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد العابدين، إملاء راجي فضل ربّه السنيّ علي صدر الدين الحسينيّ الحسنيّ، وفّقه الله لمراضيه وجعل مستقبله خيراً من ماضيه.

شرح الدعاء السادس

وكانَ من دُعائِهِ عَليه السَلامُ عِند الصَباحِ والمَساءِ.

الصباح: أوّل النهار إذا جاء ضياؤه وهو الفجر، ومثله الصبح، وقد يطلق على منتصف الليل إلى آخر الزوال.

والمساء. مجيء ظلام الليل أي أوّله، وقد يطلق على منتصف النهار إلى آخر نصف الليل.

قال ابن الجواليقي: الصباح عند العرب من نصف الليل إلى آخر الزوال، ثمّ المساء إلى آخر نصف الليل الأوّل(١).

وقال ابن القوطية: المساء مابين الظهر الى المغرب(٢). والمراد بهما هنا أوّل النهار وأوّل الليل، وبذلك فسّر قوله تعالى: «فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون»(٣) لأنّه لو فسّر بالمعنى الذي ذكره ابن الجواليقي عن العرب لكان قوله: «وعشيّاً» داخلاً في المساء، وقوله: «حين تظهرون» داخلاً في الصباح.

وقد روي عن ابن عبّاس: أنّ الآية جامعة للصلوات الخمس، «تمسون» صلاة المغرب والعشاء، و«تصبحون» صلاة الفجر، و«عشيّاً» صلاة العصر،

---

(١) مجمع البحرين: ج٢ ص٣٨٢. (٢) المصباح المنير: ص٧٨٨. (٣) سورة الروم: الآية ١٧.

اَلحَمْدُ لِلّهِ الّذي خَلَقَ اللّيلَ والنَّهارَ بِقُوّتِهِ.

و«تظهرون» صلاة الظهر(١).

ثمّ الذي يدلّ عليه متن هذا الدعاء أنّه مختصّ بالصباح، لابه وبالمساء، كما وقع في عنوانه، ولذلك خصّصه شيخ الطائفة قدّس سرّه وغيره بالصباح(٢)، والله أعلم.

قال صلوات الله عليه:

الخلق: إحداث الشيء من غير احتذاء على مثال، ولذلك لايجوز إطلاقه إلّا في صفات الله سبحانه، إذ لاأحد سواه تكون أفعاله من غير احتذاء على مثال.

والليل: هو الزمان الذي يقع مابين غروب الشمس وطلوعها عند أهل اللغة، وما بين غروبها وطلوع الفجر الصادق عند أهل الشرع.

والنهار: مأخوذ من النهر بمعنى السعة لاتّساع ضوئه، وهو من طلوع الشمس إلى غروبها عند أرباب اللغة.

قال النضر بن شميل: ولايعدّ ماقبل طلوعها من النهار(٣).

وفي عرف الشرع من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس، وهو حقيقة شرعية في ذلك.

وفي الحديث: إنّما هو بياض النهار وسواد الليل(٤).

وقال الفيّومي في المصباح المنير: النهار في اللغة من طلوع الفجر إلى غروب الشمس(٥)، وهو مرادف لليوم، ولاواسطة بين الليل والنهار، وربما توسّعت

---

(١) الدرّ المنثور: ج٥ ص١٥٤ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٢) المصباح المتهجّد للطوسي: ص٧٥. ومصباح الكفعمي: ص٨٤ وفيهما: «الصباح والمساء».

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ج٢ ص١٩٣. (٤) و(٥) المصباح المنير: ص٨٦٢.

....

العرب فأطلقت النهار من وقت الإسفار إلى الغروب، وهو في عرف الناس من طلوع الشمس إلى غروبها، وإذا أُطلق النهار في الفروع انصرف إلى اليوم، نحو: صم نهاراً واعمل نهاراً، لكن قالوا: إذا استأجره أن يعمل له نهار يوم الأحد مثلاً فهل يحمل على الحقيقة اللغوية حتى يكون أوّله من طلوع الفجر؟ أو يحمل على العرف حتى يكون أوّله من طلوع الشمس لإشعار الإضافة به؛ لأنّ الشيء لايضاف إلى مرادفه؟ والأوّل هو الراجح دليلاً؛ لأنّ الشيء قد يضاف إلى نفسه عند اختلاف اللفظين نحو: ولدار الآخرة وحقّ اليقين وما أشبه ذلك، ونقل: فيه وجهان، وقياس هذا اطّراده في كلّ صورة يضاف فيها النهار إلى اليوم، كما لو حلف لايأكل أو لايسافر نهار يوم كذا(١) انتهى كلامه.

قالوا: ولايثنّى النهار ولايجمع، لأنّه بمنزلة المصدر يقع على القليل والكثير، وربّما جمع على نهر وأنهرة.

وقوّته سبحانه عبارة عن كمال قدرته، ولذلك قيل: القوّة والقدرة متقاربتان.

تنبيه

قيل: قدّم الليل على النهار في الذكر، لأنّ الليل مخلوق قبل النهار؛ لأنّ الظلمة هي الأصل والنور طارٍ عليها يسترها.

---

(١) المصباح المنير: ص٨٦٢ وفيه تقديم وتأخير.

....

واستدلّ بعضهم بقوله تعالى: «أو لم ير الذين كفروا أنّ السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما»(١) أي كانتا مظلمتين ففتقهما الله بإظهار النور فيهما، إذ لايكون مع الرتق إلّا الظلام، فهو سابق على النور.

وقال الجلال السيوطي: قد ثبت أن القيامة لا تقوم إلّا نهاراً، فدلّ على أنّ ليلة اليوم سابقة على نهاره، إذ كلّ يوم له ليلة، فكان الليل قبل النهار(٢).

والصحيح: أن النهار خلق قبل الليل، لما رواه العيّاشي في تفسيره بإسناده عن الأشعث بن حاتم، قال: كنت بخراسان حيث اجتمع الرضا عليه السلام والفضل بن سهل، والمأمون في الإيوان بمرو، فوضعت المائدة، فقال الرضا عليه السلام: إنّ رجلاً من بني إسرائيل سألني بالمدينة، النهار خلق قبل أم الليل فما عندكم؟ قال: فأداروا الكلام فلم يكن في ذلك شيء، فقال الفضل للرضا عليه السلام: أخبرنا بها أصلحك الله، قال: نعم، من القرآن أم من الحساب؟ قال الفضل: من جهة الحساب، قال: قد علمت يافضل أنّ طالع الدنيا السرطان، والكواكب في مواضع شرفها: زحل في الميزان، والمشتري في السرطان، والشمس في الحمل، والقمر في الثور، فذلك يدلّ على كينونة الشمس في الحمل في العاشر من الطالع في وسط السماء، فالنهار خلق قبل الليل(٣) انتهى.

وعلى هذا: فالنكتة في تقديم الليل في الذكر إمّا لأنّ الشهور غررها الليالي، أو لأنّه وقت العبادة والخلوة، فقدّم لشرفه.

وقال النيسابوري في تفسيره: قال أهل البرهان: قدّم الليل على النهار، لأنّ

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٣٠. (٢) لم نعثر عليه.

(٣) مجمع البيان نقلاً عن تفسير العيّاشي: ج٧ - ٨ ص٤٢٥.

وَمَيَّزَ بَيْنَهُما بِقُدْرَتِهِ.

ذهاب الليل بطلوع الشمس أكثر فائدة من ذهاب النهار بدخول الليل(١).

ماز الشيء من الشيء: من باب باع، فرّق بينهم وفصل، والتثقيل مبالغة، فيقال: ميّزه تمييزاً، وميّز بينهما، ومنه سنّ التميز وهي: السنّ التي إذا بلغ إليها الإنسان عرف مضارّه ومنافعه، وميّز بينهما.

وبين: ظرف مبهم لايبيّن معناه إلّا باضافته إلى متعدّد أو مايقوم مقامه، كقوله تعالى: «عوان بين ذلك»(٢) إشارة إلى ماذكر من الفارض والبكر، ولذلك إختصّ بالإضافة إلى متعدّد.

قال الزنجاني: وهي بحسب ماتضاف إليه، فإن أُضيفت إلى مكان كانت ظرف مكان، أو إلى زمان فظرف زمان(٣).

وقيل: أصلها أن تكون ظرفاً للزمان، وقيل بالعكس.

ومعنى التميز بينهما: جعل كلّ منهما منفصلاً عن الآخر بحيث لا يشتبه أحدهما بالآخر، فجعل الليل مظلماً والنهار مضيئاً، حتّى انّ انشقاق ظلمة الليل بظهور الصبح المستطير، وهو أثر ضوء الصبح يرى كأنّه جدول ماءٍ صافٍ يسيل في بحر كدر، بحيث لايتكدّر الصافي بالكدر ولايختلط الكدر بالصافي. ومساق الكلام يقتضي أن يكون لخلق الليل والنهار والتميز بينهما إلى غير ذلك ممّا سيأتي مدخل في اقتضاء الحمد، لأنّ ترتيب الوصف على الحكم مشعر بالعلّيّة، كما تقرّر في الأُصول، وهو كذلك، ووجهه ظاهر فإنّ خلق الليل والنهار والتميز بينهما وتخصيص كلّ منهما بحدّ وأمد من المنح الجليلة، التي لايحيط نطاق البيان بما فيها،

(١) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج٣ في ذيل آية ٧٣ من سورة القصص.

(٢) سورة البقرة: الآية ٦٨.

(٣) لم نعثر عليه.

وَجَعَلَ لِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُما حدّاً مَحْدُوداً وَأَمَداً مَمْدُوداً.

من المصالح والمنافع، ولذلك تمدّح سبحانه وامتنّ على عباده بذلك مكرّراً في كتابه الكريم، فقال عزّ من قائل: «ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلّكم تشكرون»(١).

وقال سبحانه: «الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً، إنّ الله لذو فضل على الناس ولكنّ أكثر الناس لايشكرون»(٢). وقال تعالى: «إنّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأُولي الألباب»(٣). إلى غير ذلك من الآيات.

وقد تقدّم الكلام على معنى «قدرته تعالى» في أوائل شرح الدعاء الأوّل(٤). وقرن الخلق بالقوّة والتميز بالقدرة لمناسبة ظاهرة، فإنّ إحداث الشيء من غير احتذاء على مثال يستدعي كمال القدرة بخلاف التميز.

حدّ كلّ شيء: غايته ومنتهاه، ومنه: حدّدت الدار حدّاً من باب قتل: إذا ذكرت نهايتها لتمييزها عن مجاوراتها.

ومحدوداً: أي مميّزاً معيّناً لا اشتباه فيه.

والأمد: يطلق على معنيين:

أحدهما: الغاية، ومنه قوله تعالى: «تودّ لو أنّ بينها وبينه أمداً بعيداً»(٥).

الثاني: الوقت والزمان كالمدّة، ومنه قوله تعالى: «فطال عليهم الأمد، فقست قلوبهم»(٦) أي: طال عليهم الزمان.

---

(١) سورة القصص: الآية ٧٣.
(٢) سورة غافر: الآية ٦١.
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٩٠.
(٤) ج١ ص ٢٦٠.
(٥) سورة آل عمران: الآية ٣٠.
(٦) سورة الحديد: الآية ١٦.

....

وهذا المعنى هوالمراد هنا، أي: جعل لكلّ واحد من الليل والنهار وقتاً مبسوطاً لمصالح العباد ومنافعهم التي لاتحصى.

تبصرة

مجموع زمان الليل والنهار عند الجميع أربع وعشرون ساعة من غير زيادة ولانقصان، وكلّ مانقص من الليل زاد في النهار وبالعكس.

وأطول مايكون من النهار يوم سابع عشر حزيران عند حلول الشمس آخر الجوزاء، فيكون النهار حينئذٍ خمس عشرة ساعة، والليل تسع ساعات، وهو أقصر مايكون من الليل.

ثمّ يأخذ النهار في النقصان، والليل في الزيادة إلى ثامن عشر ايلول، وهو عند حلول الشمس آخر السنبلة، فيستوي الليل والنهار، ويسمّى الاعتدال الخريفي، فيصير كلّ منهما إثنتي عشرة ساعة، ثمّ ينقص النهار ويزيد الليل إلى سابع عشر من كانون الأوّل عند حلول الشمس آخر القوس، فيصير الليل خمس عشرة ساعة، والنهار تسع ساعات، فيكون الليل في غاية الطول والنهار في غاية القصر، ثمّ يأخذ الليل في الزيادة والنهار في النقصان إلى سادس عشر آذار، عند حلول الشمس آخر الحوت، فيستوي الليل والنهار، ويصير كلّ واحد منهما اثنتي عشرة ساعة، ويسمّى الاعتدال الربيعي، ثمّ يستأنف الدور ويرجع إلى الأوّل، كما قال تعالى: «والشمس تجري لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم»(١).

---

(١) سورة يس: الآية ٣٨.

يُولِجُ كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما في صاحِبِهِ وَيُولِجُ صاحِبَه فيه.

تتمّة

كلّما ازداد البلد عرضا عن خطّ الاستواء، وهو الموضع المحاذي لمنطقة الفلك الأعظم المسمّاة معدّل النهار، ازداد نهاره في الصيف طولاً وفي الشتاء قصراً، وبالعكس في الليل.

وقد يرتقي طول النهار بحسب تزايد ارتفاع القطب إلى حيث يصير اليوم بليلته نهاراً كلّه وبإزائه الليل، ثمّ إلى أكثر من ذلك إلى حيث يكون نصف السنة نهاراً ونصفها الآخر ليلاً، فتكون السنة كلّها يوماً وليلة، وذلك إذا صار قطب الفلك الأعظم محاذياً لسمت الرأس ولا عمارة هناك ولافيما يقرب منه، إذ لايتمّ به النضج لشدّة البرد اللازم من انخفاض السمس، ولايصلح المسكن للحيوان، ولايتهيّأ فيه شيء من أسباب المعيشة.

وأمّا البلاد التي هي تحت خطّ الاستواء، فالليل والنهار فيها في جميع السنة متساويان، كلّ واحد منهما اثنتي عشرة ساعة متساوية، والله أعلم.

ولج الشيء في غيره يلج ولوجاً، من باب وعد: دخل فيه، وأولجه إيلاجاً: أدخله أي: يدخل كلّ واحد من الليل والنهار في الآخر، بأن يقلب بعض أجزاء الليل المظلمة بأجزاء النهار المنيرة ويدخله فيه وبالعكس، فيكون قد نقص من أحدهما شيئاً وزاده في الآخر، كنقصان ليل الصيف وزيادة نهاره، وزيادة ليل الشتاء ونقصان نهاره.

....

قال العلاّمة البهائي في مفتاح الفلاح: فإن قلت: هذاالمعنى يستفاد من قوله عليه السلام: «يولج كلّ واحد منهما في صاحبه»، فأيّ فائدة في قوله عليه السلام: «ويولج صاحبه فيه»؟ قلت: مراده عليه السلام التنبيه بالواو الحالية على أمر مستغرب، وهو حصول الزيادة والنقصان معاً في كلٍّ من الليل والنهار في آن واحد، وذلك بحسب اختلاف البقاع كالشمالية عن خطّ الاستواء والجنوبية عنه، سواء كانت مسكونة أم لا، فإنّ صيف الشمالية شتاء الجنوبيّة وبالعكس، فزيادة النهار ونقصانه واقعان في وقت واحد لكن في بقعتين، وكذلك زيادة الليل ونقصانه، ولو لم يصرّح عليه السلام بقوله: «ويولج صاحبه فيه» لم يحصل التنبيه على ذلك، بل كان الظاهر من كلامه عليه السلام وقوع زيادة النهار في وقت ونقصانه في آخر، وكذا الليل كما هو محسوس معروف للخاصّ والعامّ، فالواو في قوله عليه السلام: «ويولج صاحبه فيه» واو الحال بإضمار مبتدأ، كما هو المشهور بين النحاة(١). إنتهى كلامه رفع مقامه.

ويحتمل أن تكون الواو عاطفة، كما هو المتبادر من ظاهر العبارة، ويكون المراد بأحد الإيلاجين: إيجاد كلٍّ عقيب الآخر بإعتبار إيلاجه في مكانه، وبالإيلاج الآخر: الزيادة والنقص كما مرّ، فقد فسّر بعضهم قوله تعالى: «يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل»(٢) بالإتيان بأحدهما في مكان الآخر.

قال الشيخ الجليل أمين الاسلام الطبرسي(٣) في مجمع البيان: قيل في معناه

---

(١) مفتاح الفلاح للبهائي: ص١٠٧. (٢) سورة فاطر: الآية ١٣.

(٣) هو فخر العلماء والأعلام، أمين الملّة والإسلام، أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، الفقيه النبيه، الثقة الوجيه العالم الكامل، المفسر العظيم، صاحب كتاب مجمع البيان الذي قال في حقّه الشيخ الشهيد ـ رحمه

←

بِتَقْديرٍ مِنْهُ لِلعِبادِ فيما يَغْذُوهُمْ بِهِ ويُنْشِؤهم عَلَيهِ.

قولان:

أحدهما: أنّ معناه ينقص من الليل، فيجعل ذلك النقصان زيادة في النهار، وينقص من النهار، فيجعل ذلك النقصان زيادة في الليل على قدر طول النهار وقصره، عن ابن عباس والحسن ومجاهد.

والآخر: معناه: يدخل أحدهما في الآخر بإتيانه بدلاً في مكانه. عن أبي علي الجبائي(١) إنتهى.

وعلى هذا المعنى اقتصر الزمخشري في الكشاف(٢)

وقال البيضاوي: إيلاج الليل في النهار: إدخال أحدهما في الآخر بالتعقيب(٣)، أو الزيادة والنقص(٤) إنتهى.

فكأنّه عليه السلام قصد المعنيين معاً، فان حملت الإيلاج في الفقرة الأُولى على معنى الزيادة والنقص كان في الفقرة الثانية، بمعنى المعاقبة، وإلّا فبالعكس، فيكون المستفاد من الجملة المعطوفة غير مايستفاد من الجملة المعطوف عليها، والله أعلم بمقاصد أوليائه ﷺ.

التقدير: تعيين ذات الشيء وصفاته وحدوده وكيفيّاته وسائر مايدخل في خصوصيّاته.

الله ـ: هو كتاب لم يعمل مثله في التفسير، وله الوسيط والوجيز والجوامع، واعلام الورى، وغيرها. كان من أجلاء الطائفة الامامية، انتقل من المشهد الرضوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام الى سبزوار سنة ٥٢٣ هجرية وتوفي فيها سنة ٥٤٨ هجرية، وحمل نعشه إلى المشهد الرضوي ودفن في مغتسل الرضا عليه السلام وقبره مزار معلوم الآن بمقبرة قتلگاه. . الكنى والألقاب: ج ٢ ص٤٠٣).

(١) مجمع البيان: ج١ ـ ٢، ص ٤٢٨.

(٢) تفسير الكشّاف: ج١ ص٣٥٠.

(٣) في «الف»: بالعقيب.

(٤) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج٢ ص٩٧ و٩٨.

....

وقيل: هو عبارة عن تصوير الأشياء المعلومة على الوجه العقلي الكلّي، جزئية مقدّرة بأقدار معيّنة، متشكّلة بأشكال وهيئات شخصية، مقارنة لأوقات مخصوصة، على الوجه الذي يظهر في الخارج قبل إظهارها وإيجادها.

والباء: للسببيّة، متعلّقة بـ«يولج» إن جعلت جملة مستأنفة، وبـ«خلق» أوّل الدعاء إن جعلت جملة حاليّة.

ومنه: متعلّق بمحذوف صفة لتقدير، أي: كائن من عنده تعالى، وهي صفة مبيّنة لفخامة التقدير.

واللام في «للعباد»: للتعليل، أي: لأجلهم متعلّقة بتقدير.

وفي من قوله «فيما» ظرفية مجازية متعلّقة بمحذوف صفة أُخرى لتقدير، أي: تقدير منه كائن فيما يغذو العباد به، ويحتمل أن تكون للتعليل كقوله تعالى: (لمسّكم فيما افضتم)(١)، أي: لأجل مايغذوهم به.

وغذوته بالشيء: جعلته له غذاء ككتاب، وهو مايغتذى به من طعام وشراب. تقول: غذوته باللبن فاغتذى، وغذّيته بالتثقيل تغذية مبالغة.

وينشئهم: أي يربّيهم، ومنه قوله تعالى: «أو مَن ينشّؤ في الحلية وهو في الخصام غير مبين»(٢). أي: يربّى في الزينة، وأُنشيء ونشّيء بالهمزة والتثقيل: بمعنى واحد.

وعلى من قوله «عليه»: متعلّقة بينشئهم، وهي للاستعلاء المعنوي، ويحتمل أن تكون بمعنى الباء، كقولهم: إركب على اسم الله.

---

(١) سورة النور: الآية ١٤.

(٢) سورة الزخرف: الآية ١٨.

....

وفي هذا الكلام إشارة إلى حكمة اختلاف الليالي والأيّام، وتفاوت زمان النور والظلام، وهو من لطائف صنع الله تعالى وعجائب رحمته للعباد، كما قال سبحانه: «إنّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار، لآيات لأُولى الألباب»(١).

فانّ من الغرائب تعاون المتنافيين على أمر واحد، وهو إصلاح مزاج الحيوان ومعاشه.

قال بعض العارفين من أصحابنا: انظر أيُّها العارف المتعمّق في أسرار حكمة الله تعالى وجوده، أنّه لو لم يخلق هذه الأجرام النيّرات على الوضع الذي يقع به التفاوت بين الليل والنهار، بأن تلج مدّة من هذا في ذلك ومدّة أُخرى بالعكس، ويقدّر التعاقب بينهما على نظام محكم ونسق مضبوط، لما صلحت أحوال الخلائق والبلاد، ولأدّت أمزجة الحيوان والنبات ـ الذي به قوامه ـ الى الفساد، ألم تر كيف خلق الله تعالى أوضاع النيّرات العلوية ومناطق حركاتها ومدارات سيرها، على نحو تنتظم به أحوال الكائنات، وتنتفع به السفليّات، فلو ثبتت أنوارها، أو تحرّكت ولكن لزمت دائرة واحدة، لأثرت بإفراط فيما قابلها وتفريط فيما وراء ذلك، ولو لم تكن لها حركة لفعلت مايفعله السكون واللزوم، ولو لم تكن تارة سريعة وأُخرى بطيئة، ولم تجعل دوائر الحركات البطيئة وسمُوتها مائلة عن سمت الحركة السريعة، لما مالت تلك الأنوار إلى النواحي شمالاً وجنوباً، فلم تنتشر آثارها ومنافع ضوئها على بقاع الأرض، ولو لاحركة الشمس على هذا المنوال، من مخالفة سمت حركتها الذاتية لسمت حركتها العرضية، لما حصلت الفصول

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩٠.

فَخَلَقَ لَهُمُ اللَّيلَ لِيَسْكُنُوا فيهِ مِن حَرَكاتِ التَّعَبِ وَنَهَضاتِ النَّصَبِ.

الأربعة، التي يوجبها تفاوت أزمنة الليالي والأيّام، ولولا حصولها لما تمّ النظام ولاصلحت أمزجة العباد، وفسد الحرث والنسل في البلاد، وقد علمت أنّ نشأة الآخرة من الدنيا وأنّ الدنيا قنطرة الآخرة، وفي فساد القنطرة قبل العبور بطلان العبور والحرمان عن الوصول إلى دار السرور.

فإذن قد تحقّق وتبيّن عند أُولي الألباب غاية الحكمة في اختلاف الليل والنهار، وتوالجهما على هذا الوجه المؤدّي ، للنتائج والآثار، والله أعلم*.

الفاء هنا: للترتيب الذكري، وهوعطف مفصّل على مجمل، نحو: توضّأ فغسل وجهه ويديه ومسح رأسه ورجليه. فإنّه عليه السلام لمّا ذكر خلق الليل والنهار، وإيلاج أحدهما في الآخر بتقدير منه للعباد، أخذ يفصّل بعض المنافع المخصوصة بالليل، وبعض المصالح المخصوصة بالنهار، وبدأ بذكر منافع الليل على الترتيب السابق.

والسكون: ذهاب حركة المتحرّك ، سكن يسكُن من باب قتل سكوناً، وسيأتي بيان معنى الحركة في هذه الروضة إن شاء الله تعالى.

والتعب: الإعياء والكلال.

والنهضات: جمع نهضة، من نهض بمعنى قام.

وقال الفيومي في المصباح: كان منه نهضة إلى كذا أي: حركة، والجمع نهضات(١).

---

(١) المصباح المنير: ص٨٦٣.

....

والنصب: التعب، نصب نصباً كتعب تعباً وزناً ومعنى.

وفي القاموس: نصب كتعب: أعيا، والرجل: جدّ، وعيش ناصب: فيه كدّ وجهد(١) انتهى.

فلك حمل النصب هنا على معنى الجدّ والكدّ والجهد، ليكون تأسيساً لا تأكيداً، فيكون معنى حركات التعب الحركات الموجبة للتعب، ومعنى نهضات النصب الحركات التي أوجبها الجدّ والجهد في تحصيل المآرب.

وفي بعض النسخ: بهضات النصب، بالباء الموحّدة والظاء المشالة، من بهضه الحمل إذا أثقله.

ومن في قوله عليه السلام: «من حركات التعب»: للبدل، أي: ليسكنوا فيه بدلاً وعوضاً من حركات التعب، مثلها في قوله تعالى: «أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة»(٢).

أي: بدلاً منها، أو إبتدائية بتضمين السكون معنى الخلاص، أي: ليسكنوا فيه خالصين من حركات التعب ونهضات النصب، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: «الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا»(٣).

وإنّما خصّ الليل بالسكون لخلقه بارداً مظلماً، ليؤدّي إلى ضعف الحركات وهدوءالحواسّ، ليستريحوا فيه من متاعب الأشغال، ولا كذلك النهار، وإن كان السكون فيه ممكناً *.

---

(١) القاموس المحيط: ج١ ص١٣٢ وفيه «كفرح».

(٢) سورة التوبة: الآية ٣٨.

(٣) سورة غافر: الآية ٦١.

وَجَعَلَهُ لِباساً لِيَلْبَسُوا مِنْ راحَتِهِ وَمَنامِهِ فَيَكُونَ ذٰلِكَ لَهم جَماماً وَقُوَّةً.

اللباس: على وزن كتاب، مايلبس، لبس الثوب من باب تعب، لُبساً بضمّ اللام، وأمّا اللبس بالكسر فبمعنى اللباس، شبّه الليل باللباس لستره بظلامه كما يستر اللباس. قال تعالى: «وهو الذي جعل لكم الليل لباساً»(١)، وقال: «وجعلنا الليل لباساً»(٢).

قال المفسرون: أي غطاء يستتر بظلمته من أراد الاختفاء.

في تفسير علي بن إبراهيم قال: يلبس على النهار(٣) أي: يغطّي عليه، يقال: ألبسه أي: غطّاه، وهو معنى قوله تعالى: «يُغشي الليل النهار»(٤) أي: يُغطّيه به.

وقوله: «ليلبسوا من راحته ومنامه» استعارة مكنيّة تخييلية؛ شبّه الراحة والمنام بالثوب في شموله للبدن، والجامع الشمول، وهي استعارة بالكناية، وأثبت لهما اللبس الذي لايكمُل شمول الثوب للبدن إلّا به، وهي استعارة تخييلية.

ومِن من قوله «من راحته»: للابتداء مثلها في قوله تعالى: «يُحلّون فيها من أساور»(٥) عند الجمهور، وقال الأخفش: إنّها في الآية زائدة(٦)، بدليل قوله تعالى: «وحُلوا أساور»(٧). ولو قيل بزيادتها هنا لم يكن بعيداً، لصحّة المعنى بدونها.

والضمير في «راحته ومنامه»: لليل؛ والإضافة إمّا بمعنى «في» مثل «مكر

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٤٧.

(٢) سورة النبأ: الآية ١٠.

(٣) تفسير القمّي: ج٢ ص٤٠١.

(٤) سورة الأعراف: الآية ٥٤.

(٥) سورة الكهف: الآية ٣١.

(٦) تفسير روح المعاني: ج٢٢ ص١٩٨.

(٧) سورة الإنسان: الآية ٢١.

وَلِينالُوا بِهِ لَذّةً وَشَهْوَةً.

الليل»(١)، أو بمعنى اللام الاختصاصية، وأجاز بعضهم عودَ الضمير فيهما إلى الله سبحانه باعتبار خلقه لهما.

والفاء من قوله «فيكون»: عاطفة سببية، وذلك إشارة إلى لبس الراحة والمنام.

والجَمام بفتح الجيم: الراحة والنشاط، ويقال: جمّ الفرس جمّاً وجماماً: إذا ترك فلم يركب فذهب إعياؤه وتعبه.

فقوله: «جماماً» إشارة إلى استراحة القوى النفسانية.

وقوله: «قوّةً» إلى تقوّي القوىٰ الطبيعية*.

نال الشيء -من باب تعب- يناله نيلاً: أصابه.

واللذّة: قيل: إدراك المشتهىٰ، وقيل: إدراك الملائم من حيث إنّه ملائم، كطعم الحلاوة عند حاسّة الذوق، والنور عند البصر، وحضور المرجو عند الوهمية، والأُمور الماضية عند القوّة الحافظة تلتذّ بتذكّرها.

وقيد الحيثية للاحتراز عن إدراك الملائم لامن حيث ملائمته فإنّه ليس بلذّة، كالدواء النافع المرّ، فإنّه من حيث إنّه نافع يكون ملائماً لامن حيث إنّه مرّ.

والشهوة: انبعاث النفس وحركتها طلباً للملائم، والمراد بها هنا المشتهى، إذ الشهوة نفسها لااختصاص لها بالليل.

وعبّر عليه السلام بالشهوة عن المشتهى، كما عبّر سبحانه بالشهوات عن المشتهيات في قوله تعالى: «زُيّن للناس حبّ الشهوات»(٢).

---

(١) سورة سبأ: الآية ٣٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٤.

وَخلَقَ لهـم النهار مبصـراً لِيَبْـتَغُوا فـيهِ مِن فَضْـلِهِ وَلِيَـتَسبَّبُوا إلىٰ رِزْقِهِ.

قال المفسـرون: جعل الأعـيان المشتهيـات شهوات مـبالغـةً في كونها مشتهـاة محروصاً على الاستمتـاع بها؛ وذلك لـلتعلّق والاتّصال، كما يـقال للـمقدور قدرة وللمرجوّ رجاء(١)، إنتهى.

والباء من قوله «به»: ظرفية بمعنى «في»، والضمير عائد إلى الليل.

والمراد باللذّة والشهوة اللتين تنالان في الليل: الرفثُ إلى النسـاء، وإنّما خصّ ذلك بالليل لأنّه أسترُ من النهار، والفعل فيه أخفى منه في النهـار، وقد جاء النصّ على إخفاءِ هذا الفعل، ولأنّه أحمدُ أوقاته.

قـالت الأطبّاء: أجود أوقاتـه النصف الأخير من الليـل وقد انهضم الطعام وسخنَ باطنُ الرحِم *.

مـبصراً: أي ذا إبصار، باعتبـار اصحابه لإبصارهم بمـا فـيه من الضياء طرقَ التقلّب في امور المعاش.

فـبولغ فيه حيـث جـعل الإبصار الذي هو حـال الناس حالاً له ووصفاً من أوصافه التي خُلق عليها بحيث لاينفكّ عنها، ولم يسلكْ في الليل هذا المسلك لما أنّ تأثير الظلام في السكون ليس بمثابة تأثير ضوءِ النهار في الإبصار.

وبغى الشيء يبغيه ويبتغيه: طلبه.

وفي الابتغاء مزيد اعتمال ناشيء من اعتناء النفس بتحصيل الفضل وسعيها في طلبه.

---

(١) تفسير الكشاف: ج١ ص٣٤٢، والتفسير الكبير للفخر الرازي: ج٧ ص١٩٥.

وَيَسْرَحُوا في أرْضِهِ طَلَباً لِما فيهِ نَيْلُ العَاجِلِ مِنْ دُنْياهُمْ وَدَرَكُ الآجِلِ في أُخراهُم.

وفيه اقتباس من قوله تعالى: «جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله»(١).

وتسبّب إليه: توصّل، مأخوذ من السبب وهو الحبل، وهو مايتوصّل به إلى الاستعلاء، ثمّ استعير لكلّ شيء يتوصّل به إلى الأمر من الأُمور، فقيل: هذا سبب هذا، وهو مسبّب عنه، وقد تسبّب إليه: أي توصّل، واتخذ إليه أسباباً، توصّله إليه.

وقد تقدّم الكلام على الرزق في الروضة الأُولى، فليرجع إليه(٢)*.

سرحت الإبل -من باب نفع- سرْحاً وسروحاً: خرجت بالغداة(٣) إلى المرعى، وسرحْتها أنا بالتخفيف يتعدّى ولايتعدّى، وسرّحتها بالتثقيل للمبالغة والتكثير، واذا رجعت بالعشيّ قيل: راحت.

ومنه قوله تعالى: «ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون»(٤).

شبّه عليه السلام انتشار الناس لطلب المعاش في أوّل النهار بخروج الإبل إلى مراعيها، وهي استعارة تبعيّة.

وقوله عليه السلام: «طلباً» مفعول له، أو مصدر في موقع الحال، أي: لأجل الطلب، أو طالبين.

وما: موصولة أو موصوفة.

ونيل الشيء: إصابتُه وإدراكه.

---

(١) سورة القصص: الآية ٧٣. (٢) ج١ ص ٣٧٣. (٣) في «ج»: الغداء. (٤) سورة النحل: الآية ٦.

....

والعاجل: اسم فاعل من عجل بمعنى حضر، لابمعنى أسرع.

قال الفيّومي(١) في المصباح: عجل عجلاً -من باب تعب- وعجلةً: أسرع وحضر فهو عاجل، ومنه العاجلة للساعة الحاضرة(٢).

والدنيا: تأنيث الأدنى، ووزنها فعلى كصغرى وكبرى، تأنيث الأصغر والأكبر. وقد وردت على خلاف القياس لانسلاخها عن معنى الوصفيّة وإجرائها مجرى الأسماء، وهي اسم هذه الحياة.

قيل: سمّيت بها لدنوّها من الآخرة، وقيل: لبعد الآخرة عنها.

والدرك بفتح الراء: الإدراك، وهو اللحاق والوصول. وتسكين الراء لغة.

قال الفارابي في ديوان الأدب: الدرْك لغة في الدرَك وهو إدراك الشيء(٣). إنتهى.

وقيل: هو بالتحريك إسم، وبالسكون مصدر.

والآجل خلاف العاجل، اسم فاعل من أجل -من باب تعب- بمعنى تأخّر.

والأُخرى: بمعنى الآخرة، اسم لدار البقاء، سمّيت بها لتأخّرها عن الدنيا. وهي في الأصل صفة فأجريت مجرى الأسماء، كالآخرة والدنيا، بدليل قوله

---

(١) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ كمال الدين محمد بن أبي الحسن علي المصري الحموي، شيخ فاضل أديب لغوي مقري، صاحب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، والشرح الكبير هو شرح الرافعي على كتاب الوجيز في الفروع للغزالي، والمصباح في شرح غريب ذلك الشرح وممّا ذكر في حقه أنه ذهب الى حليّة المتعة مستدلاً بقوله تعالى: «فما استمتعتم به منهن فآتوهنّ اجورهنّ» بأنّها محكمة غير منسوخة.

وفيوم- كقيّوم اسم ناحية بمصر، وتوفّي في نيّف وسبعين و سبعمائة هجرية. (الكنى والألقاب: ج٣ ص٣٤).

(٢) المصباح المنير: ص٥٣٨.

(٣) ديوان الأدب: ج١ ص٢٢٥.

....

تعالى: «وأنّ عليه النشأة الأُخرى»(١)، «ثمّ الله ينشيء النشأة الآخرة»(٢).

فإن قلت: إذا كانت الأُخرى بمعنى الآخرة فكيف منعوا أن يقال: جمادي الأُخرى مع قولهم جمادي الآخرة؟ قلتُ: إنّما منعوا ذلك لخوف اللبس، فإنّ الأُخرى كما تكون بمعنى الآخرة تكون مؤنّث الآخَر ـ بفتح الخاء ـ بمعنى المغائر لمتقدّم(٣) ذكْره وإن كان متقدّماً في الوجود، وكذلك مؤنّثه ومجموعه، فلو قيل: جمادي الأُخرى احتمل أن يراد بها هذا المعنى، فيتناول المتقدّمة والمتأخّرة فيحصل اللبس، بخلاف الآخرة، فإنّها نصّ في التأخّر الوجودي.

والمراد بنيل العاجل في الدنيا: نيل المنافع الدنيوية والمطالب المتعلّقة بهذه النشأة، ويُدرك الأجل من الأُخرى: إدراكُ ثمرات الأعمال الصالحة الموجبة للسعادة الأبدية في النشأة الأُخروية.

تنبيه

دلّ هذا الكلام منه عليه السلام على أنّ الله جلّ جلاله خلق الليل والنهار لعباده ليراعوا أمر دنياهم وأُخراهم معاً، دون الاقتصار على مراعاة أحدهما من غير التفات إلى الأُخرى.

والناس في ذلك ثلاثة أصناف: صنفٌ هم المنهمكون في الدنيا بلاالتفات منهم إلى الأُخرى، وهم المسمّون عبدة الطاغوت وشرّ الدوابّ، وما شاكل ذلك

---

(١) سورة النجم: الآية٤٧. (٢) سورة العنكبوت: الآية ٢٠. (٣) في «الف»: لتقدّم.

....

من الأسماء. وصنف مخالفون لهم غاية المخالفة، يراعون الأخرى من غير التفات منهم إلى مصالح الدنيا. وصنف متوسّط وفّوا الدارين حقّهما، وهذا الصنف هم عند الحكماء الأفضلون؛ لأنّ بهم قوام أسباب الدنيا والآخرة، ومنهم عامّة الأنبياء، لأنّ الله تعالى بعثهم لإقامة مصالح المعاد والمعاش، ولأنّ أُمورهم مبنيّة على الاعتدال الذي هو أشرف الأحوال.

قال بعض العلماء: أجدر أن تكون هذه الأصناف الثلاثة داخلة في عموم قوله تعالى: «وكنتم أزواجاً ثلثةً * فأصحاب الميمنة ماأصحاب الميمنة * وأصحاب المشئمة ماأصحاب المشئمة * والسابقون السابقون»(١) الآية. فالمراعي للدنيا والآخرة -على مايحسن وكما يحسن- من السابقين.

قال: وجعل قوم السابقين هم النسّاك الذين رفضوا الدنيا وزهدوا فيها بالكليّة، محتجّين بقوله تعالى: «وما خلقتُ الجنّ والإنس إلّا ليعبدون»(٢). وخفي على هذا أنّ أعظم عبادة الله مايكون عائداً بمصالح عباده.

روى ابن مسعود عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «الخلق كلّهم عيال الله وأحبّ الناس إليه أنفعهم لعياله»(٣).

وقال بعض المحقّقين من أصحابنا رضوان الله عليهم: إنّ ترك الدنيا بالكليّة ليس هو مطلوب الشارع من الزهد فيها والتخلّي عنها؛ لأنّ الشارع يراعي نظام العالم باشتراك الخلق في عمارة الدنيا، وتعاونهم على المصالح، ليتمّ بقاء النوع

---

(١) سورة الواقعة: الآية ٧ إلى ١٠.

(٢) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٣) قرب الأسناد: ص ٥١، وسائل الشيعة: ج ١١ ص ٥٦٦ ح ٩ وفيهما: «فاحبّهم إلى الله عزّوجلّ».

بِكُلِّ ذلِكَ يُصلِحُ شَأنَهُمْ وَيَبلُو أخبارَهُم.

الإنساني، وتركُ الدنيا وإهمالها بالكلية يهدم ذلك النظام وينافيه، بل الذي تأمر به الشريعة القصد في الدنيا واستعمال متاعها على القوانين التي وردت به الرسل، والوقوف فيها عند الحدود المضروبة في شرائعهم دون تعدّيها.

وقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام وجماعة من أكابر الصحابة رضوان الله عليهم أميل إلى طريق التقشّف، لكن مع مشاركتهم لأهل الدنيا في تدبير أحوال المدن وصلاح العالَم، غير منقطعين عن أهلها ولامنعزلين.

وأمّا السالكون من الصوفيّة بعد عصر الصحابة، فمنهم من اختار التقشّف وترك الطيّبات وهجر اللذات رأساً، ومنهم من آثر الترف.

والذي يفعله المحقّقون من السالكين من التقشّف لاينافي الشريعة؛ لعلمهم بأسرارها، وطريقتهم أقربُ إلى السلامة من طريق المترفين(١)، لكون الترف مُحالّ الشيطان. والله أعلم *.

الباء: للاستعانة متعلّقة بـ«يصلح»، قدّمت مع مجرورها عليه لتأكيد الشمول.

وذلك: إشارة إلى خلق الليل لباساً والنهار مبصراً، وإعدادهما لمصالحهم من لبس الراحة والمنام، ونيل اللذّة والشهوة، والابتغاء من فضله، والتسبّب إلى رزقه، والسروح في أرضه لطلب منافعهم الدنيوية والأُخروية.

والشأن: الأمر بمعنى الحال. وهو مهموز العين. وقد تسهل الهمزة، فيقال: شان بالألف.

---

(١) المترف: المتنعم المتوسّع في ملاذّ الدنيا وشهواتها. (النهاية لابن الأثير: ج١ ص١٨٧).

وَيَنظرُ كَيْفَ هُمْ في أَوْقَاتِ طاعَتِهِ وَمَنازِلِ فُرُوضِهِ وَمَواقِعِ أَحْكامِهِ.

وبلاه يبلوه: بمعنى اختبره، ويقال: ابتلاه يبتليه أيضاً.

والأخبار: جمعُ خبر محرّكةً وهو اسم ماينقل ويتحدّث به.

والمراد بأخبارهم مايخبر به من أعمالهم فيظهر حسنها وقبيحها.

واعلم أنّه لمّا كانت حقيقة الابتلاء والاختبار طلب الخبر بالشيء، ومعرفته لمن لايكون عارفاً به، وكان هو تعالى عالماً بما كان وما يكون قبل كونه، كما قال تعالى: «وما من غائبة في السماء والأرض إلّا في كتاب مبين»(١)، وقال تعالى: «ماأصاب من مصيبة في الأرض ولافي أنفسكم إلّا في كتاب من قبل أن نبرأها إنّ ذلك على الله يسير»(٢)، لم يكن إطلاق هذا اللفظ في حقه سبحانه حقيقةً، بل على وجه الاستعارة، باعتبار أنّه لمّا كان ثوابه وعقابه موقوفين على تكليفهم بما كلّفهم به، فإن أطاعوه فيما أمرهم به أثابهم، وإن عصوه عاقبهم، أشبه ذلك اختبار الإنسان لعبيده، وتمييزه لمن أطاعه منهم ممّن عصاه، فاطلق عليه لفظه.

فقوله عليه السلام: «ويبلو أخبارهم» كقوله تعالى: «ولنبلونّكم حتّى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوَ أخباركم»(٣). والمعنى: يعاملهم معاملة المبتلي والمختبر فيما يخبر به عن أعمالهم *.

أي: يرى كيف هم.

و إطلاق «النظر» عليه سبحانه من باب الاستعارة، وإلّا فالنظر حقيقةً لايجوز عليه تعالى؛ لأنّه إنّما يكون بالقلب، وهو ملاحظة معقول لتحصيل مجهول،

---

(١) سورة النمل: الآية ٧٥. (٢) سورة الحديد: الآية ٢٢. (٣) سورة محمّد(ص): الآية ٣١.

....

أو بالعين، وهو تقليب الحدقة السالمة نحو المرئي إلتماساً لرؤيته. وكلٌّ من هذين المعنيين لايجوز عليه سبحانه، وإنّما يستعمل ذلك في صفاته العليا على وجه المجاز والاتّساع.

فيقال: أُستعير «النظر» للعلم الحقيقي الذي لايتطرّق إليه شكٌّ، ويعنى به العلم الذي يتعلّق به الجزاء، فإنّ النظر إنّما هو لطلب العلم، وهو تعالى يعامل عباده معاملة المختبر الذي لايعلم مايكون منهم، فيطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم على مايظهر منهم، دون ماقد علم أنّهم يفعلونه، مظاهرةً في العدل.

قال الزجّاج: إنّ الله تعالى لايجازيهم على مايعلمه منهم قديماً، وإنّما يجازيهم على مايعلمه منهم حديثاً، فيتعلّق النظر الأزليّ به(١).

وقال بعض العلماء: قد وقع في مواضع من القرآن مايوهم أنّ علمه تعالى ببعض الأشياء حادثٌ، كقوله تعالى: «ولنبلونّكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين»(٢) وقوله تعالى: «ثمّ بعثناهم لنعلم أيّ الحزبين أحصى لما لبثوا امداً»(٣) وأمثال ذلك.

والتفصّي عن هذا الإشكال، إمّا بما ذهب إليه المتكلّمون من أنّ علمه سبحانه قديم ومتعلّقه حادث، فمعنى «حتى نعلم» حتّى يتعلّق علمنا القديم بالمجاهدين منكم والصابرين، وإمّا بأنّ المراد بالعلم الشهود، فإنّ الأشياء قبل وجودها العينيّ معلومةٌ للحقّ سبحانه وبعده مشهودةٌ له، فالشهود خصوص نسبة للعلم، فإنّه قد يلحق العلم بواسطة وجود متعلّقة نسبة باعتبارها نسمّيه شهوداً

(١) مجمع البيان: ج ٣ - ٤ ص٤٦٥. (٢) سورة محمّد(ص): الآية ٣١. (٣) سورة الكهف: الآية ١٢.

....

وحضوراً، إلّا أنّه حدث هناك علمٌ، فمعنى «حتى نعلم» حتّى نشاهد، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «كيف هم» جملةٌ اسمية فـ«هم» مبتدأ و«كيف» خبره، قدّم عليه لتضمّنه مايقتضي صدر الكلام وهو الاستفهام(١)، والجملة في موضع مفعول مقيّد بالجارّ، لأنّه يقال: نظرتُ فيه أو إليه، ولكن علّق الفعل بالاستفهام عن الوصول في اللفظ إلى المفعول، وهو من حيث المعنى طالبة له على معنى ذلك الحرف، هذا على مذهب ابن خروف(٢) وابن عصفور(٣) وابن مالك (٤) من إلحاق نظرٍ قلبيّةً كانت نحو «فانظري ماذا تأمرين»، أو بصريّةً نحو «فلينظر أيّها أزكى طعاماً» بأفعال القلوب في التعليق (٥).

ولك جعل «كيف» حالاً وخبر المبتدأ الظرف بعده، وقدّمت الحال لما تقدّم.

والمعنى على الأوّل: ينظر على أيّ حال هم حال كونهم في أوقات طاعته.

وعلى الثاني: ينظر كونهم في أوقات طاعته على أيّ حال؛ لأنّ مفعول «النظر» إنّما هو مضمون الجملة.

قوله عليه السلام: «في أوقات طاعته» إمّا حال من ضمير الجمع، أو خبرٌ له على ماذكرنا.

والأوقات: جمعُ وقت، وهو مقدار من الزمان مفروض لأمرٍ ما.

---

(١) هذه العبارة وجدناها في شرح الشذور لابن هشام: ص٣٦٥.

(٢) الحدائق النديّة في شرح الصمديّة: ص٤٥٤.

(٣) و(٤) و(٥) الحدائق النديّة في شرح الصمديّة: ص٤٥٤.

لِيَجْزِيَ الّذينَ أساؤا بِما عَمِلوا وَيَجْزِيَ الّذينَ أحسنُوا بِالحُسنىٰ.

والطاعة: موافقة الأمر. وقيل: هي الانقياد لأمر الآمر ونهيه، والمراد: الأوقات التي وقّتها سبحانه لطاعته مستحبّةً كانت، كأوقات النوافل وزمان الصوم المندوب، أو واجبةً، كأوقات الصلاة وشهر الصيام وأشهر الحجّ ونحو ذلك.

قوله عليه السلام: «ومنازل فروضه» المنازل: جمع منزل، وهو موضع النزول. والفروض: جمع فرض وهو هنا بمعنى الإيجاب، من فرض الله الأحكام فرضاً -من باب ضَرَب-: أوجبها. وإنّما جمعه لتنوّعه ويكون بمعنى المفروض، وهو هنا بمعنى الإيجاب إلى ماأمر الله عباده أن يفعلوه، كالصلاة والزكاة. ويرادفه الأمر والمكتوب والواجب.

وفرّق أصحاب أبي حنيفة بين الفرض والواجب، فالفرض عندهم مايثبت وجوبه بدليلٍ مقطوعٍ به، والواجب مايثبت وجوبه بدليلٍ مجتهدٍ فيه.

والمراد بمنازل الفروض: متعلّقاتها -أعني المفروضات- جعل ماتعلّق به الفرض كالمنزل له.

قوله عليه السلام: «ومواقع أحكامه». المواقع: جمع موقع، وهو المحلّ الذي يقع فيه الشيء. والحكم لغةً: القضاء، واصطلاحاً: خطاب الله تعالى المتعلّق بالمكلّفين. والمراد بموقعه: مناطه ومتعلّقه.

والمعنى: ويرى على أيّ حال هم في أوقات طاعته، أيطيعونه فيها أم لا؟ وفيما فرضه عليهم وأمرهم به، أيؤدّونه ويمتثلون الأمر بالقيام به أم لا؟ وفيما حكم به من التكاليف، أيعملون بأحكامه ويؤثرون طاعته فيها أم لا؟ *.

أي: ليجزي الذين أساؤا بعقاب ماعملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالمثوبة

اللّهُمّ فَلَكَ الحَمْدُ عَلىٰ مافَلَقْتَ لَنا مِنَ الإصباحِ وَمَتَّعْتَنا بِهِ مِن ضَوْءِ النَّهارِ.

الحسنى أو المنزلة والمرتبة الحسنى وهي الزلفى والجنّة.

وفي جعل جزاء الإساءة ماعملوا وجزاء الإحسان الحسنى تنبيهٌ على أنّ جزاء السيئة لايضاعف وجزاء الحسنة يضاعف؛ لأنّ الحسنى مؤنّث الأحسن وهو يقتضي الزيادة، كما صرّح سبحانه بذلك في قوله تعالى في سورة الأعراف: «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيّئة فلايجزى إلّا مثلها وهم لايُظلمون»(١)، وقد تقدّم الكلام على هذه الآية في الروضة الاولى(٢)، فليرجع إليه.

هذا إلتفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب، وتلوينٌ للنظم من باب إلى باب، جارٍ على نهج البلاغة في افتنان(٣) الكلام، ومسلك البراعة حسب مايقتضيه المقام. قالوا: وفائدته العامّة أنّ التنقّل من أُسلوب إلى أُسلوب أدخلُ في استجلاب النفوس واستمالة القلوب، حتى أنّ نفس المتكلّم لتجد في ذلك مالاتجده في إجراء الكلام كلّه على نمط واحد وحركة على منوال مطّرد، وقد يختصّ كلّ موقع بنكت ولطائف باختلاف محلّه.

فمّا يمكن أن يقال هنا من النكت الرائقة أُمور:

أحدها: الإشارة إلى أنّ حقّ الكلام أن يجري من أوّل الأمر على طريق الخطاب؛ لأنّ الله تعالى حاضرٌ لايغيب، بل هو أقرب من حبل الوريد، لكن إنّما

(١) ليست الآية في سورة الاعراف بل في سورة الأنعام: الآية ١٦٠.

(٢) ج١ ص ٥٠٤

(٣) في «الف»: افتتان.

....

أجري على طريق الغيبة والبعد عن مقام الحضور والقرب رعايةً للأدب الذي هو دأب السالكين وشعار المحبّين، فلمّا حصل القيام بهذه الوظيفة جرى الكلام على ما كان حقّه أنْ يجري عليه في ابتداء الذكر، في الحديث القدسيّ: «أنا جليس من ذكرني»(١).

الثاني: التنبيه على أنّ الدعاء ينبغي أن يكون عن قلبٍ حاضر وتوجّهٍ كامل، بحيث كلّما أجرى الداعي صفةً من تلك الصفات العظمى على لسانه، ونقشه على صفحة جنانه، حصل للمدعوّ مزيد انكشاف وانجلاء، وللداعي زيادةُ قرب واعتلاء، وهكذا شيئاً فشيئاً إلى أن يترقّى إلى درجة الحضور ويفوز بمرتبة العيان فيناجيه بصيغة الخطاب.

الثالث: أنّه لمّا شرع في الدعاء نوى القربة، فأثنى على الله تعالى بما ناسب الوقت بطريق الغيبة، فكأنّه استشعر إجابة دعائه في حصول القربة، فانتقل من مقام الغيبة إلى مقام الحضور.

الرابع: أنّه لمّا أخذ يدعو كان ذاكراً مفكّراً فحمد الله بلفظ الغيبة، ثمّ صار واصلاً فحمده بصيغة الخطاب.

الخامس: أنّه لمّا ابتدأ الدعاء كان ناظراً وملاحظاً عظمة مخلوقاته تعالى، ثمّ التفت إلى عظمة الخالق فناجاه مخاطباً.

والفاء من قوله «فلك الحمد»: فصيحة، أي: اللّهمّ إذا كان خلق الليل والنهار لهذه المصالح العظيمة والمنافع الجليلة فلك الحمد.

---

(١) الجواهر السنية في الأحاديث القدسية: ص٦٦.

....

وتقديم الظرف للتخصيص، أي: لك الحمد خاصّة.

وفلقت الشيء فلقاً -من باب ضَرَب-: شققته.

والإصباح: مصدرٌ سمّي به الصبح، قال تعالى: «فالقُ الإصباح»(١). قيل: المراد فالق ظلمة الإصباح، وهي الغبش(٢) في آخر الليل. وكأنّ الأُفق كان بحراً مملوء من الظلمة، ثمّ إنّه تعالى شقّ ذلك البحر المظلم بأن أجرى فيه جدولاً من النور. فالمعنى: فالق ظلمة الإصباح بنور الإصباح. وحسن الحذف للعلم به، أو المراد فالق الإصباح بضياء النهار وإسفاره، ومنه قولهم: انشقّ عمود الفجر وانصدع الفجر، أو المراد مظهر الإصباح بواسطة فلق الظلمة. فذكر السبب وأراد المسبّب. أو الفالق بمعنى الخالق، وعن ابن عباس والضحّاك: الفلق بالسكون بمعنى الخلق(٣).

وأمّا الفلق بالتحريك فهو ضوء الصبح، لأنّه بمعنى مفعول.

ومِن من قوله «مِن الإصباح»: مبيّنة لـ«ما».

ومفعول «فلقْت» محذوف. أي: على مافلقْتَه لنا.

ومتّعته بالتثقيل وأمتعتُه به بالهمزة: جعلته له متاعاً، وهو اسم لما ينتفع به.

والضوء: النور، وهو ماانتشر من الأجسام النيّرة. وقيل: هو أقوى من النور، فهو فرطُ الإنارة.

وقال المتكلّمون: القائم بالمضيء لذاته هو الضوء، كما في الشمس،

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٩٦.

(٢) غبش الليل وأغبش: إذا أظلم ظلمة يخالطها بياض (النهاية لابن الأثير: ج٣، ص٣٣٩).

(٣) الدر المنثور: ج٣ ص٣٣.

....

وبالمضيء بغيره هو النور، كما في القمر ووجه الأرض. قال تعالى: «جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً»(١) وقد يتعاوران.

«تبصرة»

إعلم أنّ ضوء الصبح إنّما هو من ضياء الشمس قطعاً. وبيان ذلك -على ماحرّره أرباب الهيئة-: أنّ المستضيء بالشمس من الأرض أكثر من نصفها دائماً، لأنّ الشمس أعظم من الأرض، كما قام عليه البرهان في محلّه، ومتى استضاءت كرة صغرى من كرة عظمى كان المستضيء من الصغرى أكثر من نصفها، والمظلم أقلّ منه، ويكون ظلّها مخروطياً، فظلّ الأرض على هيئة مخروط يلازم رأسه مدار الشمس وينتهي في فلك الزهرة، كما علم بالحساب، والنهار مدّة كون المخروط تحت الأفق، والليل مدّة كونه فوقه، فإذا ازداد قرب الشمس من شرقيّ الأُفق ازداد ميل المخروط إلى غربيّه، ولايزال كذلك حتّى يرى الشعاع المحيط به، وأوّلُ مايُرى منه هو الأقرب إلى موضع الناظر؛ لأنّه أصدق رؤية، وهو موضع خطّ يخرج من بصره عموداً على الخطّ المماسّ للشمس والأرض، فيُرى الضوء مرتفعاً عن الأفق مستطيلاً، وما بينه وبين الأُفق مظلماً، لقربه من قاعدة المخروط الموجب لبعد الضوء هناك عن الناظر وهو الصبح الكاذب. ثمّ إذا قربت الشمس جدّاً يُرى الضوء معترضاً منبسطاً وهو الصبح الصادق. فسبحان

---

(١) سورة يونس: الآية ٥.

وبَصّرتَنا بِهِ(١) مِنْ مَطالِبِ الأقْواتِ وَوَقَيْتَنا فيهِ مِنْ طَوارِقِ الآفاتِ.

فالق الإصباح، وهذا لاينافي كونه تعالى فالقه بالحقيقة، كما أنّ وجود النهار بسبب طلوع الشمس لاينافي كونه تعالى خالقه.

والفخر الرازي أراد أن يبيّن أنّ ذلك بقدرة الفاعل المختار، فنفى كون الصبح بسبب ضوء الشمس بحجج اخترعها من عند نفسه(٢)، وكلّها خلاف المعقول والمنقول من علم الرياضة، فكانت ساقطةً عن درجة الاعتبار، زائفةً عند أُولي الأبصار.

بصّره إيّاه وبصّره به تبصيراً: عرّفه وأوضحه له حتى كأنّه مبصر له، أو هو من البصيرة بمعنى العلم والخبرة، أي: أعلمتنا.

والباء من «به» إن جعلت للتعدية كان الضمير المجرور بها راجعاً إلى «ما»، والتقدير: وعلى مابصّرتنا به من مطالب الأقوات، وإن جعلت ظرفيّة كان راجعاً إلى ضوء النهار.

ومفعول «بصّرتنا» محذوف، والتقدير: وعلى مابصّرتناه في ضوء النهار من مطالب الأقوات، وحذف المفعول كثير في مثل هذا المقام.

ومن على الوجهين بيانيّة.

والمطالب: جمعُ مطلب، يكون مصدراً أو اسم مكان، أي: موضع الطلب. وكلٌّ من المعنيين محتمل هنا، أي: عرّفتناه من طلب الأقوات، أو أماكن طلبها.

والأقوات جمعُ قوت بالضمّ: وهو مايؤكل يمسك الرمق.

---

(١) كلمة «به» غيرموجودة في بعض النسخ

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج١٣ ص٩٥- ٩٩ ذيل الآية ٩٦ من سورة الأنعام.

أَصْبَحْنا وأَصبَحَتِ الأشياءُ كُلّها بِجُملَتِها لَكَ.

ووقاه الله يقيه وقايةً بالكسر: حفظه.

والطوارق: جمعُ طارق أو طارقة، بمعنى حادث أو حادثة، أي: **حوادث الآفات.**

و إنّما سمّيت الحوادث طوارق تشبيهاً لها بالآتي ليلاً، لاحتياجه **غالباً إلى طرق** الباب ـأي: دقّه ـ ولذلك اضيفت في بعض الأدعية إلى الليل، ومنه: «أعوذ من طوارق الليل»(١)، ثمّ توسّع فيها فاطلقت على مطلق الحوادث ليلاً كانت أو نهاراً.

والآفات: جمع آفة، وهي عرضٌ يفسد ماأصابه، وهي العاهة.

وإيف الشيء ـكقيل، بالبناء للمفعول ـ: أصابته الآفة، وهو مؤوف ـكرسول ـ والأصل: مأووف على مفعول، لكنّه استعمل على نقص العين فوزنه «مفول».

أصبحنا: جملةٌ مستأنفة لامحلّ لها من الإعراب، أي: دخلنا في الصباح.

والأشياء: جمع شيء، وهو في اللغة عبارة عن كلّ موجود إمّا حساً كالأجسام، أو حكماً كالأقوال. وقد أسلفنا الكلام على اختلافهم في إطلاقه على المعدوم في أوائل الروضة الثانية، فليرجع إليه.

وكلّها: تأكيد للأشياء، أفادت عموم أفرادها.

وبجملتها: حال مؤكّدة لصاحبها، والجملة بالضمّ: جماعة الشيء أي: وأصبحت الأشياء كلّها جميعاً. فهو كقوله تعالى: «ولو شاء ربّك لآمن من في

---

(١) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج٣ ذيل الآية ١ و٢ من سورة الطارق وبهامش تفسير الطبري: ج ٣٠ ص ٦٥. وفيه (التعوذ) وليس (أعوذ)

....

الأرض كلّهم جميعاً»(١).

والباء في «بجملتها»: للملابسة متعلّقة بمحذوف وجوباً، أي: متلبّسة بجملتها. وإنّما لم تجعلها متعلّقة بـ«أصبحت»؛ لأنّ الظرف والجار والمجرور إذا وقعا حالاً وجب تعلّقهما بمحذوف.

ولك: حال من «الأشياء». والمعنى: دخلنا في الصباح ودخلت فيه الأشياء كلّها بجملتها كائنة لك، أي: عرفنا الأشياء كلّها لك، كذا قال شارح الحصن الحصين(٢) في نظير هذا الموضع.

والظاهر أنّ «لك» حال من الضمير في «أصبحنا» ومن «الأشياء» معاً، أي: مملوكين لك.

وهذا الكلام إنشاء في صورة الخبر، كقولك: بعت واشتريت؛ لأنّ المقصود به الإقرار لله سبحانه بالمملوكية والتضرّع إليه تعالى، لا الإخبار عن ذلك، فهو لا يحتمل التصديق والتكذيب، فتعيّن كونه إنشاء.

لا يقال: كيف يكون إنشاء ولنسبته خارج، وقد قالوا: إن الكلام إمّا أن يكون لنسبته خارج أو لا، فالأوّل الخبر والثاني الإنشاء؟ لأنّا نقول: إنّما يكون لنسبته خارج إذا أُريد به الإخبار، وأمّا حال الدعاء فلا ملاحظة لنسبته الخارجية أصلاً، بل الغرض مجرّد الاعتراف والإقرار.

فإن قلت: فليكن الغرض من ذلك إفادة لازم الحكم، كما أشار إليه شارح الحصن بقوله: «أي عرفنا الأشياء كلّها لك». **قلت**: إنّما يفاد الحكم أو لازمه

---

(١) سورة يونس: الآية ٩٩.

(٢) لم نعثر عليه.

سَماؤها وَأرْضُها.

من لايكون عالماً بأحدهما، والله سبحانه لايخفى عليه شيء، فلم يبق إلّا أن يكون الغرض إنشاء الإقرار والتضرّع كما ذكرنا، وقس على ذلك مايرد عليك في الدعاء من أمثاله.

قال المحقّق التفتازاني في شرح التلخيص: كثيراً ماتورد الجملة الخبرية لأغراض أُخرى سوى إفادة الحكم أو لازمه، كقوله تعالى حكاية عن امرأة عمران: «ربّ إنّي وضعتها أُنثى»(١) إظهاراً للتحسّر على خيبة رجائها وعكس تقديرها والتحزّن إلى ربّها؛ لأنّها كانت ترجو وتقدّر أن تلد ذكراً، وقوله تعالى حكايةً عن زكريا «ربّ إنّي وهن العظم منّي» (٢) إظهاراً للضعف والتخشّع(٣). إنتهى.

قال بعضهم: وهو جارٍ في كلّ خبر يخاطب به من يستحيل عليه الجهل، كقول الداعي: «ربّنا إنّنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان»(٤).

قال بعض المحقّقين: إنّ الكلام الذي أُريد به مثل هذه المعاني ليس بخبر بل إنشاء، فالمتكلّم بهذا الكلام ليس بمخبر. ويدلّ عليه قول الإمام المرزوقي في قوله:

* قومي هم قتلوا أُميم أخي *

هذا الكلام تفجّع وتحزّن وليس بإخبار(٥). إنتهى.

بدل بعضٍ من «الأشياء»، والغرض التفصيل بعد الإجمال بسطاً للكلام حيث الإصغاء مطلوب.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٦.

(٢) سورة مريم: الآية ٤.

(٣) شرح التلخيص للتفتازاني: ج١ ص١٩٣.

(٤) وهو اقتباس من قوله تعالى في سورة آل عمران: الآية ١٩٣.

(٥) لم نعثر عليه

....

والسماء: اسم جنس يطلق على الواحد والمتعدّد. وقيل: جمعُ سماوة كسحاب وسحابة، وفي تقديم السماء على الأرض في الذكر مع تقدّم خلق الأرض على خلق السماء ـ كما ورد عن أبي جعفر عليه السلام(١)، وعليه إطباق أكثر المفسّرين ـ إيماءٌ إلى شرفها وأفضليّتها.

والمسألة محلّ خلاف، فقال بعضهم: السماء أفضل؛ لأنّها متعبّد الملائكة وما فيها بقعة عصي الله فيها، وقال تعالى: «وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً»(٢)، وورد في الأكثر ذكر السماء مقدّماً على الأرض، والسماويّات مؤثّرة والسفليّات متأثرة، والمؤثّر أشرف من المتأثر.

وقال آخرون: بل الأرض أفضل؛ لأنّه تعالى وصف بقاعاً من الأرض بالبركة، فقال: «إنّ أوّل بيتٍ وضع للناس للذي ببكّة مباركاً»(٣)، «في البقعة المباركة»(٤)، «إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله»(٥)، «مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها»(٦)، يعني أرض الشام، ووصف جملة الأرض بالبركة: «وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيّام»(٧).

فان قيل: وأيّ بركة في المفاوز المهلكة؟

قلنا: إنّها مساكن الوحوش ومرعاها، ومساكن الناس إذا احتاجوا إليها، ومساكن خلقٍ لايعلمهم إلّا الله تعالى، فلهذه البركات قال تعالى: «وفي الأرض

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٧ ص٨٩ ح٧٥، وإليك نصه: عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله جلّ ذكره وتقدّست أسماؤه خلق الأرض قبل السماء ثمّ استوى على العرش لتدبير الأمور.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٣٢.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٩٦.

(٤) سورة القصص: الآية ٣٠.

(٥) سورة الإسراء: الآية ١.

(٦) سورة الأعراف: الآية ١٣٧.

(٧) سورة فصّلت: الآية ١٠.

....

آيات للموقنين»(١) تشريفاً لهم؛ لأنّهم هم المنتفعون بها، كما قال: «هدىً للمتقين»(٢). وخلق الأنبياء من الأرض «منها خلقناكم»(٣) وأودعهم فيها: «وفيها نعيدكم»(٤)، وأكرم نبيّه المصطفى فجعل الأرض كلّها له مسجداً وطهوراً(٥). هكذا ذكر بعض المفسّرين.

وقال ابن أبي الحديد. في شرح نهج البلاغة: لاشبهة أنّ السماء أشرف من الأرض على رأي المليّين وعلى رأي الحكماء. أمّا لأهل الملّة: فلأنّ السماء مصعد الأعمال الصالحة، ومحلّ الأنوار، ومكان الملائكة، وفيها العرش والكرسيّ، والكواكب المدبّرات أمراً. وأمّا الحكماء: فلأُمور أُخرى تقتضيها أُصولهم(٦). إنتهى.

قلت: وممّا يدلّ على أنّ السماء أشرف من الأرض قول أميرالمؤمنين صلوات الله عليه في خطبةٍ له: «من ملائكة أسكنتهم سماواتك ورفعتهم عن أرضك، هم أعلم خلقك بك وأخوفهم لك وأقربهم منك»(٧)، فقوله عليه السلام: «ورفعتهم عن أرضك» صريحٌ في أشرفيّة السماء؛ إذ المعنى: شرّفتهم وأعليت أقدارهم عن سكنى أرضك، لخساستها بالنسبة إلى شرف أقدارهم، كما تقول لمن يعزّ عليك إذا زاول أمراً خسيساً: «أنا أرفعك عن هذا» أي: أُجلّ شأنك عنه.

ثمّ التفضيل بين السماء والأرض إنّما يتمّ على قول من زعم أنّ الفلك جماد غير ذي روحٍ ونطق، وأنّ الكواكب كالدرر واليواقيت وسائر الأحجار جمادات. وأمّا

---

(١) سورة الذاريات: الآية ٢٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢.

(٣) و(٤) سورة طه: الآية ٥٥.

(٥) بحار الأنوار: ج٦٠ ص٦٠.

(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٠ ص٨٥.

(٧) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٧ ص٢٠٠.

وَما بَثَثْتَ في كُلٍّ واحِدٍ مِنهما، ساكِنُه ومتَحَرِّكُه.

على القول بأنّ السماوات ومافيها كلّها حيّة ناطقة مطيعة لله تعالى في حركاتها وأنّ حركاتها عبادة ملكيّة ـ كما ذهب إليه جمع كثير من محقّقي الحكماء الإسلاميّين، واستدلّوا على ذلك ببراهين عقليّةٍ ودلائل نقليّةٍ ـ فلامجال للتفضيل بينهما. والله أعلم *.

بثّ الله الخلق بثاً ـ من باب قتل ـ: خلقهم. وبثّ السلطان الجند في البلاد: نشرهم.

وما: موصولة بمعنى «الذي». أي: والذي خلقت أو نشرت في كلّ واحد من السماء والأرض كالملائكة والكواكب في السماء وأصناف الحيوان والنبات والجماد في الأرض. وانّما قال: في كلّ واحد منهما دون فيهما تنصيصاً على أنّ المبثوث في كلّ منهما غير ما في الآخر، رفعاً لتوهم أنّ المبثوث انّما هو في الارض، ونسب اليهما لأنّ مايكون في أحد الشيئين يصدق أنه فيهما في الجملة، كما هو في قوله تعالى: «ومن آياته خلق السموات والارض وما بثّ فيهما من دابّة»(١).

قال المفسرون: إنّما قال فيهما من دابة مع أنّ الدواب في الارض وحدها؛ لأنّ مايختصّ بأحد الشيئين المتجاورين يصحّ نسبته إليهما، ومنه قوله: «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان»(٢) وانّما يخرج من الملح(٣) ولم يقل «كلّ واحدة منهما» ـ بالتأنيث ـ مع أنّ كلّاً منهما مؤنّث سماعيّ، لأنّه أراد النوع أو الفرد *.

بالضمّ ـ على الرواية المشهورة ـ: بدل بعض من الموصول، وبالكسر قيل: بدل من «كلّ واحد»، ولايصحّ معنىً إلّا أن يجعل «ساكنه» وما عطف عليه من

---

(١) سورة الشورى: الآية ٢٩. (٢) سورة الرحمن: الآية ٢٢. (٣) الكشّاف للزمخشري: ج٤ ص٢٢٤.

....

باب «نهر جـار»، ممّا اسند فيه معنى الفعل إلى المكـان، ولايخفى تعسّفه، والصواب ماوقع في نسخة قديمة من إثبات «من» في رواية الكسر، وصورته: «وما بثثت في كلٍّ منهما من ساكنه ومتحرّكه ومقيمه وشاخصه» وهي بيان لـ«ما»، وكأنّ الجامع بين الروايتين أغفل من هذه الرواية إثبات «من»، فتوهمّ أنّها رواية بدون «من».

والسكون عند الحكماء: عدم الحركة عمّا من شأنه أن يتحرّك ، وبهذا القيد احترزوا عن المفارقات ـ أعني الجواهر المجرّدة عن المادة القائمة بأنفسها ـ فإنّ الحركة سلوبة عنها لكن ليس من شأنها الحركة، فلا تتّصف بحركة ولا سكون. وعند متكلّمين: حصول الجسم في المكان أكثر من زمان واحد، وبين المعنيين تلازم في الوجود وتغاير في المفهوم. وعلى الأوّل التقابل بين الحركة والسكون تقابل العدم والملكة، وعلى الثاني تقابل الضدّين.

قال في الملخّص(١): مأخذ الخلاف أنّ الجسم إذا لم يكن متحرّكاً عن مكانه كان هناك أمران:

أحدهما: حصوله في ذلك المكان المعيّن.

والثاني: عدم حركته عنه مع أنّ من شأنه أن يتحرّك ، والأوّل أمر ثبوتيّ من مقولة الأين، والثاني عدميّ بالإتّفاق. والمتكلّمون أطلقوا لفظ السكون على الأوّل، والحكماء على الثاني، فالنزاع لفظي.

والحركة قيل: هي الخروج من القوّة إلى الفعل على سبيل التدريج. وبهذا

---

(١) لم نعثر على هذا الكتاب.

وَمُقيمُه وَشاخِصُه.

القيد احترز عن الكون وهو ماحدث دفعةً. كانقلاب الهواء ماءً؛ فإنّ الصورة الهوائية كانت للماء بالقوّة فخرجت منها إلى الفعل دفعةً.

وقيل: هي انتقال المتحيّز من حيّزٍ إلى حيّز آخر.

وقيل: هي حصول المتحيّز في حيّز بعد أن كان في حيّزٍ آخر. ثمّ المتحرّك هنا يشمل ماكان حركته كميّةً، وهي انتقال الجسم من كميّة إلى أُخرى، كالنمؤ والذبول، أو كيفيّةً، كانتقال الجسم من البرودة إلى الحرارة على التدريج وبالعكس، وتسمّى هذه الحركة استحالةً أو أينيّةً، وهي حركة الجسم من مكان إلى آخر، وتسمّى نقلةً(١) أو وضعية، وهي الحركة المستديرة التي يلازم الجسم معها مكانه، كحركة الرحى والكرة في مكانها وما كانت حركته إراديةً، وهي ـكون مبدؤها بسبب أمر خارج مقارناً بشعور وإرادة، كالحركة الصادرة من احيوان بإرادته، أو قسريّةً، وهي مايكون مبدؤها بسبب ميل مستفاد من خارج، كالحجر المرميّ إلى فوق، أو طبيعيّة، وهي مالاتحصل بسبب أمر خارج ولا تكون مع شعور وإرادة، كحركة الحجر إلى أسفل، أو عرضيّةً، وهي مايكون عروضها للجسم بواسطة عروضها لشيء آخر بالحقيقة، كحركة الدرّة المتحرّكة بحركة الحقّة.

إذا عرفت ذلك فتقديم «الساكن» على «المتحرك» في الذكر لكون السكون مقدّماً على الحركة *.

أقام بالمكان إقامةً: دام، فهو مقيم.

(١) في «الف» نقليّة.

....

وشخص يشخَص -من باب مَنَعَ- شُخوصاً: خرج من موضع إلى غيره فهو شاخص. ويتعدّى بالهمزة فيقال أشخَصته، وأغربَ من فسّر الشاخص هنا بمعنى المرتفع من شخص شخوصاً أيضاً بمعنى ارتفع.

فإن قلت: ما المراد بالمقيم والشاخص ممّا بثّه الله سبحانه في السماء؟

قلت: يحتمل أن يراد بالمقيم الملائكة الذين لايبرحون من السماء وهم أرباب العبادة، فمنهم من هو ساجد أبداً لايقوم من سجوده ليركع، ومنهم من هو راكع أبداً لم ينتصب قط، ومنهم الصافّون بالصلاة بين يدي خالقهم لايتزايلون، كما ورد في كلام أميرالمؤمنين صلوات الله عليه حيث قال: ثمّ فتق مابين السماوات العلى فملأهنّ أطواراً من ملائكته، منهم سجود لايركعون وركوع لاينتصبون وصافّون لايتزايلون(١).

ويكون المراد بالشاخص الملائكة الذين يخرجون من السماء بامر ربّهم، ويهبطون إلى الأرض لأُمور وكلّوا بها، كالمعقّبات وهم الملائكة الذين ينزلون بالبركات ويصعدون بأرواح بني آدم وأعمالهم، وكالملائكة الذين يكتبون الصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وآله، كما روي عن أبي عبدالله عليه السلام أنه إذا كان يوم الخميس عند العصر أهبط الله تعالى ملائكةً من السماء إلى الأرض، معها صحائف من فضّة، بأيديها أقلام من ذهبٍ تكتب الصلاة على محمّد في ذلك اليوم وتلك الليلة إلى الغد إلى غروب الشمس(٢).

وكالملائكة الموكّلين بقبره صلّى الله عليه وآله، فقد ورد: مامن فجر يطلع إلّا

---

(١) نهج البلاغة: ص٤١ الخطبة١.

(٢) بحار الأنوار: ج٩٤ ص٥٠.

وَما عَلا في الهَوَاءِ وَما كَنَّ تَحْتَ الثَّرىٰ.

نزل سبعون ألف ملكٍ حتّى يحفو بقبر النبيّ صلّى الله عليه وآله، حتّى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك، حتى إذا انشقّت الأرض خرج في سبعين ألف ملك يوقّرونه(١)»، والله أعلم*.

علا الشيء يعلو علوّاً -من باب قعد-: إرتفع. يقال: علوت في الجبل وعلوته وعلوت عليه: أي رقيته.

وعلي في المكارم، يعلى -من باب تعب- علاءً بالفتح والمدّ. وبالمضارع سمّي، ومنه: يعلى بن اميّة.

والهواء بالمدّ: الجوّ. وهو المسخّر بين السماء والأرض. والجمع: أهوية. ويطلق أيضاً على الخلاء الذي لم تشغله الأجرام.

وكنّ -بالفتح على الرواية المشهورة-: بمعنى استكنّ أي: استتر واختفى. وعلى هذا فيستعمل لازماً ومتعدّياً. يقال: كننته، أكنّه -من باب قتل- بمعنى: سترته فكنّ هو.

وأمّا أكننته بالألف فبمعنى: أضمرته.

قال الكسائي: كننت الشيء: سترته في الكنّ بالكسر وهو السترة. وأكننته في نفسي: أسررته(٢).

وقال أبو زيد: كننته وأكننته بمعنى في الكنّ وفي النفس جميعاً(٣).

وفي نسخة ابن إدريس: «وما كنّ تحت الثرى» بضمّ الكاف على البناء

---

(١) سنن الدارمي: ج١ ص٤٤ وفيه: «يوم... ألفاً من الملائكة... ألفاً من الملائكة يزفّونه».

(٢) الصحاح في اللغة: ج٦ ص٢١٨٩.

(٣) تاج العروس: ج٩ ص٣٢٣.

أَصْبَحْنا في قَبضَتِكَ.

للمفعول، من كننت الشيء بمعنى: سترته.

والثرى بالقصر: التراب النديّ. وعن محمد بن كعب: أنّه ماتحت الأرضين السبع(١).

وعن السدي: أنّ الثرى هو الصخرة التي عليها الأرض السابعة(٢).

وقيل: الثور أو الحوت.

وقيل: هو الطبقة الترابية من الأرض وهو آخر طبقاتها.

وقال بعض المفسّرين: التحقيق أنّ الثرى هو التراب النديّ، وهو ماجاور البحر من جرم الأرض، فالذي تحته هو مابقي من جرم الأرض إلى المركز. فيحتمل أن يكون هناك أشياء لايعلمها إلّا الله تعالى من المعادن وغيرها، ولاريب أنّ الكلّ له سبحانه.

ويؤيّده قول أهل اللغة: الثرى: التراب النديّ، فإن لم يكن نديّاً فهو تراب ولايقال حينئذ: «ثرى».

والحاصل: أنّ له سبحانه وتعالى ماعلا وما سفل وما توسّط وما نزل *.

قبض الشيء قبْضاً -من باب ضَرَبَ-: أخذه بكفّه، وهو في قبضه وفي قبضته بالفتح أي: في ملكه. وأمّا القبضة بالضمّ فاسم للمبقوض، كالغرفة بمعنى المغروف، وقد تفتح بهذا المعنى أيضاً.

قال في القاموس: والقبضة: ماقبضت عليه من شيء، وبالضمّ أكثر(٣).

أي: أصبحنا في ملكك وتحت قدرتك، تتصرّف فينا كيف تشاء بلامانع

---

(١) و(٢) تفسير الكشّاف: ج٣ ص٥٢.

(٣) القاموس المحيط: ج٢ ص٣٤١.

....

ولا دافع.

وعبّر عن ذلك بالكون في القبضة، جرياً على سنن التمثيل الذي يسمّيه أهل البيان تمثيلاً تخييلياً، أي الإيقاع في الخيال بتصوير المعاني العقلية بصور الأعيان الحسّية، لكونها أظهر حضوراً وأكثر خطوراً.

وهذا ماقال الحكماء: إنّ الناس للتخييل أطوع منهم للتصديق، فأكثروا من استعمال القضايا المخيّلة في مقام الترغيب والتنفير والاستماحة والاستعطاف ونحو ذلك. وهي وإن كانت تُرى بحسب الظاهر كاذبةً فليست بكاذبة؛ لأنّ القصد منها تشبيه تلك الحال بحال من تفرض له تلك الصورة الحسّية مثلاً، مثل حال تسلّطه تعالى على عباده، وإحاطته بأُمورهم، وقدرته على التصرّف فيهم كيف يشاء، بحال من تكون له قبضة تحتوي عليهم ويكونون فيها، من غير أن يذهب بها إلى جهة حقيقةٍ بالنسبة إلى الله تعالى، كما يذهب اليه المجسّمة، أو مجازٍ بأن يراد بالقبضة الملكُ. وإنّما المراد بالمفردات في مثل ذلك حقائقها في نفسها، كما في قولهم: أراك تقدّم رجلاً وتؤخّر أُخرى، لكن لابالنسبة إلى الممثّل له، بل بالنسبة إلى الممثّل به، وهو باب جليل في علم البيان، عليه يُحمل كثير من متشابهات القرآن، كقوله تعالى: «والأرضُ جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويّات بيمينه»(١)، وقوله تعالى: «والسماء بنيناها بأيدٍ»(٢).

قال صاحب الكشّاف: إنّ ذلك تمثيل وتصوير لعظمته تعالى، وتوقيف على كنه جلاله، من غير ذهاب بالقبضة واليمين والأيدي إلى جهة حقيقةٍ أو مجاز(٣).

---

(١) سورة الزمر: الآية ٦٧. (٢) سورة الذاريات: الآية ٤٧. (٣) تفسير الكشّاف: ج ٤ ص١٤٣.

يَحْوِينا مُلْكُكَ وَسُلْطانُكَ وَتَضُمُّنا مَشِيَّتُكَ وَنَتَصَرَّفُ عَنْ أَمْرِكَ وَنَتَقَلَّبُ في تَدْبيرِكَ .

بل يذهب إلى آخر الزبدة والخلاصة من الكلام من غير أن يتمحّل بمفرداته حقيقة أو مجاز، كقوله تعالى: «وقالت اليهود يدالله مغلولة»(١) أي: هو بخيل، «بل يداه مبسوطتان»(٢) أي: هو جواد من غير تصوّر يدٍ ولا غلٍّ ولا بسطٍ.

وشدّد النكير على من تأوّل القبضة بالملك، واليمين واليد بالقدرة، وقال: إنّه من ضيق العطن والمسافرة من علم البيان مسافة أعوام. قال: وكم من آية من آيات الله في التنزيل، وحديث من أحاديث الرسول، قد ضيم وسيم الخسف بالتأويلات الغثة والوجوه الرثة(٣).

واعتذر الشيخ عبدالقاهر(٤) من تأويلهم القبضة بالملك واليدَ بالقدرة ونحو ذلك بأنّ الغرض منه أن لايقع السامع في التشبيه والتجسيم ريثما ينبّه على كون الكلام للتصوير والتمثيل(٥)*.

حوى الشيء يحويه: إذا ضمّه واستولى عليه.

والملك بالضمّ: اسمٌ من ملك على الناس أي: تولّى أمرهم.

---

(١) و(٢) سورة المائدة: الآية ٦٤.

(٣) تفسير الكشّاف: ج٤ ص١٤٣.

(٤) هو أبا بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني النحوي اللغوي، مؤسس علم البيان، صاحب أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز والعوامل المائة ومن شعره:

تذلل لمن إن تذللت له	يرى ذاك للفضل لا للبله
وجانب صداقة من لا يزال	على الأصدقاء يرى الفضل له

توفي سنة ٤٧١هـ. الكنى والألقاب: ج٢ ص١٢٨.

(٥) أسرار البلاغة: ص٣٣١.

....

وجملة «يحوينا ملكك» حال مؤكّدة لمضمون الجملة قبلها.

والسلطان هنا بمعنى: الولاية، وعطفه على الملك من عطف الشيء على مرادفه، نحو «إنّما أشكوا بثّي وحزني إلى الله»(١).

وزعم بعض أهل البيان أنّ التطويل لا لفائدة من طرق التعبير عن المراد ممّا لايقبل. واعترض بأنّ ذكر الشيء مرّتين فيه فائدة التأكيد. وقد قال النحاة: إنّ الشيء يعطف على نفسه تأكيداً، والفائدة التأكيديّة معتبرة في الإطناب.

وضمّ الشيء ضمّاً -من باب قَتَلَ-: جمَعه.

وضمُّ المشيئة: كناية عن جريانها في جميع مخلوقاته سبحانه واجتماعهم تحتها، فكأنّها جمعتهم جميعاً بحيث لايشذّ عنها منهم شاذّ.

واتّفقت النسخ هنا على ترك الهمزة منْ المشيئة وتشديد الياء منها. وقد سبق الكلام على توجيهه في الروضة الأُولى(٢).

قوله عليه السلام: «ونتصرّف عن أمرك» التصرّف والتقلّب بمعنى: صرّفته في الأمر، تصريفاً فتصرّف: قلّبته فتقلّب.

وعن: يحتمل أن يكون سببيةً، أي: بسبب أمرك، مثلها في قوله تعالى: «وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك»(٣): فالظرف لغو متعلّق بـ«نتصرّف». ويحتمل أن يكون مستقرّاً على أنّه حال من الضمير، أي: نتصرّف صادرين عن أمرك.

قيل: المراد به الأمر التكويني، وقيل: أمر المخلوق بالتوجّه إلى وجهته على وفق إرادة الله تعالى وسوق الحكمة الإلهيّة كلّاً إلى غايته. وهو إشارة إلى توجيه أسبابه

---

(١) سورة يوسف: الآية ٨٦. (٢) ج١ ص ٢٦٣. (٣) سورة هود: الآية ٥٣.

لَيسَ لَنا مِنَ الأَمْرِ إلّا ماقَضَيْتَ وَلامِنَ الخَيرِ إلّا ماأعطَيْتَ.

بحسب القضاء الإلهيّ عليه بذلك.

قوله عليه السلام: «ونتقلّب في تدبيرك» التقلّب: الصيرورة من حال إلى حال. وأصله من التقلّب ظهراً لبطن.

والتدبير: فعل الشيء عن فكر وروية ونظر إلى دبره وهو عاقبته وآخره.

والمراد به هنا تعلّق العلم بصلاح آخره كتعلّقه بصلاح أوّله من غير روية وفكر. وقيل: إيجاده على وفق المصلحة.

ماقضيت: اسم ليس، ولنا: خبرها، قدّم وجوباً لاقتران الاسم بـ«إلّا».

ومن: بيانيّة.

والأمر هنا بمعنى: الشأن والحالة. والألف واللام فيه جنسية لاستغراق الأفراد، أي: ليس لنا من كلّ أمرٍ إلّا ماقضيته. ويحتمل أن تكون لتعريف الماهيّة.

قال العلّامة البهائي قدّس سرّه في المفتاح: المراد بالأمر هنا النفع. فالمعطوفة عليها كالمفسّرة لها[١]. إنتهى.

وإنّما فسّره بالنفع لما يدلّ عليه بحسب الظاهر من الجبر وسلب اختيار العبد، لو أُريد بالأمر مطلقه، فتكون أفعال العباد كلّها خيرها وشرّها بقضائه تعالى. وبطلانه معلوم عندنا عقلاً ونقلاً. فوجب التأويل. فإذا أوّل الأمر بالنفع كان من فعله تعالى، وفعله لايكون إلّا بقضائه سبحانه، فكانت أفعال العباد خارجةً عنه.

(١) مفتاح الفلاح للبهائي: ص١٠٨.

....

وقال بعض المحقّقين من أصحابنا: وقد يفسّر القضاء بمعنى العلم الملزوم، والإيجاد الواجب على وفقه، وهو أنّ القضاء عبارة عن إبداع الاوّل تعالى لصور الموجودات الكلّية والجزئية، التي لانهاية لها من حيث هي معقولة في العالم العقليّ. ثمّ لما كان إيجاد مايتعلّق منها بموادّ الأجسام في موادّها، وإخراج المادّة من القوّة إلى الفعل، غير ممكن إلّا على سبيل التعاقب؛ لإمتناع قبول المادّة الصور الكثيرة دفعةً، وكان الجود الإلهيّ مقتضياً لإيجادها، ولتكميل المادّة بإيداعها فيها، وإخراج مافيها من قبول تلك الصورة من القوّة إلى الفعل، قدّر بلطيف حكمته وجود الزمان المديد؛ لتخرج فيه تلك الأُمور من القوّة إلى الفعل واحداً بعد واحدٍ، فتصير في جميع ذلك الزمان موجودة في موادّها، وتكون المادّةُ كاملةً بها. فالقدر عبارة عن وجود هذه الأشياء مفصّلة(١) واحداً بعد واحدٍ في موادّها السفليّة الخارجيّة، بعد أن كانت مقدّرةً في صحائفها العلويّة، كما قال تعالى: ((وإن من شيء إلّا عندنا خزائنه وما ننزّله إلّا بقدر معلوم))(٢). والقضاء بالمعنى المذكور لاينافي اختيار العبد وحسن تكليفه وثوابه وعقابه؛ لأنّ معنى الاختيار أن يكون للعبد قوّة فاعليّة صالحة للفعل والترك يقال لها: القدرة، وقوّة أُخرى علميّة مدركة للنفع والضرر والآفة والشرّ في جانبي مايقدّر عليه، وقوّة أُخرى إراديّةٌ باعثةٌ تطيعها القوّة المسمّاة بالقدرة، بحيث متى انبعثت الإرادة لفعلٍ أو تركٍ، بحسب ماأدركته النفس بقوّتها الإدراكيّة، أطاعتها تلك القوّة ففعلت أو تركتْ. وذلك أمر لاينافي علم الله تعالى بما يقع أو لايقع من الطرفين. فإن حصل وجوب بعد تصور نفع

---

(١) في «الف»: متّصلة.

(٢) سورة الحجر: الآية ٢١.

وَهذا يَوْمٌ حادِثٌ جَديدٌ وَهُوَ عَلَينا شاهِدٌ عَتيدٌ.

مظنون أو مجزوم وانبعاث إرادةٍ عازمةٍ، فذلك وجوب عارض لاحق لا ينافيه إمكان سابق إنتهى.

إذا عرفت ذلك فبقاء معنى الأمر على عمومه لا محذور فيه.

قوله عليه السلام: «ولا من الخير إلّا ما أعطيت» الخير: لفظ جامع لجميع الأُمور الحسنة، كما أنّ الشرّ جامع لجميع الأُمور القبيحة. فهو مفهوم كلّي يندرج تحته أفراد كثيرة.

وقيل: الخير هو الوجود، وإطلاقه على غيره إنّما هو بالعرض. وهو ينقسم إلى خير مطلق، كوجود العقل، وإلى خير مقيّد، كوجود كلّ واحدة من الصفات المرضيّة والشرائع النبويّة.

والأوّل هو الحقّ، وهو معنى قول بعض العلماء: الخير ما يرغب فيه الكلّ، كالعقل مثلاً والعدل والشيء النافع، والشرّ ضدّه.

والمال سمّي بالخير تارةً وبالشرّ أُخرى، نحو «إن ترك خيراً»(١)، و«أيحسبون أنّما نمدّهم به من مال وبنين * نسارع لهم في الخيرات»(٢)؛ لأنّه خير لشخص وشرّ لآخر، فمن أنفقه في سبيل الله تعالى وأمسكه عن سبيل الشيطان كان له خيراً. ومن عكس كان له شرّاً*.

اليوم في اللغة: عبارة عن الزمن الذي يقع ما بين طلوع الشمس إلى غروبها، وفي الشرع عبارة عمّا يقع بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وفي عرف المنجّمين: عبارة عن مفارقة الشمس دائرة نصف النهار إلى عودها إليها

....

بحركة الكلّ.

وحدث الشيء حدوثاً ـ من باب قَعَدَ ـ: وجد بعد عدمه.

وشهد على الشيء: إطّلع عليه وعاينه، فهو شاهد وشهيد.

وشهد عليه بكذا: أخبر بما اطّلع عليه منه، ومنه قوله تعالى: «يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون»(١).

وكثيراً مايحذف متعلّق الشهادة، أعني الإخبار بما قد شوهد، فيقال: شهد فلان على فلان، أي: أخبر بما شاهده منه، فهو شاهد عليه وشهيد أيضاً، ومنه قوله تعالى: «وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا»(٢)، ويمكن أن يكون هذا المعنى هو المراد هنا.

وفي معناه ماروواه ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «مامن يومٍ يأتي على ابن آدم إلّا قال له ذلك اليوم: يابن آدم أنا يوم جديد، وأنا عليك شهيد، فقُل فيّ خيراً، واعمل فيّ خيراً، اشهد لك يوم القيامة، فإنّك لن تراني بعدها أبداً»(٣). قال بعض العلماء: هذا القول بلسان الحال، وينبغي للمؤمن أن يسمعه باذن قلبه ويعمل بمقتضاه.

قلت: وهذه الشهادة أيضاً بلسان الحال والنطق به، فإنّ اليوم لمّا كان ظرفاً لمباشرة الفعل كان حضور ذلك اليوم وما صدر فيه في علم الله تعالى بمنزلة الشهادة بين يديه وآكد في الدلالة.

والعتيد: فعيل بمعنى فاعل، من عتد الشيء، كعظم، عتاداً بالفتح بمعنى:

---

(١) سورة النور: الآية ٢٤.
(٢) سورة فصلت: الآية ٢١.
(٣) الكافي: ج ٢ ص ٥٢٣ ح ٨.

إِنْ أَحْسَنّا وَدَّعَنا بِحَمدٍ، وإِنْ أَسَأْنا فارَقَنا بِذَمٍّ.

حضر. فهو عتد بفتحتين وعتيد. ويتعدّى بالهمزة والتضعيف، فيقال: أعتده صاحبه وعتّده، إذا أعدّه وهيّأه، فهو معتدّ، ومنه قوله تعالى: «إِنّا أعتدنا للظالمين ناراً»(١) *.

أحسن: فعل الحسن، كما يقال: أجاد إذا فعل الجيّد.

وأساءَ: فَعلَ سوءً.

وودّع المسافر الناس توديعاً: خلّفهم خافضين في دعةٍ وهم يودّعونه إذا سافر، تفاؤلاً بالدعة التي يصير إليها إذا قفل(٢). والاسم الوداع بالفتح. فهو على هذا مأخوذ من الدعة بمعنى الخفض والسعة في العيش. وقيل مأخوذ من الودع بمعنى الترك ، ووجهه ظاهر.

والباء من قوله: «بحمد» و«بذمّ» للملابسة، أي: ودّعنا ملتبساً بحمد وفارقنا ملتبساً بذمّ.

وإسناد التوديع والمفارقة لليوم مجاز عقليّ، ولك جعله من باب الاستعارة المكنيّة التخييليّة، أو من باب الاستعارة التمثيليّة، بأن يعتبر تشبيه التلبّس الغير الفاعليّ بالتلبّس الفاعليّ، ويستعمل فيه اللفظ الموضوع لإفادة التلبّس الفاعلي، كما في: «أراك تقدّم رجلاً وتؤخّر أُخرى». ويمكن أن يكون ذلك على وجه التقدير، أي: لو كان اليوم عاقلاً ثمّ أراد الذهاب عنّا لكان إن أحسنّا مودّعاً لنا بحمدٍ، وإن أسأنا مفارقاً لنا بذمّ. وإنّما جيء بلفظ الواقع لأنّ الواقع أبلغ من المقدّر*.

(١) سورة الكهف: الآية ٢٩. (٢) قفل من سفره: رجع، والاسم قفل (المصباح المنير: ص٧٠٢).

اللّهُمّ صَلِّ عَلىٰ مُحمّدٍ وَآلِهِ وَارْزُقْنا حُسْنَ مُصاحَبتِهِ وَاعْصِمْنـا مِنْ سُوءِ مُفارَقَتِهِ.

بِارْتِكابِ جَرِيرَةٍ أوِ اقْتِرافِ صَغيرةٍ أوْ كَبيرَةٍ.

رزقه الله، رزقاً بالفتح: أعطاه ووهبه، أي: وهبْ لنا حسن مصاحبته.

والمصاحبة: مفاعلة من الصحبة بمعنى المعاشرة. وتطلق على مطلق الملازمة.

قال ابن فارس: كلّ شيء لازم شيئاً فقد اصطحبه(١).

وحسن مصاحبته: كناية عن الكون فيه بالطاعات، واجتناب المعاصي، والسلامة فيه من الآفات الدينيّة والدنيويّة.

وعصمه الله من المكروه يعصمه -من باب ضَرب-: حفِظه ووقاه.

أي: احفظنا وقنا من سوء مفارقته بحسم أسباب المعاصي وعدم الإعداد لها، إذ كان ارتكابها هو الموجب لسوء مفارقته، كما أشار إليه عليه السلام بقوله: (٢)※.

الباء: للسببيّة، متعلّقة بسوء مفارقته.

وارتكاب الذنب واقترافه بمعنىً، أي: اكتسابه.

والجريرة: مايجرّه الإنسان من ذنبٍ. فعيلة بمعنى مفعولة.

والصغيرة والكبيرة: من الصفات الغالبة. قيل: الصغيرة هي الزلة التي لا تُكسب النفس هيئة رديّة باقية، بل حالة يسرع زوالها، والكبيرة بخلافها.

وقد اختلفت أقوال الأكابر في تحقيق الكبائر، فروى ثقة الإسلام في الكافي بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «الكبائر: التي أوجب الله

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ج٣ ص٣٣٥.

(٢) أي في الدعاء «بارتكاب جريرة» الى آخره.

....

عزّوجلّ عليها النار»(١).

وقال قوم: هي كلُّ ذنبٍ رتّب عليه الشارع حدّاً، أو صرّح فيه بالوعيد.

وقيل: هي كلّ معصية يلحق صاحبها الوعيد الشديد بنصٍ من كتاب أو سنّة.

وقال بعضهم: هي كلّ جريرة تؤذن بقلّة اكتراث صاحبها بالدين.

وقالت طائفة: كلّ ذنب علمت حرمته بدليل قاطع.

وعن ابن مسعود أنّه قال: اقرأوا من أوّل سورة النساء إلى قوله تعالى: «إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفّر عنكم سيّئاتكم»(٢) فكلّما نهي عنه في هذه السورة إلى هذه الآية فهو كبيرة(٣).

وضعّف بأنّه تعالى ذكر الكبائر في سائر السور، فلاوجه للتخصيص.

وقال جماعة: هي الذنوب التي نصّ عليها النبيّ صلّى الله عليه وآله بأعيانها، فقال: «إجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرّم الله إلّا بالحقّ، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولّي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»(٤).

وضعّف بأنّه ذكر عند ابن عبّاس أنّها سبعة فقال: هي إلى السبعين، وفي رواية إلى السبعمائة أقرب منها إلى السبع(٥).

وفي رواية عن الرضا عليه السلام: أنّها السبع المذكورة، واليأس من روح

---

(١) الكافي: ج٢ ص٢٧٦ ح١. (٢) سورة النساء: الآية ٣١. (٣) الدرّ المنثور: ج٢ ص١٤٨.

(٤) الدرّ المنثور: ج٢ ص١٤٦. (٥) مجمع البيان: ج ٣ - ٤ ص٣٩.

....

الله، والأمن من مكر الله، وعقوق الوالدين، والزنا، واليمين الغموس، والغلول، ومنع الزكاة المفروضة، وشهادة الزور، وكتمان الشهادة، وشرب الخمر، وترك الصلاة متعمّداً أو شيء ممّا فرض الله عزّوجلّ، ونقض العهد، وقطيعة الرحم(١).

وزاد بعضهم اللواط، والغيبة، واستحلال الكعبة، والتعرّب بعد الهجرة.

وزاد بعض أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهلّ لغير الله به من غير ضرورة، والسحت، والقمار، والبخس في الكيل والوزن، ومعاونة الظالمين، وحبس الحقوق من غير عسرٍ، والسعاية إلى الظالم، وتأخير الحجّ عن عام الوجوب إختياراً، والظهار، والإسراف، والتبذير، والخيانة، والاشتغال بالملاهي، والإصرار على الذنوب، والرشوة، والمحاربة بقطع الطريق، والقيادة، والدياثة، والنميمة، والغصب، والكذب -خصوصاً على رسول الله صلّى الله عليه وآله-، وضرب المسلم بغير حقّ، وتأخير الصلاة عن وقتها.

وقال قوم: جميع الذنوب والمعاصي كبائر. قال الشيخ أمين الإسلام الطبرسيّ في تفسيريه الكبير والصغير: وإلى هذا ذهب أصحابنا رضوان الله عليهم، فإنّهم قالوا: المعاصي كلّها كبائر من حيث كانت قبائح، لكن بعضها أكبر من بعض، وليس في الذنوب صغير، وإنّما يكون صغيراً بالإضافة إلى ما هو منه أكبر، ويستحقّ عليه العقاب أكثر(٢). إنتهى كلامه.

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج١ ص٢٢٣ ح٣٣ مع اختلاف يسير في بعض ألفاظ الحديث.

(٢) مجمع البيان: ج٣ - ٤ ص٣٨، وجوامع الجامع: ج١ ص٢٥٢.

....

ولايخفى أنّه مشعر بأنّ هذا القول متّفق عليه بين الإماميّة. لكن قال شيخنا الشهيد الثاني قدّس سرّه في شرح الشرائع: اختلف الأصحاب وغيرهم في أنّ الذنوب هل هي كلّها كبائر؟ أم تنقسم إلى كبائر وصغائر؟ فذهب جماعة منهم المفيد وابن البرّاج وأبو الصلاح وابن إدريس والطبرسي إلى الأوّل؛ نظراً إلى اشتراكها في مخالفة أمره ونهيه تعالى، وجعلوا الوصف بالكبر والصغر إضافياً، فالقبلة المحرّمة صغيرة بالنسبة إلى الزنا وكبيرة بالنسبة إلى النظر، وكذلك غصب الدرهم كبيرة بالنسبة إلى غصب اللقمة وصغيرة بالإضافة إلى غصب الدينار، وهكذا

وذهب المصنّف وأكثر المتأخّرين إلى الثاني، عملاً بظاهر قوله تعالى: «إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفّر عنكم سيّئاتكم»(١)، دلّ بمفهومه على أنّ اجتناب بعض الذنوب -وهي الكبائر- يكفّر السيئات، وهو يقتضي كونها غير كبائر، وقال تعالى: «الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش»(٢)، مدحهم على اجتناب الكبائر من غير أن يضائقهم في الصغائر، وفي الحديث: إنّ الأعمال الصالحة تكفّر الصغائر. إذا تقرّر ذلك فعلى القول الأوّل يقدح في العدالة مواقعة أيّ معصيةٍ كانت، ولايخفى مافي هذا من الحرج والضيق؛ لأنّ غير المعصوم لاينفكّ عن ذلك، وقد قال تعالى: «ماجعل عليكم في الدين من حرج»(٣). وأجاب ابن إدريس: بأنّ الحرج ينتفي بالتوبة، وأُجيب: بأنّ التوبة تسقط الكبائر والصغائر، ولايكفي في الحكم بالتوبة مطلق الاستغفار وإظهار الندم

---

(١) سورة النساء: الآية ٣١. (٢) سورة النجم: الآية ٣٢. (٣) سورة الحج: الآية ٧٨.

....

حتّى يعلم من حاله ذلك، وهذا قد يؤدّي إلى زمان طويل يفوت معه الغرض من الشهادة ونحوها، فيبقى الحرج. وعلى الثاني: يعتبر اجتنابُ الكبائر كلّها، وعدم الإصرار على الصغائر، فإنّ الإصرار عليها يلحقها بالكبيرة، ومن ثمّ ورد: لاصغيرة مع الإصرار ولاكبيرة مع الاستغفار. والمراد بالإصرار: الإكثارُ منها، سواء كان من نوعٍ واحدٍ أو أنواعٍ مختلفةٍ. وقيل: المداومة على نوعٍ واحدٍ منها، ولعلّ الإصرار يتحقّق بكلّ منها. وفي حكمه العزم على فعلها ثانياً وإن لم يفعل. وأمّا من فعل الصغيرة ولم يخطر على باله بعدها العزم على فعلها ولاالتوبة منها فهذا الذي لايقدح في العدالة، وإلّا لأدّى إلى أن لا تقبل شهادة أحد، ولعلّ هذا ممّا تكفّره الأعمال الصالحة من الصلاة والصيام وغيرهما كما جاء في الخبر(١). إنتهى كلام الشهيد طاب ثراه.

تنبيهان

الأوّل:

قال بعضهم: إنّ تكفير الصغائر باجتناب الكبائر على القول بأنّ كلّاً منها أُمور مخصوصة معقول، فما معناه على القول بأنّ الوصف بالكبر والصغر إضافيّ؟

وأُجيب: بأنّ معناه أنّ من عنّ له أمران منها، ودعته نفسه إليهما بحيث لايتمالك، فكفّها عن أكبرهما مرتكباً أصغرهما، فإنّه يكفّر عنه ماارتكبه، لما

---

(١) مسالك الأفهام في شرح شرائع الاسلام: ج٢ ص٤٠٢.

....

استحقّه من الثواب على اجتناب الأكبر، كمن عنّ له التقبيل والنظر بشهوة فكفّ عن التقبيل وارتكب النظر.

وفيه: أنّه يلزم منه أنّ من كفّ نفسه عن قتل شخص وقطع يده مثلاً يكون مرتكباً للصغيرة وتكون مكفّرة، اللّهمّ إلّا أن يراد بقوله: «مرتكباً أصغرهما» ماالأصغر منه في نوعه، وهو في المثال أقلّ مايصدق عليه الضرر. وفيه مافيه.

الثاني:

قال العلّامة البهائي قدّس سرّه في شرح الأربعين: الظاهر أنّ قولهم: العدل من يجتنب الكبائر ولايصرّ على الصغائر، ينبغي أن يراد به أنّه إذا عنّ له أمران كفّ عن الأكبر ولم يصرّ على الأصغر. وهذا المعنى وإن كان غير مشهورٍ فيما بينهم، ولامسطورٍ في مصنّفاتهم، بل المتعارف بينهم خلافه، لكنّه هوالذي يقتضيه النظر -بناءً على القول بأنّ الذنوب كلّها كبائر- فما في كلام بعض الأعلام بأنّه يلزمهم أن يكون كلُّ معصيةٍ مخرجةً عن العدالة محلُّ نظر(١) إنتهى.

تذنيب

قال العلّامة النيسابوري في تفسيره: الحقّ في هذه المسألة -وعليه الأكثر بعد إثبات تقسيم الذنب إلى الصغير والكبير- أنّه تعالى لم يميّز جملة الكبائر عن جملة الصغائر، لما بيّن في قوله تعالى: «إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفّر عنكم

---

(١) كتاب الأربعين: ص١٣٥.

وَأجْزِلْ لَنا فيهِ مِنَ الحَسَناتِ وَأخلِنا فيهِ مِنَ السَّيِئاتِ.

سيّئاتكم» أنّ اجتناب الكبائر يوجب تكفير الصغائر. فلو عرف المكلّف جميع الكبائر اجتنبها فقط واجترأ على الإقدام على الصغائر، أمّا إذا عرف أنّه لاذنب إلّا ويجوز كونه كبيراً، صار هذا المعنى زاجراً له عن الذنوب كلّها. ونظير هذا في الشرع إخفاء ليلة القدر في ليالي شهر رمضان، وساعة الإجابة في ساعات الجمعة، ووقت الموت في جملة الأوقات، هذا. ولامانع أن يبيّن الشارع في بعض الذنوب أنّه كبيرة، كما روي أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: إجتنبوا السبع الموبقات... إلى غير ذلك(١) *.

جزل الحطب بالضمّ جزالةً: إذا عظم وغلظ، فهو جزل.

أنشد سيبويه:

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا　　تجد حطباً جزلاً وناراً تأجّجا(٢)

ثمّ استعير في العطاء، فقيل: أجزل له في العطاء إذا أوسعه وأكثر منه، أي: وأكثر لنا فيه من الحسنات.

والغرض سؤال إفاضة قوّةٍ تستعدّ بها النفوس وتقوى على الإكثار من كسب الحسنات.

ومن: إمّا زائدة، نحو «يغفر لكم من ذنوبكم»(٣) على رأي الأخفش(٤)، أو ابتدائيّة والمفعول محذوف، والتقدير: وأجزل لنا فيه العطاء من الحسنات.

وعرّفت الحسنة بأنّها ماتكون متعلّق المدح في العاجل والثواب في الآجل،

---

(١) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج١ ص٤٢٥.

(٢) كتاب سيبويه: ج١ ص٥٢١.

(٣) سورة الأحقاف: الآية ٣١.　　(٤) المغني اللبيب: ص٤٢٨.

وَامْلأْ لَنا مـابَيْنَ طَـرَفَـيْـهِ حَمْداً وَشُـكْـراً وأجْـراً وَذُخْـراً وَفَضلاً وَإحْساناً.

والسيّئة خلافها.

وقيل: الحسنة ماندب إليه الشارع، والسيئة مانهى عنه، وأصلهاسيوءة، من ساء يسوء سوأً ومساءة، قلبت الواو ياء وادغمت.

وأخلاه: جعله خالياً، أي: فارغاً. أي: إجعلنا فارغين من السيئات بحسم أسبابها وعدم الإعداد لها.

وحاصل ذلك كلّه سؤال التوفيق والالطاف الداعية إلى كسب الحسنات، والألطاف الصارفة عن اكتساب السيئات.

ولك حمل كلٍّ من الحسنات والسيئات على معناه اللغوي، فتعمّ الدينيّة والدنيويّة *.

ملأ الإناء ملأً -من باب نفع-: أنعمه.

وطرف الشيء بالتحريك: جانبه، والمراد بطرفيه: أوّله وآخره وهو كناية عن جمعه، والغرض طلب الكثرة من الحمد والشكر وما بعدهما، بحيث لايخلو آن من آناء اليوم من شيء من ذلك، حتى لو قدر أن يكون اليوم اناء والحمد وما بعده أجساماً لبلغت من كثرتها أن تملأه.

ولكلّ من الحمد والشكر معنيان لغوي وعرفي، فالحمد لغة: هو الثناء باللسان على الجميل، سواء تعلّق بالفضائل أو بالفواضل.

وعرفاً: فعل ينبئ عن تعظيم المنعم على النعمة باللسان أو الجنان أو الأركان.

والشكر لغةً: فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب الإنعام من اللسان أو الجنان أو الأركان.

اللّهُمَّ يَسِّرْ عَلَى الكِرامِ الكاتِبينَ مَؤونَتَنا، وَامْلأ لَنا مِن حَسَناتِنا صَحائِفَنا، وَلاتُخزِنا عِنْدَهُمْ بِسُوءِ أعْمالِنا.

وعرفاً: صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه من السمع والبصر وغيرهما إلى ماخلقه الله لأجله، فبين الحمد اللغوي والحمد العرفي عموم وخصوص من وجه، كما أنّ بين الحمد اللغوي والشكر اللغوي أيضاً كذلك. وبين الحمد العرفي والشكر العرفي عموم وخصوص مطلقاً، كما أنّ بين الشكر اللغوي والشكر العرفي أيضاً كذلك. وبين الشكر العرفي والحمد اللغوي عموم و خصوص من وجه. ولافرق بين الشكر اللغوي والحمد العرفي، ثمّ الحمد والشكر وإن كانا من فعل العبد، لكنّ التوفيق لهما والإقدار عليهما من فعله سبحانه، ولذلك سألهما.

والأجر: الثواب، اجره الله اجراً ـمن بابي ضرب وقتل ـ، وآجره بالمد لغه ثالثة: إذا أثابه.

وذخرته ذخراً ـمن باب نفع ـ والاسم الذخر بالضمّ: إذا أعددته لوقت الحاجة إليه، والذخر ماأذخرته أيضاً كالذخيرة، وهو المراد هنا.

وعنى به الأعمال الصالحة التي تعدّ ليوم الفاقة اليها، واستعار لها لفظ الذخر باعتبار أنّ تحصيلها في الدنيا لغاية الانتفاع بها في العقبى كالذخيرة، وما أحسن ماقال القائل:

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ... ذخراً يكون كصالح الأعمال

والفضل: الزيادة والخير.

والإحسان لغة: ماينبغي أن يفعل من الخير، وفي الشرع: أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك *.

يسر الشيء يسراً ـمن باب قرب ـ: سهل فهو يسير، ويسّره الله تيسيراً: سهّله.

....

والمؤونة على فعولة بفتح الفاء: الثقل.

وقال الفراء: هي مفعلة من الأين وهو التعب والشدّة(١).

قال الخليل: لوكان مفعلة لكان مئينة(٢)، مثل معيشة. ويقال: فيها مووونة بواوين بلاهمز، ومؤنة بهمزة ساكنة، ومونة بواو من دون همز.

والكرام الكاتبون: هم الملائكة الذين يحصون أعمال العباد وهم الحافظون، قال تعالى: «وإنّ عليكم لحافظين* كراماً كاتبين»(٣)، وقد تقدّم الكلام على ذلك مبسوطاً في الروضة الثالثة

قال العلّامة البهائي قدّس سرّه في المفتاح: تيسير المؤونة عليهم كناية عن طلب العصمة عن إكثار الكلام، والاشتغال بما ليس فيه نفع دنيوي ولاأُخروي؛ إذ يحصل به التخفيف على الكرام الكاتبين بتقليل مايكتبونه من أقوالنا وأفعالنا(٤). إنتهى.

وفي الحديث: عجبت لابن آدم وملكاه على عاتقيه ولسانه قلمهما وريقه مدادهما كيف يتكلّم فيما لايعنيه(٥).

ونظر بعض السلف إلى رجل يفحش، فقال: ياهذا إنّك تملي على حافظيك كتاباً فانظر ماذا تقول.

وسمع بعض الأكابر رجلاً يكثر الكلام فيما لايعنيه، فقال: إنّ حفظة هذا منه في مؤونة.

---

(١) لسان العرب: ج١٣ ص٣٩٦.

(٢) لسان العرب: ج١٣ ص٣٧٠.

(٣) سورة الانفطار: الآية ١٠ و١١.

(٤) مفتاح الفلاح للشيخ للبهائي: ص١٠٩.

(٥) ربيع الأبرار للزمخشري: مخطوط ص٤٩.

....

وقال بعض العلماء: ليس على الكرام الكاتبين في كتابة الحسنات مؤونة وكلفة، وإنّما الكلفة عليهم كتابة السيّئات.

وقد ورد في بعض الأخبار: أنّهم إذا كتبوا الحسنات صعدوا بها فرحين وعرضوها على ربّهم مسرورين، وإذا كتبوا سيّئة صعدوا بها وجمين(١) محزونين، فيقول الله عزّوجلّ: مافعل عبدي؟ فيسكتون، حتى يسألهم ثانياً وثالثاً، فيقولوا: إلهنا أنت الستّار على عبادك، وقد أمرت بستر العيوب، فاستر عيوبهم، وأنت علّام الغيوب. ولهذا يسمّون كراماً كاتبين(٢).

قوله عليه السلام: «وأملأ لنا من حسناتنا صحائفنا». الحسنات هنا: مايتعلّق به الثواب والقربة.

وهذه الصحائف: هي صحف الأعمال المشار إليها بقوله تعالى: «وإذا الصحف نشرت»(٣).

قال الطبرسي: يعني صحف الأعمال التي كتبت فيها الملائكة أعمال أهلها من خيرٍ وشرٍّ، تنشر ليقرأها أصحابها، ولتظهر الأعمال فيجازوا بحسبها(٤).

وعن قتادة: هي صحيفتك يابن آدم، تطوى على عملك حين موتك، ثمّ تنشر يوم القيامة، فلينظر رجل مايملي في صحيفته(٥).

وقال بعض أرباب المعقول: كلّ مايدركه الإنسان بحواسّه يرتفع منه أثر إلى روحه، ويجتمع في صحيفة ذاته وخزانة مدركاته، وكذلك كلّ مثقال ذرّةٍ من خير

---

(١) وجم، يجم وجوماً: أمسك عنه وهو كاره (المصباح المنير: ص٨٩٣).

(٢) تفسير الصافي: ج٥ ص٢٩٦ ذيل الآية ١١ من سورة الانفطار مع اختلاف يسير في العبارة.

(٣) سورة التكوير: الآية١٠. (٤) مجمع البيان: ج٩ - ١٠ ص٤٤٤. (٥) تفسير الكشّاف: ج ٤ ص٧٠٩.

....

أو شرّ يعمله يرى أثره مكتوباً ثمّة، ولاسيّما مارسخت بسببه الهيئات، وتأكّدت به الصفات، وصار خلقاً وملكةً، فالأفاعيل المتكرّرة والاعتقادات الراسخة في النفوس هي بمنزلة النقوش الكتابيّة في الألواح، كما قال الله تعالى: «أُولئك كتب في قلوبهم الإيمان»(١)، وهذه الألواح النفسية يقال لها: صحائف الأعمال، وهو كتاب منطو اليوم عن مشاهدة الأبصار، وإنّما ينكشف بالموت عند كشف الغطاء، كما قال الله تعالى: «وإذا الصحف نشرت»(٢)، وقال عزّوجلّ: «وكلّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتاباً يلقيه منشوراً»(٣) وقال تعالى: «هذا كتابنا ينطق عليكم بالحقّ إنّا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون»(٤).

قوله عليه السلام: «ولاتخزنا عندهم بسوء أعمالنا» خزى كرضى خزياً بالكسر: وقع في بليّة وشهرة فافتضح بها، وأخزاه الله: فضحه. أي: لا تفضحنا عندهم.

والمراد طلب العصمة عن المعاصي بل عن الهمّ بها؛ لأنّهم يطّلعون على ذلك.

كما رواه ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن عبدالله بن موسى بن جعفر عن أبيه عليهم السلام قال: سألته عن الملكين هل يعلمان بالذنب إذا أراد العبد أن يعمله أو الحسنة؟ فقال: ريح الكنيف وريح الطيب سواء؟ فقلت: لا، قال: إنّ العبد إذا همّ بالحسنة خرج نفسه طيّب الريح، فقال صاحب اليمين لصاحب

---

(١) سورة المجادلة: الآية ٢٢.
(٢) سورة التكوير: الآية ١٠.
(٣) سورة الإسراء: الآية ١٣.
(٤) سورة الجاثية: الآية ٢٩.

اللّهُمَّ اجْعَلْ لَنا في كُلِّ ساعَةٍ مِن ساعاتِهِ حَظّاً مِنْ عِبادِكَ، وَنَصيباً مِنْ شُكْرِكَ، وَشاهِدَ صِدْقٍ مِن مَلائكَتِكَ.

الشمال: قف، فإنّه قد همّ بالحسنة، فاذا هو عملها كان لسانه قلمه وريقه مداده فأثبتها له، وإذا همّ بالسيئة خرج نفسه منتن الريح، فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين: قف، فإنّه قد همّ بالسيّئة، فإذا فعلها كان ريقه مداده ولسانه قلمه فاثبتها عليه(١).

قال بعض العلماء: إنّما جعل الريق واللسان آلة لإثبات الحسنة والسيّئة؛ لأنّ بناء الأعمال إنّما هو على ماعقد عليه في القلب من التكلّم بها، وإليه الإشارة بقوله تعالى: «إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصالح يرفعه»(٢)، وهذا الريق واللسان الظاهر صورة لذلك المعنى(٣) إنتهى.

وفي الحديث: ليستحي أحدكم من ملكيه اللذين معه كما يستحي من رجلين صالحين من جيرانه وهما معه بالليل والنهار(٤)*.

الساعة: أصلها سوعة بفتح الواو، ثم صارت ألفاً لانفتاح ماقبلها، وهي في اللغة: جزء قليل من ليل أو نهار، ومنه قوله تعالى: «لايستأخرون ساعة ولايستقدمون»(٥) وهو المراد هنا؛ إذ المعنى إجعل لنا في كلّ جزء من أجزاء هذا اليوم. وفي اصطلاح أهل التنجيم: جزء من أربعة وعشرين جزءً من يوم بليلته؛ وذلك أنّهم قسّموا اليوم بليلته على أربعة وعشرين قسماً متساويةً، وسمّوا كلّ قسم ساعةً، وقسّموا كلّ ساعةٍ بستّين قسماً، وسمّوا كلّ قسمٍ دقيقة، وساعات

---

(١) الكافي: ج٢ ص٤٢٩. (٢) سورة فاطر: الآية ١٠. (٣) الوافي: ج١ ص٤٢٢.

(٤) الجامع الصغير: ج٢ ص١٣٤. (٥) سورة الأعراف: الآية ٣٤.

....

النهار تزيد من وقت انتقال الشمس إلى الجدي إلى وقت إنتقالها إلى السرطـان، وتنقص في النصف الآخر، وساعات الليل بعكس ذلك، فيكون أطول أيّام السنة وأقصر لياليها وقت انتقال الشمس إلى السرطان، وأقصر أيّام السنة وأطول لياليها وقت انتقالها إلى الجدي، ويتساويان عند انتقالها إلى الحمل والميزان، وتسمّى الساعات المذكورة المستويات؛ لتساويها في المقدار أبداً، طال كلّ من الليل والنهار أم قصر، لكنّها تختلف في العدد بحسب طول كلّ منهما وقصره. وقد يقسّمون كلّ يوم وكلّ ليلة باثني عشر قسماً متساويةً، ويسمّونها الساعات الزمانيّات والمعوجة، لعدم تساويها في المقدار وإن استوت في العدد، فإنّ مقدار كلّ ساعة يزيد وينقص بحسب طول كلّ من الليل والنهار وقصره، لكنّها لاتختلف في العدد، فهي عكس المستويات.

وقد ورد في الحديث: قسمة النهار إلى اثنتي عشرة ساعة قسمة مخصوصةً، ونسبة كلّ ساعة إلى واحد من الأئمّة الاثني عشر صلوات الله عليهم وتخصيصها بدعاء يدعى به فيها، وهي مذكورة في كتب الأدعية لأصحابنا رضوان الله عليهم(١).

قوله عليه السلام: «حظّاً من عبادك».

الحظّ: النصيب. وقيل: خاصّ بالنصيب من الخير والفضل.

وعبادك -على الرواية المشهورة-: جمع عبد.

قيل: معناه إجعل لنا نصيباً منهم لنستضيء بأنوارهم ونقتدي بآثارهم.

---

(١) مصباح المتهجّد: ص٤٦١.

....

ويحتمل أن يكون على حذف مضافٍ، أي: من صفات عبادك الذين وصفتهم بقولك: «وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً * والذين يبيتون لربّهم سجّداً وقياماً»(١) إلى آخر مانعتهم به.

أو عبادك المتّصفين بالعبوديّة التي لامقام أشرف منها؛ إذ هي عبارة عن صيرورة العبد عبداً خالصاً مفتقراً محضاً، لم يبق له جهة أنانيّة، أو نظر والتفات إلى ماسوى المعبود الحقّ الأوّل، وذلك بعد انسلاخات عن نسبة الوجودات الكونيّة، وعقيب رياضات علمية وعملية، وتجرّدات من نشأة إلى نشأة وصورة إلى صورة، حتى يصير عبداً محضاً فانياً عن نفسه وعن كلّ شيء سوى الحقّ، مستغرقاً في عبوديّته وفقره إلى الله، بل فنى عن ملاحظة هذا الاستغراق، قاصراً نظره على مطالعة الجلال ومشاهدة الجمال، وهذا هو غاية إيجاد الخلق، ورتبة هذا العبوديّة المحضة أفضل من رتبة الرسالة، ولهذا قدّمت في التشهد على الرسالة، فيقال: أشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، وأوثر لفظ العبد في قوله: «سبحان الذي أسرى بعبده»(٢) دون نبيّه أو رسوله.

وفي نسخة ابن إدريس «حظّاً من عبادتك» وهو أنسب بقوله عليه السلام: «ونصيباً من شكرك».

والعبادة: فعل المكلّف على خلاف هوى نفسه تعظيماً لربّه. وقال الحكماء: عبادة الله تعالى ثلاثة أنواع:

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٦٣، ٦٤. (٢) سورة الإسراء: الآية ١.

....

الأوّل: مايجب على الأبدان، كالصلاة والصيام والسعي إلى المواقف الشريفة لمناجاته جلّ ذكره.

الثاني: مايجب على النفوس، كالاعتقادات الصحيحة من العلم بتوحيد الله تعالى، وما يستحقّه من الثناء والتحميد، والفكر فيما أفاضه الله سبحانه على العالم من جوده وحكمته، ثم الاتّساع في هذه المعارف.

الثالث: مايجب عند مشاركات الناس في المدن، وهي في المعاملات، والمزارعات، والمناكح، وتأدية الأمانات، ونصح البعض للبعض بضروب المعاونات، وجهاد الأعداء، والذبّ عن الحريم، وحماية الحوزة.

قوله عليه السلام: «ونصيباً من شكرك». النصيب: الحصّة، والجمع أنصبة وأنصباء ونُصب بضمّتين. وفيه إشارة إلى العجز عن القيام بجميع الشكر، كما قيل:

ولو أنّ لي في كلّ منبت شعرة لساناً يقول الشكر فيك لقصّرا

قوله عليه السلام: «وشاهد صدقٍ من ملائكتك» أي: شاهد صادق كامل في الشهادة، كما يقال: رجل صدق أي: صادق في الرجوليّة كامل فيها، والعرب إذا مدحت شيئاً أضافته إلى الصدق، ليعلم أنّ كلّ مايظنّ به من الخير ويطلب منه فإنّه يصدق ذلك الظنّ ويوجد فيه، ومنه في التنزيل: «قدم صدق»(١) و«لسان صدق»(٢) و«مبوّأ صدق»(٣) و«مقعد صدق»(٤).

---

(١) سورة يونس: الآية ٢.

(٢) سورة مريم: الآية ٥٠.

(٣) سورة يونس: الآية ٩٣

(٤) سورة القمر: الآية ٥٥.

....

قال الرضي: والمراد بالصدق في مثل هذا المقام مطلق الجودة لا الصدق في الحديث، وذلك مستحسن جيّد عندهم، حتى صاروا يستعملونه في مطلق الجودة، فيقال: ثوب صدق وخلّ صادق الحموضة.

قال: والإضافة في نحو رجل صدق ورجل سوء للملابسة، وهم كثيراً مايضيفون الموصوف إلى مصدر الصفة نحو خبر السوء، أي: الخبر السيء، فمعنى رجل صدق رجل صادق(١). إنتهى.

وقال غيره: هو من باب إضافة الموصوف إلى صفته، فوصف في الأصل بالمصدر مبالغة، ثمّ أُضيف إلى صفته، كقوله تعالى: «ما كان أبوكِ امرأ سوءٍ»(٢).

وقيل: الإضافة بمعنى «من» كخاتم حديد، أي: رجل من صدق كأنّه خلق منه مبالغة.

وفي القاموس: الصدق بالكسر الشدّة، وهو رجل صدق وصديق صدق مضافين وكذا امرأة صدق وحمار صدق «ولقد بوّأنا بني إسرائيل مبوّأ صدق» أنزلناهم منزلاً صالحاً، ويقال: هذا الرجل الصدق بالفتح، فإذا أضفت إليه كسرت الصاد(٣).

وفي شرح المشكاة للطيّبي(٤) في حديث «وجعل له وزير صدق» أي: وزيراً صادقاً، ويعبّر عن كلّ فعل فاضل ظاهراً وباطناً بالصدق. إنتهى.

---

(١) شرح الكافية في النحو للرضي: ج١ ص٣٠٥.

(٢) سورة مريم: الآية ٢٨.

(٣) القاموس المحيط: ج٣ ص٢٥٢.

(٤) لم نعثر على هذا الكتاب.

....

ثم المراد بالشاهد الصدق من الملائكة هنا الشاهد بالحسنات، فكان طلبه كناية عن طلب التوفيق لها.

تذكرة

في قوله عليه السلام: «واجعل لنا في كلّ ساعةٍ من ساعاته» إشارة إلى ماورد في الخبر: أنّه يفتح للعبد يوم القيامة أربع وعشرون خزانة لساعات اليوم والليلة، فيفتح له منها خزانة فيراها مملوءةً نوراً من حسناته التي عملها في تلك الساعة، فيناله من الفرح والاستبشار بمشاهدة تلك الأنوار مالو قسّم على أهل النار لألهاهم عن الإحساس بآلامها، وتفتح له خزانة أُخرى فيراها سوداء مظلمة يفوح نتنها ويغشاه ظلامها، وهي الساعة التي عصى الله تعالى فيها، فيناله من الهول والفزع مالو قسّم على أهل الجنّة لنغّص عليهم نعيمها، وتفتح له خزانة أُجرى فارغةً ليس فيها مايسوؤه ولاما يسرّه، وهي الساعة التي نام فيها أو غفل في شيء من مباحات الدنيا، فيتحسّر على خلوّها، ويناله من الغبن الفاحش ماينال من قدر ربح كثير ثمّ ضيّعه(١)، وإليه الاشارة بقوله تعالى: «ويجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن»(٢).

فسؤاله عليه السلام في كلّ ساعة من ساعات اليوم حظّاً من عبادته تعالى، ونصيباً من شكره، وشاهد صدق من ملائكته، طلب لملءِ تلك الخزائن من

---

(١) المحجّة البيضاء: ج٨ ص١٥٢. (٢) سورة التغابن: الآية ٩.

اللّهُمّ صلّ على محمد وآله، وَاحفَظْنا مِن بَينِ أيْدينا وَمِن خَلفِنا وَعَنْ أيمانِنا وعَنْ شَمائِلنا وَمِن جَميعِ نَواحِينا.

الحسنات، حتى لايكون شيء منها خالياً من تلك الكنوز العظيمة والفوائد الجسيمة.

وعلى هذا فيحتمل أن يكون المراد بالساعات، الساعات التنجيميّة التي هي أربع وعشرون ساعةً لليوم بليلته، كما وقع في متن الحديث، والله أعلم.

من بين أيدينا: أي من قدّامنا، لأنّ مابين يدي الإنسان قدّامه.

ومن خلفنا: أي من ورائنا.

والأيمان بالفتح: جمع يمين وهو ضدّ الشمال.

والشمائل: جمع شمال بالكسر، وتجمع على أشمل أيضاً.

سألِ عليه السلام الحفظ أوّلاً من الجهات الأربع التي أقسم إبليس لعنه الله تعالى ليأتينّ بني آدم منها، حيث قال: «فبما أغويتني لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم* ثم لآتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولاتجد أكثرهم شاكرين»(١)، وقد ذكروا في ذكرها وجوهاً:

أحدها: إجمالاً أنّها الجهات الأربع التي يعتاد هجوم العدوّ منها، مثّل قصده إيّاهم للتسويل والإضلال من أيّ وجه تيسّر بإتيان العدوّ من الجهات الأربع، ولذلك لم يذكر الفوق والتحت.

الثاني: ماروي عن أبي جعفر عليه السلام قال: ثمّ لآتينّهم من بين أيديهم معناه: أُهوّن عليهم أمر الآخرة، ومن خلفهم: آمرهم بجمع الأموال والبخل بها

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٦ و١٧.

....

عن الحقوق لتبقى لورثتهم، وعن ايمانهم: أُفسد عليهم أمر دينهم بتزيين الضلالة وتحسين الشبهة، وعن شمائلهم: بتحبيب اللذات إليهم وتغليب الشهوات على قلوبهم(١).

الثالث: ماروي عن ابن عباس: من بين أيديهم: من قبل الآخرة، ومن خلفهم: من جهة الدنيا، وعن أيمانهم وعن شمائلهم: من جهة حسناتهم وسيّئاتهم(٢).

الرابع: من بين أيديهم: أُنفّرهم عن الرغبات في سعادات الآخرة، ومن خلفهم: أُقوّي رغبتهم في لذات الدنيا وطيّباتها، فالآخرة بين أيديهم؛ لأنّهم يردّون إليها ويقبلون عليها، والدنيا خلفهم؛ لأنهم يخلفونها، وعن أيمانهم: أُفتّرهم عن الحسنات، وعن شمائلهم: أُقوّي دواعيهم إلى السيّئات.

قال ابن الأنباري: وهذا قول حسن؛ لأنّ العرب تقول: اجعلني في يمينك أي: من المقدّمين، ولاتجعلني في شمالك أي: من المؤخّرين(٣).

ولايخفى أنّ هذا القول كالشرح لما روي عن ابن عباس، ولامغايرة بينهما في أصل المعنى.

الخامس: من بين أيديهم: الشبهات المبنيّة على التشبيه، إمّا في الذات، أو في الصفات؛ لأنّ الإنسان يشاهد هذه الجسمانيّات فهي بين يديه وبمحضر منه، فيعتقد أنّ الغائب مثل الشاهد، ومن خلفهم: شبهات أهل التعطيل؛ لأنّ هذه

---

(١) مجمع البيان: ج٣ - ٤ ص٤٠٤.

(٢) مجمع البيان: ج٣ - ٤ ص٤٠٤ مع اختلاف يسيرفي العبارة.

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج١٤، ص٤٠ و٤١.

....

بازاء الأُولى، وعن أَيمانهم: الترغيب في ترك المأمورات، وعن شمائلهم: الترغيب في فعل المنهيّات.

وقال حكماء الإسلام: إنّ في البدن قوىً أربعاً هي الموجبة لفوات السعادة الروحانيّة.

أحدها: القوّة الخيالية التي تجتمع فيها مثل المحسوسات، وموضعها البطن المقدّم من الدماغ، وإليها الإشارة بقوله: «من بين أيديهم»(١).

وثانيها: القوّة الوهمية التي تحكم في غير المحسوسات بالأحكام المناسبة للمحسوسات، ومحلّها البطن المؤخّر من الدماغ، وهو قوله: «ومن خلفهم»(٢).

وثالثها: الشهوة، ومحلّها الكبد عن يمين البدن.

ورابعها: الغضب، ومنشأه القلب الذي هو في الشقّ الأيسر. فالشياطين الخارجيّة مالم تستعن بشيء من هذه القوى الأربع لم تقدر على إلقاء الوسوسة، ولم يذكر الفوق والتحت لأنّ القوى التي منها يتولّد مايوجب تفويت السعادة الروحانيّة هي هذه الموضوعة في الجوانب الأربعة من البدن.

وعن شقيق: مامن صباح إلّا قعد الشيطان لي على أربعة مراصد: من بين يديّ، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي.

أمّا من بين يديّ فيقول: لاتخف إنّ الله غفور رحيم، فاقرأ «وإنّي لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً».

وأمّا من خلفي: فيخوّفني الضيعة على من أخلفه بعدي، فاقرأ «وما من دابّةٍ في

---

(١) و(٢) سورة يس: الآية ٩.

....

الأرض إلاّ على الله رزقها».

وأمّا عن يميني فيأتيني من قبل الثناء، فاقرأ «والعاقبة للمتّقين».

وأمّا عن شمالي: فيأتيني من قبل الشهوات، فاقرأ «وحيل بينهم وبين مايشتهون»(١).

وإنّما عدّي الفعل في الدعاء وفي الآية إلى الأوّلين بحرف الابتداء؛ لأنّ الآتي منهما يتوجّه إلى الإنسان، وإلى الآخرين بحرف المجاوزة؛ لأنّ الآتي منهما كالمنحرف المتجافي عنه المارّ على عرضه، ونظيره جلست عن يمينه.

وقال الزمخشري: كلمة «من» هنا تبعيضيّة؛ لأنّ الفعل يقع في بعض الجهتين؛

قال في الكشّاف: فإن قلت: كيف قيل: «من بين أيديهم ومن خلفهم» بحرف الإبتداء، و«عن أيمانهم وعن شمائلهم» بحرف المجاوزة؟

قلت: المفعول فيه عدّي إليه الفعل نحو تعديته إلى المفعول به، فكما اختلفت حروف التعدية في ذلك اختلفت في هذا، فكانت لغة تؤخذ ولا تقاس، وإنّما يفتّش عن صحّة موقعها فقط، فلمّا سمعناهم يقولون: جلس عن يمينه وعلى يمينه، وعن شماله وعلى شماله، قلنا: معنى على يمينه أنّه تمكّن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى عليه، ومعنى عن يمينه: أنّه جلس متجافياً عن صاحب اليمين منحرفاً عنه غير ملاصق له، ثمّ كثر حتّى استعمل في التجافي وغيره، ونحوه من المفعول به رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس؛ لأنّ السهم يبعد عنها

---

(١) تفسير الكشّاف: ج٢ ص٩٣.

حِـفْظـاً عاصِماً مِنْ مَـعْصِـيَتِكَ هادِياً إلىٰ طـاعَـتِـكَ مُسْتَعمِلاً لِمَحَبَّتِكَ.

ويستعليها إذا وضع على كبدها للرمي ويبتدأ منها، وكذلك قالـوا: جلس بين يديه وخلفه بمعنى في؛ لأنّـهما ظرفان للفـعل، ومن بين يديه ومـن خلفه؛ لأنّ الفعل يقع في بعض الجهتين، كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل(١) إنتهى.

قوله عليـه السلام: «ومن جميع نواحينا». النواحي: جمع ناحية وهي الجانب فاعلة بمعنى مفعولة؛ لأنّك نحوتها أي: قصدتها، أي: من جميع جوانبنا، وهذا تعميم بعد التخصيص، فدخل فيه الفوق والتحت، لاحتمال إتيان المكروه منهما.

قال بعضهم: السالك إلى الله تعالى خائف من قطع الطريق من الشيطـان، وهو لا يألو جهداً في أن يأتيه من أيّ جهة أمكنه الإتيان منها، فليس للتخلّص منه مساغ إلّا بأن يلتجأ إلى الله سبحانه، ويسأله الحفظ من جميع الجهات*.

حفظاً: مصدر منصوب على المفعوليّة المطلقة، وهو بنفسه مـفيد لـتقويـة عامله وتقرير معناه، وبوصفه بكونه عاصماً مفيد لبيان نوعه.

وعاصماً: أي مانعاً.

والطاعة: موافقة الأمر أو الإرادة.

وقدّم الـعصمـة من المعصية على الهداية إلى الطـاعة؛ لأنّ الـتخلية مقدّمة على التحلية، ثمّ ترقّى إلى سؤال المحبّة.

ومـسـتـعـمـلاً: يـروى بفـتح الميم اسم مفعول، وبـكسرها اسـم فاعل. فعلى

(١) تفسير الكشاف: ج ٢ ص ٩٣.

....

الأوّل معناه: حفظاً نستعمله لمحبّتك. وعلى الثاني: حفظاً يستعملنا لمحبّتك.

إلّا أنّ الأوّل من استعملت الثوب ونحوه إذا اعملته فيما يعدّ له. والثاني من استعملته إذا جعلته عاملاً.

وإضافة المحبّة إلى كاف الخطاب من إضافة المصدر إلى المفعول، أي: لمحبّتنا إيّاك، أو إلى الفاعل، أي: لمحبّتك إيّانا.

قيل: محبّة العباد لربّهم محبّة طاعته، وابتغاء مرضاته، واجتناب مايوجب سخطه وعقابه. ومحبّة الله تعالى لعباده إرادة إكرامهم، وأن يثيبهم أحسن الثواب، ويرضى عنهم، ويصونهم عن العاصي.

وهذا التفسير لمحبّة العباد لربّهم مبنيّ على ماذهب إليه جمهور المتكلّمين من أنّ المحبّة نوع من الإرادة، والإرادة لا تعلّق لها إلّا بالحوادث، فيستحيل تعلّق المحبّة بذات الله تعالى وصفاته؛ ولأنّها تستدعي الجنسيّة بين المحبّ والمحبوب.

قال بعض المحقّقين: والمنع عن الأوّل أنّ المحبّة ليست نوعاً من الإرادة؛ لتعلّقها بالأعيان وتعلّق الإرادة بالأفعال، بل لو عكس لكان صواباً.

وعن الثاني أنّ المحبّة قد تتعلّق بالأعراض، ولاجنسيّة بين الجوهر والعرض.

والتحقيق: أنّها من الوجدانيّات التي لاتحتاج إلى تعريف حقيقي، بل إلى شرحٍ مستقيم لتمتاز عن باقي المعاني الوجدانيّة، بأن يقال: هي إدراك الكمال من حيث إنّه موثّر، وكلّما كان الإدراك أتمّ والمدرك أشدّ كمالية موثّرة كانت المحبّة أكمل.

ولذلك قال العارفون: نحن نحبّ الله تعالى لذاته لالغرض، ولو كان كلّ شيء محبوباً لأجل شيء آخر دار أو تسلسل، وإذا كنّا نحبّ الرجل العالم

....

لعلمه، والرجل الشجاع لقوّته وغلبته، والرجل الزاهد لبراءة ساحته عن المثالب، فالله تعالى أحقّ بالمحبّة؛ لأنّ كلّ كمال بالنسبة إلى كماله نقص، والكمال مطلوب لذاته محبوب لنفسه، وكلّما كان الاطلاع على دقائق حكمة الله وقدرته وصنعه أكثر كان حبّه له أتمّ، وبحسب الترقي في درجات العرفان تزداد المحبّة، إلى أن يستولي سلطان الحبّ على قلب المؤمن، فيشغله عن الإلتفات إلى غيره ويغني عن حظوظ نفسه، فبه يسمع وبه يبصر وبه ينطق وبه يبطش وبه يمشي، فلايفعل إلّا ماأحبّه وأراده، ولايختار إلّا ماأمره ورضيه، ولايثق إلّا به، ولايسكن إلّا إليه، ولايتكلّم إلّا عنه، ولايتفكّر إلّا فيه، ولايتنفّس إلّا معه، وهذه أحوال تلطف عن العبارة وتدقّ عن الإشارة.

ولنذكر نبذة من كلام المحبّين في المحبّة، تبرّكاً بأنفاسهم، واقتباساً من نبراسهم(١).

قال بعضهم: المحبّة هي إمحاء القلب عمّا سوى المحبوب.

وقال آخر: هي نار تحرق ماسوى المراد المحبوب.

وقال آخر: هي الموافقة في جميع الأحوال.

وقال آخر: المحبّة بذل المجهود والحبيب يفعل مايريد.

وقال آخر: المحبّة ميلك إلى الشيء بكلّيّتك، ثمّ إيثارك له على نفسك وروحك، ثمّ موافقتك له سرّاً وجهراً فيما سرّك أو ساءك، ثمّ علمك بتقصيرك في حقّه.

....

وقال آخر: المحبّة مالا تنقصه الإساءة، ولايزيده الإحسان، ولاينسيه القرب، ولايسليه البعد.

قالوا: وللمحبّة خصائص.

فمن خصائصها: تقديم أُمور الآخرة في كلّ مايقرّب إلى الله تعالى على أُمور الدنيا من كلّ ماتهوي الأنفس، والتذلّل لأولياء الله من العلماء والعبّاد، والتعزّز على أبناء الدنيا، والمجاهدة في طريق المحبوب بالمال والنفس جميعاً، والانقطاع عن كلّ شيء إليه، ووجود الأُنس بالوحدة، والروح بالخلوة، والالتذاذ بحلاوة الخدمة، وأن لايسكن إلّا إليه، ولايعتمد إلّا عليه.

وفي قصة برخ، العبد الأسود الذي استسقى به موسى عليه السلام أنّ الله تعالى أوحى إليه أنّ برخ نعم العبد لي إلّا أنّ فيه عيباً، قال: ياربّ وما ذاك ؟ قال: يعجبه نسيم الأسحار ومن أحبّني لايسكن إلى شيء ولايأنس بشيء(١).

ومن خصائصها: الخروج إلى الله تعالى من الدنيا بالزهد فيها، والخروج إليه من النفس بايثار الحقّ على الهوى، والخروج من العمل بإسقاط المثوبة وإطراح الأجر والجزاء.

وعليه قول سيّد العارفين صلوات الله عليه: «ماعبدتك خوفاً من نارك ولاطمعاً في جنّتك ...» الحديث(٢).

ومن خصائص المحبّة: أنّ المحبّ هشّ بشّ بسّام، يحسن لمن يعاشره خلقه، ويعذوذب لمن يلقاه شربه، يحنو على الصغير، ويبجّل الكبير، وكيف لايهش وهو

---

(١) إحياء علوم الدين: ج٤ ص٣٣٣.

(٢) بحار الأنوار: ج٤١ ص١٤.

....

فرحان بالحقّ وبكلّ شيء، فإنّه يرى فيه لطف الحقّ.

ومن خصائصها: أنّ الذكر لايكون عن نسيان، والرؤية لا تكون عن عيان، فلايكون في نفسه موضع إلّا وهو معمور به متهالك عليه، ولا من قلبه موقع إلّا وهو موشّىء بذكره مطرّزاً باسمه، وأنشدوا:

لا لأنّي أنساك أكثر ذكراك ولكن بذاك يجري لساني
أنت في القلب والجوانح والنفس وأنت الهوى وأنت الأماني
كلّ جزء منّي يراك من الوجد بعين غنية عن عيان
فاذا غبت عن عياني أبصرتك منّي بعين كلّ مكان

كان الفضيل بن عياض يقول: إذا قيل لك: تحبّ الله؟ فاسكت، فان قلت: نعم، فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت، وإن قلت: لا، كفرت(١).

وأمّا محبّته تعالى لعباده، فقال بعض العارفين: هي راجعة إلى محبّته ذاته؛ لأنّه تعالى ماأحبّ شيئاً بالذات غير ذاته المقدّسة وإن أحبّ غيره فإنّما أحبّه بتبعيّة محبّة ذاته؛ لأنّه من توابعها، فكلّ ماهو أقرب إليه كان أحبّ عنده، فترجع محبّته لما سواه إلى محبّته لذاته. كما يدلّ عليه ماورد في الحديث: إنّ الله جميل يحبّ الجمال(٢).

ولهذا لمّا قرأ القاري في مجلس الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير قوله تعالى: «يحبّهم ويحبّونه»(٣)، قال: لعمري يحبّهم ويحقّ انه يحبّهم؛ لأنّه إنّما يحبّ نفسه.

---

(١) إحياء علوم الدين: ج٤ ص٣٣٢. (٢) وسائل الشيعة: ج٣ ص٣٤٠ ح٢. (٣) سورة المائدة: الآية ٥٤.

....

إشارة إلى أنّه لانظر له إلى غيره من حيث إنّه غيره، بل نظره إلى ذاته و إلى أفعاله فقط، وليس في الوجود إلّا نفسه وأفعال نفسه وصنائعه وآثاره، وكلّها راجع إليه، وهو غاية كلّ شيء، فلا تجاوز محبّته ذاته وتابع ذاته من حيث هو متعلّق بذاته، فهو إذاً لايحبّ إلّا نفسه(١).

وما ورد في الأخبار(٢) من حبّه لعباده فهو مؤوّل بما ذكرناه، ويرجع معناه إلى أنّه جعله قريباً منه، وكشف عن قلبه الحجاب حتى راه بقلبه، فمحبّته تعالى لمن أحبّه أزليّة مهما أُضيفت إلى الإرادة الأزليّة، و إذا أُضيفت إلى فعله وصنعه في حقّ عبده، من تمكينه إيّاه من القرب منه و إلى مشيئته و إرادته المخصوصة التي اقتضت تمكّن هذا العبد من سلوك طريق القرب إليه، فهي حادثة بحدوث السبب المقتضي له.

كما ورد في الحديث القدسي: لايزال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أُحبّه(٣).

فيكون تقرّبه بالنوافل سبباً لصفاء باطنه، وارتفاع الحجاب عن قلبه، وحصوله في درجة القرب، وصيرورته من جملة المقرّبين، فصار قريباً بعدما كان بعيداً كائناً في مقام المبعدين كالبهائم والسباع وأبناء الشياطين، فقد تجدّدت له درجة القرب والمحبوبيّة بالمعنى الذي علمت من كونها على وجه التبعيّة، ولم تتجدّد فه تعالى صفة لم تكن، ولكن ربّما يظنّ لهذا أنّه لمّا تجدّد له القرب وصار محبوباً

---

(١) إحياء علوم الدين: ج٤ ص٣٢٨ مزجاً مع توضيح المؤلّف.

(٢) إحياء علوم الدين: ج٤ ص٣٢٧.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ج٦ ص٢٥٦.

....

له تعالى بعد أن لم يكن فقد تغيّر وصف العبد والربّ جميعاً، وهذا ظنّ باطل؛ إذ البرهان قائم على أنّ التغيّر(١) عليه تعالى محال، بل لايزال من نعوت الكمال والجمال على ماكان عليه في أزل الآزال، وهذا ممّا ينكشف لك بمثال في قرب الأشخاص، فإنّ الشخصين قد يتقاربان بتحرّكهما جميعاً، وقد يكون أحدهما ثابتاً فيتحرّك الآخر، فيحصل القرب بينهما معتبراً في أحدهما فقط. وكذا في القرب المعنوي، فإنّ التلميذ يطلب القرب من درجة استاذه في كمال العلم وقوّة اليقين، والأُستاذ ثابت في كمال علمه غير متحرّك بالنزول إلى درجة التلميذ، والتلميذ متحرّك من حضيض الجهل إلى ذروة العلم وبقاع الكمال،فلا يزال دائباً في التغيّر والترقّي إلى أن يقرب من أُستاذه، والأُستاذ ثابت غير متغيّر.

فكذلك ينبغي أن يفهم ترقّي العبد في درجات القرب من الله عزّوجلّ وصيرورته من جملة المقرّبين المحبوبين بعدمالم يكن.

تتمّة

قال بعض أرباب العرفان: كما أنّ لمحبّة المحبّ مراتب متفاضلة، كذلك لمحبّة المحبوب درجات متفاوتة، فمحبّته للعوامّ باختصاصهم بالرحمة والغفران، والتجلّي عليهم بالأفعال والآيات، ومحبّته للخواصّ باختصاصهم بتجلّي صفات الجمال، وستر ظلمة صفاتهم بأنوار صفاته، ومحبّته لأخصّ الخواصّ باختصاصهم

---

(١) في «الف»: التغيير.

اللّـهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَ وَفِّقْنا في يَومِنا هذا وَلَيْلَتِنا هذِهِ وَفي جَميعِ أَيّامِنا لِاِسْتِعمالِ الخَيْرِ وَهِجْرانِ الشَّرِّ وَشُكْرِ النِّعَمِ.

بالجذبات، وستر ظلمة وجودهم بأنوار الوجود الحقيقي، فيتجلّى أوّلاً بنار الجلال فيحرق عن قلبهم جميع ما كان فيه(١)، ثمّ يتجلّى بنور الجمال فيمحوهم عنهم ويثبتهم به، ويسلب عنهم السمع والبصر والنطق.

كما ورد في الحديث المشهور بين الخاصّة والعامّة: فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته(٢).

قال العلّامة البهائي في شرح الأربعين: المراد ـ والله أعلم ـ: أنّي إذا أحببت عبدي جذبته إلى محلّ الأُنس، وصرفته إلى عالم القدس، وصيّرت فكره مستغرقاً في أسرار الملكوت، وحواسّه مقصورة على اجتلاء أنوار الجبروت، فتثبت حينئذ في مقام القرب قدمه، ويمتزج بالمحبّة لحمه ودمه، إلى أن يغيب عن نفسه، ويذهل عن حسّه، فتتلاشى الأغيار في نظره، حتّى أكون بمنزلة سمعه وبصره.

كما قال من قال:

جنوني فيك لا يخفى و ناري منك لا تخبو

فأنت السمع و الابصار والأركان و القلب(٣)

التوفيق: جعل الأسباب متوافقةً في التأدّي إلى المسبّب الذي هو المطلوب خيراً كان أو شرّاً، ثمّ خصّ بالخير، هذا معناه اللغوي.

وأمّا معناه العرفي، فعند بعض المتكلّمين: هو الدعوة إلى الطاعة؛ وعند

---

(١) في «الف»: منه. (٢) المحاسن للبرقي: ص٢٩١ ح٤٤٣. (٣) كتاب الأربعين للبهائي: ص٤٠٨.

....

بعضهم: خلق إرادة الطاعة.

وقيل: هو جعل الله فعل عبده موافقاً لما يحبّه ويرضاه.

وهذا وهذه: صفتان لليوم والليلة بتأويل الحاضر والحاضرة.

واستعمال الخير: أي العمل به.

قال ابن سيدة في محكم اللغة: إستعمله: عمل به(١).

والهجران بالكسر: اسم من هجره هجراً ـ من باب قتل ـ: بمعنى تركه ورفضه.
وقد أسلفنا الكلام على معنى الخير والشرّ.

وعن أمير المؤمنين صلوات الله عليه: إفعلوا الخير ولاتحقّروا منه شيئاً، فإنّ صغيره كبير، وقليله كثير، ولايقولنّ أحدكم إنّ أحداً أولى بفعل الخير منّي فيكون والله كذلك، إنّ للخير وللشرّ أهلاً، فمها تركتموه منهما كفاكموه أهله (٢).

وعنه عليه السلام: الشرّ جامع لمساوي العيوب(٣).

فظهر أنّ الخير كلّي يندرج تحته جميع الأعمال الصالحة، والشرّ كلّي يندرج تحته جميع القبائح.

قوله عليه السلام: «وشكر النعم» الألف واللام: لاستغراق الأفراد، أي: شكر كلّ نعمةٍ ظاهرةً كانت أو باطنةً، وقد علمت أنّ الشكر عمل يتعلّق بالقلب واللسان والجوارح.

فشكر النعم بالقلب: القصد إلى تعظيمه تعالى وتمجيده وتحميده عليها،

---

(١) محكم اللغة: ج٢ ص١٢٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج٥ ص٤٤٧ ح٣٩٧.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٩ ص٣٠١ ح٣٧٧.

وَإتّباعِ السُّنَنِ وَمُجانَبَةِ البِدَعِ.

والتفكّر في آثار لطفه بإيصالها ونحو ذلك.

وباللسان: إظهار ذلك المقصود بالتحميد والتمجيد والتهليل والتسبيح.

وبالجوارح: استعمالها في طاعته وعبادته، والاحتراز من الاستعانة بها في معصيته ومخالفته.

وسيأتي تمام الكلام على الشكر في الروضة السابعة والثلاثين إن شاء الله تعالى *.

الاتّباع: الاقتداء، والمراد باتّباعها: العمل بها.

والسنن: جمع سنّة، وهي لغةً: الطريقة، وتطلق شرعاً على الأحاديث المرويّة عنه صلّى الله عليه وآله، وعلى الطريقة النبوّية وهي ماسنّه النبيّ صلّى الله عليه وآله، أي: شرعه من مفروض أو مندوب وغير ذلك، وهو المراد هنا.

وعلى الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض ولاوجوب، وهي نوعان:

سنّة يتعلّق بتركها كراهة كالأذان والإقامة، ويسمّيها بعضهم سنّة الهدى.

وسنّة فعلها خير ولاحرج في تركها، كسنن النبيّ صلّى الله عليه وآله في قيامه وقعوده وأكله وشربه، ويسمّيها بعضهم سنن الزوائد.

وقد تطلق السنّة على مايتعلّق به الوجوب، وعليه قول أبي جعفر عليه السلام: كلّ من تعدّى السنّة ردّ إلى السنّة(١).

وقول أميرالمؤمنين صلوات الله عليه: السنّة سنّتان سنّة في فريضةٍ الأخذ بها هدىً وتركها ضلالة، وسنّة في غير فريضةٍ الأخذ بها فضيلة وتركها إلى غير

---

(١) الكافي: ج١ ص٧١ ح١١.

....

خطيئة(١).

وجانب الشيء مجانبةً: باعده كأنّه تركه جانباً.

والبدع: جمع بدعةٍ بالكسر، وهي اسم من ابتدع الأمر إذا ابتدأه وأحدثه، كالرفعة من الارتفاع، والخلفة من الاختلاف، ثمّ غلبت على ماهو زيادة في الدين أو نقصان منه.

وقيل: كلّ مالم يكن في زمن النبيّ صلّى الله عليه وآله فهو بدعة.

وردّه الفاضل الأردبيلي بمنع الشرطيّة، وقال: البدعة: كلّ عبادة لم تكن مشروعةً ثمّ أُحدثت بغير دليل شرعي، أو دلّ دليل شرعي على نفيها، فلو صلّى أو دعا أو فعل غير ذلك من العبادات، مع عدم وجودها في زمانه صلّى الله عليه وآله، فإنّه ليس بحرام؛ لأنّ الأصل كونها عبادة، ولغير ذلك مثل الصلاة خير موضوع والدعاء حسن(٢) انتهى.

وفي تخصيصها بالعبادة نظر ظاهر.

وقال العامّة: البدعة في الشرع: إحداث مالم يكن في عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله. وهي منقسمة إلى واجبة ومحرّمة ومندوبة ومكروهة ومباحة والطريق في ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة فان دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة، أو في قواعد التحريم فمحرّمة، أو الندب فمندوبة، أو الكراهة فمكروهة، أو الإباحة فمباحة.

وللبدع الواجبة أمثلة، منها: الاشتغال بعلم النحو الذي يفهم به كلام الله

---

(١) الكافي: ج١ ص٧١ ح١٢.

(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج٣ ص٢٥٢.

....

عزّوجلّ وكلام رسوله صلّى الله عليه وآله، وذلك واجب؛ لأنّ حفظ الشريعة واجب، ولايتأتّى حفظها إلّا بذلك، وما لايتمّ الواجب إلّا به فهو واجب.

ومنها: حفظ غريب الكتاب والسنّة من اللغة.

ومنها: تدوين أُصول الفقه. ومنها: الكلام في الجرح والتعديل وتمييز الصحيح من السقيم، وقد دلّت قواعد الشريعة على أنّ حفظ الشريعة فرض كفاية فيما زاد على المتعيّن، ولايتأتّى ذلك إلّا بما ذكرناه.

وللبدع المحرّمة أمثلة، منها: مذاهب القدريّة والجبريّة والمرجئة والمجسّمة، والردّ على هؤلاء من البدع الواجبة.

وللبدع المندوبة أمثلة، منها: إحداث الربط والمدارس، وكلّ إحسان لم يعهد في العصر الأوّل.

وللبدع المكروهة أمثلة: كزخرفة المساجد وتزويق [١] المصاحف.

وللبدع المباحة أمثلة، منها: التوسّع في اللذيذ من المآكل والمشارب والملابس والمساكن ولبس الطيالسة وتوسيع الأكمام.

وقال شيخنا الشهيد قدّس سرّه في القواعد الأصوليّة: محدثات الأُمور بعد عهد النبيّ صلّى الله عليه وآله تنقسم أقساماً، لايطلق اسم البدعة عندنا إلّا على ماهو محرّم منها.

أوّلها: الواجب، كتدوين القرآن والسنّة إذا خيف عليهما التفلّت من الصدور، فإنّ التبليغ للقرون الآتية واجب إجماعاً وللآية، ولايتمّ إلّا بالحفظ،

---

(١) زوّقته تزويقاً: مثل زيّنته وحسّنته. (المصباح المنير: ص٣٥٤).

....

وهذا في زمان الغيبة واجب، أمّا في زمان ظهور الإمام عليه السلام فلا؛ لأنّه الحافظ لها حفظاً لايتطرّق إليه خلل.

وثانيها: المحرّم، وهو كلّ بدعة تناولتها قواعد التحريم وأدلّته من الشريعة، كتقديم غير المعصومين عليهم وأخذهم مناصبهم، واستئثار ولاة الجور بالأموال ومنعها مستحقّها، وقتال أهل الحقّ وتشريدهم وإبعادهم، والقتل على الظنّة، والإلزام ببيعة الفسّاق والمقام عليها وتحريم مخالفتها، والغسل في المسح، والمسح على غير القدم، وشرب كثير من الأشربة، والجماعة في النوافل، والأذان الثاني يوم الجمعة، وتحريم المتعتين، والبغي على الإمام، وتوريث الأباعد ومنع الأقارب، ومنع الخمس أهله، والإفطار في غير وقته، إلى غير ذلك من المحدثات المشهورات، ومنها بالإجماع من الفريقين المكس(١)، وتولية المناصب غير الصالح لها ببذلٍ أو إرثٍ أو غير ذلك.

وثالثها: المستحب، وهو ماتناولته أدلّة الندب، كبناء المدارس والربط، وليس منه اتّخاذ الملوك الأهبّة ليعظموا في النفوس، اللّهمّ إلّا أن يكون ذلك مرهباً للعدوّ.

ورابعها: المكروه، وهو ماشملته أدلّة الكراهيّة، كالزيادة في تسبيح الزهراء عليها السلام وسائر الموظفات، أو النقيصة منها، والتنعّم في الملابس والمآكل بحيث يبلغ الاسراف بالنسبة إلى الفاعل، وربّما أدّى إلى التحريم إذا استضرّ به وعياله.

---

(١) المكس: الضريبة التي يأخذها الماكس وهو العشار. (النهاية لابن الأثير: ج٤ ص٣٤٩).

وَالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ.

وخامسها: المباح، وهو الداخل تحت أدلّة الإباحة كنخل الدقيق، فقد ورد أوّل شيء أحدثه الناس بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله اتّخاذ المناخل؛ لأنّ لين العيش والرفاهية من المباحات فوسيلته مباحة(١) إنتهى.

وقال بعضهم: البدعة تطلق على مفهومين:

أحدهما: ماخولف به الكتاب أو السنة أو الإجماع، فهذه البدعة الضلالة.

والثاني: مالم يرد فيه نصّ بل سكت عنه فأُحدث بعد، فهذه ماكان منها خيراً فلا خلاف من أحدٍ في كونه غير مذموم.

وما ورد في الخبر من: كلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة في النار(٢). فالمراد به المفهوم الأوّل. والله أعلم*.

المراد بالمعروف هنا: الواجب والمندوب.

وبالمنكر: الحرام والمكروه.

وهما واجبان في الواجب والحرام، ومستحبّان في المندوب والمكروه.

ودليل الوجوب قوله تعالى: «ولتكن منكم أمّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر»(٣).

وقوله صلّى الله عليه وآله: لتأمرنّ بالمعروف ولتنهنّ عن المنكر، أو ليسلّطنّ الله شراركم على خياركم، فيدعو خياركم فلايستجاب لهم(٤).

ومن طرق أهل البيت عليهم السلام في هذا المعنى مايقصم الظهور، فليقف

---

(١) القواعد والفوائد الأُصولية: ج٢ ص١٤٤ الى ١٤٦.

(٢) الكافي: ج١ ص٥٦ ح١٢. (٣) سورة آل عمران: الآية ١٠٤.

(٤) مسند أحمد بن حنبل: ج٥ ص٣٩٠ مع اختلاف يسير في العبارة.

....

عليه من أراده في الكافي(١) وغيره.

وهنا مسائل لا بأس بالتعرض لها تتميماً للفائدة وتعميماً للعائدة:

أحدها: اختلف أصحابنا هل الوجوب في هذا الباب عيني أو كفائي؟

فشيخ الطائفة(٢) وابن إدريس(٣) وجماعة من المتأخّرين على الأوّل، وعلم الهدى(٤) وأبو الصلاح(٥) والعلّامة(٦) وبعض المتأخّرين على الثاني.

والحقّ في المسألة أنّه إن كان المطّلع منفرداً تعيّن عليه، وإن كانوا جماعة، فإن شرع أحدهم فيه، وظنّ الباقون تأثير مشاركتهم في الردع وجب عليهم، فيكون الوجوب عينيّاً، وإلّا كان على الكفاية.

الثانية: للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شروط، والمشهور منها أربعة:

أحدها: علم الآمر والناهي وتمييزه بين المعروف والمنكر، فإنّ الجاهل ربّما أمر بمنكر ونهى عن معروف.

والثاني: تجويز التأثير، فان علم عدمه سقط الوجوب دون الجواز. وهل يكفي ظنّ العدم؟ قيل: نعم، وقيل: لا؛ لأنّ التجويز قائم مع الظنّ. وهو حسن؛ إذ لا يترتّب عليه ضرر، فان نجع(٧) وإلّا فقد أدّى فرضه، والفرض انتفاء الضرر.

---

(١) الكافي: ج٥ ص٥٥، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٢) الاقتصاد: ص١٤٧.

(٣) المستفاد من السرائر لابن إدريس ص١٦٠: كون الوجوب وجوباً كفائياً لا عينياً كما أفاد المصنّف «قدس سرّه».

(٤) السرائر: ص١٦٠. (٥) الكافي في الفقه: ص٢٦٥. (٦) تذكرة الفقهاء: ج١ ص٤٥٨.

(٧) نجع فيه الخطاب والوعظ والدواء: أي دخل وأثّر. (الصحاح للجوهري: ج٣ ص١٢٨٨) هكذا في القاموس: ج٣ ص٨٧.

....

الثالث: الأمن من الضرر على المباشر أو على بعض المؤمنين، نفساً أو مالاً أو عرضاً، فبدونه يحرم أيضاً على الأقوى، ولا يجب في السقوط العلم بالضرر بل يكفي ظنّه.

الرابع: إصرار المأمور أو المنهي على الذنب، فلو علم منه الإقلاع والندم سقط الوجوب بل حرم، واكتفى الشهيد في الدروس وجماعة في السقوط بظهور أمارة الندم، وهو في محلّه (١).

وزاد بعضهم شرطاً خامساً، وهو عدم كون الآمر والناهي مرتكباً للمحرّمات، واشترط فيه العدالة، بدليل قوله تعالى: «أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم»(٢).

والحقّ أنّه غير شرط؛ إذ لا يسقط بترك أحد الواجبين الواجب الآخر، والإنكار في الآية على عدم العمل لا على الأمر.

الثالثة: للإنكار مراتب:

أوّلها: بالقلب، وهو أن يبغضه عليه، وهو البغض في الله المأمور به في السنّة المطهّرة، وهو مشروط بعلم الآمر والناهي وإصرار المنهي، دون الشرطين الآخرين، ثمّ بإظهار الكراهة بغير قول وفعل، فإن ارتدع اكتفى به، وإلّا اعرض عنه وهجره، وإلّا أنكره باللسان بالوعظ والزجر مرتّباً الأيسر فالأيسر.

وغيره باليد ككسر الملاهي وإراقة الخمر مثلاً مع التهديد، ولو لم ينزجر إلّا بالضرب وشبهه فعل مع القدرة، ولو افتقر إلى الجرح توقّف على أمر الحاكم

---

(١) الدروس: ص١٦٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٤٤.

وَحِياطَةِ الإِسْلامِ.

وإذنه، إلّا أن يتعرّض لنفسه أو حرمه فيجب الدفاع بما أمكن، فإن قَتلَ كان هدراً وإن قُتِلَ كان شهيداً، فكذا إذا رأى مع امرأته رجلاً يزني بها، فإنّ له قتلهما من غير إثم، ولكن في الظاهر عليه القود في الصورتين، إلّا أن يأتي ببيّنة أو يصدّقه الولي، وله الإنكار ظاهراً والحلف عليه مع التورية، وله زجر المطّلع على داره، فلو أصرّ فرماه بما جنى عليه كان هدراً، إلّا أن يكون رحماً لنسائه.

الرابعة: لايشترط في المأمور والمنهي أن يكون مكلّفاً، بل إذا علم إصرار غير المكلّف منع من ذلك، وكذا الصبيّ ينهى عن المحرّمات لئلّا يتعوّدها، ويؤمر بالطاعات ليتمرّن عليها.

تنبيه

علم ممّا مرّ أنّ في إطلاق الأمر والنهي على كلٍّ من مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سوى بعض أفراد الأمر والنهي اللساني تجوزاً، وكذا في إطلاق النهي على الإنكار القلبي؛ لأنّ الأمر والنهي حقيقة إستدعاء الفعل وتركه بالقول.

قال العلّامة البهائي: وكأنّ ذلك صار حقيقة شرعية(١). والله أعلم *.

حاط الشيء يحوطه حوطاً وحيطةً وحياطةً: حفظه وذبّ عنه وتعهّده.

والمراد بالإسلام هنا: جميع ماجاء به النبيّ صلّى الله عليه وآله من الدين الحقّ، المشار إليه بقوله تعالى: «إنّ الدين عندالله الإسلام»(٢)، وقوله: «اليوم

---

(١) كتاب الأربعين للشيخ البهائي: ص٧٣. (٢) سورة آل عمران: الآية ١٩.

وَانْتِقاصِ الباطِلِ وَإذْلالِهِ، وَنُصْرَةِ الحَقِّ وَإعْزازِهِ.

أكملت لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً»(١) وقوله: «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه»(٢).

والمراد بحياطته: نصرته، والقيام بأمره، والذبّ عنه، وصيانته عن وصمات الشياطين وتبديلهم وتحريفهم، وتأييده بإظهار حججه وإقامة براهينه ونفي الشبهات عنه وهداية الناس إليه، إلى غير ذلك ٭.

النقيصة: العيب.

قال في الأساس: إنتقصه وتنقّصه: عابه(٣).

والذلّ بالضمّ والذلّة بالكسر والمذلّة: الضعف والهوان، ويتعدّى بالهمزة فيقال: أذلّه الله إذلالاً.

والنصرة بالضمّ: اسم من نصره على عدوّه نصراً أي: أعانه وقوّاه.

وعزّ الرجل عزّاً -من باب ضرب-: قوى، وأعززته إعزازاً: قوّيته.

والحقّ في اللغة: هو الثابت الذي لايسوغ إنكاره، من حقّ الشيء يحقّ -من بابي ضرب وقتل- إذا وجب وثبت.

وفي اصطلاح أهل المعاني: الحكم المطابق للواقع ينطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك، ويقابله الباطل.

وأمّا الصدق: فقد شاع في الأقوال خاصّة، ويقابله الكذب. وقد يفرّق بينهما بأن المطابقة تعتبر في الحقّ من جانب الواقع وفي الصدق من جانب الحكم، فمعنى صدق الحكم: مطابقته للواقع، ومعنى حقّيّته: مطابقة الواقع إيّاه. وقد يطلق الحقّ

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣. (٢) سورة آل عمران الآية ٨٥. (٣) أساس البلاغة: ص٦٥١.

وَإِرْشادِ الضّالِّ، وَمُعاوَنَةِ الضَّعيفِ وَإِدْراكِ اللّهيفِ.

على الموجد للشيء على الحكمة ولما يوجد عليها، كما يقال: الله تعالى حقّ وكلمته حقّ.

وقد يراد به: الإقبال على الله تعالى بلزوم الأعمال الصالحة المطابقة للعقائد المطابقة للواقع، وبالباطل: الالتفات عنه إلى غير ذلك ممّا لايجدي نفعاً في الآخرة.

ثمّ المراد بانتقاص الباطل وإذلاله: تزييفه، وإظهار بطلانه، والردّ على أصحابه، وبيان ضلالهم.

وبنضرة الحقّ وإعزازه: تأييده، وإظهار حقّيّته(١)، وترغيب الناس في اتّباعه واعتقاده، ونحو ذلك *.

الرشد بالضمّ: خلاف الغيّ والضلال وهو الإهتداء، رشد يرشد رشداً ورشداً ـ من بابي قتل وتعب ـ فهو راشد والاسم الرشاد، ويتعدّى بالهمزة فيقال: أرشدته إرشاداً.

والضلال: قيل: هو الفقدان لما يوصل إلى المطلوب.

وقيل: هو سلوك طريق لايوصل إلى المطلوب.

وقيل: هو العدول عن الطريق السويّ ولو خطأً.

والحقّ شموله للمعاني الثلاثة.

ومن الأوّل قوله تعالى: «ووجدك ضالاًّ فهدى»(٢) على بعض الأقوال في معناه، أي: فاقداً لما يوصلك إلى ماأنت عليه الآن من النبوّة والشريعة، فهداك

---

(١) في «الف»: حقيقه.

(٢) سورة الضحى: الآية ٧.

....

إليه بنصب الأدلّة والألطاف حتّى وصلت إلى المطلوب.

وعلى المعنيين الأخيرين فأدناه أصغر الصغائر، وأعلاه أكبر الكبائر.

إذا عرفت ذلك فالمراد بالإرشاد: الدلالة على المطلوب بلطف، سواء كان معها وصول إليه أم لا، فلا ينافيه قوله تعالى: «إنّك لاتهدي من أحببت ولكنّ الله يهدي من يشاء»(١)؛ إذ المراد بالهداية هنا: الإيصال إلى المطلوب وهو بيده تعالى.

فإن قلت: قد ورد في الحديث عن أبي عبدالله عليه السلام: كفّوا عن الناس ولا تدعوا أحداً إلى أمركم (٢). وهو ينافي سؤال التوفيق لإرشاد الضالّ، مع أنّه من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قلت: أُجيب بأن الأمر بالكفّ والنهي عن الدعاء، إمّا: لأجل ما كان في ذاك الزمان من شدّة التقية من أهل الجور والعدوان.

وإمّا: لأنّ القصد منه ترك المبالغة في الدعاء، وعدم المخاصمة في أمر الدين، كما يدلّ عليه قول أبي عبدالله عليه السلام في حديث آخر: لاتخاصموا الناس لدينكم فانّ المخاصمة ممرضة للقلب(٣). فلامنافاة.

وفي إرشاد الضالّ وهدايته من الثواب مالايحصى، فعن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين صلوات الله عليه: لمّا وجّهني رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى اليمن، قال: ياعلي لا تقاتل أحداً حتى تدعوه إلى الإسلام، وأيم الله

---

(١) سورة القصص: الآية ٥٦.

(٢) الكافي: ج٢ ص٢١٣ ح٢.

(٣) الكافي: ج٢ ص٢١٣ ح٤ وفيه: «ولاتخاصموا بدينكم الناس».

....

لأن يهدي الله عزّوجلّ على يديك رجلاً خير لك ممّا طلعت عليه الشمس وغربت ولك ولاؤه(١).

قوله عليه السلام: «ومعاونة الضعيف» عاونه معاونةً أي: أعانه، فهو فاعل بمعنى أفعل.

والضعف بفتح الضاد في لغة تميم وبضمّها في لغة قريش: خلاف القوّة والصحّة. فالمفتوح مصدر ضعف ضعفاً -من باب قتل- والمضموم مصدر ضعف مثال قرب قرباً. ومنهم من يجعل المفتوح في الرأي. والمضموم في الجسد. و هو ضعيف، وضعف عن الشيء: عجز عن احتماله فهو ضعيف أيضاً.

وقد يطلق الضعيف على المهين الذي لاعزّة له ولاقوّة، فلا يقدر على الامتناع ممّن يريد ظلمه وهضمه أو يريد به مكروهاً. ولعلّ هذا المعنى هو المراد هنا.

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: عونك الضعيف من أفضل الصدقة(٢).

قوله عليه السلام: «وإدراك اللهيف» أدركته: إذا طلبته فلحقته.

واللهيف والملهوف واللهفان واللاهف: المظلوم المضطرّ يستغيث ويتحسّر.

والمراد بإدراكه: إغاثته. عبّر عنها بذلك لضيق خناقه وشدّة اضطراره، حتّى كان إغاثته إدراك له قبل فواته.

ولهذا كتب عثمان بن عفّان إلى أميرالمؤمنين عليه السلام حين ضاق به الخناق في الدار قول الشاعر:

---

(١) الكافي: ج٥ ص٣٦ ح٢. (٢) وسائل الشيعة: ج١١ ص١٠٨ باب ٥٩ من أبواب جهاد العدو ح٢.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْهُ أَيْمَنَ يَومٍ عَهِدْناهُ، وَأَفْضَلَ صاحِبٍ صَحِبْناهُ، وَخَيرَ وَقتٍ ظَلِلْنا فيهِ.

فان كنت مأكولاً فكن خير آكل وإلّا فأدركني ولمّا أمزّق(١)

وقد ورد في إغاثة الملهوف أخبار جمّة، فعنه صلّى الله عليه وآله: أنّه كان يحبّ إغاثة اللهفان(٢).

وعن أميرالمؤمنين صلوات الله عليه: من كفّارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب(٣).

وعن زيد الشحّام قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: من أغاث أخاه المؤمن اللهفان عند جهده، فنفّس كربته، وأعانه على نجاح حاجته، كانت له بذلك عندالله اثنان وسبعون رحمةً من الله، يعجّل له منها واحدةً يصلح بها معيشته، ويدخر له إحدى وسبعين رحمة لأفزاع يوم القيامة وأهوالها(٤) *.

اليمن بالضمّ: البركة والسعادة، يمن كعلم، ويمن بالبناء للمفعول فهو ميمون، وقدّم على أيمن اليمنى، أي: اليمن.

وعهدناه: أي عرفناه أو لقيناه، تقول: الأمر كما عهدت أي: عرفت، وعهدته بمكان كذا: لقيته، وعهدي به قريب أي: لقائي.

والفضل: الخير أي: خير صاحب، وإطلاق الصاحب على اليوم مجاز.

والوقت: المقدار من الزمان، وأكثر ما يستعمل في الماضي كما وقع هنا.

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج١ ص٣٥.

(٢) سنن أبي داود: ج٤ ص٢٥٦ كتاب الأدب باب١٢ عنه صلّى الله عليه وآله: «وتغيثوا الملهوف».

(٣) نهج البلاغة: ص٤٧٢ رقم ٢٤.

(٤) الكافي: ج٢ ص١٩٠ ح١ مع اختلاف يسير في العبارة.

وَاجْعَلْنا مِن أرْضىٰ مَنْ مَرَّ عَلَيهِ الليلُ وَالنّهارُ مِن جُمْلَة خَلْقِكَ .

وظلّ يظلّ ظلاً وظلولاً -من باب تعب-. قال الفارابي في ديوان الأدب(١).
الظلول بالنهار بمنزلة البيتوتة بالليل.

سأل عليه السلام أن يكون يومه أكثر يمناً وفضلاً وخيراً من أيّامه الماضية، وأراد بذلك أن يكون طاعته وعمله أكثر ممّا كان في سالف أيّامه، طلباً للترقّي في معارج القدس ومدارج الأُنس يوماً فيوماً، فإنّ من استوى يوماه فهو مغبون، فهو من باب سؤال اللازم وإرادة الملزوم *.

أرضى: اسم تفضيل يجوز أن يكون من رَضي بالبناء للفاعل، أي: اجعلنا من أعظم الراضين بقضائك، وأن يكون من رُضيَ بالبناء للمفعول على مامرّ بيانه في الروضة الأُولى(٢)، أي: اجعلنا من أعظم المرضيّين عندك .

قال العلّامة البهائي قدّس سرّه في الحديقة الهلالية: وفي كلام بعض أصحاب القلوب أنّ علامة رضا الله سبحانه عن العبد رضا العبد بقضائه، وهذا يشعر بنوع من اللزوم بين الأمرين، ولو أُريد باسم التفضيل هنا مايشملهما، من قبيل استعمال المشترك في معنييه، لم يكن فيه كثير بعدٍ، ومثله في كلام البلغاء غير قليل(٣) إنتهى.

و«من» من قوله عليه السلام: من جملة خلقك بيانية.

والجار والمجرور حال من اسم التفضيل، أي: كائناً من بين جملة خلقك، كما تقول: أنت منهم الفارس البطل، أي: أنت من بينهم، وهذا الفرس من بين الخيل كريم *.

---

(١) لم نعثر على هذا الكتاب. (٢) ج١ ص ٣٢١. (٣) الرسالة الهلالية للبهائي. ص٢٤.

أَشْكَرَهُمْ لِما أَوْلَيْتَ مِن نِعَمِكَ .
وأَقوَمَهُمْ بما شَرَعْتَ مِن شَرائِعِكَ .

أشكرهم: بالنصب حال من أرضى، على الصحيح من جواز تعدّد الحال في الفصيح.

وما قيل من أنّه معطوف على أرضى بتقدير حرف العطف فخطأ؛ لأنّه لو كان كذلك كان مجروراً. إلّا أن يقال: إنّه عطف على محلّه.

وفيه: أنّ حذف حرف العطف بابه الشعر، كما نصّ عليه ابن هشام في المغني(١).

وفي رواية ابن إدريس: أشكرهم بالجرّ، وهو إمّا بدل من أرضى، أو عطف بيان.

وأوليته معروفاً: منحته إيّاه.

سئل بعض العارفين: من أشكر الناس؟ فقال: أربعة هم أشكر الناس وأسعدهم: الطاهر من الذنب يعدّ(٢) نفسه من المذنبين، والراضي بالقليل يعدّ نفسه من الراغبين، والقاطع دهره بذكر الله يعدّ نفسه من الغافلين، والدائب نفسه من العمل يعدّ نفسه من المقلّين، فهذا هو أشكر الشاكرين وأفضل المؤمنين*.

الشرائع: جمع شريعة وهي ما شرّع الله من الفرائض والسنن، مأخوذ من الشريعة وهي مورد الناس للاستقاء، سمّيت بذلك لوضوحها وظهورها، وشرّع الله لنا كذا: أظهره وأوضحه. أي: أشدّهم قياماً بما أظهرته لنا من أحكام دينك، فرضاً كان أو سنّةً.

---

(١) مغني اللبيب: ص ٨٣١.

(٢) في «الف»: بعدّ.

وَأوقَفَهُمْ عَمّا حَذَّرْتَ مِن نَهيِكَ .

ووقع في كلام بعض المترجمين من العجم: أنّ حرف العلّة وهو الياء من شرائع لا تقلب همزةً، بل تبقى ياءً على حالها البتّة. وعلّل ذلك بأنّ حرف العلّة المذكور لم يقع قبله واو أو ياء كأوائل وخيائر حتّى تقلب همزةً، وهو خطأ واضح وغلط فاضح، بل الياء من شرائع يجب قلبها همزةً من غير خلاف، فرقاً بين الزائدة والأصلية، كما بيّناه في شرح السند عند قوله: «ويدّخروه في خزائنهم».

وأعجب لعجميّ هذا مبلغه في العربية كيف سوّلت له نفسه التعرّض لشرح كلام المعصوم، والله المستعان.

أوقفهم: اسم تفضيل من وقف عن الشيء بمعنى توقّف، أي: أمسك عنه ولم يدخل فيه.

والتحذير: التخويف.

ونهى الله عن الشيء: أي حرّمه. والمراد بنهيه هنا منهيّه، أي: ماحرّمه، إطلاقاً للمصدر على المفعول كالشرط بمعنى المشروط.

ولمّا كان للتوقّف عن المنهيّات مراتب أتى باسم التفضيل الدالّ على الزيادة طلباً لأعلى درجاته، وقد رتّبوه على أربع درجات:

الأولى: التوقّف عمّا يوجب ارتكابه التفسيق وسقوط العدالة، وهذه هي الأدنى في الدرجات.

الثانية: الحذر عمّا تتطرّق إليه شبهة الحرمة، وإن ساغ ذلك في الفتوى، وهو الذي قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: دع مايريبك إلى مالايريبك (١). وهذه

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٨ ص١٢٤ ح٤٧ وص١٢٢ ح٣٨ وص١٢٧ ح٥٦.

....

الدرجة للصالحين.

الثالثة: وقوف المتّقين و ورعهم.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: لايبلغ الرجل درجة المتّقين حتّى يترك مالابأس به مخافة مابه بأس(١).

فربّما توقّف المتّقي عن الأطعمة الشهيّة والملابس البهيّة خيفة أن تجمح(٢) به النفس الأمّارة بالسوء إلى مواقعة محظور، وربّما لايمدّ العين إلى مامتّع به الناس لئلّا تتحرّك دواعي الرغبة فيه، على ماقال الله تعالى: «ولا تمدّنّ عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم زهرة الحيوة الدنيا»(٣).

الرابعة: الوقوف عمّا لايراد بتناوله القوّة على الطاعة، أو يلمّ بصاحبه بعض خواطر المعصية، وهذه درجة الصدّيقين.

كما يحكى عن بعضهم أنّه شرب دواء وأُشير عليه بالمشي، فقال: إنّي لم أمش قط في غير طاعة، ولاأعرف لمشيتي هذه وجهاً فيها.

وكان بعضهم يتجنّب شرب ماء الأنهار الكبار التي تحتفرها السلاطين.

وأطفأ بعضهم سراجاً أشعله غلامه من دار ظالم.

وأمثال هذه الأفعال إنّما توجد في عشّ انفس وفت بقول الله تعالى: «قل الله ثمّ ذرهم»(٤)، فرأت كلّ مالم يكن لله حراماً عليها، فتوقّفت عنه، وقصرت أعينها عن النظر إليه، فكانت أوقف خلق الله عمّا حذّر من منهيّاته، وأبعدهم عن

---

(١) سنن ابن ماجة: ج٢ ص١٤٠٩ ح ٤٢١٥ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٢) جمح الفرس براكبه: استعصى حتّى غلبه. (المصباح المنير: ص١٤٧).

(٣) سورة طه: الآية ١٣١.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٩١.

اللّهُمّ إنّي أُشهِدُكَ وَكَفىٰ بِكَ شَهِيداً.

الجموح إلى مواقعة محظوراته *.

أُشهدك أي: أسألك أن تشهد، والشهيد والشاهد.

قال ابن الأثير في النهاية: في أسمائه تعالى الشهيد هو الذي لا يغيب عنه شيء، والشاهد: الحاضر، وفعيل من أبنية المبالغة، فاذا اعتبر العلم مطلقاً فهو العليم، وإذا أُضيف إلى الأُمور الباطنة فهو الخبير، وإذا أُضيف إلى الأُمور الظاهرة فهو الشهيد، وقد يعتبر مع هذا أن يشهد على الخلق يوم القيامة بما علم(١). إنتهى.

وفي «كفى بك» قولان:

أحدهما: أنّ ضمير المخاطب هو فاعل كفى، والباء زائدة غلبت زيادتها في فاعل هذا الفعل لتضمّنه معنى إكتف، والأصل كفيت شهيداً، فلمّا زيدت الباء قيل: كفى بك، ومثله قوله تعالى: «وكفى بالله شهيداً» و«كفى بالله حسيباً»، وهو قول الزجّاج(٢).

قال ابن هشام: وهو من الحسن بمكان. ويصحّحه قولهم اتّقى الله إمرء فعل خيراً يثب عليه أي: ليتّق، بدليل جزم يثب، ويوجبه قولهم: كفى بهند بترك التاء(٣).

وتعقّب بعضهم مااستحسنه فقال: إنّه غير صحيح؛ لأنّه يلزم عليه أن يكون فاعل كفى ضمير المخاطب، والفعل الماضي لايرفع ضمير المخاطب المستتر.

الثاني: أنّ الفاعل ضمير الاكتفاء، والتقدير: كفى الاكتفاء بك، أو بالله.

(١) النهاية لابن الأثير: ج٢ ص٥١٣.

(٢) إعراب القرآن للزجاج: ج٢ ص٦٦٩.

(٣) مغني اللبيب: ص١٤٤.

....

وهو قول ابن السرّاج قال ابن هشام: وصحّة قوله موقوفة على جواز تعلّق الجارّ بضمير المصدر، وهو قول الفارسي والرمّاني، أجازا: مروري بزيد حسن وهو بعمرو قبيح.

ومنع جمهور البصريّين إعماله مطلقاً (١).

وقال ابن الصائغ(٢): لانسلّم توقّف الصحّة على ذلك؛ لجواز أن تكون الباء للحال، أي: كفى الاكتفاء في حال كونه ملتبساً بك أو بالله، وهو في محلّه(٣).

قال الدماميني في شرح التسهيل: ولم أر من أفصح عن معنى كفى التي تغلب زيادة الباء في فاعلها، وفي كلام بعضهم مايشير إلى أنّها قاصرة لامتعدّية، وفي كلام بعضهم خلاف ذلك(٤). انتهى.

قلت: قال المرادي(٥) في الجني الداني: هي بمعنى حسب(٦)، وفيه مسامحة ظاهرة.

ثم مقتضى كلام ابن هشام في المغني: اشتراط كونها لازمة في زيادة الباء،

---

(١) مغني اللبيب: ص١٤٤.

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن الحنفي النحوي المعروف بابن الصائغ. له شرح على ألفيّة ابن مالك والقصيدة البردة والحواشي على المغني. توفّي سنة ٧٧٦ أو ٧٧٧ هجرية. (الكنى والألقاب: ج١ ص٣٢٣ و٣٢٤).

(٣) المنصف من الكلام على المغني: ج١ ص٢٢٤.

(٤) شرح التسهيل: لايوجد لدينا هذا الكتاب. بل وجدنا قوله في كتابه تحفة الغريب بهامش المنصف من الكلام: ج١ ص٢٢٤.

(٥) هو الحسن بن قاسم المصري، الفقيه النحوي اللغوي المعروف بابن أم قاسم، صاحب شرح المفصّل وشرح التسهيل وشرح الألفيه. توفّي يوم عيد الفطر سنة ٧٤٩ هجرية. (الكنى والألقاب: ج٣ ص١٤٥-١٤٦).

(٦) الجنى الداني: لايوجد لدينا هذا الكتاب، بل وجدنا هذا المعنى في لسان العرب: ج١٥ ص٢٢٥.

....

حيث قال: ولا تزاد في فاعل كفى التي بمعنى أجزأ واغنى، ولاالتي بمعنى وفى، والأولى متعدّية لواحدٍ، كقوله (قليل منك يكفيني)، والثانية متعدّية لاثنين، كقوله تعالى: «وكفى الله المؤمنين القتال»(١). انتهى.

وصرّح كلّ من مكّي وأبي البقاء في إعرابه بأنّها متعدّية.

قال مكّي: في قوله تعالى: «وكفى بالله حسيباً» أي: كفاك الله حسيباً، فالكاف المفعول محذوف، والباء زائدة، والجار والمجرور في موضع رفعٍ فاعل كفى، والتقدير: كفاك الله حسيباً(٢).

وجعلها أبو البقاء متعدّية إلى مفعولين، فإنّه قال: وكفى تتعدّى إلى مفعولين وقد حذفنا هما، والتقدير: وكفاك الله شرّهم حال كونه حسيباً، ويجوز ذلك، والدليل عليه فسيكفيكهم الله(٣). إنتهى.

وعلى هذا فالتقدير في «وكفى بك شهيداً» و«كفيتني شهيداً» أو «وكفيتني شهادة غيرك»: حال كونك شهيداً.

ويحتمل أن يكون شهيداً تمييزاً رافعاً لإجمال النسبة.

وقال أبو حيّان: كفى في هذا التركيب في معنى فعل غير متصرّف وهو فعل التعجّب، فمعنى قولك: كفى بزيدٍ ناصراً، ماأكفى زيداً ناصراً، ولذلك لايجوز تقديم التميز عليه إجماعاً لايقال ناصراً كفى بزيد ولاشهيداً كفى بالله(٤). إنتهى *.

---

(١) مغني اللبيب: ص١٤٥.

(٢) مشكل إعراب القرآن: ج١ ص٣٨٠ وفيه «شهيداً» بدل «حسيباً».

(٣) راجع روح المعاني: ج٤ ص٢٠٨ و٢٠٩.

(٤) راجع الحدائق الندية: ص٢٢٩.

وَأُشهِدُ سَماءَكَ وَأرضَكَ وَمَن أسكَنتَها مِن مَلائكَتِكَ وَسائرِ خَلقِكَ، في يَومي هذا وَساعَتي هذِهِ وَلَيلَتي هذِهِ وَمُستَقرِّي هذا.

إشهاد السماء والأرض، إمّا على طريق التقدير، أي: أُشهد هما إن كانا ممّن له أهليّة الإشهاد، بناءً على القول بانّ كلّاً منهما جماد، أو على سبيل التمثيل لعموم الإشهاد، بناءً على ذلك أيضاً.

أو على وجه التحقيق، إمّا لأنّ الله تعالى سينطقهما فيشهدان، أو لأنّ لكلٍّ منهما شعوراً ونطقاً.

أمّا السماء فقد تقدّم أنّ الحكماء يدّعون أنّها حيوان ناطق يتحرّك بالإرادة دائماً طاعةً لله تعالى، وله جسم ونفس ولنفسه عقل.

وأمّا الأرض فقال بعض أهل العرفان: للعرفاء فيها آيات خفيّة يعرفونها من كونها ذات شعورٍ ونطقٍ وذكرٍ وتسبيح، ولها جوهر شريف عقليّ نورانيّ، كما أشير إليه بقوله تعالى: «وأشرقت الأرض بنور ربّها»(١).

وفي بعض الأخبار: أنّ رجلاً أخذ في كفّه حصياتٍ، وقال: أُشهدك أيّتها الحصيات أنّي أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله. وإذا كان يوم القيامة أُمر به إلى النار، فتأتي تلك الحصيات فتشهد له بما أشهدها، فيؤمر به إلى الجنّة بشهادتها(٢).

قوله عليه السلام: «وسائر خلقك» أي: باقي مخلوقاتك. يروى بالجرّ عطفاً على «ملائكتك»، وبالنصب عطفاً على «من أسكنتها» *.

الظرف متعلّق بأُشهدك وأُشهد سماءك على سبيل التنازع.

---

(١) سورة الزمر، الآية ٦٩.
(٢) لم نعثر عليه.

أَنّي أَشْهَدُ أَنّكَ أَنتَ اللهُ الّذي لاإلٰه إلّا أنتَ.

وأسماء الإشارة صفات بتأويل الحاضر والحاضرة.

والمستقرّ: مكان الاستقرار.

والإشارة إلى الليلة باعتبار حضورها في الذهن، إن كان الدعاء مخصوصاً بالصباح أو قُرِئ فيه، وإن قرئ بالمساء فالإشارة إلى اليوم باعتبار حضوره في الذهن.

وفائدة هذا القيد التنصيص على إنشاء الإشهاد للمبالغة، مع مافيه من بسط الكلام حيث الإصغاء مطلوب *.

أي: على أنّي أشهد بأنّك، وحذف الجار يكثر ويطّرد مع أنّ وأنْ.

واختار الجملة الفعلية لإفادة التجدّد، والمضارع لإفادة الاستمرار، واختار صيغة المتكلّم إظهاراً للتوحيد واهتماماً بشأنه.

والشهادة: هي الإخبار بصحّة الشيء الناشئ عن العلم، وهي أخصّ من العلم والإقرار؛ إذ العلم قد يخلو عن الإقرار والإقرار عن العلم، والشهادة جامعة لهما.

وأنت: ضمير فصل يفصل بين الخبر والتابع بالإعلام من أوّل الأمر بأنّ مابعده خبر لا تابع، ولهذا سمّي فصلاً، ويؤكّد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند إليه، وهو حرف على الأصحّ لامحلّ له من الإعراب.

وقيل: هو اسم لامحلّ له.

وقيل: محلّه بحسب ماقبله، وقيل: بحسب مابعده.

ويحتمل أن يكون توكيداً، وأن يكون مبتدأ خبره اسم الجلالة، والجملة خبر أنّ.

....

وقوله: «إلّا أنت» حمل على المعنى إيثاراً للخطاب على الغيبة، ولو حمل على اللفظ لقال: إلّا هو، وهذا وإن كان هو الغالب في الاستعمال، إلّا أنّه لمّا كان ماقبله خطاباً، والداعي في مقام الحضور والشهود، طوى عن الغيبة كشحاً، وأجرى الكلام على سنن واحدٍ استلذاذاً بالخطاب.

قال النحويّون: إذا كان الموصول أو موصوفه خبراً عن متكلّم أو مخاطب جاز أن يكون العائد إليه غائباً، وهو الأكثر؛ لأنّ المظهرات كلّها غيّب، نحو: أنا الذي قال كذا، وأنت الرجل الذي فعل كذا، وجاز أن يكون متكلّماً أو مخاطباً، نحو: أنا الذي قلت كذا، وأنت الرجل الذي فعلت كذا.

وعليه قول أميرالمؤمنين عليه السلام:

* أنا الذي سمّتني أُمّي حيدرة[1] *

تنبيه

ينبغي أن يراد بالإله المنفيّ في كلمة التوحيد المعبود بالحق، أي: لامعبود بالحقّ إلّا الله أو إلّا أنت؛ إذ لو أُريد به مطلق المعبود لزم الكذب؛ لكثرة المعبودات الباطلة.

فإن قلت: ماإعراب إلّا أنت أو إلّا الله؟

قلت: زعم الأكثرون أنّ المرتفع بعد «إلّا» في ذلك بدل من محلّ اسم لا،

---

(١) من الشعر المنسوب إلى الإمام علي عليه السلام لشارحه عبدالعزيز سيد الأهل: ص٧٠.

....

كما في قولك: ماجاءني من أحدٍ إلّا زيد، واستشكل بأنّ البدل لايصلح هنا لحلول محلّ الأوّل.

وقال ابن هشام: وقد يجاب بأنّه بدل من الاسم مع لا، فإنّهما كالشيء الواحد، ويصحّ أن يخلفهما، ولكن يذكر الخبر حينئذٍ فيقال: الله موجود.

وقيل: هو بدل من ضمير الخبر المحذوف(١).

هاهنا سؤال مشهور، وهو إنّ قدّر الخبر المحذوف «موجود» لم يلزم نفي إمكان إلهٍ معبودٍ بالحق غير الله تعالى، غايته نفي وجود إلهٍ كذلك، وإن قدّر ممكن لم يلزم إلّا إثبات إمكان الوجود له تعالى لاإثبات وجوده، تعالى الله عن ذلك.

قال بعض المحقّقين: وتحقيق الجواب على التقديرين إنّ المعبود بالحقّ لايكون إلّا واجب الوجود، ومحال أن يبقى واجب الوجود في عالم الإمكان.

فان قلنا: لاإله موجود إلّا الله لزم نفي إمكان إله غيره.

وإن قلنا: لاإله ممكن إلّا الله لزم وجود الله تعالى، لاستحالة بقاء واجب الوجود في رتبة الإمكان، وهو دقيق لطيف جدّاً. إنتهى.

وقال بعض العلماء: الحقّ أنّ كلّ تقدير يقدّر هاهنا فهو مخرج لهذه الكلمة ممّا يفيده إطلاقها، ويفيدها تخصيصاً لم يكن، وهو ممّا يجده الإنسان من نفسه عند الاعتبار، فالأولى أن يكون خبر «لا» هو قولنا: إلّا الله؛ وحينئذٍ لاحاجة إلى أمرٍ زائد. إنتهى.

وكأنّه أراد أنّه خبر لـ «لا» مع اسمها؛ فانهما في موضع رفعٍ عند سيبويه(٢)

---

(١) مغني اللبيب: ص٧٤٦.

(٢) مغني اللبيب: ص٧٤٥.

....

وإلّا لزم عمل «لا» في غير نكرة منفيّة، وهو غير صحيح.

ونعم ماقال بعضهم: إنّ كلمة الشهادة تامّة في أداء معنى التوحيد، الذي هو نفي إمكان الوجود عمّا سوى الله تعالى من الآلهة، وإثبات الوجود له تعالى؛ لأنّها صارت عليه علماً شرعاً من غير نظرٍ إلى المعنى اللغوي.

هداية

إعلم أنّ كلمة الشهادة أشرف كلمة تنطبق على معنى التوحيد؛ لما تضّمنه تركيبها من حسن الوضع المؤدّي للمقصود التامّ منها.

وبيان ذلك: أنّه قد ثبت في علم السلوك إلى الله تعالى أنّ التوحيد المحقّق والإخلاص المطلق لايتقرّر إلّا بنفض(١) كلّ ماعداه عنه، وتنزيهه عن كلّ لاحقٍ له، وطرحه عن درجة الاعتبار، وهو المسمّى في عرف أهل العرفان بمقام التخلية والنفض(٢) والتفريق، وما لايتحقّق الشيء إلّا به كان اعتباره مقدّماً على أعتباره، وقولنا: لاإله إلّا الله مشتمل على هذا الترتيب؛ إذ كان الجزء الأوّل منها مشتملا على سلب كلّ ماعدا الحقّ سبحانه، مستلزماً لغسل درنِ كلّ شبهة لخاطر سواه، وهو مقام التنزيه والتخلية، حتى إذا انزاح كلّ ثان عن محلّ عرفانه استعدّ بجوده للتحلية بنور وجوده، وهو ماأشتمل عليه الجزء الثاني من هذه الكلمة، فكانت أجلّ كلمةٍ نطق بها في التوحيد*.

---

(١) وفي «الف»: بنقص. (٢) وفي «الف»: والنقض.

قائمٌ بِالقِسْطِ عَدْلٌ في الحُكْمِ رَؤوفٌ بِالعِبادِ مالِكُ المُلْكِ رَحيمٌ بِالخَلْقِ.

القسط بالكسر: اسم من أقسط بالألف بمعنى عدل.

ويجوز أن يكون قائم بالقسط وما بعده أخباراً مترادفةً بعد خبر أنّ. وأخلاها عن العاطف لإيرادها على طريق التعديد، وأن يكون أخباراً لمبتدأ محذوف، أي: أنت قائم بالقسط إلى آخره.

ولك جعلها ابدالاً من اسم الجلالة، كـ«أحد» من «قل هو الله أحد».

ومعنى قائم بالقسط: قائم بالعدل، كما يقال: فلان قائم بالتدبير، أي: يجريه على سنن الاستقامة، أو مقيماً للعدل فيما يقسّم من الأرزاق والآجال، ويثيب ويعاقب، وفيما يأمر به عباده من إنصاف بعضهم لبعض، والعمل على السوية فيما بينهم.

إذا عرفت ذلك فقوله «عدل في الحكم» كالمفسّر له؛ إذ العدل هو الذي لا يجور في الحكم، وهو في الأصل مصدر سمّي به فوضع موضع العادل، وهو أبلغ منه؛ لأنّه جعل المسمّى نفسه عدلاً، وقد يخصّ قيامه بالقسط بعدله في أفعاله تعالى، وعدله في الحكم بعدله في أوامره ونواهيه.

قال بعض العلماء: إعلم أنّ واجب الوجود يلزمه الغنى المطلق، والعلم التامّ، والفيض العامّ، والحكمة الكاملة، والرحمة الشاملة، وعدم الانقسام بجهةٍ من الجهات، وعدم الافتقار بوجه من الوجوه إلى شيء من الأشياء، وعدم النقص في شيء من الأفعال والأحكام، إلى غير ذلك من الأسماء الحسنى والصفات العليا، ومركوز في العقل السليم أنّ مَن هذا شأنه لا يصدر منه شيء إلّا على وفق العدالة، وقضيّة السويّة، ورعاية الأصلح عموماً أو خصوصاً، فكلّ ما يخيّل إلى المكلّف أنّه خارج عن قانون العدالة أو يشبه الجور أو القبيح وجب أن ينسب ذلك إلى قصور

....

فهمه، وعدم إحاطته التامّة بسلسلة الأسباب والمسبّبات والمبادي والغايات. فانظر في كيفيّة خلقة أعضاء الإنسان حتّى تعرف عدل الله وحكمته فيها، ثمّ انظر إلى اختلاف أحوال الخلق في الحسن والقبح والغنا والفقر والصحّة والسقم وطول العمر وقصره واللذّة والالم، واقطع بأنّ كلّ ذلك عدل وصواب، ثمّ انظر إلى كيفيّة خلقة العناصر وأجرام الأفلاك والكواكب، وتقدير كلٍّ منها بقدر معيّن وخاصيّة معيّنة، فكلّها حكمة وعدل، وانظر إلى تفاوت الخلائق في العلم والجهل والفطانة والبلادة، واقطع بأنّ كلّ ذلك عدل وقسط، فإنّ الإنسان بل كلّ ماسوى الله تعالى لم يخلق مستعدّاً لإدراك تفاصيل كلمات الله، فالخوض في ذلك خوض فيما لا يعنيه بل لا يسعه، ولا ينفعه إلّا العلم الإجمالي بأنّه تعالى واحد في مِلكه، ومُلكه لا منازع له ولا مضادّ ولا مانع لقضائه ولا رادّ، وفي كلّ واحد من مصنوعاته، ولكلّ شيء من أفعاله حِكم ومصالح، لا يحيط بذلك علماً إلّا موجِده وخالقه، يفعل مايشاء ويحكم مايريد قسطاً وعدلاً، هذا هو الدين القويم والاعتقاد المستقيم، والعدول عنه مراء، والجدال فيه هراء، فمن نسبه سبحانه إلى الجور في فعل من الأفعال فهو الجائر لا على غيره بل على نفسه؛ إذ لا يعترف بجهله وقصوره، ولكن ينسب ذلك إلى علّام الغيوب، العالم بالخفيّات، والمطّلع على الكليّات والجزئيّات، من أزل الآزال إلى أبد الآباد.

وإلى ذلك يشير قول أمير المؤمنين صلوات الله عليه: التوحيد أن لا تتوهّمه، والعدل أن لا تتّهمه(١).

---

(١) نهج البلاغة: ص٥٥٨ رقم ٤٧٠.

....

تنبيه

في قوله عليه السلام: «أنّي أشهد أنّك أنت الله الذي لا إله إلّا أنت قائم بالقسط» تلميح إلى قوله تعالى: «شهد الله أنّه لا إله إلّا هو والملائكة وأُولوا العلم قائماً بالقسط»(١)، فكأنّه عليه السلام قال: إنّي أشهد بما شهدت به على نفسك وما شهد به ملائكتك وأُولوا العلم من عبادك .

روى الشيخ الجليل أبوعلي الطبرسي في تفسيره الكبير عن غالب القطان، قال: أتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريباً من الأعمش، فكنت أختلف إليه، فلمّا كنت ذات ليلة أردت أن أنحدر إلى البصرة قام من الليل يتهجّد، فمرّ بهذه الآية «شهد الله أنّه لا إله إلّا هو» الآية، ثمّ قال الأعمش: وأنا أشهد بما شهد الله به، واستودع الله هذه الشهادة، وهي لي عندالله وديعة، قالها مراراً. قلت: لقد سمع فيها شيئاً، فصلّيت معه وودّعته، ثم قلت: آية سمعتك تردّدها، قال: لاأُحدّثك بها إلى سنة، فكنت على بابه ذلك اليوم وأقمت سنة، فلمّا مضت السنة قلت: ياأبا محمد قد مضت السنة، فقال: حدّثني ابن وائل عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: يجاء بصاحبها يوم القيامة، فيقول الله: إنّ لعبدي هذا عهداً عندي وأنا أحقّ من وفى بالعهد، أدخلوا عبدي هذا الجنّة(٢).

قوله عليه السلام: «رؤوف بالعباد» الرأفة أقوى في الكيفيّة من الرحمة؛ لأنّها

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨.

(٢) مجمع البيان: ج١ - ٢ ص٤٢١.

....

عبارة عن إيصال النعم الصافية عن الآلام، والرحمة إيصال النعمة مطلقاً، وقد تكون مع الألم كالضرب للتأديب، قال الله تعالى: «والله رؤوف بالعباد»(١).

قال بعضهم: من كمال رأفته تعالى ورحمته بالعباد أن بعث إليهم مائة وأربعة وعشرين ألف نبيّ، ليدلّوهم على الطريق الموصل إلى السعادة الأبديّة، ويصرفوهم عن السبيل المؤدّي إلى الشقاوة السرمديّة، وقد تمدّح سبحانه بهذا الإرسال بقوله: «هو الذي بعث في الأُمّيّين رسولاً منهم يتلوعليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين»(٢).

قوله عليه السلام: «مالك الملك» أي: مالك جنس الملك فيتصرّف فيه تصرّف الملّاك فيما يملكون.

قيل: المراد به كلّ مُلك ومِلك، فكلّ مالك دونه هالك، وكلّ مِلك دونه يهلك.

وقيل: أي مالك العباد وما ملكوا.

وقيل: مالك أمر الدنيا والآخرة.

قال بعض أرباب القلوب: إنّ العبد إذا تحقّق أنّ الملك لله، وهو مالك كلّ شيء، تنكّب عن وصف الدعوى، وتبرأ من الحول والقوى، فسلّم الأمر لمالكه، ولم يفزع إلى احتياله عند طلب الخلاص من مهالكه، فلايقول: بي، ولايقول: لي، ولايقول: منّي.

ولهذا قال بعضهم: التوحيد إسقاط الياءات.

قوله عليه السلام: «رحيم بالخلق». الرحيم: صفة مشبّهة من رحم بالكسر بعد

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠٧. (٢) سورة الجمعة: الآية ٢.

وأنّ محمّداً عبدُكَ وَرَسولُكَ.

نقله إلى رحم بالضمّ؛ لأنّ الصفة المشبّهة لا تشتقّ من المتعدّي إلّا بعد جعله لازماً بمنزلة الغرائز، فتنقل إلى فعل بضمّ العين فتشتقّ منه الصفة المشبّهة، وهذا مطّرد في باب المدح والذمّ، نصّ عليه السكّاكي في تصريف المفتاح(١)، وجار الله في الفائق(٢).

وقيل: الرحيم ليس بصفة مشبّهة، بل هي صيغة مبالغة، نصّ عليه سيبويه(٣) في قولهم: هورحيم فلاناً.

وعدّاه بالباء لتضمينه معنى الرأفة.

ورحمته تعالى بالخلق أنّ كلّ نعمةٍ أونقمةٍ، دنيويّة أو أُخرويّة، فإنّما تصل إلى العبد أو تندفع عنه برحمته سبحانه وفضله، من غير شائبة غرض ولاضميمة علّة؛ لأنّه الجواد المطلق والغني الذي لايفتقر، فينبغي أن لايرجى إلّا رحمته ولايخشى إلّا نقمته *.

جمع بينهما ليدفع الإفراط والتفريط الذي وقع في شأن عيسى عليه السلام، وقدّم العبد ترقّياً من الأدنى إلى الأعلى.

وفي كلام أرباب العرفان أنّه لامقام أشرف من العبوديّة؛ إذبها ينصرف من الخلق إلى الحقّ، وينعزل عن التصرّفات، وبالرسالة من الحقّ إلى الخلق، ويقبل على التصرّفات ولذا قال: «سبحان الذي أسرى بعبده»(٤) ولم يقل: برسوله، فلايكون ترقّياً، والعبد الحقيقي من يكون حرّاً عن الكونين، وهونبيّنا صلّى الله عليه وآله؛ إذ

---

(١) لم نعثر على هذا الكتاب.

(٢) الفائق في اللغة: ج٢ ص٤٩.

(٣) روح المعاني: ج١ ص٥٩.

(٤) سورة الإسراء: الآية١.

وَخِيرَتُكَ مِن خَلْقِكَ .

يقول: أُمّتي أُمّتي وكلّ نبي يقول: نفسي نفسي(١)؛ ولأنّه هو الذي صحّح نسبة العبوديّة كما ينبغي، فاطلق عليه اسم العبد في القرآن، وقيّد لسائر الانبياء.

وهو من قولهم طريق معبّد، أي: مذلّل بكثرة الوطء، فسمّي به لذلّته وانقياده.

وإنّما قرنت هذه الكلمة بكلمة التوحيد لأنّ كلمة التوحيد يعتبر فيها الإخلاص، ولا يحصل الإخلاص إلّا بسلوك مراتبه ودرجاته، ولن يحصل ذلك إلّا بمعرفة كيفيّة السلوك، ولا تحصل تلك المعرفة إلّا بالبيان النبويّ القائم بتعريف كيفيّة السلوك في درجات الإخلاص، فكانت الشهادة والإقرار بصدق المبيّن أجلّ كلمةٍ بعد كلمة الإخلاص؛ لأنّها بمنزلة الباب لها، فلأجل ذلك قرنت بها وصارتا كلمتين متقارنتين لا يصح انفكاك أحدهما عن الأُخرى *.

الخيرة بكسر الخاء المعجمة وسكون الياء المثناة من تحت: اسم من الاختيار، مثل الفدية من الافتداء، وبكسر الخاء وفتح الياء بمعنى: الخيار وهو الاختيار.

ويقال: هي اسم من تخيّرت الشيء، مثل الطيرة اسم من تطيّر.

ويقال: هما بمعنى واحد، والخيرة بالكسر والسكون: ما يختار أيضاً.

قال في البارع: خرت الرجل على صاحبه - من باب باع - أخير خيراً وزان عنب وخيراً وخيرةً: إذا فضّلته عليه، وهذه خيرتي بالسكون وهو ما يختار(٢) إنتهى.

ومحمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله خيرة الله من خلقه، يروى بالكسر وبفتح الياء وسكونها، إمّا من باب إطلاق المصدر على المفعول مبالغةً، كالرضا بمعنى المرضيّ، أو بمعنى مختاره، واختيار الله سبحانه له عليه السلام يعود إلى إكرامه باعداد

(١) سنن الترمذي: ج٤ ص٦٢٤.

(٢) المصباح المنير: ص٢٢٥ نقلاً عن البارع.

حَمَّلْتَه رِسالَتَكَ فَأدّاها.

نفسه الشريفة لقبول أنوار النبوّة.

وفي الحديث عنه صلّى الله عليه وآله: أنّ الله اختار خلقه فاختار منهم بني آدم، ثمّ اختار بني آدم فاختار منهم العرب، ثمّ اختار العرب فاختار منهم قريشاً، ثمّ اختار قريشاً فاختار منهم بني هاشم، ثمّ اختار بني هاشم فاختارني منهم، فلم أزل خياراً من خيار(١).

وعن المطّلب بن أبي وداعة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أنا محمّد ابن عبدالله بن عبدالمطّلب، إنّ الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم، ثمّ جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم، ثمّ جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم، فأنا خيركم بيتاً وخيركم نفساً(٢)*.

جملة استئنافيّة. والرسالة: لغةً بالكسر: اسم من الإرسال بمعنى التوجيه، وعرفاً: أمر الله تعالى بعض عباده، بواسطة ملك يظهر له عياناً ويخاطبه شفاهاً، بدعوة الخلق إليه وتبليغهم أحكامه؛ وهي أرفع درجةٍ من النبوّة، كما يظهر من الأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في الفرق بين الرسول والنبيّ(٣).

وعبّر عن تكليفه بها بالتحميل لتحقيق معنى الصعوبة المعتبرة فيها، بجعلها من قبيل الأجسام الثقيلة التي تستعمل فيها القوى الجسمانيّة التي أشدّها وأعظمها مافيهنّ من القوّة والشدّة.

والتأدية: الإيصال، أي: فأوصلها إلى المرسل إليهم، بمعنى تأدية مقتضاها من

---

(١)و(٢) الشفاء للقاضي العياض: ج١ ص٨٢.

(٣) الكافي: ج١ ص١٧٦.

وَأمَرتَه بِالنّصْحِ لِأُمّتِهِ فَنَصَحَ لَهَا.
اللّهُمّ فَصَلِّ عَلَيه أكثَر ماصَلّيْتَ عَلىٰ أحَدٍ مِن خَلقِكَ.

الشرائع والأحكام.

وقد يراد بالرسالة نفس المرسل به، كما في قوله تعالى: «ياأيّها الرسول بلّغ ماأُنزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته»(١).

وعلى هذا فالمراد بتأديتها: تبليغها بنفسها ﷺ.

نصحت لزيدٍ أنصح ـمن باب منع ـ نصحاً بالضمّ ونصيحةً: هذه اللغة الفصيحة، وعليها قوله تعالى: «إن أردت أن أنصح لكم»(٢) وفي لغةٍ يتعدّىٰ بنفسه، فيقال: نصحته.

والنصيحة: كلمة جامعة، ومعناها الدعاء إلى مافيه الصلاح والنهي عمّا فيه الفساد.

والمراد بـ «أُمّته» هنا: أُمّة الدعوة، وهم من بعث إليهم من مسلم وكافر، ولاشكّ أنّه صلّى الله عليه وآله أُمر بالنصح لهم عامّة فنصح بل بالغ في النصيحة لهم؛ إذ أمرهم بالمعروف، ونهاهم عن المنكر، ودفع عنهم الضرّ، وأحسن لهم الخلق، ودعا لهم بالمغفرة على جهلهم، وبذل لهم المعروف، فقبل نصيحته من قَبل، وصدّ عنها من خذل.

الفاء: فصيحة كما مرّ مراراً، أي: إذا كان الأمر كذلك فصلّ عليه، لأنّه جهة استحقاق، ولـمّا كان الجزاء من الحكيم العدل ينبغي أن يكون مناسباً للفعل المجزي عنه طلب ماينـاسبه من الجزاء.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٦٧. (٢) سورة هود: الآية ٣٤.

وَآتِهِ عَنّا أفضَلَ ماآتَيتَ أحَداً مِن عِبادِكَ .

وَاجْزِهِ عَنّا أفضَلَ وَأكرَمَ ماجَزَيتَ أحَدَاً مِن أنبيائِكَ عن أُمّتِهِ.

وأكثر: نائب عن المصدر في الانتصاب على المفعول المطلق.

وما: مصدريّة، والأصل: فصلّ عليه صلاةً مثل أكثر صلاتك على أحدٍ من خلقك، فحذف الموصوف وهو صلاة، ثمّ المضاف وهو مثل، وصحّ وقوعه نعتاً للنكرة وإن أُضيف لمعرفة؛ لأنّه لم يكتسب التعريف لتوغّله(١) في الإبهام*.

آتيته مالاً بالمدّ: أي أعطيته، ومنه «والذين يؤتون ماآتوا وقلوبهم وجلة»(٢)، أي: يعطون ماأعطوا.

وأفضل: منصوب على المفعول به، والأصل وآته مثل أفضل ماآتيت، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه.

وما: موصولة أو موصوفة، ومفعول آتيت محذوف، أي: أفضل الذي آتيته، أو أفضل شيء آتيته.

وأحداً: أصله وحداً، فأُبدلت الواو همزةً، ويقع على الذكر والأُنثى، وفي التنزيل «يانساء النبيّ لستنّ كأحدٍ من النساء»(٣)*.

جزاه الله خيراً: أي أعطاه جزاء ماأسلف من طاعته، وجزيته على فعله: إذا فعلت معه مايقابل فعله.

وعن: في الموضعين للبدلية، أي: بدلنا وبدل أُمّته، مثلها في قوله تعالى:

---

(١) أوغل في البلاد والعلم: ذهب وبالغ وأبعد، كتوغّل. (القاموس المحيط: ج٤ ص٦٦).

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٦٠. (٣) سورة الأحزاب: الآية ٣٢.

إنّكَ أنتَ المنّانُ بالجَسيمِ الغافِرُ لِلعَظيمِ.

«لاتجزي نفس عن نفس»(١) أي: بدل نفس.

وفي الحديث: صومي عن أُمّك، أي: بدلها(٢).

ولمّا كان إحسان الرسول صلّى الله عليه وآله على أُمّته عظيماً، وكان جزاء الإحسان إحساناً بنصّ «هل جزاء الإحسان إلّا الإحسان»(٣)، وكانت الأُمّة عاجزةً عن جزاء إحسانه العظيم، لاجرم أنّها فزعت بالترسّل إلى من هوعلى كلّ شيء قدير في طلب جزائه عنها.

والمراد من أكثر صلاته وأفضل مأتيّه وأكرم جزائه: ماجلّ وعظم من رحمته، وكمال جوده على النفوس المستعدّة لذلك.

ثمّ هذه الاعتبارات وإن اختلفت مفهوماتها ترجع إلى مطلوب واحد، وهو طلب زيادة كماله عليه السلام وقربه من الله تعالى، إذ مراتب استحقاق نعم الله عزّوجلّ غيرمتناهية *.

المنّان: من أبنية المبالغة كالوهّاب والغفّار، وهومن المنّ بمعنى العطاء والإنعام، لامن المنّة بمعنى الاعتداد بالصنيعة.

قال في النهاية: كثيراً مايرد المنّ في كلامهم بمعنى الإحسان إلى من لايستثيبه(٤) ولايطلب الجزاء عليه(٥).

والجسيم: صفة مشبّهة من جسم بالضمّ بمعنى عظم جسمه، ثمّ استعمل في كلّ عظيم مجازاً.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٤٨.

(٢) سنن الترمذي: ج٣ ص٥٥ كتاب الزكاة باب ٣١.

(٣) سورة الرحمن: الآية ٦٠.

(٤) في «الف»: يستثيبه، وكذا في النهاية لابن الأثير.

(٥) النهاية لابن الأثير: ج٤ ص٣٦٥.

وأنتَ أرحَمُ مِن كُلِّ رَحيمٍ.
فَصلِّ عَلىٰ مُحَمّدٍ وَآلهِ الطَّيّبينَ الطّاهِرين الأخيارِ الأنجَبينَ.

قال الزمخشري في الأساس: ومن المجاز أمر جسيم وهو من جسيمات الخطوب(١).

والغافر: من الغفر بمعنى الستر، ثمّ أُطلق على الصفح عن الذنب، يقال: غفر الله له غفراً ـ من باب ضرب ـ وغفراناً: صفح عنه، والمغفرة اسم منه.

وموصوفا الجسيم والعظيم محذوفان، أي: المنّان بالعطاء الجسيم والغافر للذنب العظيم.

وأنت: ضمير فصل، أتى به للتخصيص، أي: أنّ كثرة المنّة بالجسيم والغفران للعظيم مقصوران عليك لايتجاوزانك إلى غيرك، وهذا تعليل لطلب الأكثر من الصلاة، والأفضل من الإيتاء، والأكرم من الجزاء، إذ كان تعالى بالغاً غاية المنّ والإحسان لايتكأدّه عظيم انعام وامتنان، وإن منع من إجابة هذا الدعاء ونجاح هذا المطلب وقبول هذا التوسّل عظيم ذنب، فهو الغافر للعظيم من الذنوب وإن كان فظيعاً، بنصّ «إنّ الله يغفر الذنوب جميعاً»(٢)*.

استعطاف وترقّب للرحمةِ بقبول الدعاء؛ إذ خوان(٣) مغفرته مبسوط للمذنبين، وفيض رحمته معدّ للعالمين، فلا تبلغ أعظم رحمة من غيره أدنى رحمة منه، كيف وهو الذي سبقت رحمته غضبه، وبرحمته نال كلّ طالبٍ طلبه؟*.

أعاد طلب الصلاة عليه صلّى الله عليه وآله لقصد الاهتمام بشأنه، والمبالغة

---

(١) أساس البلاغة: ص٩٤. (٢) سورة الزمر: الآية ٥٣.

(٣) الخوان: مايؤكل عليه، معرّب وفيه ثلاث لغات (المصباح المنير: ص٢٥٢).

....

في الدعاء له، والتعظيم لجنابه صلّى الله عليه وآله، ولتكون الصلاة عليه وعلى آله ختاماً للدعاء فيكون ختامه مسكاً، ولإشراك (١) آله في الصلاة عليه؛ إذ كانت الصلاة الأُولى مخصوصة به صلّى الله عليه وآله، وفيه تعليم أنّه ينبغي ذكر آله معه في الصلاة، بل ورد في بعض الأخبار مايدلّ على وجوب ذلك.

وهو ماروَاه ثقة الإسلام في الكافي باسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام، قال: سمع أبي رجلاً متعلّقاً بالبيت وهو يقول: اللّهمّ صلّ على محمّدٍ، فقال له أبي: لا تبترها لا تظلمنا حقّنا، قل: اللّهمّ صلّ على محمّدٍ وأهل بيته(٢).

فنهى فيه عن البتر، وهو قطع الشيء قبل تمامه، وعدّ ذلك ظلماً، ولاشكّ في أنّ ظلم أهل البيت عليهم السلام حرام، ونهج الاحتياط ظاهر.

وطاب الشيء يطيب: إذا لذّ للحاسّة والنفس، فأصل الطيّب ماتستلذّه الحواسّ والنفوس، والطيّب من الناس من تزكّى عن نجاسة الجهل والفسق، وتحلّى بزينة العلم ومحاسن الأفعال.

والطهارة: النقاء من الدنس والنجس، والطاهر: النقيّ منهما.

وفي اصطلاح أرباب العرفان الطاهر: من عصمه الله عن المخالفات وهو ينقسم إلى: طاهر الظاهر وهو: من عصمه الله عن المعاصي، وإلى طاهر الباطن وهو: من عصمه عن الوسواس والهواجس(٣)، وطاهر السرّ وهو: من لايزيغ(٤)

---

(١) في «الف»: لاشتراك.

(٢) الكافي: ج٢ ص٤٩٥ ح٢١.

(٣) هجس يهجس: مايخطر بالضمائر ويدور فيها من الأحاديث والأفكار. (النهاية لابن الأثير: ج٥ ص٢٤٧).

(٤) في حديث الدعاء: لا تزغ قلبي: أي لاتمله عن الايمان. يقال: زاغ عن الطريق، يزيغ: إذا عدل عنه. (النهاية لابن الأثير: ج٢ ص٣٢٤).

....

عن الله تعالى طرفة عين، وطاهر السرّ والعلانية وهو: من قام بتوفية حقوق الحقّ والخلق جميعاً لسعته برعاية حقوق الجانبين.

ولاخفاء في أنّ المراد به هنا مايعمّ جميع هذه الأقسام.

والأخيار: جمع خير مخفّفاً كعين وأعيان، أو جمع خيّر مشدّداً ككيّس وأكياس، وهما بمعنى واحد، أي: كثير الخير.

وقيل: المخفّف في الجمال والميسم(١)، والمشدّد في الدين والصلاح، والأوّل هو الأشهر.

قال الجوهري: رجلٌ خيّر وخير مشدّد ومخفّف(٢).

والأنجبين: جمع أنجب اسم تفضيل من نجب بالضمّ نجابةً إذا صار نجيباً، أي: كريماً فاضلاً في الحسب.

وهذه النعوت لهم عليهم السلام عين الحقّ ونفس الواقع، كيف لاوهم الذين قال الله تعالى في شأنهم: «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً»(٣)؟

وما أحسن وأصدق ماقال الجاحظ فيهم: هم سنام العالم، وصفوة الأُمم، وغرّة العرب، ولباب البشر، ومصاص(٤) بني آدم، وزينة الدنيا، وحلية الدهر، والطينة البيضاء، والمغرس المبارك، والنصاب الوثيق، ومعدن المكارم، وينبوع الفضائل، وأعلام العلم، وايمان الايمان، صلوات الله عليهم أجمعين. والحمدلله

---

(١) الميسم بكسر الميم والوسامة: اثر الحسن (القاموس المحيط: ج٤ ص١٨٦).

(٢) الصحاح للجوهري: ج٢ ص٦٥١.

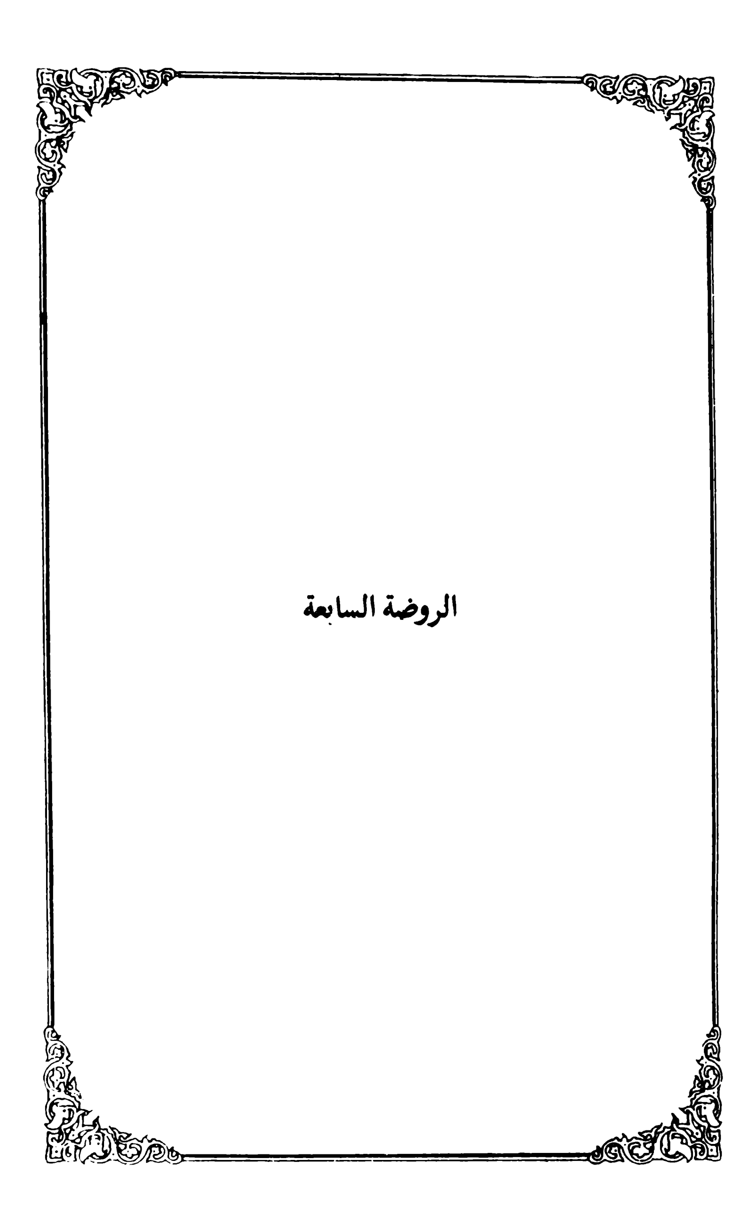
(٣) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٤) في «الف»: مساس.

....

ربّ العالمين.

قال مؤلّفه عفى الله عنه: هذا آخر الروضة السادسة من رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد العابدين، وفّق الله لإتمامه، وشفّع حسن ابتدائه بحسن ختامه. وقد وافق الفراغ من تبييضه قبل الزوال من يوم الاثنين لعشر خلون من شهر رمضان المعظّم، أحد شهور سنة ثمان وتسعين وألف ولله الحمد.



الروضة السابعة

دُعاء ۷

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا عَرَضَتْ لَهُ مُهِمَّةٌ أَوْ نَزَلَتْ بِهِ مُلِمَّةٌ وَعِنْدَ الْكَرْبِ

يَا مَنْ تُحَلُّ بِهِ عُقَدُ الْمَكَارِهِ وَيَا مَنْ يُفْثَأُ بِهِ حَدُّ الشَّدَائِدِ وَيَا مَنْ يُلْتَمَسُ مِنْهُ
الْمَخْرَجُ إِلَى رَوْحِ الْفَرَجِ ذَلَّتْ لِقُدْرَتِكَ الصِّعَابُ وَتَسَبَّبَتْ بِلُطْفِكَ
الْأَسْبَابُ وَجَرَى بِقُدْرَتِكَ الْقَضَاءُ وَمَضَتْ عَلَى إِرَادَتِكَ الْأَشْيَاءُ
فَهِيَ بِمَشِيَّتِكَ دُونَ قَوْلِكَ مُؤْتَمِرَةٌ وَبِإِرَادَتِكَ دُونَ نَهْيِكَ
مُنْزَجِرَةٌ أَنْتَ الْمَدْعُوُّ لِلْمُهِمَّاتِ وَأَنْتَ الْمَفْزَعُ فِي الْمُلِمَّاتِ لَا يَنْدَفِعُ
مِنْهَا إِلَّا مَا دَفَعْتَ وَلَا يَنْكَشِفُ مِنْهَا إِلَّا مَا كَشَفْتَ وَقَدْ نَزَلَ بِي
يَا رَبِّ مَا قَدْ تَكَأَّدَنِي ثِقْلُهُ وَأَلَمَّ بِي مَا قَدْ بَهَظَنِي حَمْلُهُ وَبِقُدْرَتِكَ
أَوْرَدْتَهُ عَلَيَّ وَبِسُلْطَانِكَ وَجَّهْتَهُ إِلَيَّ فَلَا مُصْدِرَ لِمَا أَوْرَدْتَ
وَلَا صَارِفَ لِمَا وَجَّهْتَ وَلَا فَاتِحَ لِمَا أَغْلَقْتَ وَلَا مُغْلِقَ لِمَا
فَتَحْتَ وَلَا مُيَسِّرَ لِمَا عَسَّرْتَ وَلَا نَاصِرَ لِمَنْ خَذَلْتَ فَصَلِّ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَافْتَحْ لِي يَا رَبِّ بَابَ الْفَرَجِ بِطَوْلِكَ وَاكْسِرْ عَنِّي سُلْطَانَ
الْهَمِّ بِحَوْلِكَ وَأَنِلْنِي حُسْنَ النَّظَرِ فِيمَا شَكَوْتُ وَأَذِقْنِي حَلَاوَةَ
الصُّنْعِ فِيمَا سَأَلْتُ وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَفَرَجًا هَنِيئًا
وَاجْعَلْ لِي مِنْ عِنْدِكَ مَخْرَجًا وَحِيًّا وَلَا تَشْغَلْنِي بِالِاهْتِمَامِ عَنْ

تعاهد فروضك واستعمال سنتك فقد ضقت لما نزل بي يا رب ذرعاً وامتلأت بحمل ما حدث علي هماً وأنت القادر على كشف ما منيت به ودفع ما وقعت فيه فافعل بي ذلك وإن لم استوجبه منك يا ذا العرش العظيم»

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله دافع كلّ مهمّة ورافع كلّ ملمّة، والصلاة على نبيه كاشف الغمّة وعلى آله الهداة الأئمّة.

وبعد، فيقول العبد علي صدرالدين المدني بن أحمد(١) نظام الدين الحسينيّ الحسنيّ أنالهما الله من فضله السنيّ: هذه الروضة السابعة من رياض السالكين، تتضمّن شرح الدعاء السابع من أدعية صحيفة سيّد العابدين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين آمين.

---

(١) في «الف»: أحمد بن نظام.

شرح الدعاء السابع

وَكانَ مِن دُعائِهِ عَليهِ السّلامُ إذا عَرَضَتْ لَهُ مُهِمَّةٌ أو نَزلَتْ بِهِ مُلِمّةٌ وَعِندَ الكَرْبِ.

عرض له الشيء يعرض -من باب ضرب-: أي ظهر، وعرض له خطب: أي اعترض، من قولهم: سرت فعرض لي في الطريق عارض من جبل ونحوه، أي: مانع يمنع من المضيّ. واعترض لي: بمعناه.

وفي المحكم: العرض محرّكة والعارض: الآفة تعرض في الشيء، وعرض لك الشك ونحوه: من ذلك(١).

والمهمّ والمهمّة: الأمر الشديد والحالة الشديدة، من أهمّه الأمر: إذا أقلقه وحزنه وأوقعه في الهمّ.

والملمّة: النازلة من نوازل الدهر، من الإلمام وهو النزول.

يقال: ألمّ به، أي: نزل به.

والكرب: الغمّ الذي يشتدّ على صاحبه.

* * *

---

(١) المحكم لابن سيده: ج١ ص٢٤٤.

....

مقدّمة

لاريب في استحباب الدعاء عند نزول البلاء، ففي الحديث عن أميرالمؤمنين عليه السلام: إذا اشتدّ الفزع فإلى الله المفزع(١).

وروى ثقة الإسلام في الصحيح عن أبي الحسن موسى عليه السلام: مامن بلاء ينزل على عبد مؤمن فيلهمه الله عزّ وجلّ الدعاء إلّا كان كشف ذلك البلاء وشيكاً، وما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيمسك عن الدعاء إلّا كان ذلك البلاء طويلاً، فإذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء والتضرّع إلى الله عزّوجلّ(٢).

وفي الحسن عن أبي عبدالله عليه السلام: هل تعرفون طول البلاء من قصره؟ قلنا: لا، قال: إذا أُلهم أحدكم الدعاء عند البلاء فاعلموا أن البلاء قصير(٣).

وفي الصحيح عن أبي الحسن موسى عليه السلام، قال: الدعاء لله والطلب إلى الله يرد البلاء وقد قدّر وقضي ولم يبق إلّا إمضاؤه، فإذا دُعي الله عزّوجلّ وسئل صرف البلاء صرفه(٤).

فائدة

روى ثقة الإسلام في الكافي بسند صحيح عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

---

(١) الكافي: ج٢ ص٤٦٨ ح٢.

(٢) الكافي: ج٢ ص٤٧١ ح٢.

(٣) الكافي: ج٢ ص٤٧١ ح١.

(٤) الكافي: ج٢ ص٤٧٠ ح٨.

يامَنْ تُحَلُّ بِهِ عُقَدُ المَكارِهِ وَيامَنْ يَفثَأُ بِهِ حَدُّ الشَّدائِدِ وَيامَنْ يُلتَمسُ مِنهُ المَخرجُ إلىٰ رَوْحِ الفَرَجِ.

إذا نزلت برجل نازلةٌ أو شديدة أو كَربَه أمرٌ، فليكشف عن ركبتيه وذراعيه وليلصقهما بالأرض وليلزق جؤجؤه(١) بالأرض، ثمّ ليدع بحاجته وهو ساجد(٢).

قلت: رأيت بخطّ بعض علمائنا المعتبرين: إنّ ذلك مجرّب في كشف الكرب وشيكاً.

وأمّا الأدعية في هذا المعنى فكثيرة جدّاً، وقد عقد لها في الكافي باباً(٣)، وفي مهج الدعوات مافيه كفاية إن شاء الله تعالى.

قال سيّد العابدين وإمام الساجدين صلوات الله وسلامه عليه(٤):

حلّ العقدة ـ من باب قتل ـ: نقضها فانحلّت.

والعقد: جمع عقدة بالضمّ كغرفة وغرف، وهي موضع العقد الذي يظهر فيه حجمه، والعقد: الشدّ.

والمكاره: جمع مكرهة بفتح الميم، وهو مايكره الشخص ويشقّ عليه، وهو في الأصل مصدر بمعنى الكره بالفتح وهو المشقّة.

قال في الأساس: لقيت دونه كرائه الدهر ومكارهه، وجئته على كره ومكره(٥).

وفي الكلام استعارة مكنيّة تخييليّة، شبّه في نفسه الصعاب من المكاره

(١) جؤجؤ الطائر والسفينة: صدرهما، والجمع الجآجي (الصحاح: ج١ ص٣٩).

(٢) الكافي: ج٢ ص٥٥٦ ح٣.

(٣) الكافي: ج٢ ص٥٥٦ باب الدعاء للكرب والهم والحزن والخوف.

(٤) أي أول الدعاء «يامن تحلّ به عقد المكاره».

(٥) أساس البلاغة: ص٥٤٢.

ذَلّتْ لِقُدرتِكَ الصِّعابُ وَتَسبَّبتْ بِلُطفِكَ الأَسْبابُ.

بالأشياء المتعقّدة بجامع الالتواء والصعوبة، ودلّ عليه بإثبات العقد التي هي من خواصّ المشبّه به وهو المتعقّدات، وهذا هو التخييل لتخييل أنّ المشبّه من جنس المشبّه به.

وفثأ الغضب ونحوه -من باب منع-: سكّنه وكسره.

وحدّ كلّ شيء: حدّته(١) وسورته(٢).

والشدائد: ماشتدّ من الخطوب، والباء في الموضعين للاستعانة.

والتمست الشيء: طلبته.

والمخرج: مصدر ميمي بمعنى المخلص.

يقال: وجدت للأمر مخرجاً، أي: مخلصاً، ومنه قوله تعالى: «ومن يتّق الله يجعل له مخرجاً»(٣)، أي: مخلصاً من عموم الدنيا والآخرة.

والروح بالفتح: الراحة.

والفرج بفتحتين: اسم من فرّج الله الغمّ بالتشديد: كشفه*.

ذلّ ذلاًّ -من باب ضرب- أي ضعف وهان، والاسم الذلّ بالضمّ.

والصعاب: جمع صعب كسهم وسهام وصعب الشيء -من باب كرم-: أي عسر، وهي صفة لمحذوف، أي: الأمور الصعاب.

وقدرته تعالى تعود إلى اعتبار كونه مصدر الإثارة.

وذلّ الصعاب لها يعود إلى انفعالها عنها، ومطاوعتها لها، وخضوعها في رقّ

---

(١) حدّ، يحدّ حدّاً وحدّة: إذا غضب. النهاية لابن الأثير: ج١ ص٣٥٣.

(٢) سار يسور: اذا غضب، والسورة اسم منه. المصباح المنير: ص٤٠٠.

(٣) سورة الطلاق: الآية ٢.

وَجَرىٰ بِقُدرَتِكَ القَضاءُ وَمَضَتْ عَلىٰ إرادَتِكَ الأَشْياءُ.

الجريان على وفق القضاء.

ولطفه تعالى قيل: هو إجراء القضاء على وفق الإرادة، وإيصال نفع فيه دقّة.

وقيل: هو عبارة عن تصرّفه في الذوات والصفات تصرّفاً خفيّاً بفعل الأسباب المعدّة لها لإفاضة كمالاتها *.

وقيل: هو عبارة عن علمه تعالى بدقائق المصالح وغوامضها وما دقّ منها ولطف، ثمّ إيصاله لها إلى المستصلح بالرفق دون العنف.

وأما المعنى العرفي المشهور وهو: مايقرب به العبد من الطاعة ويبعد من المعصية فليس مراداً هنا.

والأسباب: جمع سبب وهو اسم لما يتوصّل به إلى المقصود، وفي الأصل اسم للحبل الذي يتوصّل به إلى الماء، فاستعير لكلّ مايتوصّل به إلى شيء.

ومعنى تسبّب الأسباب بلطفه تعالى: صيرورتها أسباباً بخفيّ تصرّفه وإعداده لها، حتّى صارت أشياء يتوصّل بها إلى المسبّبات، وهذا معنى ما ورد في بعض الأدعيّة أيضاً: يامسبّب الأسباب من غير سبب(١) *.

جرى يجري: خلاف وقف، وأصله من جريان الماء وهو سيلانه.

والقضاء: يحتمل أن يراد به هنا الأُمور المقضيّة،إذ يقال: هذا قضاء الله،أي: مقضيّه.

ويحتمل أن يراد به الأمر والحكم والخلق على وفق التقدير الأزلي.

ويحتمل أن يراد به إبداعه سبحانه لصور الموجودات الكلّية والجزئية، التي

(١) مصباح الكفعمي: ص١٧٠.

فَهِيَ بِمشيَّتِكَ دُونَ قَولِكَ مُؤتَمِرَة، وَبِإرادَتِكَ دُون نَهيِكَ مُنْزَجِرَةٌ.

لانهاية لها من حيث هي معقولة في العالم العقلي، وهو المسمّى بالقضاء الازلي، وقد يعبّر عنه بسطر ماكان وما يكون في اللوح المحفوظ بالقلم الإلهي .

ومضى الأمر مضيّاً: نفذ، أي: نفذت على وفق إرادتك الأشياء، والمراد بمضيّها ونفاذها على وفق إرادته سبحانه: إمّا تحقّق وجودها على غاية السرعة بلاتخلّف ولا تلكّؤ ولابطؤ، بل يكون كلمح البصر، كما قال الله تعالى: «وما أمرنا إلّا واحدة كلمح بالبصر»(١).

وإمّا توجّهها إلى وجهتها على وفق إرادته تعالى بسوق الحكمة الإلهية كلّاً منها إلى غايته، بحيث لايتعدّاها ولايقصر عنها، وهذا كقول أميرالمؤمنين عليه السلام في خطبة له: قدّر ماخلق فأحسن تقديره، ودبّره فألطف تدبيره، ووجّهه لوجهته فلم يتعد حدود منزلته، ولم يقصر دون الانتهاء إلى غايته، ولم يستصعب إذ أُمر بالمضي على إرادته، وكيف وإنّما صدرت الأُمور عن مشيئته(٢)*

أمرته فائتمر: أي امتثل الأمر.

وزجرته فانزجر: أي نهيته فانتهى.

والمراد بمشيته وإرادته تعالى هنا: علمه بما في وجود الأشياء من الحكمة والمصلحة.

ودون هنا: إمّا بمعنى قبل، أي: هي بمجرّد مشيئتك وإرادتك لائتمارها وانزجارها قبل قولك ونهيك مؤتمرة ومنزجرة، فيكون المراد بقوله ونهيه: كلامه

---

(١) سورة القمر: الآية ٥٠.
(٢) نهج البلاغة: ص١٢٧ خطبة ٩١.

اَنتَ المَدعُوُّ لِلمُهِمّاتِ وأنتَ المفزَع في المُلِمّاتِ، لايَندَفِعُ مِنها إلّا مادَفَعتَ، وَلايَنكَشِفُ مِنها إلّا ما كَشَفتَ.

المحدث، الذي هو عبارة عن خلق أصوات مخصوصة في جسم يجعلها دليلاً على أنّه تعالى مريد لشيء أو كاره له.

وإمّا بمعنى عند، أي: هي لمشيئتك عند قولك مؤتمرة وبإرادتك عند نهيك منزجرة، فيكون القول والنهي عبارة عن حكم قدرته الإلهيّة على الأشياء بما يريد منها من ائتمار وانزجار، كما في قوله تعالى: «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون»(١)؛ إذ المراد بقوله «كن»: حكم قدرته الأزلية عليه بالكون ووجوب الصدور عن تمام مؤثّريّته من غير لفظ ولانطق، كما ورد في الحديث وعليه عامّة المفسّرين.

وحاصل المعنى: أنّ طاعة كلّ شيء له سبحانه ليس متوقفاً إلّا على تعلّق الإرادة بها.

ورويت المشيئة هنا بالهمزة وبدونها، والأصل الهمزة، وحذفها للتخفيف كما مرّ بيانه في الروضة الأولى(٢) *.

فزع إليه: لجأ، والمفزع: الملجأ والمستغاث به، وتعريف المسند هنا بلام الجنس لإفادة القصر تحقيقاً باعتبار تقييده بالظرف، إذ ليس غيره تعالى مدعوّاً للمهمّات ولامفزعاً في الملمّات، وإن دعي غيره لها أو فزع إليه، فيها، فهو جهل محض أو شرك خفي أو صريح. على أنّ دعاءه سبحانه عند نزول الملمّات، والفزع إليه حين حلول المهمّات دون غيره، أمر فطري، كما قال تعالى: «وإذا

---

(١) سورة يس: الآية ٨٢.

(٢) ج١ ص ٢٦٣.

....

مسّكم الضرّ في البحر ضلّ من تدعون إلا إيّاه»(١).

وقال تعالى: «قل أرأيتكم إن أتيكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين»(٢)، «بل إيّاه تدعون فيكشف ماتدعون إليه إن شاء وتنسون ماتشركون»(٣).

وفي أحاديث أهل البيت عليهم السلام: أن معنى «الله» هوالذي يتألّه إليه عند الحوائج والشدائد كلّ مخلوق، عند انقطاع الرجاء من كلّ من دونه، وتقطّع الأسباب من جميع ماسواه(٤).

وقال رجل للصادق عليه السلام: يابن رسول الله دلّني على الله ماهو؟ فقد أكثر عليّ المجادلون وحيّروني، فقال له: ياعبدالله هل ركبت سفينة قطّ؟ قال: نعم، قال: فهل كسر بك حيث لاسفينة تنجيك ولاسبّاحة تغنيك؟ قال: نعم، قال: فهل تعلّق قلبك هنالك أنّ شيئاً من الأشياء قادر على تخليصك من ورطتك؟ قال: نعم، قال الصادق عليه السلام: فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لامنجي، وعلى الإغاثة حيث لامغيث(٥).

ودفعت الشيء دفعاً ـ من باب منع ـ: نحّيته فاندفع هو.

وكشفته كشفاً ـ من باب ضرب ـ فانكشف. والمعنى: أنّ اندفاع شيء من المضارّ لايكون إلّا بقدرته تعالى؛ لأنّ كلّ ماعداه فإنّما هو تحت قهره وتسخيره، كما قال سبحانه وتعالى: «وإن يمسسك الله بضرّ فلا كاشف له إلّا هو وإن يمسسك بخير فهو على كلّ شيء قدير * وهوالقاهر فوق عباده وهوالحكيم الخبير»(٦) *

(١) سورة الإسراء: الآية ٦٧. (٢) سورة الأنعام: الآية ٤٠. (٣) سورة الأنعام: الآية ٤١.

(٤) و (٥) معاني الأخبار: ص٤. (٦) سورة الأنعام: الآية ١٧ و١٨.

وَقد نَزَلَ بي يارَبِّ ماقَدْ تَكَأَدَني ثِقْلُهُ وَأَلَمَّ بي ماقَد بَهَظَني حَمْلُهُ.

نزل بالمكان وبه الأمر: حلّ به.

وتكأده الأمر -على تفاعل وتفعّل-: صعب عليه وشقّ، ومنه عقبة كؤود.

والثقل: كعنب ضدّ الخفّة، ويسكن للتخفيف، ثقل ككرم ثقلاً وثقالة فهو ثقيل.

وألمّ الرجل بالقوم إلماماً: أتاهم فنزل بهم.

وبهظه الحمل يبهظه بهظاً -من باب منع-: أثقله وعجز عنه، وهذا أمر باهظ أي: شاق. استعار الثقل والحمل اللذين هما حقيقة في الأجسام لشدّة ماحلّ به؛ لتحقيق معنى المشقّة التي نالته منه.

والربّ في الأصل: مصدر بمعنى التربية، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً، وصف به الفاعل مبالغة كالعدل.

وقيل: صفة مشبّهة من ربه يربه مثل تمه يتمه، بعد جعله لازماً بنقله إلى فعل بالضمّ كما هو المشهور سُمّي به المالك لأنه يحفظ مايملكه ويربيه، ولايطلق على غيره تعالى إلّا مقيّداً كربّ الدار(١) وربّ الدابّة، وإنّما تعرّض عليه السلام لوصف التربية المنبئة عن التبليغ إلى الكمال لتحريك سلسلة الإجابة، بإظهار أنّ مانزل به من الشدائد الذي بلغ به حدّ الاضطرار ربّما اقتطعه قبل بلوغ غاية التكميل، أو المعنى: يامن ربّاني بالعلم والولاية وسائر الكمالات إنها صارت كالتالفة عند نزول هذا النازل وإلمام هذا الملمّ، وهو تمهيد لاستكشافه واستدعاء الرحمة واستجلاب الرأفة، مع إظهاره لتمام الاضطرار وشدّة الافتقار*.

(١) في «الف»: وربّ البستان.

وَبِقُدرَتِكَ أورَدتَهُ عَلَيَّ وَبِسُلطانِكَ وَجَّهْتَهُ إِلَيّ.

فَلا مُصْدِرَ لِما أوْرَدتَ، وَلاصارِفَ لِما وَجَّهتَ، وَلافاتِحَ لِما أغْلَقْتَ، وَلامُغلِقَ لِما فَتَحْتَ، وَلامُيَسِّرَ لِما عَسَّرْتَ، وَلاناصِرَ لِمَنْ خَذَلْتَ.

السلطان: قدرة الملك، فهو أخصّ من مطلق القدرة، ولمّا كانت الأُمور كلّها مربوطة بأسبابها تحت تصريف قدرته تعالى وأسبابها القريبة منتهية إليه سبحانه، صرّح عليه السلام بأنّ مانزل به من المكروه إنّما هو بإيراده وتوجيهه تعالى إليه بقدرته وسلطانه. قطعاً للنظر عن غيره في جميع أحواله وتوجّهاً إلى قبلته الحقيقية *.

الإصدار: خلاف الإيراد، تقول: أصدرت القوم: إذا صرفتهم، والإبل صرفتها بعد الإيراد.

والفاء: للسببيّة كما هو ظاهر، أي: فلا أحد يصدر ماأوردت، على طريق نفي الجنس لنفي جميع أفراد المصدر ذاتاً وصفة، ولو قيل: فلايصدر أحد لدلّ على نفي الصفة فقط. وحاصل هذه الفقرات: أنّ الأمر كلّه لك، فلارادّ لقضائك ولادافع لبلائك، لكنّه عليه السلام بسط الكلام حيث الإصغاء مطلوب، وفي هذا المعنى من القرآن المجيد: «إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذاالذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكّل المؤمنون»(١). ثمّ لمّا أعدّ نفسه عليه السلام بهذا الإقرارات لقبول الرحمة شرع في المطلب، فقال: *.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٠.

فَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ افتَحْ لي يـارَبِّ بابَ الـفَرَجِ بِطولِكَ، وَاكْسِرْ عَنّي سُلْطانَ الهَمِّ بِحَوْلِكَ.

وأنِلْني حُسْنَ النَّظَرِ فيما شَكَوتُ، وأذِقْني حَلاوَةَ الصُّنْعِ فيما سَألْتُ.

بدأ بمسألة الصلاة على النبيّ وآله عليهم السلام؛ لأنّ الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضي إحداهما ويمنع الأُخرى، كما ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام، وقد ذكرنا الحديث بلفظه فيما تقدّم.

والتعرّض لوصف الربوبيّة المبنيّة على رعاية مافيه صلاح المربوب، مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام، قرع لباب الإجابة بالمبالغة في التضرّع، ولذلك قيل: إذا أراد العبد أن يستجاب لـه فليدع الله بما يناسبه من أسمائه الحسنى والأمثال العليا. واستعار لفظ الباب لسبب الفرج، ورشحه بذكر الفتح، وهي استعارة مكنيّة تخييليّة. وكذلك استعار لفظ السلطان لغلبة الهمّ، ورشحه بذكر الكسر، من كسرت القوم بمعنى هزمتهم.

والطول بالفتح: الفضل.

والمنّة والغنى والسعة والحول: القدرة على التصرّف *.

أناله: أي أعطاه، والاسم: النوال بالفتح.

وحسن النظر: كناية عن كمال الاعتناء ومزيد الإحسان في حق من يجوز عليه النظر؛ لأنّ من اعتنى بإنسان التفت إليه وأعاره نظر عينيه، ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتناء والإحسان وإن لم يكن ثمّة نظر، ثمّ جاء فيمن لايجوز عليه النظر، مجرّداً لمعنى الإحسان مجازاً عمّا وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر، وإنّما

وَهَبْ لي مِنْ لَدُنكَ رَحْمَةً وَفَرَجاً هَنيئاً، وَاجْعَلْ لي مِن عِندِكَ مَخرَجاً وَحِيّاً.

لم يجعل كناية فيه أيضاً لأنّ الكناية يعتبر فيها صلوح(١) إرادة الحقيقة وإن لم ترد، كما قرّر في محلّه من علم البيان. واستعار لفظ الحلاوة، التي هي حقيقة في الكيفيّة المخصوصة للأجسام، لما يوجد من انبساط النفس بسبب صنعه تعالى أي: معروفه، والجامع اللذّة، ورشحه بذكر الإذاقة، التي هي من خواصّ المشبّه به تخييلاً؛ لأنّ الذوق وهو إدراك طعم الشيء بواسطة الرطوبة المنبثّة بالعصب المفروش على عضل اللسان، فهو من خواصّ الأجسام. ومفعولا «شكوت وسألت» محذوفان، أي: شكوته وسألته، وكثر حذف المفعول إذا كان ضميراً عائداً إلى الموصول، نحو: «أهذا الذي بعث الله رسولاً»(٢)*.

كلا الجارّين في كلٍّ من الفقرتين متعلّقان بالفعل قبلهما، ويجوز تعلّق الثاني فيهما بمحذوف هو حال من المفعول، أي: رحمة كائنة من لدنك ومخرجاً كائناً من عندك .

ومن: لابتداء الغاية المجازية، ولذلك صحّ تعاقب «لدن» و«عند»، كما في قوله تعالى: «آتيناه رحمة من عندنا وعلّمناه من لدنّا علماً»(٣)، فلو جيء بـ«عند» فيهما أو بـ«لدن» لصحّ، ولكن ترك دفعاً للتكرار. وتفارق لدن عند بأنّها لا تقع في غير محلّ ابتداء، فلا تقول: كنت لدنه، كما تقول: كنت عنده، وبأنّها لا تقع إلّا فضلة بخلاف عند بدليل «وعندنا كتاب حفيظ»(٤) وبأنّها

---

(١) في «ألف»: صلاح.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٤١.

(٣) سورة الكهف: الآية ٦٥.

(٤) سورة ق: الآية ٤.

وَلا تَشْغَلْني بِالإهْتِمامِ عَن تَعاهُدِ فُروضِكَ وَاسْتِعمالِ سُنَّتِكَ .

مبنيّة وعند معربة.

وتنكير رحمة للتعظيم، أي: رحمة واسعة عظيمة تنقذني بها من جميع المهمّات والملمّات، وتأخير المفعول الصريح في الفقرتين عن الجارّين للاعتبار بالمقدّم والتشويق إلى المؤخّر، فإنّ ماحقّه التقديم إذا أُخّر تبقى النفس مترقّبة لوروده، لاسيّما عند الاشعار بكونه من المنافع، فإذا وردها يتمكّن عندها فضل تمكّن، وإذا وقع مثل ذلك في الدعاء كانت نفس الداعي أكثر توجّهاً إلى الطلب، وأشدّ إقبالاً على المطلب، والتوجّه روح العبادة.

وهنيئاً: فعيل من هنؤ الشيء بالضم مع الهمزة هناءة بالفتح والمدّ، أي: تيسّر من غير مشقّة ولاعناء، ويجوز الإبدال والإدغام.

والوحيّ: كالسريع وزناً ومعنىً فعيل بمعنى فاعل، من الوحاء بالقصر والمدّ وهو السرعة ⁕.

الاهتمام هنا: من همّه الأمر فاهتمّ، أي: حزنه وأقلقه فقلق، لامن اهتمّ بالشيء بمعنى: قام به.

وتعاهد الشيء وتعهّده: أي حفظه وتفقّده، وحقيقته تجديد العهد به. أي: لا تشغلني بالهمّ والحزن عن المحافظة على وظائف الفرائض والإتيان بها على الوجه الأكمل، وعن القيام بالنوافل والإتيان بالسنن والآداب.

قال في الذكرى: وقد تترك النافلة لعذر ومنه الهمّ والغمّ لرواية علي بن اسباط عن عدّة: أنّ الكاظم عليه السلام كان إذا اهتمّ ترك النافلة وعن معمر ابن خالد عن الرضا عليه السلام مثله إذا اغتمّ، وقد يفرّق بينهما بأنّ الغمّ لما مضى

فَقَد ضِقْتُ لِما نَزَلَ بي يارَبِّ ذَرْعاً، وامْتَلأتُ بِحَمْلِ ماحَدَثَ عَلَيَّ هَمّاً.

والهمّ لما يأتي(١). إنتهى.

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام: إن للقلوب إقبالاً وإدباراً، فإذا أقبلت فاحملوها على النوافل، وإذا أدبرت فاقتصروا بها على الفرائض(٢).

قال شارحوا كلامه عليه السلام: أراد بالإقبال: الميل، و بالإدبار: النفرة عن ملال ونحوه(٣)*.

ذرعاً وهمّاً: منصوبان على التميز، وكلّ منهما رافع لإجمال النسبة.

قال الجوهري: ضقت بالأمر ذرعاً: إذا لم تطقه ولم تقوعليه، وأصل الذرع إنّما هو بسط اليد، فكأنّك تريد: مددت يدي إليه فلم تنله(٤). إنتهى.

وقال الأزهرى: الذرع: يوضع موضع الطاقة، وأصله أن البعير يذرع بيده أي: يمدّسا في سيره على قدر سعة خطوة، فإذا حُمل عليه أكثر من طاقته ضاق ذرعه عن ذلك، فجعل ضيق الذرع عبارة عن قلّة الوسع والطاقة(٥).

قال الزمخشري في الفائق: الذراع: الجارحة من المرفق إلى الأنامل، والذرع: مدّها، ومعنى ضيق الذرع في قولهم ضاق به ذرعاً: قصرها، كما أنّ سعتها وبسطها طولها، ألا ترى إلى قولهم: هو قصير الذراع والباع واليد ومديدها وطويلها في موضع قولهم ضيقها وواسعها. ووجه التمثيل بذلك أنّ القصير الذراع إذا مدّها

---

(١) ذكرى الشيعة: ص١١٦. (٢) نهج البلاغة: ص٥٣٠ الحكم ٣١٢.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم: ج٥ ص٣٤٤.

(٤) لسان العرب: ج٨ ص٩٥ مادة: ذرع مع اختلاف يسير في العبارة.

(٥) تهذيب اللغة: ج٢ ص٣١٦ مع اختلاف يسير في العبارة.

....

ليتناول الشيء الذي يتناوله من طالت دراعه تقاصرعنه وعجزعن تعاطيه، فضرب مثلاً للذي سقطت طاقته دون بلوغ الأمر والاقتدار عليه(١). إنتهى.

وقال ابن الأنباري: إنّ أصله من ذرع فلاناً ألقي: إذا غلبه وسبقه، فمعنى ضاق ذرعه أي: ضاق عن حبس المكروه في نفسه(٢).

وقال بعضهم: هو من الذرع بمعنى المساحة، وكأنّه قدر البدن مجازاً، أي: أنّ بدنه ضاق قدره عن احتمال ماوقع فيه.

وقيل: يحتمل أن يكون ضيق الذرع عبارة عن انقباض الروح، فعند ذلك تجتمع أعضاء الإنسان وتقلّ مساحتها.

قال الواحدي: لم أجد أحداً ذكر في أصل الذرع أحسن ممّا ذكره الأزهري(٣).

وعدّى «حدث» بـ«على» دون اللام إيذاناً بما في الحادث من المشقّة، حتى كأنّه علاه فخضع هوله.

قال ابن جني: قد تستعمل «على» في الأفعال الشاقّة المتثقّلة(٤)، تقول: قرأت القرآن وبقيت عليّ منه سورتان، وقد صمنا عشرين من الشهر وبقيت علينا عشر، وسرنا عشراً وبقيت علينا ليلتان، وإنما اطّردت «على» في هذه الأفعال من حيث كانت هذه الأحوال كلفاً، ومشاقّ تخفض الإنسان وتضعه وتعلوه وتتفرّعه، حتى يخضع لها ويخشع لما يتسدّاه منها، فكان ذلك من مواضع

---

(١) الفائق: ج٢ ص٨.

(٢)و(٣) تهذيب الأسماء واللغات: الجزء الأول من القسم الثاني ص١١٠.

(٤) في «الف»: المستثقلة.

وَأنتَ القادِرُ عَلى كَشْفِ ماُمنيتُ بِهِ، وَدَفعِ ماوَقَعتُ فيهِ.
فافْعَلْ بي ذلكَ وَ إنْ لَمْ أسْتَوجِبْهُ مِنكَ ياذَا العَرْشِ العَظيمِ.

«على»، ألا ترىٰ أنّهم يقولون: هذا لك وهذا عليك، فتستعمل اللام فيما يؤثره و«على» فيما يكرهه(١)*.

التعريف لإفادة القصر تحقيقاً، أي: أنت القادر لاغيرك على كشف ماابتليت به.

يقال: منوته ومنيته إذا ابتليته، ومني بكذا بالبناء للمفعول: ابتلى به.

ووقعت فيه: أي سقطت، من وقع الشيء بمعنى سقط، أي: و حصلت فيه، من وقع الصيد في الشرك إذا حصل فيه، والظرفيّة مجازية*.

ذلك: إشارة إلى كشف مامني به ودفع ماوقع فيه.

واستوجب الشيء: استحقه، وإن ـهنهـ: هي التي يسمّيها أكثر المتأخّرين وصلية، وقد استوفينا الكلام عليها في أوائل الروضة الثانية، فلاوجه لإعادته(٢).

والعرش: يطلق على معنيين، أحدهما: العلم المحيط وثانيهما: الجسم المحيط بجميع الأجسام، سمّي به لارتفاعه ولاجسم ثمّة، ولذلك وصف بالعظيم.

وفي الحديث عن أبي عبدالله عليه السلام: كلّ شيء خلق الله في جوف الكرسي خلا عرشه، فإنّه أعظم من أن يحيط به الكرسي(٣).

وعنه عليه السلام: الكرسي عند العرش كحلقة في فلاة قي(٤)(٥).

(١) لسان العرب: ج١٥ ص٨٨. (٢) تقدّم في صفحة ٤٤٢ فراجع. (٣) بحارالأنوار: ج٥٨ ص٢١ ح٣٧.

(٤) القي بالكسر والتشديد: فعل من القواء، وهي الأرض القفر الخالية النهاية لابن الأثير: ج٤ ص١٣٦.

(٥) مجمع البيان: ج١ - ٢ ص٣٦٢ قطعة من حديث عطاء وإليك نصّه «وما الكرسي عند العرش إلا كحلقة في فلاة».

....

وعن أبي الحسن عليه السلام: العرش اسم علم وقدرة، وعرش فيه كل شيء(١).

أي: العرش اسم علم يحيط بجميع الأشياء، واسم قدرة نافذة فيها، واسم جسم فيه كلّ شيء، وهو الفلك الأعظم.

وعن أبي عبدالله عليه السلام عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال: إنّ بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الأُخرى خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام(٢).

وورد عنه عليه السلام في تفسير قوله تعالى: «وَهو ربّ العرش العظيم»(٣): أنّه الملك العظيم(٤).

ووجه حسن الختام لهذا الدعاء بهذا الوصف أنّه لمّا قال عليه السلام: وأنت القادر على كشف مامنيت به، مع ماتقدّم من الإقرار بأنّ الأمر كلّه له، ختم الدعاء بما يشعر ويقرّر بأنّ جميع الأشياء تحت حياطة قدرته وعلمه؛ إذ هو ذوالعرش العظيم المحيط بكلّ شيء، فيحيط بكلّ مانزل به، ويعلم صدق شكايته وحالة اضطراره، وهو قادر على كشف مابه فيكشفه لأنّه الذي يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء عمّن رجاه، والله أعلم.

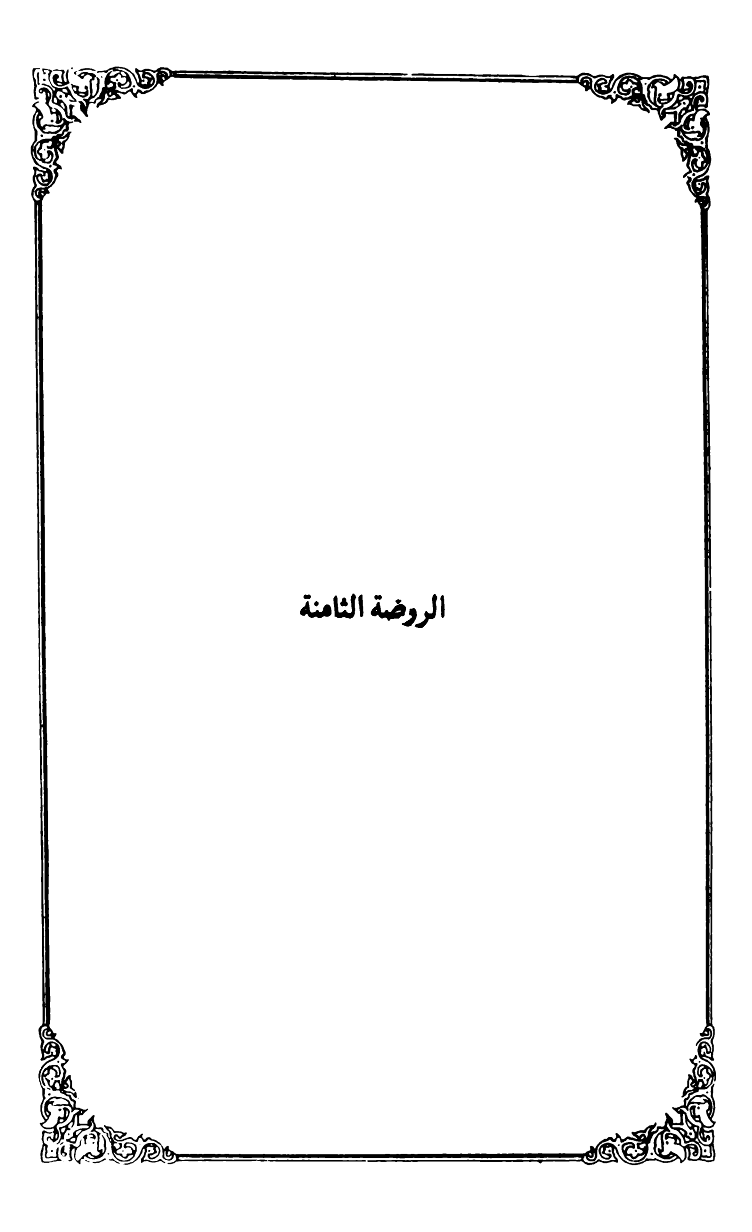
---

(١) الكافي: ج١ ص١٣١.

(٢) بحارالأنوار: ج٥٨ ص٣٦ ح٦١ وص٣٤ ح٥٤ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٢٩.

(٤) بحارالأنوار: ج٥٨ ص٣٠ ح٥١.



الروضة الثامنة

دعاء ۸

وكان من دعائه عليه السلام في الاستعاذة من المكاره وسيئ الأخلاق ومذام الأفعال

اللهم إني أعوذ بك من هيجان الحرص وسورة الغضب وغلبة
الحسد وضعف الصبر وقلة القناعة وشكاسة الخلق وإلحاح الشهوة
وملكة الحمية ومتابعة الهوى ومخالفة الهدى وسنة الغفلة وتعاطي
الكلفة وإيثار الباطل على الحق والإصرار على المأثم واستصغار المعصية
واستكبار الطاعة ومباهاة المكثرين والإزراء بالمقلين وسوء الولاية
لمن تحت أيدينا وترك الشكر لمن اصطنع العارفة عندنا أو أن نعضد ظالما
أو نخذل ملهوفا أو نروم ما ليس لنا بحق أو نقول في العلم بغير علم ونعوذ بك
أن ننطوي على غش أحد وأن نعجب بأعمالنا ونمد في آمالنا ونعوذ بك من سوء
السريرة واحتقار الصغيرة وأن يستحوذ علينا الشيطان أو ينكبنا الزمان أو
يتهضمنا السلطان ونعوذ بك من تناول الإسراف ومن فقدان الكفاف ونعوذ
بك من شماتة الأعداء ومن الفقر إلى الأكفاء ومن معيشة في شدة وميتة على غير
عدة ونعوذ بك من الحسرة العظمى والمصيبة الكبرى وأشقى الشقاء وسوء المآب
وحرمان الثواب وحلول العقاب اللهم صل على محمد وآله وأعذني من كل
ذلك برحمتك وجميع المؤمنين والمؤمنات يا أرحم الراحمين

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

الحمد لله المستعاذ به من مكاره الخصال وسيّئ الأخلاق ومذامّ الأفعال، والصلاة والسلام على نبيّه المنزّه عن كلّ مذمّة في المقال والفعال، وعلى أهل بيته المقتدين به والمقتدىٰ بهم في جميع الأحوال.

وبعد فهذه الروضة الثامنة من رياض السالكين تتضمّن شرح الدعاء الثامن من أدعية صحيفة سيّد العابدين.

إملاء العبد الفقير إلى ربّه الغنيّ علي صدرالدين بن أحمد نظام الدين الحسينيّ الحسنيّ، وفّقه الله للعمل في يومه لغده قبل خروج الأمر من يده.

---

(١) (الف): وبه نثق.

شرح الدعاء الثامن

وَكانَ مِن دُعائِهِ عَلَيهِ السّلامُ في الإستِعاذةِ مِنَ المَكارِهِ وَسَيّئ الأخلاقِ وَمَذامّ الأفعالِ.

إستعذت بالله استعاذة، وعذت به عوذاً ومعاذاً وعياذاً: اعتصمت أو تحصّنت أو التجأت، وأصل الاستعاذة استعواذ على استفعال، نقلت حركة العين إلى الفاء الساكنة قبلها، وقلبت العين ألفاً، وحذفت لالتقاء الساكنين، وعوّضت تاء التأنيث عنها، وقس على ذلك كلّ مصدر لاستفعل معتلّ العين وجاء تنبيهاً على الأصل، استحوذ الشيطان استحواذاً بالتصحيح.

والمراد بالمكاره: مايكرهه الإنسان، وقد تقدّم الكلام على هذا اللفظ في أوّل الروضة التي قبل هذه. وعطف سيّىء الأخلاق ومذامّ الأفعال عليه من عطف الخاصّ على العامّ.

والأخلاق: جمع خُلق بالضمّ.

قال الراغب: الخُلق بالضمّ في الأصل كالخَلق بالفتح كالشُرب والشَرب، ولكنّ الخلق بالضمّ يقال في القوى المدركة بالبصيرة، والخلق بالفتح في الهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر(١). وعرّفوا الخُلق بالضمّ بأنّه هيئة راسخة في

---

(١) المفردات: ص١٥٨.

....

النفس تصدر عنها الأفعال بسهولة، فإن كان الصادر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً سمّيت الهيئة التي هي المصدر خُلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سمّيت الهيئة خُلقاً سيّئاً، وإنّما قيل. إنّه هيئة راسخة لأنّ من يصدر منه بذل المال على الندور لحالة عارضة لايقال خُلقه السخاء مالم يثبت ذلك في نفسه، وكذلك من تكلّف السكون عند الغضب بجهد أو روية لايقال خُلقه الحلم، وليس الخُلق عبارة عن الفعل، فربّ شخص خُلقه السخاء ولايبذل، إمّا لفقد المال أو لمانع، وآخر خُلقه البخل وهو يبذل لباعث أو رياء، وربّما أطلقوا الخُلق على أسماء أنواعه نحو العفّة والعدالة والشجاعة، فإنّ ذلك يقال للهيئة والفعل جميعاً.

والأفعال: جمع فعل وهو الهيئة العارضة للمؤثّر في غيره بسبب التأثير، كالهيئة الحاصلة للقاطع بسبب كونهٔ قاطعاً، فإن احتاج الفاعل إلى تحريك عضوٍ سمّي الفعل علاجيّاً كالضرب والشتم، وإلا فغير علاجي كالعلم والظنّ.

هداية

الأفعال تنقسم إلى قسمين: مايستحقّ به فاعله الذمّ واللوم، وما لايستحقّ به ذلك.

وبيانه: أنّ الأفعال ضربان: إرادي وغير إرادي. فالإرادي ضربان: ضرب عن رويّة، وضرب لاعن رويّة، إمّا بحسب النفس الناطقة، وهي لاتختار أبداً إلّا الأفضل والأصلح وما هو خير، وهذا يستحقّ به الحمد أبداً. وإمّا بحسب القوّة

....

الغضبية وهو دفع مايضرّه، أو القوّة الشهويّة، وكلّ منهما إذا كان بقدر مايوجبه العقل يستحقّ به الحمد، وإذا كان زائداً أو ناقصاً يستحقّ به الذمّ.

والإرادي الذي عن غير رويّة ضربان: أحدهما: مايفعله في نفسه، والثاني: مايفعله بغيره، وكلّ واحد منهما ضربان: نفع وضرّ، فما قصد به نفع نفسه فقد يستحقّ به الحمد، وما قصد به نفع غيره فقد يستحقّ به الحمد والشكر معاً، وما قصد به ضرّ نفسه فقد يستحقّ به الذمّ، وما قصد به ضرّ غيره فقد يستحقّ به الذمّ واللوم.

وغير الإرادي ثلاثة أضرب:

الأوّل: أن يكون قسريّاً، وهو مايكون مبدؤه من خارج ولايكون من فاعله معونة بوجهٍ، كمن دفعته ريح فسقط على آنية فكسرها، ولاذم ولالوم في هذا بوجه.

والثاني: أن يكون إلجائيّاً، كمن أكرهه السلطان على أن يفعل فعلاً ما، وهذا متى كان الملجأ إليه ليس بحدّ قبيح والسبب الملجئ إليه عظيماً لايستحقّ مرتكبه الذمّ، كمن يوضع على رقبته السيف فيهدّد بالقتل إن لم يتكلّم بكلام قبيح، وكلاهما يقال له الإكراه(١).

والثالث: الخطأ، وهو مايكون مبدؤه من صاحبه، وهو نوعان:

أحدهما: ماتولّد عن فعل وقع منه وله أن يفعله، كمن يرمي هدفاً فأصاب إنساناً، وهذا لايستحقّ به ملامة مالم يقع من صاحبه تقصير في الاحتراز.

---

(١) (ألف): اكراه.

اللّهمّ إنّي أعوذُ بكَ مِن هَيَجانِ الحِرْصِ.

والثاني: مايتولّد من فعل ليس له أن يفعله، كمن شرب فسكر، فحمله السكر علىٰ أن كسر إناءً وضرب إنساناً، فقد ارتكب محظوراً أدّىٰ به إلى وقوع ذلك منه، وهذا يستحقّ الذمّ واللوم معاً.

فالضرب الأوّل يقال فيه: أخطأ فهو مخطئ. والثاني: يقال فيه: خطأ فهو خاطئ. ولهذا قال أهل اللغة: خطأ إذا تعمّد مانهي عنه، وأخطأ إذا أراد الصواب فصار إلى غيره من غير عمد.

قال صلوات الله عليه(١):

الباء: للإلصاق، أي: ألصق اعتصامي بقوّتك، أو تحصّني بمنعك، أو التجائي بحفظك. ولك تبديل الصلة.

وهاج الشيء هيجاناً وهياجاً بالكسر: ثار.

والحرص بالكسر: اسم من حرص على الشيء ـ من باب ضرب ـ: إذا رغب فيه رغبة مذمومة.

قال ابن جنّي: وهو من معنى السحابة الحارصة، وهي التي تقشر وجه الأرض بمطرها. وشجّه حارصه: وهي التي تقشر جلد الرأس، فكذلك الحرص كان صاحبه ينال من نفسه لشدّة اهتمامه بما حرص عليه(٢).

وقيل: الحرص هو طلب الشيء المشتهىٰ بأقصىٰ مايمكن من الاجتهاد.

وقيل: هو حالة نفسانيّة تنشأ من الجهل بالتوكّل. أو من ضعف القلب لاستيلاء مرض الوهم عليه، فإنّ الوهم كثيراً مايعارض اليقين، كمن تراه

---

(١) أي اول الدعاء «اللهمّ انّي أعوذ بك من هيجان الحرص».

(٢) تاج العروس: ج٤ ص٣٧٨، من دون نسبته إلى ابن جني.

....

لايبيت وحده مع ميّت وهو يبيت مع جماد، مع علمه بأنّ الميّت أيضاً جماد. وتبعث تلك الحالة على السعي التامّ في الاكتساب، وشدّة الاهتمام بجمع(١) الأسباب، وصرف العمر والفكر في جمع المال في جميع الأوان، ولاشبهة في أنّ ذلك لقوّة الاعتماد على الكسب والطلب وعدم الاعتماد على الله سبحانه.

وقيل: هو طرف الإفراط في القوّة الشهويّة الطالبة لشهوات الدنيا، وإذا وقع الإفراط فيها طلبت مايضرّ بالدين. وهذه العباوات ترجع إلى معنى واحد عند التحقيق، غير أنّ بعض المحقّقين جعل الحرص عبارة عن طرف الإفراط في الشهوة عقليّة كانت أم بدنيّة، فيشمل ماكان من أُمور الدنيا أو من أُمور الدين، قال: فالحرص قد يكون محموداً، ولذلك قال تعالى: «حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم»(٢).

وقال بعضهم: بل الحرص مطلقاً مذموم؛ لأنّ الحرص على الدنيا يورث سخط حكم الله، والحرص المفرط في الدين يطمس العمل ويقطع الغرض، كما قال صلّى الله عليه وآله: إنّ هذا الدين متين فأوغلوا(٣) فيه برفق، ولا تكرهوا عبادة الله إلى عباد الله فتكونوا كالراكب المنبت الذي لاسفراً قطع ولاظهراً أبقى(٤).

وعلى هذا ماورد من الأمر بالاقتصاد في العبادة في أخبار كثيرة عن صاحب الشريعة وأهل بيته الطاهرين، كما روى ثقة الإسلام في الكافي بسند صحيح أو

---

(١) (الف): بجميع. (٢) سورة التوبة: الآية ١٢٨.

(٣) أوغل في السير: أمعن وأسرع. المصباح المنير: ص٩١٨.

(٤) الكافي: ج٢ ص٨٦ ح١ باب الاقتصاد في العبادة.

....

حسن عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: اجتهدت في العبادة وأنا شابّ، فقال لي أبي: يابنيّ دون ماأراك تصنع، فإنّ الله عزّوجلّ إذا أحبّ عبداً رضي منه باليسير(١).

فإذا كان الحرص في الدين مرغوباً عنه فما ظنّك به في الدنيا، وهو سبب التعب، وأصل النصب، وداعية الحاجة، وعلامة اللجاجة، ولقاح البخل، ونتاج الجهل، ورائد الذلّ، وملاك الهلاك.

روى ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قال أبو جعفر صلوات الله عليه: مثل الحريص في الدنيا مثل دودة القزّ، كلّما ازدادت من القزّ على نفسها لفّاً كان أبعد لها من الخروج حتّى تموت غمّاً(٢).

وقد عقد أبو الفتح البستي هذا المعنى فقال:

ألم تر أنّ المرء طول حياته معنّى بأمر لايزال معالجه
كدود القزّ ينسج دائماً ويهلك غمّا وسط ماهو ناسجه(٣)

وفي كلام بعض الأكابر: إعلم أنّك إن جاوزت الغاية في العبادة صرت إلى التقصير، وإن جاوزتها في حمل العلم لحقت بالجهّال، وإن جاوزتها في رضا الناس كنت المحسور المنقطع، وإن جاوزتها في طلب الدنيا كنت الخاسر المغبون والشقيّ المخدوع. ثمّ الحرص في الدنيا إن كان على القنيات. قيل له: الشره، سواء كان مالاً أو نكاحاً أو طعاماً، ومتى كان على النكاح قيل له: الشبق، ومتى كان على الطعام قيل له: النهم، والجميع مذموم.

---

(١) الكافي: ج٢ ص٨٧ ح٥. (٢) الكافي: ج٢ ص٣١٦ ح٧. (٣) المحجة البيضاء: ج٧ ص٣٦٧.

وَسَورَةِ الغَضَبِ.

فإن قلت: إذا كان الحرص من أصله مذموماً فما معنى استعاذته عليه السلام من هيجانه؟ وهلّا استعاذ منه رأساً؟

قلت: هذا إمّا بناءً على أنّ من الحرص مايكون محموداً، كما قال تعالى: «حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم»(١)، فاستعاذ من غلبته المذمومة.

وإمّا من باب نفي الشيء بنفي لازمه أو مايجري مجراه قصد إلى نفيه أو نفي ملزومه معاً؛ إذ معنى الاستعاذة بالله من شيء الالتجاء به في دفع ذلك الشيء المستعاذ منه، فيعود إلى طلب نفيه على المستعيذ، فيكون الغرض من طلب نفي هيجان الحرص طلب نفيه، فلايكون له حرص فيكون له هيجان. ومن شواهده قول الشاعر:

من أُناس ليس في أخلاقهم عاجل الفحش ولاسوء الجزع

أي: لافحش ولاجزع أصلاً فلا عجلة ولاسوء*.

سورة الشيء بالفتح: حدّته، وتأتي بمعنى البطش أيضاً.

قال الزبيدي: السورة: الحدّة، والسورة: البطش(٢).

وإرادة هذا المعنى هنا أيضاً صحيحة.

والغضب قيل: تغيّر يحصل عند غليان دم القلب لشهوة الانتقام.

وقيل: هو هيجان النفس لإرادة الانتقام.

وقال الراغب: قوّة الغضب متى تحرّكت تحرّك دم القلب، فتولّد منه ثلاث أحوال، وذاك(٣) أنّها إما أن تتحرّك على من فوقه أو على من دونه أو على نظيره.

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٢٨. (٢) تاج العروس: ج ٢ ص ٩٩. (٣) (الف): ذلك.

....

فإن كـان ذلك على من فـوقه ممّن يظنّ أنّـه لاسبيل له إلى الانـتقام منه تـولّد منه انقباض الدم، وذلك هو الحزن. وإن كان على من دونه ممّن يظنّ أنّ له سبيـلاً إلى الانتقام منه تولّد منه ثوران دم القلب إرادةً للانتقام، وذلك هو الغضب. وان كـان على نظيره ممّن يشكّ أنّـه هـل يقدر على الانتقـام مـنـه تولّد تردّد الدم بين انقباض وانبساط، وذلك هو الحقد. ولكون الحزن والغضب بـالـذات واحـداً واختلافهما بالإضافة.

قال ابن عباس وقد سئل عنهما: مخرجهما واحد واللفظ مختلف، فمن نازع من يقوى عليه أظهره غضباً، ومن نازع من لايقوى عليه كتمه حزناً(١).

وقال بعض العلماء: إن الله تعالى خلق الغضب من النار، وقرّره في الإنسان وخمّره في طينته، فإذا تحرّكت قوّته اشتعلت نار الغضب من باطنه، وثارت ثوراناً يغلي به دم القلب كغلي الحميم، وينتشر في العروق، ويرتفع إلى أعالي البدن والوجه كما يرتفع الماء الذي في القدر، فلذلك يحمرّ الوجه والبشرة.

وفي الحديث: إن الغضب جمرة في قلب ابن آدم، ألا ترون في حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه(٢).

ومهما اشتدت نار الغضب وقوى اضطرامها أعمى صاحبه، وأصمّه عن كلّ موعظة، وينطفي نور عقله، فلا يؤثّر فيه نصح ولاوعظ. وربّما قويت نار الغضب فأفنت الرطوبة التي بها الحياة فيموت صاحبه غيظاً، أو يفسد مزاج دماغه لغلبة الحرارة الصاعدة إليه فيموت، فهذه ثمرة الغضب المفرط. ولذلك ورد في ذمّه من

---

(١) الذريعة للراغب: ص١٦٧ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٢) الكافي ج٢ ص٣٠٤ ح١٢ (باب الغضب).

و غَلَبَةِ الحَسَدِ.

الأخبار والآثار مالايكاد يحصى. غير أنّه ينبغي أن يعلم أنّ الغضب لايجب إبطاله من الأصل، بل ربّما يحسن تحصيله وتهيّجه لمكانه من حفظ الدمار، وجهاد الكفّار، والتنكّر للمنكرات، والأخذ على يد الشهوات، وهو بمنزلة كلب الصيد يُراض ويعلّم ويؤدّب ويقوّم ليهيج بإشارة المكلّب واشلائه (١) إلى القنيص(٢)(٣) الحلال، فكذلك أمر الغضب، وإنّما رياضته في تأديبه حتّى ينقاد للعقل ولايستعصي على الشرع، بل يهيج بإشارتهما ويسكن على إرادتهما. فالواجب في الغضب هو كسر سورته وإطفاء جمرته*.

الغلب والغلبة بفتحين فيهما: اسم من غلب ـمن باب ضرب ـ غلباً أي: قهر. وإضافتها إلى الحسد من باب الإضافة إلى الفاعل. أي: وأعوذ بك من أن يغلبني الحسد فأكون مغلوباً ومقهوراً له، وليس المراد بغلبته كثرته كما قد يتوهّم.

والحسد: كراهيّة نعمة الغير وتمنّي زوالها عنه.

وقيل: هو عبارة عن فرط حرص المرء على امتيازه في جميع المقتنيات من أبناء جنسه، وشدّة اهتمامه على إزالتها من غيره وجذبها إلى نفسه.

وقال الراغب: الذي ينال الإنسان بسبب خير يصل إلى غيره إذا كان على سبيل التمنّي أن يكون له مثله فهو غبطة، وإذا كان مع ذلك سعي منه في أن يبلغ هو مثل ذلك من الخير أو ماهو فوقه فمنافسة، وكلاهما محمودان. وإن كان مع ذلك سعي في إزالتها فهو حسد، وهو الحرام المذموم. والحاسد التامّ: هو الخبيث

---

(١) أشليت الكلب وغيره: إذا دعوته اليك. النهاية لابن الاثير: ج٢ ص٤٩٩.

(٢) القنص: الصيد. النهاية لابن الأثير: ج٤ ص١١٢.

(٣) (الف): القبض.

....

النفس الساعي في إزالة نعمة مستحقّة، من غير أن يكون طالباً ذلك لنفسه، ولذلك قيل: الحاسد قد يرى زوال نعمتك نعمة عليه.

وعنه صلّى الله عليه وآله: «المؤمن يغبط والمنافق يحسد» فحمد الغبطة، وقال تعالى: «وفي ذلك فليتنافس المتنافسون» فحثّنا على التنافس؛ إذ هو الباعث لنا على طلب المحاسن، وذلك كقوله سبحانه: «سارعوا إلى مغفرة من ربّكم».

وعنه صلّى الله عليه وآله: ثلاثة لاينجو منها أحد الظنّ والطيرة والحسد، وسأُخبركم بالمخرج من ذلك، فإذا ظننت فلاتحقّق، وإذا تطيّرت فامض ولا تنثن، وإذا حسدت فلا تبغ. أي: إذا أصابك غمّ بخير يناله غيرك فلا تبغ إزالته عنه(١). إنتهى كلام الراغب.

وقال بعض العلماء: الحسد يكون من اجتماع البخل والحرص، والحسد شرّ من البخل، كما أنّ الحقد شرّ من الغضب؛ لأنّ البخيل إنّما لايحبّ أن ينيل أحداً شيئاً ممّا يملكه، والحسود لايحبّ أن ينال أحداً خير ألبتّة. فالحسد هو كراهيّته لما وقع خيراً لمن لم يضرّه ولم يسيء به، وهذا هو الشرّ المحض، والشرّير مستحقّ للمقت من الخالق؛ لأنّه مضادّ له في إرادته الخير. ومن المخلوق؛ لأنّه مبغض ظالم لهم والحسد ممّا لالذّة فيه إن كان في الهوى، والغضب لذّة وتشفّ. وهو مع ذلك مضرّ بالدين والدنيا، أمّا بالدين فلأنّه يبطل حسناته، ويعرضه لسخط خالقه من قبل تسخّط قضائه وتدبيره وتحجيره ماوسع من نعمته على خلقه، وأمّا بدنياه فلأنّه

---

(١) الذريعة للراغب: ص١٨٢ مع اختلاف يسير في العبارة.

....

يسيء قوله في الناس وخلقه في معائشهم، فيكثر أعداءه والساعون في الإضرار به والإساءة إليه. ومضرّ بالروح والجسد، أمّا بالروح فلأنّه يذهله ويعزب فكره ويؤدّيه إلى طول الحزن والفكر، وأمّا بالجسد فلأنّه يعرض له عند هذه أعراض طول السهر وسوء الاغتذاء، ويتبعه رداءة اللون وكمود البشرة وفساد المزاج، فكان الحسد كلّه آفةً ومضرّةً وشرّاً وفساداً، وكان نعم العون والمنتقم للمحسود من الحاسد، يديم همّه وغمّه ويذهل عقله ويذيب جسده. ولذلك قال أميرالمؤمنين عليه السلام: الحسد آفة الجسد(١).

وقال الشاعر:

إصبر على مضض الحسو	دِ فان صبرك قاتله
يكفيه داءً أنّه	حيّ تذوب مفاصله
كالنار تأكل بعضها	إن لم تجد ماتأكله(٢)

وقد ورد في ذمّه من الأخبار مالامزيد عليه. فعن أبي عبدالله عليه السلام: إنّ الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب(٣).

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: قال الله تعالى لموسى بن عمران: ابن عمران لاتحسدنّ الناس على ما اتيتهم من فضلي، ولا تمدّنّ عينيك إلى ذلك ولا تتبعه نفسك، فإنّ الحاسد ساخط لنعمي، صادّ لقسمي الذي قسمت بين عبادي، ومن يك كذلك فلست منه وليس منّي(٤).

---

(١) لم نعثر عليه. وفي الكافي: ج٢ ص٣٠٧ ح٥ آفة الدين الحسد.

(٢) العقد الفريد: ج١ ص١٨٩.

(٣) الكافي ج٢ ص٣٠٦ ح٢ باب الحسد. (٤) الكافي ج٢ ص٣٠٧ ح٦ باب الحسد.

وَضَعْفِ الصَّبْرِ

وإلى هذا المعنى أشار من قال:

ألا قل لمن كان لي حاسداً أتدري على من أسأت الأدب

أسأت على الله في حكمه لأنك لم ترض لي ما وهب

تنبيهات:

الأوّل: قال بعضهم: إنّ الحسد ممّا يتقاضاه الطبع وتهواه النفس الأمّارة بالسوء، لكن إنّما يؤاخذ المرء عليه إذا غلبه فعمل بمقتضاه، وإلى ذلك أشار عليه السلام بقوله: «وغلبة الحسد»، فاجتهد أن لا تظهر الحسد بلسانك وجوارحك وأعمالك الاختياريّة لتنجو من الإثم، وأيضاً جاهد نفسك واكره لها حبّها زوال نعمة الله عن عباده، فإذا اقترنت هذه الكراهيّة الناشئة عن باعث الدين بحبّ زوال النعمة الذي اقتضاه الطبع اندفع عنك الإثم؛ إذ لم تؤاخذ بما حصلت عليه طبعاً، إنّما تؤاخذ بما فعلته كسباً، وعلامة هذه الكراهة أن تكون بحيث لو قدرت على معونته في إدامة نعمته أو في زيادتها لم تقعد عنها مع كراهتك لها، فإذا كنت على هذا لم يكن عليك حرج ممّا يتقاضاه طبعك وتهواه نفسك الأمّارة.

الثاني: قال بعض الأفاضل: إذا كان لظالم أو فاسق مال يصرفه في غير وجهه، ويجعله آلة للظلم والفسق، جاز حسده وتمنّي زوال ماله. وهو في الحقيقة تمنّي زوال الظلم والفسق، ويصدّقه أنّه يزول ذلك التمنّي بتوبتها، والله أعلم*.

إتّفقت النسخ على ضبط الضعف هنا بالفتح، وهو يؤيّد قول من قال: إنّ الضعف بالضمّ فيما كان في البدن، وبالفتح فيما كان في العقل، وقد تقدّم نقل

....

الخلاف في ذلك.

والصبر: قوّة ثابتة وملكة راسخة، بها يقدر على حبس النفس على الأُمور الشاقّة والوقوف معها بحسن الأدب، وعدم الاعتراض على المقدّر بإظهار الشكوىٰ، فإنّ الإنسان مادام في هذه النشأة كان مورداً للمصائب والآفات، محلاً للنوائب والعاهات، ومكلّفاً بفعل الطاعات وترك المنهيّات والمشتهيات(١)، وكلّ ذلك ثقيل على النفس بشع(٢) في مذاقها، وهي تنفر عنه نفاراً وتتباعد عنه فراراً، ولايروضها(٣) عليه ويثني(٤) جماحها(٥) عنه إلّا الصبر.

وفي الحديث عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية. فمن صبر على المصيبة حتّى يردّها بحسن عزائها كتب الله له ثلا ثمائة درجة، مابين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء والأرض.

ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستّمائة درجة، مابين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش.

ومن صبر عن المعصية كتب الله تعالى له تسعمائة درجة، مابين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش(٦).

---

(١) (الف): المشتهات. (٢) طعام بشع: فيه كراهة ومرارة. المصباح المنير: ص٦٩.

(٣) رضت الدابة رياضاً: ذللتها. المصباح المنير: ص٣٣٥.

(٤) ثنيته عن مراده: اذا صرفته عنه المصباح المنير: ص١١٨.

(٥) جمح الفرس براكبه جماحاً بالكسر: استعصى حتّى غلبه. المصباح المنير: ص١٤٧.

(٦) الكافي: ج٢ ص٩١ ح١٥ باب الصبر.

....

قال بعض العلماء: وبناؤه على أربع قواعد: الزهد والإشفاق والشوق وترقّب الموت. فمن زهد في الدنيا استخفّ بالمصيبات، ومن أشفق من النار اجتنب المحرّمات، ومن اشتاق إلى الجنّة سلا(١) عن الشهوات وطيّب نفسه عن ترك المشتهيات، ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات وواظب على الطاعات. والآيات والروايات في مدحه كثيرة جدّاً، ويكفي في معرفة سمّو قدره قوله تعالى: «والله مع الصابرين»(٢)، وقوله تعالى: «إنّما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب»(٣).

تنبيه

المراد بترك الشكوى في حدّ الصبر الشكوى إلى غير الله تعالى، وأما الشكوى إليه سبحانه فلا تقدح في الصبر؛ لأنّ الله تعالى أثنى على أيّوب عليه السلام بالصبر بقوله: «إنّا وجدناه صابراً»(٤)، مع دعائه في رفع الضرّ عنه بقوله: «أنّي مسّني الضرّ وأنت أرحم الراحمين»(٥)، فعلمنا أنّ العبد إذا دعا الله في كشف الضرّ عنه لايقدح في صبره، بل يجب الدعاء والاستكانة له والتضرّع إليه سبحانه لئلّا يكون كالمقاومة مع الله ودعوى التحمّل لمشاقه، قال تعالى: «ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربّهم وما يتضرّعون»(٦)، والله أعلم*.

---

(١) سلوت عنه سلواً: صبرت. المصباح المنير: ص٣٩٠.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٤٩.
(٣) سورة الزمر: الآية ١٠.
(٤) سورة ص: الآية ٤٤.
(٥) سورة الانبياء: الآية ٨٣.
(٦) سورة المؤمنون: الآية ٧٦.

وَقِلَّةِ الْقَناعَةِ.

قد يعبّر بالقلّة عن العدم، كما يقال: قليل الخير، أي: لايكاد يفعله.

والقناعة: اسم من قنع بالشيء قنعاً ـ من باب تعب ـ أي: رضي به فهو قنع وقنوع، وأمّا القانع فهو السائل من قنع يقنع بفتحتين قنوعاً إذا سأل. ومنه: قوله تعالى: «واطعموا القانع والمعترّ»(١)، فالقانع: السائل، والمعترّ: الذي يطوف ولايسأل، وإلى المعنيين المذكورين أشار من قال:

العبد حرّ إن قنع والحرّ عبد إن قنع
فاقنع و لا تطمع فما شيء يشين سوى الطمع

قنع الأول بالكسر بمعنى: رضى، والثاني بالفتح بمعنى: سأل.

وعرّفت القناعة بأنّها الرضا بالقسمة.

وقيل: هي الرضا بما دون الكفاية.

وفسّرها المحقّق الطوسي ـ بعد ماعداها من الأنواع المندرجة تحت العفّة الحاصلة من الاعتدال في القوّة الشهويّة ـ بأنّها رضا النفس في المآكل والمشارب والملابس وغيرها بما يسدّ الخلل من أيّ جنس اتّفق.

وروي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله قلت: ياجبرئيل ماتفسير القناعة؟ قال: تقنع بما تصيب من الدنيا، تقنع بالقليل وتشكر على اليسير (٢)

وقد ورد في شأن القناعة والحثّ عليها من الكتاب والسنّة مالاخفاء به، وكفى في ذلك قوله تعالى: «ولا تعجبك أموالهم ولاأولادهم»(٣)، وقوله تعالى: «ولا تمدّنّ عينيك إلى مامتّعنا به أزواجاً منهم زهرة الحيوة الدنيا»(٤).

---

(١) سورة الحج: الآية ٣٦.

(٢) بحار الانوار ج ٧١ ص ٣٤٦ قطعة من ح ٧.

(٣) سورة التوبة: الآية ٨٥.

(٤) سورة طه: الآية ١٣١.

....

وبالقناعة فسّر الرزق الحسن في قوله تعالى: «ليرزقنّهم الله رزقاً حسناً»(١)، وبها فسّرت الحياة الطيّبة في قوله عزّوجلّ: «فلنحيينّه حيوة طيّبة»(٢).

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام: القناعة مال لاينفد ولايفنى(٣). يعني أنّ الإنفاق منها لاينقطع، كلّما تعزّز عليه شيء من أُمور الدنيا قنع بما دونه.

وعن الباقر والصادق عليهما السلام: من قنع بما رزقه الله فهو أغنى الناس(٤).

وبيان ذلك: أنّ حاجات الناس كثيرة، فأغناهم أقلّهم حاجة؛ لأنّ الغنى هو عدم الحاجة؛ فلذلك كان الله سبحانه أغنى الأغنياء لأنّه لاحاجة به إلى شيء.

رأى رجل من حاشية السلطان حكيماً يأكل ماتساقط من البقل على رأس ماء، فقال له: لو خدمتَ السلطان لم تحتج إلى أكل هذا، فقال الحكيم: وأنت لو قنعت بهذا لم تحتج إلى خدمة السلطان.

وقال خالد بن صفوان: بتّ ليلة استمتع بالمنى وأُقلّب قلبي على حواشي الغنى، فكبست البحر الأخضر بالذهب الأحمر، وجعلت مابين كوفان إلى أسياف عمان فاخرة اللباس وسارحة النعم، فإذا الذي يكفيني من ذلك رغيفان وطمران(٥).

وقال وهب: خرج العزّ والغنى يجولان، فلقيا القناعة فاستقرّا(٦)*.

---

(١) سورة الحج: الآية ٥٨.
(٢) سورة النحل: الآية ٩٧.
(٣) نهج البلاغة: ص٤٧٨ حكمة رقم «٥٧».
(٤) الكافي ج٢ ص١٣٩ ح٩ باب القناعة.
(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦ ص٢٣٦.
(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١١ ص١٩٩.

وَشَكاسَةِ الخُلُقِ.

الشكاسة بالفتح: اسم من شكس خلقه -من باب تعب- أي: صعب فهو شكس بالتسكين.

قال الفارابي في ديوان الأدب: رجل شكس الخلق(١) أي: صعب الخلق، والمراد بشكاسته وصعوبته سوءه، وقد يعبّر عنه بالشراسة أيضاً.

قال في المصباح: شكس شكساً فهو شكس، مثل شرس شرساً فهو شرس وزناً ومعنىً(٢).

قال: والاسم الشراسة بالفتح وهو سوء الخلق(٣). إنتهى.

قال بعض العلماء: شكاسة الخلق وسوءه وصف للنفس يوجب فسادها وانقباضها وتغيّرها على أهل الخلطة والمعاشرة وإيذاءهم بسبب ضعيف أو بلا سبب، ورفض حقوق المعاشرة وعدم احتمال مالايوافق طبعه منهم.

وقيل: هو كما يكون مع الخلق يكون مع الخالق أيضاً، بعدم تحمّل مالايوافق طبعه من النوائب، والاعتراض عليه في قضائه وأحكامه، ومفاسده وآفاته في الدنيا والدين كثيرة.

كما ورد عن أبي عبدالله عليه السلام: من ساء خلقه عذّب نفسه(٤). وذلك لأنّ نفسه منه في تعب كما أنّ الناس منه في تعب.

كما يحكى أن سقراط رأى رجلاً يضرب غلاماً له وهو يرتعد غضباً، فقال: ماالذي بلغ بك هذا الذي أرى؟ قال: إساءة هذا الغلام، فقال: إن كان كلّما

(١) ديوان الادب للفارابي: ج١ ص١١٣ وفيه: اي سيّئ الخلق.

(٢) المصباح المنير: ص٤٣٦.

(٣) المصباح المنير: ص٤٢١.

(٤) الكافي ج٢ ص٣٢١ ح٤ «باب

وإلحاح الشهوة

جنى عليك جناية، سلّطته على نفسك تفعل بها ماأرى، فما أسرع ماتذهب نفسك مبدّدة من هذا الفعل(١).

وكان المأمون يقول: إن كان كلّما أساء غلام من غلماننا فعلاً فساءت به أخلاقنا، أوشك ذلك في أخلاقنا حتّى لا تبقى لنا حسنة كما لا تبقى لهم سيّئة(٢).

وعن الصادق عليه السلام أيضاً: أنّ سوء الخلق ليفسد العمل(٣).

وفي رواية: ليفسد الايمان كما يفسد الخلّ العسل(٤).

وعنه أيضاً عليه السلام قال: قال النبيّ صلّى الله عليه وآله: أبى الله لصاحب الخلق السيّء بالتوبة، قيل: فكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: لأنّه إذا تاب من ذنب وقع في ذنب أعظم منه(٥). وبيان ذلك: أنّ سوء خلقه يحمله على نقض التوبة، فيصير ذلك ذنبا مقروناً بذنب آخر وهما أعظم من الأوّل *.

ألحّ السحاب إلحاحاً: دام مطره، ومنه: ألحّ الرجل: دام على الشيء إذا أقبل عليه مواظباً وبالغ فيه، أي: مبالغة الشهوة وإفراطها دائماً.

والشهوة: حركة النفس طلباً للملائم.

قيل: وأصعب القوى مداواة قمع الشهوة؛ لأنّها أقدم القوى وجوداً في الإنسان، وأشدّها به تشبّثاً، وأكثرها منه تمكّناً، فإنّها تولد معه وتوجد فيه وفي الحيوان الذي هو جنسه، ثمّ توجد فيه قوّة الحميّة، ثمّ توجد فيه آخراً قوّة الفكر

---

(١) المخلاة: ص ٩١. وآداب النفس: ج ٢ ص ٦٤.

(٢) آداب النفس: ج ٢ ص ٦٤.

(٣) و(٤) و(٥) الكافي: ج ٢ ص ٣٢١ ح ١ و٣ و٢. باب سوء الخلق.

....

والنطق والتمييز، ولايصير الإنسان خارجاً من جملة البهائم وأسر الهوىٰ إلّا بإماتة الشهوات البهيميّة، أو بقهرها وقمعها إن لم يمكنه إماتته إيّاها، فهي التي تضرّه وتغرّه وتصرفه عن طريق الآخرة وتثبطه(١)، ومتى أماتها أو قمعها صار الإنسان حرّاً نقيّاً(٢)، بل يصير إلٰهيّاً ربانيّاً فتقلّ حاجاته، ويصير غنيّاً عمّا في أيدي الناس سخيّاً بما في يده محسناً في معاملاته. فإن قيل: فإذا كانت الشهوة بهذه المثابة في الإضرار، فأيّ حكمة اقتضت أن يبتلي الإنسان بها؟ قيل: الشهوة إنّما تكون مذمومة إذا كانت مفرطة، وأهملها صاحبها حتّى ملكت القوىٰ والحّت عليها، فأما إذا أُدّبت فهي المبلّغة إلى السعادة وجوار ربّ العزة، حتّي لو تصوّرت مرتفعة لما أمكن الوصول إلى الآخرة. وذلك أنّ الوصول إلى الآخرة إنّما هو بالعُبادة، ولاسبيل إلى العبادة إلّا بالحياة الدنيويّة، ولاسبيل إلى الحياة الدنيويّة إلّا بحفظ البدن، ولاسبيل إلى حفظه إلّا بإعادة ما يتحلّل منه بتناول الأغذية، ولايمكن تناول الأغذية إلا بالشهوة. وأيضاً فلولا الشهوة لانقطع بقاء النوع الإنساني؛ لأنّ بقاءه إنّما يكون بشهوة المباضعة، فإذاً الشهوة محتاج إليها ومرغوب فيها، وتقتضي الحكمة الإلهيّة إيجادها وتزيينها، كما قال تعالى: «زيّن للناس حبّ الشهوات من النساء والبنين»(٣) الآية. لكنّ مثلها مثل عدوّ يخشىٰ مضرّته من وجه وترجىٰ منفعته من وجه، ومع عداوته لايستغنى عن الاستعانة به، فحقّ العاقل أن يأخذ نفعه منه، ولايسكن إليه ولايعتمد عليه إلّا بقدر ماينتفع به، وما

---

(١) ثبطه تثبيطاً: قعد به عن الأمر وشغله عنه ومنعه تخذيلاً ونحوه. المصباح المنير: ص١١٠.

(٢) (ألف): تقيّاً.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٤.

وَمَلَكَةِ الحَمِيَّةِ.

أصدق في ذلك قول المتنبّي إذا تصوّر في وصف الشهوة:

ومن نكد الدنيا على الحرّ أن يرى عدوّاً له ما من صداقته بدّ(١)

وأيضاً فهذه الشهوة هي المشوّقة لعامة الناس إلى لذّات الجنّة من المأكل والمشرب والمنكح، إذ ليس كلّ الناس يعرف اللذات المعقولة، ولو توهّمناها مرتفعة لما تشوّقوا إلى ماوعدوا به من قول النبيّ صلّى الله عليه وآله: فيها مالاعين رأت ولاأُذن سمعت ولاخطر على قلب بشر(٢)*.

الملكة بفتحتين: اسم من ملكت الشيء ملكاً ـ من باب ضرب ـ.

يقال: هو ملكة بالكسر، وله عليه ملكة بفتحتين.

والحميّة بتشديد الياء المثناة من تحت: الأنفة، كأنّها فعيلة بمعنى مفعولة من الحماية، اسم أُقيم مقام المصدر كالسكينة بمعنى السكون، وهي ضربان:

حميّة محمودة: وهي المستعملة في صيانة كلّ مايلزم الإنسان صيانته من دين أو أهل أو بلد، وتسمّى الغيرة؛ ولذلك قيل: ليست الغيرة ذبّ الرجل عن امرأته، ولكن ذبّه عن كلّ مختصّ به. وهذه الحميّة من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال التي يتفاضل فيها أهل المجد والشرف.

وحميّة مذمومة: وهي المستعملة في الاستكبار عن الحقّ والتطاول على الخلق، وتسمّى العصبية وحميّة الجاهليّة. وهي من لوازم الغضب مع الفخر والعجب والكبر؛ لأنّها تنشأ من تصوّر الموذي مع الترفّع على فاعله واعتقاد الشرف عليه، وهو من طغيان النفس الأمارة ونفثات الشيطان فيها بأنّ التواضع للحقّ من

---

(١) ديوان ابو الطيب المتنبي: ص١٥٥. (٢) بحار الأنوار: ج٨ ص٩٢.

وَمُتابَعَةِ الهَوى.

العار، فيقدم صاحبها على مايوجب خروجه من الإيمان، وخلع ربقة العبوديّة من عنقه، نعوذ بالله من ذلك.

وفي الحديث عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: من كان في قلبه حبّة من خردل من عصبيّة بعثه الله تعالى يوم القيامة مع أعراب الجاهلية(١).

وعنه عليه السلام: من تعصّب عصبه الله بعصابة من نار(٢).

وعنه عليه السلام قال: إنّ الملائكة كانوا يحسبون أنّ إبليس منهم وكان في علم الله أنّه ليس منهم، فاستخرج مافي نفسه بالحميّة والغضب فقال: خلقتني من نار وخلقته من طين(٣).

وعن الزهري قال: سئل علي بن الحسين عليهما السلام عن العصبيّة. فقال: العصبيّة التي يأثم عليها صاحبها أن يرى شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين، وليس من العصبيّة أن يحبّ الرجل قومه، ولكن من العصبيّة أن يعين قومه على الظلم(٤).

والأخبار في ذمّ هذا النوع من الحميّة كثيرة *.

تابعه على كذا متابعة وتباعاً؛ وافقه عليه.

والهوى بالقصر: ميل النفس الأمّارة بالسوء إلى مقتضى طباعها من اللذات الدنيويّة إلى حدّ الخروج عن الحدود الشرعية، وهو أشدّ جاذب للإنسان عن قصد الحقّ واتّباع دليله، وأقوى صادّ عن الاهتداء بمناره وسلوك سبيله؛ ولذلك

(١) و(٢) الكافي: ج ٢ ص ٣٠٨ ح ٣ و٤ (باب العصبيّة). (٣) و(٤) الكافي: ج ٢ ص ٣٠٨ ح (٦) و(٧).

....

جعل سبحانه متابعته والانقياد إليه عبادة له، فقال: «أفرأيت من اتّخذ إلهه هواه»(١). كما جعل موافقة الشيطان عبادة له، فقال تعالى: «ألم أعهد إليكم يابني آدم أن لا تعبدوا الشيطان»(٢). وقد ورد في التحذير منه ومن اتباعه قاصمة الظهور، ولو لم يرد في ذلك إلّا قوله تعالى: «ولا تتّبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله»(٣) لكفى، وأمّا الأخبار فعنه صلّى الله عليه وآله: ثلاث مهلكات: شحّ مطاع، وهوى متّبع، وإعجاب المرء بنفسه(٤).

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام: أنّ أخوف ماأخاف عليكم إثنتان: اتّباع الهوى وطول الأمل. أمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ، وأمّا طول الأمل فينسي الآخرة(٥).

وعن أبي عبد الله عليه السلام: إحذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم، فليس شيء أعدى للرجال من اتّباع أهوائهم(٦).

وعنه عليه السلام: لا تدع النفس وهواها، فإنّ هواها في رداها وترك النفس وما تهوى داؤها، وكفّ النفس عمّا تهوى دواؤها(٧).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: يقول الله تعالى: وعزّتي وجلالي وكبريائي ونور عظمتي وعلوّي وارتفاع مكاني، لا يؤثر عبد هواه على هواي إلّا شتّت عليه أمره، ولبّست عليه دنياه، وشغلت قلبه بها،

---

(١) سورة الجاثية: الآية ٢٣. (٢) سورة يس: الآية ٦٠. (٣) سورة ص: الآية ٢٦.

(٤) المحاسن: ص٣ باب الثلاثة: فيه: تقديم وتأخير. (٥) الكافي: ج٢ ص٣٣٥ ح٣ (باب اتباع الهوى).

(٦) الكافي: ج٢ ص٣٣٥ ح١ (باب اتباع الهوى).

(٧) الكافي: ج٢ ص٣٣٦ ح٤ مع اختلاف يسير في العبارة.

....

ولم أُوْته منها إلّا ماقدّرت لـه، وعـزّتي وجـلالي وعظـمتي ونـوري وعـلوّي وارتـفاع مكـاني، لايؤثـر عبدهواي على هواه إلّا استحـفظتـه ملائكتي، وكفّلت السماوات والأرضـون رزقـه، وكنـت لـه مـن وراء تجـارة كـلّ تـاجـر وأتـتـه الـدنـيـا وهـي راغمة(١)(٢).

هداية

قوّة الفكر بين العقل والهوىٰ، والعقل فوقها والهوى تحتها، فمتى ارتفعت الفكرة ومالـت نحو العقل صارت رفيعة فـولدت المحاسن، وإذا اتّضعت ومالت نحو الهوى صـارت وضـيعة فولدت المـقـابح، ومن شأن الـعـقـل أن يـرىٰ ويختار أبداً الأفضل والأصلح في العواقب، وإن كان على النفس في المبدأ منه مؤنة ومشقة. والهــوىٰ على الضدّ من ذلك؛ فإنّه يؤثر مايدفع به الموذي في الوقت وإن كان يعقب مضرّة، من غير نظر منه في العواقب، كالصبي الرمد الذي يؤثر أكل الحـلاوت واللعب في الشمس على أكل الهليلج والحجامة، ولهذا قال عليه السلام: حفّت الجنّة بالمكاره وحفّت الـنار بالشـهوات(٣) وأيضاً فالعقل يرى صاحبه ماله وعليه، والهوىٰ يريه ماله دون ماعليه ويعمي عليه(٤) مايعقبه من المكروه، ولهذا قـال عـلـيـه السلام: «حبّك الشيء يـعمي ويصمّ»(٥). فعلىٰ الـعاقـل أن يتّهم رأيه أبداً في الأشياء

(١) الرغم: الكره. القاموس المحيط: ج٤ ص١٢١.

(٢) الكافي: ج٢ ص٣٣٥ ح٢ فيه: تقديم وتأخير.

(٣) الجامع الصغير: ج١ ص١٤٨.

(٤) (الف): ويغمي.

(٥) الجامع الصغير: ج١ ص١٤٦ والمحجة البيضاء: ج٥ ص٥٨.

....

التي هي له لاعليه، ويظنّ أنّه هوىٰ لاعقل، ويلزمه أن يستقصي النظر فيه قبل إمضاء العزيمة حتّى قيل: إذا عرض لك أمران فلم تدر أيّهما أصوب فعليك بما تكرهه لابما تهواه، فأكثر الخير في الكراهة، قال تعالى: «عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم»(١). وقال الله تعالى: «فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً»(٢). ولهذا قال الأحنف بن قيس(٣): كفى بالرجل رأياً إذ إجتمع عليه أمران، فلم يدر أيها الصواب، أن ينظر أعجبها إليه وأغلبها عليه فيحذره(٤).

تذنيب

للإنسان مع هواه ثلاث أحوال:

الأُولى: أن يغلبه الهوىٰ فيستعبده، كما قال تعالى: «أرأيت من اتّخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً»(٥).

والثانية: أن يغالبه فيقهر مرّة ويقهر مرّة، وإيّاه قصد بمدح المجاهدين وعناه صلّى الله عليه وآله بقوله وقد سئل: أيّ الجهاد أفضل؟ فقال: جهاد هواك(٦).

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢١٦.

(٢) سورة النساء: الآية ١٩.

(٣) هو أبو فخر الضحّاك بن قيس التيمي. لقّب بالأحنف لأنّه كان يمشي على ظاهر رجله، وهو من كبار التابعين و يضرب المثل بحلمه، شهد مع علي عليه السلام وقعة صفّين، وله مع معاوية معاتبات توفّي سنة ٦٧ هجرية. راجع الوفيات ج٢ ص١٨٦ برقم ٢٨٢ ومجمع الامثال ج١ ص٢٢٩ في: أحلم من الاحنف.

(٤) آداب النفس: ج١ ص١٩.

(٥) سورة الفرقان: الآية ٤٣.

(٦) الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص٣١.

وَمُخالَفةِ الهُدىٰ.

وقال عليه السلام: جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم(١).

والثالثة: أن يغلب هواه كالأنبياء والأوصياء وكثير من صفوة الأولياء. وهذا المعنىٰ قصد النبيّ صلّى الله عليه وآله بقوله: مامن أحد إلّا وله شيطان، فقيل: يارسول الله ولاأنت؟فقال: ولاأنا، إلّا أنّ الله تعالى قد أعانني على شيطاني حتّى ملكته(٢) فإنّ الشيطان يتسلّط على الإنسان بحسب وجود الهوى، والله أعلم *.

هو مصدر من هداه، كالسرىٰ والبكى، وقد أسلفنا الكلام على الهداية ومراتبها في الروضة الخامسة(٣). ثم المراد بالهدى هنا: الهدى العامّ الذي هو تعريف طرق الخير والشرّ، ومخالفته هو الضلال، وهو إمّا لغفلة كإيثار اللذات الحسّية على الروحانيّة إيثار الصبيّ اللعب على السلطنة، أو لغرور سكون النفس إلى ماتهواه لشبهة، ككون النقد خيراً من النسية والدنيا نقد، وهو غلط، فإنّ العشرة النسية خير من الواحد النقد عند التيقّن، والآخرة يقين عند البصراء من الأنبياء والأولياء والعلماء وعلى القاصرين تقليدهم، كما أنّ على المريض تقليد الطبيب، أو لغلبة هوىً عليه لضيق صدره عن الخير وشرحه للشرّ، فإن استمرّ عليه أورثه ريناً(٤)، ثم غشاوة، ثم طبعاً، ثم ختماً، ثم قفلاً، ثم موت القلب فلا تنفعه الآيات والنذر، كما قال تعالى: «إنّما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله»(٥). نعوذ بالله من ذلك *.

---

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة:ص٣٢. (٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة:ص٣٤.

(٣) ص١٥٦.

(٤) رين بالرجل ريناً: إذا وقع فيما لايستطيع الخرج منه. النهاية لابن الأثير: ج٢ ص٢٩١.

(٥) سورة الانعام: الآية ٣٦.

وَسِنَةِ الغَفلَةِ.

السنة: مايتقدّم النوم من الفتور. والغفلة: غيبة الشيء عن بال الإنسان وعدم تذكّره له، وقد استعمل فيمن تركه إهمالاً وإعراضاً، كما في قوله تعالى: «وهم في غفلة معرضون»(١). وقد تقدّم الكلام على الفرق بينها وبين السهو في الروضة الثالثة(٢). وفي الكلام استعارة، إمّا مطلقة بأن شبّه تبلّد(٣) الفكر الناشئ عن الغفلة بالفتور الذي يتقدّم النوم، أو مكنيّة تخييليّة بأن شبّه الغفلة بالنوم وطوى ذكر المشبّه به ودلّ عليه بلازمه وهو السِنة؛ إذ كثيراً مايقال للغافل: هو نائم، وللذاكر: هو مستيقظ. وفي التعبير بالسنة إيذان بأنّ القليل من الغفلة ممّا ينبغي الاستعاذة منه. والمراد بالغفلة: الغفلة عن كلّ مايقرّب إلى الله تعالى يوجب الوصول إليه سبحانه.

وقيل: الغفلة متابعة النفس على ماتشتهيه.

وقال سهل(٤): الغفلة إبطال الوقت بالبطالة.

وقيل: هي صفة للقلب توجب ترك الحقّ، وعدم ذكر الموت وما بعده، والميل إلى الباطل وحبّ الدنيا، وقد نهى الله تعالى رسوله أن يكون من الغافلين، حيث قال: «واذكر ربّك في نفسك تضرّعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدوّ والآصال ولا تكن من الغافلين»(٥).

---

(١) سورة الانبياء: الآية ١.

(٢) ص ٣٧.

(٣) هو من البلادة بمعنى ضد الذكاوة والفطانة فهو بليد: أي غير ذكي ولا فطن. المصباح المنير ص٨٤.

(٤) لم نعثر عليه.

(٥) سورة الاعراف: الآية ٢٠٥.

وَتَعاطي الكُلْفَةِ.

قيل: فيه إشارة إلى أنّه يجب على الإنسان أن يستحضر دائماً جلال الله سبحانه وعظيم كبريائه بحسب الطاقة البشريّة؛ ليتنوّر جوهر نفسه ويستعدّ لقبول الإشراقات القدسيّة، فيضاهي سكّان حظائر الجبروت الذين مدحهم الله بقوله بعد هذه الآية: «إنّ الذين عند ربّك لايستكبرون عن عبادته ويسبّحونه وله يسجدون»(١).

وفي أجوبة الحسن بن علي عليهما السلام حين سأله أبوه عن أشياء من المروة، فقال له: ما الغفلة؟ قال: تركك المسجد وطاعتك المفسد(٢).

ومن سوانح شيخنا البهائي قدّس سرّه: غفلة القلب عن الحقّ من أعظم العيوب وأكبر الذنوب، ولو كانت أناً من الآنات أو لمحة من اللمحات، حتّى أنّ أهل القلوب عدّوا الغفل في أنّ الغفلة من الكفّار(٣)*.

تعاطى الشيء: إذا أقدم عليه وفعله.

وفي القاموس: التعاطي: التناول، وتناول ما لايحقّ، والتنازع في الأخذ، والقيام على أطراف أصابع الرجلين مع رفع اليدين إلى الشيء، ومنه فتعاطى فعقر، وركوب الأمر(٤).

والكلفة بالضمّ: ماتكلّفته من نائبة أو حقّ.

وفي الأساس: ليس عليه كلفة في هذا، أي: مشقّة(٥).

---

(١) سورة الاعراف: الآية ٢٠٦. (٢) نهج السعادة: ج١ ص٥٥١.

(٣) سوانح للشيخ البهائي: كتاب فارسي وجميعه أشعار. فترجم المؤلف قدّس سرّه الأشعار بهذه العبارات.

(٤) القاموس المحيط: ج٤ ص٣٦٤.

(٥) أساس البلاغة: ص٥٥٠.

....

وفي المصباح: الكلفة: ماتكلفت على المشقّة، والكلفة: المشقّة أيضاً(١).

والمراد بتعاطي الكلفة: ارتكاب الأُمور الشاقّة التي تورث النفس كلالاً وملالاً، فإنّه منهيّ عن الإقدام عليها حتّى في الأُمور الدينيّة فضلاً عن الدنيويّة، كما ورد عن أبي عبدالله عليه السلام: لا تكرهوا إلى أنفسكم العبادة(٢).

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ياعليّ إنّ هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، ولا تبغّض إلى نفسك عبادة ربّك، فإنّ المنبت - يعني المفرط - لاظهراً أبقى ولاأرضاً قطع، فاعمل عمل من يرجو أن يموت هرماً، واحذر حذر من يتخوّف أن يموت غداً(٣).

وفي وصية أميرالمؤمنين عليه السلام للحارث الهمداني:

وخادع نفسك في العبادة، وارفق بها ولا تقهرها، وخذ عفوها ونشاطها، إلّا ماكان مكتوباً عليك من الفريضة، فإنّه لابدّ من قضائها وتعاهدها عند محلّها(٤).

فإذا كان تعاطي الكلفة في الأُمور الدينيّة محذوراً فكيف به في الأُمور الدنيويّة التي يجب الاكتفاء منها بما دون الكفاية؟ والله المستعان.

ويحتمل أن يكون المراد بتعاطي الكلفة: التكلّف، وهو تعرّض الإنسان لما لايعنيه.

---

(١) المصباح المنير: ص٧٣٨ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٢) الكافي: ج٢ ص٨٦ ح٢ (باب الاقتصاد في العبادة).

(٣) الكافي: ج٢ ص٨٧ ح٦ (باب الاقتصاد في العبادة).

(٤) شرح نهج البلاغة للبحراني: ج٥ ص٢٢٠ و٢٢١.

وَ إيثارِ الباطِلِ عَلىٰ الحَقّ. وَالإِصْرارِ عَلىٰ المَآثِمِ.

وعن الحسن بن علي عليهما السلام: الكلفة كلامك فيما لايعنيك(١).

وقيل: هي انتحاله ماليس عنده، كما قال تعالى: «قل ماأسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلّفين»(٢).

ويحتمل أن يراد به: أن يتكلّف لأحد أو يكلّف أحداً.

كما ورد عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: المؤمن لايحتشم من أخيه، ولايدري أيّهما أعجب الذي يكلّف أخاه إذا دخل أن يتكلّف له أو يتكلّف لأخيه(٣).

وعنه عليه السلام: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: من تكرمة الرجل لأخيه أن يقبل تحفته ويتحفه بما عنده ولايتكلّف له شيئاً، وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنّي لاأُحبّ المتكلّفين(٤)*.

آثر الشيء بالمدّ إيثاراً: اختاره وفضّله وقدّمه.

والمراد بالباطل: الالتفات إلى غير الله سبحانه ممّا لايجدي نفعاً في الآخرة.

وبالحقّ: لزوم الطاعة لله عزّوجلّ بامتثال أوامره والإقبال عليه بلزوم الأعمال الصالحة المطابقة للعقائد الصحيحة.

وبالجملة: اعتقاد المكلّف وعمله إمّا أن يطابق أوامر الله تعالى أولا، والأوّل هو الحقّ، والثاني هو الباطل*.

الإصرار: أصله من الصرّ وهو الشدّ والربط، ومنه سمّيت الصرّة، ثمّ أُطلق على لزوم الشيء ومداومته.

---

(١) تحف العقول: ص١٦٣.

(٢) سورة ص: الآية٨٦.

(٣) الكافي: ج٦ ص٢٧٦ ح٢ (باب انس الرجل في منزل اخيه).

(٤) الكافي: ج٦ ص٢٧٥ ح١ (باب انس الرجل في منزل اخيه).

....

يقال: أصرّ عليه إذا لزمه وداومه كأنّه ارتبط بلزومه، ثمّ استعمل في عرف الشرع في الإقامة على الذنب من دون استغفار، كذا قيل.

وقد قسّم شيخنا الشهيد قدّس الله روحه في قواعده الإصرار إلى: فعلي وحكمي. وقال: الفعلي: هو الدوام على نوع واحد من الصغائر بلا توبة، أو الإكثار من جنس الصغائر بلا توبة. والحكمي: هو العزم على تلك الصغيرة بعد الفراغ منها، أمّا لو فعل الصغيرة ولم يخطر بباله بعدها توبة ولاعزم على فعلها فالظاهر أنّه غير مصرّ(١) إنتهى كلامه.

قال شيخنا البهائي قدّس سرّه في الأربعين: ولايخفى أنّ تخصيصه الإصرار الحكمي بالعزم على تلك الصغيرة بعد الفراغ منها، يعطي أنّه لو كان عازماً على صغيرة أُخرىٰ بعد الفراغ ممّا هو فيه لايكون مصرّاً أيضاً، والظاهر أنّه مصرّ أيضاً، وتقييده ببعد الفراغ منها يقتضي بظاهره أنّ من كان عازماً مدّة سنة على لبس الحرير مثلاً، لكنّه لم يلبسه أصلاً لعدم تمكّنه، لايكون في تلك المدّة مصرّاً، وهو محلّ نظر(٢) إنتهى.

وقال بعض العامّة: الإصرار: هو إدامة الفعل، والعزم على إدامته إدامة يصحّ معها إطلاق وصف العزم عليه.

وقال بعضهم: حدّ الإصرار أن تتكرّر الصغيرة بحيث يشعر بقلّة مبالاته بذنبه كإشعار الكبيرة، وكذا إذا اجتمع صغائر مختلفة الأنواع بحيث يشعر مجموعها بما يشعر به أصغر الكبائر.

---

(١) القواعد والفوائد للشهيد: ج١ ص٢٢٧.

(٢) كتاب الاربعين للشيخ البهائي: ص١٣٣ و١٣٤.

واسْتِصغارِ المَعصِيَةِ.

والمأثم: مصدر ميمي بمعنى الإثم، والمراد به مايأثم به المرء وضعاً للمصدر موضع الاسم.

وروى ثقة الإسلام في الكافي بسند ضعيف عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: «ولم يصرّوا على مافعلوا وهم يعلمون» قال: الإصرار أن يذنب الذنب فلا يستغفر الله ولايحدّث نفسه بتوبة فذلك الإصرار(١).

وقيل: هو يدلّ على أنّ الإصرار يتحقّق بالذنب مع عدم الاستغفار والتوبة، سواء أذنب ذنباً آخر من نوع ذلك الذنب او من غير نوعه، أو عزم على ذنب آخر أم لا. أمّا تحقّقه في غير الأخير فظاهر، وأمّا في الأخير فلأنّ التوبة واجبة في كلّ آنٍ، فتركها ذنب منضاف إلى الذنب الأوّل فيتحقّق الإصرار.

وعن أبي عبدالله عليه السلام: لاصغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار(٢).

وعن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: لاوالله لايقبل الله شيئاً من طاعته على الإصرار على شيء من معاصيه(٣)*.

استصغره: عدّه صغيراً.

والمعصية: مخالفة الأمر قصداً، وإنّما استعاذ عليه السلام من استصغاره لاستلزامه عدم الخوف من ارتكابها، والواجب استشعار الخوف منه وإن كانت المعصية صغيرة في نفسها؛ لأنّها عظيمة في مخالفة الربّ العظيم تبارك وتعالى.

وقال الباقر عليه السلام لمحمّد بن مسلم: يامحمّد لا تستصغرنّ سيّئة تعمل بها،

---

(١) الكافي: ج٢ ص٢٨٨ ح٢ (باب الاصرار على الذنب).

(٢) و(٣) الكافي: ج٢ ص٢٨٨ ح١ وح٣ (باب الاصرار على الذنب).

وَ اسْتِكْبارِ الطّاعَةِ.

فإنّك تراها حيث تسؤك (١).

وقال بعض العارفين: متى عظمت المعصية في قلب العاصي صغرت عند الله تعالى، ومتى صغرت في قلبه عظمت عنده تعالى.

أي: استعظامها لاعتقاد خروجه عن التقصير فيها، وهو ممّا يجب الاستعاذة منه لاستلزامه العجب والإدلال(٢)، نعوذ بالله من ذلك، بل الواجب على الإنسان أن يعدّ طاعته ناقصة ويعتقد تقصير نفسه فيها، فإنّ طاعة جميع الخلق في جنب عظمته تعالى حقيرة نزرة. و قد اعترف خاتم الأنبياء وسيّد الأوصياء بالتقصير، ومن الظاهر المعلوم أنّ ما من أحد ـ وإن اشتدّ في طلب رضا الله تعالى حرصه وطال في العمل اجتهاده ـ ببالغٍ ما الله سبحانه أهله من الطاعة له، وكمال الإخلاص، ودوام الذكر، وتوجّه القلب إليه، وأداء حقّ شكر نعمه؛ إذ هو بكلّ نعمة يستحقّ الطاعة والشكر ونعمه غير محصورة، كما قال: «وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها»(٣) فإذا قوبلت الطاعة بالنعمة بقي أكثر نعمه غير مشكور لا مقابل له من الطاعة، فكيف تستكبر طاعة في جنب عظمته وإحسانه واستحقاقه لما هو أهله، وقد قال سبحانه: «وما قدروا الله حقّ قدره»(٤)؟

وروى ثقة الإسلام في الكافي عن سعد بن أبي خلف عن أبي الحسن موسى عليه السلام، قال: قال لبعض ولده: يابنيّ عليك بالجدّ لا تخرجنّ نفسك عن حدّ

(١) بحار الأنوار ج٧٣ ص٣٥٦ ح٦٥ وفيه حيث تسوؤك .

(٢) فلان يدلّ عليك بصحبته إدلالاً ودلالاً ودالّة: أي يجترئ عليك كما تدلّ الشابة على الشيخ الكبير بجمالها. لسان العرب ج١١ ص٢٤٨.

(٣) سورة ابراهيم: الآية ٣٤.

(٤) سورة الانعام: الآية ٩١.

وَمُباهاة المُكثِرينَ.

التقصير في عبادة الله وطاعته، فإن الله تعالى لايعبد حقّ عبادته(١).

وعن أبي عبدالله: كلّ عمل تريد به الله تعالى فكن فيه مقصّراً عند نفسك، فإنّ الناس كلّهم في أعمالهم فيما بينهم وبين الله مقصّرون إلّا من عصمه الله تعالى(٢).

وسئل العبّاس بن عطاء أيّ الأعمال أفضل؟ فقال: ملاحظة الحقّ على دوام الأوقات(٣)، فقيل: أيّ الآداب أكمل؟ قال: استشعار التقصير في عامّة الأعمال.

ويحتمل أن يراد باستكبار الطاعة استثقالها، كما قال تعالى: «وإنّها لكبيرة إلّا على الخاشعين»(٤). ولكنّ مقابلة استصغار المعصية ترجّح المعنى الأوّل، والله أعلم *.

المباهاة: مفاعلة من البهاء وهو الحسن.

يقال: باهيته فبهوته، أي: غلبته في الحسن، ثمّ استعمل في مطلق المفاخرة.

والمكثِر: اسم فاعل من أكثر الرجل بالألف إذا كثر ماله.

قال بعض العلماء: المباهاة بالأشياء الخارجة عن الإنسان نهاية الحمق لمن نظر بعين عقله وانحسر عنه قناع جهله، فأعراض الدنيا عارية مستردّة لايؤمن في كلّ ساعة أن يسترجع، والمباهي بها مباهٍ بما لايبقى له بل متبجّح بما ليس له.

قال بعض الحكماء لمثْرٍ يفتخر بثراه: إن افتخرت بفرسك فالحسن والفراهة له

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٧٢ ح ١ (باب الاعتراف بالتقصير).

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٧٣ ح ٤ مع اختلاف يسير في العبارة.

(٣) احياء علوم الدين: ج ٤ ص ٣٩٧. (٤) سورة البقرة: الآية ٤٥.

وَالإِزْرَاءِ بِالمُقِلِّينَ.

دونك، وإن افتخرت بثيابك وآلاتك فالجمال لها دونك، وإن افتخرت بآبائك فالفضل فيهم لافيك، ولو تكلّمت هذه الأشياء لقالت هذه محاسننا فمالك من الحسن، وإنّما المباهاة والمفاخرة بالأعمال الصالحة، وأيضاً فالأعراض الدنيويّة سحابة صيف عن قليل تقشع وظلّ زائل عن قريب يضمحلّ، بل هي كما قال الله تعالى: «إعلموا انّما الحيوٰة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفّار نباته ثمّ يهيج فتراه مصفرّاً ثمّ يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد»(١) *.

أزرى بالشيء إزراء: تهاون به.

وفي الأساس: أزريت به: قصّرت به وحقّرته(٢).

والمقلّ: من أقل الرجل بالألف صار الى القلّة بالكسر وهي الفقر، فالهمزة للصيرورة. والإزراء بهم إمّا بقولٍ يكرهونه، أو بالاستهزاء بهم، أو بفعلٍ يستلزم إهانتهم، أو بترك قولٍ أو ترك فعلٍ يستلزمها وأمثال ذلك، وهو قبيح عقلاً ونقلاً. أمّا قبحه عقلاً فلدلالة العقل على أنّ الشرف لايحصل للإنسان بأن يكون كثير الحطام، ولاالدناءة بأن يكون قليله، وأنّه لا يوجب إزراء بمن حرمه، واستخفافاً لمن لم يعطه، بل المواساة له والبرّ به. وأمّا النقل الوارد في ذمّه فكثير، فمن ذلك:

مارواه ثقة الإسلام في الكافي بسند حسن أو صحيح عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: من استذلّ مؤمناً واحتقره لقلّة ذات يده ولفقره شهّره الله يوم

(١) سورة الحديد: الآية ٢٠.

(٢) اساس البلاغة: ص٢٧٠.

وَسُوءِ الوِلايَةِ لِمَنْ تَحتَ أَيْدِينا.

القيامة على رؤوس الخلائق(١).

وعن ابن عبّاس عن النبيّ صلّى الله عليه وآله: من أهان فقيراً مسلماً من أجل فقره واستخفّ به فقد استخفّ بحقّ الله، ولم يزل في مقت الله عزّوجلّ حتّى يرضيه(٢)*.

أي: تحت قدرتنا وسلطاننا وملكنا، فتدخل فيه الرعيّة بالسلطان، والرعيّة بالعلم، والرعيّة بالعول، فتدخل الزوجة والمملوك والولد. وسوء الولاية لكلّ هؤلاء عبارة عن عدم القيام بحقوقهم التي قرّرها الشارع لهم.

فقد روي عن سيّد العابدين -وهو صاحب الدعاء صلوات الله عليه- في بيان الحقوق: «أنّ حقّ رعيّتك بالسلطان أن تعلم أنّهم صاروا رعيّتك لضعفهم وقوّتك، فيجب أن تعدل فيهم، وتكون لهم كالوالد الرحيم، وتغفر لهم جهلهم، ولا تعاجلهم بالعقوبة، وتشكر الله عزّوجلّ على ماآتاك من القوّة عليهم. وأمّا حقّ رعيّتك بالعلم فان تعلم أنّ الله عزّوجلّ إنّما جعلك قيّماً لهم فيما آتاك من العلم وفتح لك من خزائنه، فإن أحسنت في تعليم الناس ولم تخرق بهم ولم تضجر عليهم زادك الله من فضله، وإن أنت منعت الناس علمك أو خرقت بهم عند طلبهم العلم منك، كان حقّاً على الله أن يسلبك العلم وبهاءه ويسقط من القلوب محلّك. وأمّا حقّ الزوجة فأن تعلم أنّ الله عزّوجلّ جعلها لك سكناً وأُنساً، فتعلم أنّ ذلك نعمة من الله عليك فتكرمها وترفق بها وإن كان حقّك عليها أوجب، فإنّ لها عليك أن ترحمها لأنّها أسيرك وتطعمها وتكسوها، وإذا جهلت عفوت عنها. وأمّا

(١) الكافي: ج٢ ص٣٥٣ ح٩. (٢) وسائل الشيعة: ج٨ ص٥٩٠ ح١٠.

وَتَرْكِ الشُّكْرِ لِمَنِ إصْطَنَعَ العارِفَةَ عِنْدَنا.

حقّ مملوكك فأن تعلم أنّه خلق ربّك وابن أبيك وأُمّك ولحمك ودمك، لم تملكه لأنّك صنعته دون الله عزّوجلّ ولاخلقت شيئاً من جوارحه ولاأخرجت له رزقاً، ولكنّ الله عزّوجلّ كفاك ذلك ثمّ سخّره لك وائتمنك عليه واستودعك إيّاه؛ ليحفظ لك ماتأتيه من خير إليه، فأحسن إليه كما أحسن الله إليك، وإن كرهته استبدلت ولم تعذب خلق الله عزّوجلّ. وأمّا حقّ ولدك فأن تعلم انّه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشرّه، وأنّك مسؤول عمّا ولّيته به من حسن الأدب والدلالة على ربّه عزّوجلّ والمعونة له على طاعته، فاعمل في أمره عمل من يعلم أنّه مثاب على الإحسان إليه معاقب على الإساءة إليه»(١).

والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة، فمن ضيع الإنسان شيئاً من هذه الحقوق فقد أساء الولاية، والله المستعان *.

العارفة: المعروف، وهو اسم ماتبذله له وتعطيه. وقد أسلفنا الكلام على معنى الشكر غير مرّة، وهو باعتبار الشاكر والمشكور ثلاثة أضرب:

شكر الإنسان لمن فوقه وهو بالخدمة والثناء والدعاء.

وشكره لنظيره وهو بالمكافاة.

وشكره لمن هو دونه وهو بالثواب، وقد وصف الله تعالى نفسه بالشكر لصالحي عباده، وقد علمت أنّ شكر المنعم واجب بالعقل كما هو واجب بالشرع، وأوجبه شكر الباري جلّ ثناؤه، ثمّ شكر من جعله عزّوجلّ سبباً لوصول خير إليك على يده، وقد وردت بالحثّ عليه والنهي عن تركه أخبار كثيرة، منها:

(١) مكارم الأخلاق: ص ٤٢٠.

....

ماروواه ثقة الإسلام في الكافي بسنده إلى عمّار الذهبي، قال: سمعت عليّ بن الحسين عليهما السلام يقول: إنّ الله يحب كلّ قلب حزين ويحبّ كلّ عبد شكور، يقول الله تبارك وتعالى لعبد من عبيده يوم القيامة: أشكرت فلاناً؟ فيقول: بل شكرتك ياربّ، فيقول: لم تشكرني إذا لم تشكره؟ ثمّ قال: أشكركم لله أشكركم للناس(١).

وبسنده إلى الصادق عليه السلام، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: من أُتي إليه معروف فليكاف به، فإن عجز فليثن عليه، فإن لم يفعل فقد كفر النعمة(٢).

وعنه عليه السلام أنّه قال: لعن الله قاطعي سبل المعروف، قيل: وما قاطعوا سبل المعروف؟ قال: الرجل يصنع إليه المعروف فيكفره، فيمتنع صاحبه من أن يصنع ذلك إلى غيره(٣).

وعنه عليه السلام: ماأقلّ من شكر المعروف(٤).

تنبيه

لاينافي الدعاء وهذه الأخبار. ماروي من قول أميرالمؤمنين عليه السلام:

(١) الكافي: ج٢ ص٩٩ ح٣٠ (باب الشكر).

(٢) الكافي: ج٤ ص٣٣ ح٣ (باب من كفر المعروف).

(٣) الكافي: ج٤ ص٣٣ ح١ (باب من كفر المعروف).

(٤) الكافي: ج٤ ص٣٣ ح٢ (باب من كفر المعروف).

أوْ أن نَعضُدَ ظالِماً.

لايحمد حامد إلّا ربّه(١). حيث قصر الحمد والثناء على الله؛ لأنّ المراد: أنّه مبدئ كلّ نعمة يستحقّ بها الحمد وأنّ كلّ حمد يرجع إليه في الحقيقة، كما صرّح به جماعة من المحقّقين.

وقد يجاب بأنّ الغير يتحمّل المشقّة بحمل رزق الله إليك؛ فالنهي عن الحمد لغير الله على أصل الرزق لأنّ الرازق هو الله، والترغيب في الحمد له على ماتكلّف من حمل الرزق وكلفة إيصاله بإذن الله تعالى ليعطيه أجر مشقّة الحمل والإيصال.

وبالجملة: هنالك شكران: شكر على الرزق وهو لله، وشكر على الحمل وهو للغير. ويؤيّده ماروي من طرق العامّة: ولاتحمدنّ أحداً على رزق الله(٢)

وقيل: النهي مختصّ بالخواصّ من أهل اليقين الذين شاهدوه رازقاً وشغلوا عن رؤية الوسائط، فنهاهم عن الإقبال عليها؛ لأنّه تعالى يتولّى جزاء الوسائط عنهم بنفسه، والإمر بالشكر مختصّ بغيرهم ممّن لاحظ الأسباب والوسائط كالأكثر؛ لأنّ فيه قضاء حقّ السبب أيضاً(٣).

وليس بشيء لاستعاذة سيّد العابدين عليه السلام -وهو من أخصّ الخواصّ- من ترك الشكر للواسطة؛ ولأنّ الله سبحانه شكر عباده الصالحين مع كمال غنائه عنهم، والله تعالى أعلم *.

أو: هنا لمطلق الجمع كالواو عند من أثبت لها هذا المعنى، والحقّ أنّها لأحد الشيئين أو الأشياء والجمع إنّما استفيد من قرينة الكلام؛ إذ لايجوز أن يراد أنّي أعوذ بك من واحد من هذه الأشياء فقط، فهي كقوله تعالى: «ولا تطع منهم

---

(١) نهج البلاغة: ص٥٨ خطبة١٦. (٢)و(٣) بحار الأنوار: ج٧١ ص٣٩.

....

آثماً أو كفوراً»(١)؛ إذ لا يجوز أن يراد: لا تطع واحداً منهما وأطع الآخر؛ لقرينة الإثم والكفر.

وعضدت الرجل عضداً ـ من باب قتل ـ: أعنته فصرت له عضداً، أي: معيناً وناصراً.

والظلم: وضع الشيء في غير موضعه المختصّ به، وفي المثل من استرعى الذئب فقد ظلم. فالمشرك ظالم؛ لأنّه جعل غير الله تعالى شريكاً له، ووضع العبادة في غير موضعها. والعاصي ظالم؛ لأنّه وضع المعصية موضع الطاعة.

والمتصرّف في حقّ الغير ظالم؛ لأنّه وضع التصرّف في غير محلّه وإعانة الظالم من الموبقات، بل أدنى الميل إلى من وجد منه ظلمٌ مّا حرامٌ موجبٌ لدخول النار؛ لقوله تعالى: «ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسّكم النار»(٢).

قال في الكشاف: النهي متناول للانحطاط في هواهم، والانقطاع إليهم، ومصاحبتهم، ومجالستهم، وزيارتهم، ومداهنتهم، والرضا بأعمالهم، والتشبّه بهم، والتزيّي بزيّهم، ومدّ العين إلى زهرتهم، وذكرهم بما فيه تعظيم لهم(٣).

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلاثتهم(٤).

* * *

---

(١) سورة الانسان: الآية ٢٤.

(٢) سورة هود: الآية ١١٣.

(٣) تفسير الكشاف: ج٢ ص٤٣٣.

(٤) الكافي: ج٢ ص٣٣٣ ح١٦ (باب الظلم).

....

تبصرة

المستفـاد من أحاديـث أهل البـيت عليهـم السلام أنّ إعانـة الظالم حرام ولـو كانت بما هو مباح في نفسه، كما رواه الشيخ في الحسن عن ابن أبي يعفور، قـال: كنت عند أبي عبـدالله عـليه السلام إذ دخل علـيـه رجل من أصحابه، فقـال له: أصلحك الله إنّه ربّما أصاب الرجـل منّا الضيق أو الشدّة، فيدعى إلى البناء يبنيه أو النهر يكريه أو المسنـاة يصلحها، فما تـقـول في ذلـك؟ فقال أبو عبـدالله عـلـيه السلام: ما أُحبّ أن عقـدت لهـم عـقـدة أو وكـيـت لهم وكـاء (١) وأنّ لي ما بين لابتيها، لا ولا مدّة بـقلـم، إنّ أعوان الظلمة يوم القـيامـة في سرادق مـن نار حتّى يحكم الله بين العباد(٢).

وفي الصحيح عن يونس بن يعقـوب، قال: قال لي أبـو عبدالله عـليه السلام: لا تعنهم على بناء مسجد(٣).

وروى ابن بابويه عن الحسن بن زيد عن الصادق عليه السلام عن آبائـه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ألا ومن علّق سوطـاً بين يـدي سلطـان جائر، جعل الله ذلك السوط يوم القيامة ثعباناً من نار طوله سبعون ذراعاً، يسلّطه الله عليه في نار جهنّم وبئس المصير(٤).

---

(١) الوكاء: الخيط الذي تشدّ به الصرّة والكيس وغيرهما. النهاية لابن الأثير: ج٥ ص٢٢٢.

(٢) الكافي: ج٥ ص١٠٧ ح٧.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٢ ص١٢٩ ح٨.

(٤) بحار الأنوار: ج٧٥ ص٣٦٩ ح٣.

....

وأمثال هذه الأخبار كثيرة، وهي كما ترى عامّة في الإعانة بالمحرّم والمباح بل المندوب.

وروي أيضاً عن السكوني عن أبي عبدالله عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الظلمة وأعوانهم ومن لاق لهم دواة أو ربط لهم كيساً أو مدّلهم مدّة قلم فاحشروهم معهم(١).

قال شيخنا البهائي قدّس سرّه ـ بعد نقله أكثر الأحاديث المذكورة تأييداً لعموم الإعانة ـ: وربّما يستأنس له بقوله تعالى: «ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسّكم النار»(٢). ويظهر من كلام بعض فقهائنا في مبحث المكاسب: أنّ معونة الظالمين إنّما تحرم إذا كانت بما هو محرّم في نفسه، وأمّا إعانتهم على تحصيل أموالهم وخياطة ثيابهم وبناء منازلهم مثلاً فليس بمحرّم. وهذا التفصيل إن كان قد انعقد عليه الإجماع فلا كلام فيه، وإلّا فللنظر فيه مجال؛ فإنّ النصوص على ماقلناه متظافرة، وأيضاً فعلى هذا لامعنى حينئذٍ لتخصيص الإعانة بالظالمين؛ فإنّ إعانة كلّ أحدٍ بمحرّم محرّمة، بل فعل المحرّم في نفسه حرام سواء كانت إعانة أو غير إعانة. وقد يوجّه التخصيص بأن إعانة الظالمين بالمحرّم أشدّ تحريماً من إعانة غيرهم، فالاهتمام هنا ببيانها أشدّ فصرّح بها، وإن كان السكوت عنها يستلزم دخولها بالطريق الأولى، قال: والعجب من العلّامة في التذكرة حيث خصّ تحريم إعانتهم بما يحرم، ثمّ استدل على ذلك بالروايات السالفة، وهي كما عرفت

---

(١) بحارالأنوار: ج ٧٥ ص ٣٨٠.

(٢) سورة هود: الآية ١١٣.

أوْ نَخْذُلَ مَلْهُوفاً. أوْ نَرومَ ماليسَ لَنا بِحَقٍّ.

صريحة في خلاف ماادّعاه، فتأمّل(١) هذا.

والظاهر أنّ مرجع الإعانة إلى العرف، فما سمّي إعانة عرفاً حرم.

وأمّا ماينقل عن بعض الأكابر أنّ خيّاطاً قال له: إنّي أخيط للسلطان ثيابه فهل تراني داخل بهذا في أعوان الظلمة؟ فقال: الداخل في أعوان الظلمة من يبيعك الإبر والخيوط، وأمّا أنت فمن الظلمة أنفسهم.

فالظاهر أنّه محمول على نهاية المبالغة في الاحتراز عنهم والاجتناب عن تعاطي أُمورهم، وإلّا فالأمر مشكل جدّاً. نسأل الله العصمة والتوفيق *.

خذله ـ من باب قتل ـ: ترك نصره وإعانته، والاسم الخذلان بالكسر.

والملهوف: المظلوم، المضطرّ.

روى رئيس المحدّثين بسنده عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: مامن مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلّا خذله الله في الدنيا والآخرة(٢).

وروى شيخ الطائفة بسنده عن الباقر عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: من سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم (٣)*.

رمت الشيء أرومه روماً ومراماً: طلبته.

والحقّ: الواجب الثابت الذي يطالب به صاحبه من عليه.

وروم الإنسان ماليس له بحقّ هو الادّعاء الباطل.

---

(١) قوله شيخ البهائي.

(٢) بحارالأنوار: ج٧٥ ص١٧ ح١.

(٣) بحارالأنوار: ج٧٥ ص٢١ ح٢٠.

أوْ نَقولَ في العِلم بِغَيرِ عِلْمٍ.

وقد قال أميرالمؤمنين عليه السلام: هلك من ادّعى وخاب من افترى(١).

وذلك أن الدعوى الباطلة تصدرعن ملكة الكذب تارةً، وعن الجهل المركّب أُخرى، كالجاهل بالأمر المدّعي لحصوله عن شبهة رسخت في ذهنه، وكلاهما من أكبر الرذائل وأعظم المهلكات في الآخرة*.

أي: في العلم بالمعارف الإلهيّة والأحكام النبويّة فيشمل أُصول الدين وفروعه، أو في الحكم على شيء بنفي أو إثبات، فإنّ العلم كما يطلق على الاعتقاد الجازم المطابق للواقع أو حصول صورة الشيء في العقل، يطلق على حكم النفس على الشيء بوجود شيء له هو موجود له أو نفي شيء عنه هو غير موجود له، كالحكم على زيد بأنّه خارج أوليس هو طائراً.

وقوله: «بغير علم» أي: بغير اعتقاد جازم مطابق للواقع، والقول بغير علم منشؤه إمّا الكذب أو الجهل المركّب، وكلاهما من الموبقات كما تقدّم. وقد قال الله تعالى لنبيّه: «ولا تقف ماليس لك به علم»(٢).

وعن مفضّل بن يزيد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أنهاك عن خصلتين فيهما هلك الرجال أن تدين الله بالباطل وتفتي الناس بغير علم(٣).

وعن أبي جعفر عليه السلام: من أفتى الناس بغيرعلم ولا هدى لعنه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، ويلحقه وزر من عمل بفتياه(٤).

وعن زرارة بن أعين قال: سألت أبا جعفر عليه السلام ماحقّ الله على

(١) نهج البلاغة: ص٥٨ خطبة ١٦. (٢) سورة الإسراء: الآية ٣٦.

(٣) الخصال: ص٥٢ ح٦٥.

(٤) الكافي: ج١ ص٤٢ ح٣ (باب النهي عن القول بغير علم).

....

العباد؟ قال: أن يقولوا مايعلمون ويقفوا عند مالايعلمون(١).

والأخبار في هذا المعنى كثيرة.

تنبيه

قال بعض المحقّقين من أصحابنا المتأخّرين: إعلم أنّ لفظ العلم يطلق في اللغة على الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع، وهذا يسمّى اليقين، وعلوم الأنبياء والأئمّة عليهم السلام من هذا القبيل، ويطلق أيضاً على ماتسكن إليه النفس وتقضي العادة بصدقه، وهذا يسمّى العلم العادي، ويحصل بخبر الثقة الضابط المتحرّز عن الكذب، بل وغير الثقة إذا علم من حاله أنّه لايكذب، أو دلّت القرائن على صدقه، كما إذا أخبر الإنسان خادم له عرفه بالصدق عن شيء من أحوال منزله، فإنّه يحصل عنده من خبره حالة توجب الجزم بما أخبره به بحيث لايشكّ في ذلك، وليس له ضابط يحصره بل مداره على مايحصل به التصديق والجزم، ومراتبه متفاوتة فربّما أفاد اليقين عند قوم، وما تسكن إليه النفس عند آخرين بحسب القرائن والأحوال، وهذا هو الذي اعتبره الشارع واكتفى به في ثبوت الأحكام عند الرعيّة، وأوجب عليهم العمل بها عند حصوله لهم، كما يرشد إليه موضع الشريعة السمحة السهلة، وقد عمل الصحابة وأصحاب الأئمّة عليهم السلام بخبر العدل الواحد وبالمكاتبة على يد الشخص الواحد، بل وبخبر غير العدل

(١) الكافي: ج١ ص٤٣ ح٧ (باب النهي عن القول بغير علم).

....

إذا دلّت القرائن على صدقه، ولاينافي هذا الجزم تجويز العقل خلافه نظراً إلى إمكانه، كما لاينافي جزمنا بحياة زيد الذي غاب عنّا لحظة تجويز موته فجأة، ولو اعتبرنا في العلم عدم تجويز النقيض عقلاً لم يتحقّق لنا علم قطّ بوجود شيء ممّا غاب عنّا أو حضر عندنا، ويلزمنا الشكّ فيمن رأيناه الآن أهو الذي رأيناه قبل، أم عدم ذلك وهذا غيره اوجده الله على شكله؟ بل ربّما تطرّق الشكّ إلى الضروريات كما تزعمه الأشاعرة وهو سفسطة ظاهرة، ومن يتتبّع كلام العرب ومواقع لفظ العلم في المحاورات جزم بأنّ إطلاق لفظ العلم على مايحصل به الجزم عندهم حقيقة، وأنّه كلّي مقول على أفراده بالتشكيك، وأنّ تخصيصه باليقين فقط اصطلاح حادث لأهل المنطق دون أهل اللغة، لبناء اللغة على الظواهر دون هذه التدقيقات، وتحقّق أنّ الظنّ لغة: هو الاعتقاد الراجح الذي لاجزم معه أصلاً، وأهل اللغة هم الأصل في تعيين الألفاظ للمعاني، وليس هذا خاصّاً بلغة العرب بل كلّ اللغات كذلك. ومن عرف الفارسيّة وتأمّل مواقع لفظ «ميدانم» الدالّ على معنى أعلم، و«گمان دارم» الدالّ على معنى أظنّ في لغة الفرس، ظهر له صحّة ماقلناه. والعلم بهذا المعنى قذ اعتبره الأُصوليّون والمتكلّمون في إثبات كثير من قواعدهم كحجّيّة الإجماع وغيره، وإن رابك شكّ فراجع الشرح العضدي وشرح المواقف ليظهر لك ذلك. وهذا الذي عناه القدماء بقولهم: لايجوز العمل في الشريعة إلّا بما يوجب العلم، يدلّك على ذلك تعريف السيّد المرتضى في الذريعة للعلم: بأنّه ماقتضى سكون النفس(١)، وهذا التعريف يشمل نوعي

---

(١) الذريعة الى اصول الشيعة: ج١ ص٢٠ في حد العلم واقسامه.

....

العلم أعني اليقيني والعادي، فهذا هو العلم الشرعي فإن شئت سمّه علماً وإن شئت سمّه ظنّاً، فلا مشاحة في الاصطلاح بعد أن تعلم أنّه كاف في ثبوت الأحكام الشرعيّة، وقد كتب رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى الملوك نحو كسرى وقيصر مع الشخص الواحد يدعوهم إلى الإسلام، وكان ذلك حجّة عليهم حيث علموا صدق الرسول من قرائن الأحوال(١).

فإن قلت: غاية مايدلّ عليه كلامك ثبوت إطلاق لفظ العلم على ماذكرته في اللغة، فمن أين لك أنّه حقيقة فيما يشمل العلم العادي؟ ولِمَ لايكون فيه مجازاً؟ فإنّ إطلاق لفظ العلم على الظنّ وبالعكس بطريق المجاز شائع.

قلت: نحن لاننكر ذلك مع قيام القرينة، وكلامنا فيما إذا كان بدونها. وهذه شبهة نشأت من أُلف الذهن بكلام أهل المنطق، ولو سلّمناها على طريق الجدل لم يضرّنا؛ لأنّا بيّنّا أن حصول التصديق الموجب للجزم عادة ـ كيف كان ـ يكفي في وجوب العمل بالأحكام المتلقّاة من الشارع بواسطة أو وسائط.

فإن قلت: على تقدير كونه داخلاً في الظنّ كيف تصنع بالآيات والأخبار الدالّة على النهي عن العمل بالظنّ؟.

قلت: هذا تشكيك. وجوابه: انّا نفرّق بين إثبات الأحكام الشرعيّة بمعنى وضعها والتعبّد بها، وبين ثبوتها بمعنى الحكم بصدق رواتها ووجوب العمل بها، فإنّ إثبات نفس الحكم والفتوى بأنّه حلال أو حرام مثلاً خاصّ بمن

---

(١) الذريعة الى اصول الشريعة: ج١ ص٥٣٣.

وَنَعوذُ بِكَ أنْ نَنْطَوِيَ عَلى غِشِّ أَحَدٍ.

لاينطق عن الهوى، ولايكون إلّا عن يقين بوحي من الله أو إلهام، وتلك الآيات والأحاديث واردة في ذمّ من يقول بعقله ورأيه في الدين من دون وحي إلهيّ، أو إلهام ربّاني، أو نصّ محكم صريح الدلالة، أو برهان قاطع لايحتمل النقيض، وهذا ظاهر لمن تتبّع موارد الأخبار وأسباب النزول. وأمّا ثبوت الأحكام الواردة عن الشارع عندنا ووجوب العمل بها علينا فيكفي فيه النقل الذي تطمئنّ النفس إلى صدقه وإلى ثبوته، ولسنا مكلّفين فيه بأكثر من حصول العلم العادي كما بيّناه من عمل الصحابة وأصحاب الأئمّة عليهم السلام إنتهى كلامه (١).

إذا عرفت ذلك فتفسيرنا العلم من قوله عليه السلام: «بغير علم» بالاعتقاد الجازم المطابق للواقع هو العلم اليقيني، وهو علم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام في جميع العلوم، وهو حال صاحب الدعاء صلوات الله وسلامه عليه. وأمّا إذا كان الداعي غير معصوم فينبغي أن يراد بالعلم من قوله: «بغير علم» مايشمل العلم اليقيني كما في القول في أُصول الدين، والعلم العادي كما في القول في فروعه فاعلم ذلك، والله أعلم *.

كرّر الفعل لقصد الاهتمام والمبالغة.

وانطوى على الشيء: ستره في باطنه.

والغشّ بالكسر: اسم من غشّه غشّاً -من باب قتل- لم ينصحه وزيّن له غير المصلحة، وهو يشتمل على رذيلتي الغدر والخيانة.

---

(١) أي كلام السيد المرتضى في الذريعة: راجع ج١ ص٢٠-٢٦.

....

رُوٰى ابن عباس عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: من بات وفي قلبه غشّ لأخيه المؤمن باتِ في سخط الله وأصبح كذلك، وإن مات كذلك مات على غير دين الإسلام(١).

وعنه أيضاً قال: قال صلّى الله عليه وآله: من غشّ آخاه المسلم نزع الله منه بركة رزقه، وأفسد عليه معيشته، ووكله إلى نفسه(٢).

وعنه صلّى الله عليه وآله: من غشّ مسلماً في بيع أو شراء فليس منّا يحشر مع اليهود يوم القيامة؛ لأنّه من غشّ الناس فليس بمسلم(٣).

وعن أبي عبدالله عليه السلام: ليس منّا من غشّنا(٤).

وعنه عليه السلام أيضاً قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لرجل يبيع التمر: يافلان أما علمت أنّه ليس من المسلمين من غشّهم(٥). والأخبار في هذا المعنى كثيرة.

وعن أبي جميلة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: من مشى في حاجة أخيه ثمّ لم يناصحه فيها كان كمن خان الله ورسوله، وكان الله خصمه(٦).

وعن عمر بن يزيد عن أبيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من استشار أخاه فلم يمحضه محض الرأي سلبه الله عزّوجلّ رأيه(٧).

قال بعض العلماء: وإيّاك أن تلتفت إلى من قال: إذا نصحت الرجل فلم

---

(١) و(٢) و(٣) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٢١٠ ح١١ نقلاً (عن عقاب الاعمال ص٤٦- ٤٩).

(٤) و(٥) الكافي: ج٥ ص١٦٠ ح١ و٢ باب الغش.

(٦) و(٧) الكافي: ج٢ ص٣٦٣ ح٤ و٥ (باب من لم يناصح أخاه المؤمن).

وأنْ نُعجَبَ بأعمالِنا.

يقبل منك فتقرّب إلى الله بغشّه، فذلك قول ألقاه الشيطان على لسانه، اللّهمّ إلّا أن يريد بقوله: «بغشّه» السكوت عنه، فقد قيل: كثرة النصيحة تورث الظنّة ومعرفة الغاشّ المستنصح من الناصح صعبة جدّاً.

فالإنسان لِمَكره يصعب الاطّلاع على سرّه؛ إذ هو قد يبدي خلاف ما يخفي، وليس كالحيوانات التي يمكن أن يطّلع على طبائعها *.

أعجب زيد بنفسه بالبناء للمفعول: إذا ترفع وتكبّر، والاسم منه العجب بالضمّ.

والأعمال: جمع عمل محرّكة، وهو فعل يصدر عن قصد وعلم، وهو ثلاثة أضرب:

نفساني فقط: وهو الأفكار والعلوم وما ينسب إلى أفعال القلوب.

وبدني: وهو الحركات التي يفعلها الإنسان في بدنه كالمشي والقيام والقعود.

وصناعي: وهو مايفعله الإنسان بمشاركة البدن والنفس كالكتابة والقراءة وسائر الحرف والصناعات. وحقيقة العجب بالأعمال استعظام العمل الصالح واستكثاره والابتهاج له والإدلال به وأن يرى نفسه خارجاً عن حدّ التقصير، وأمّا السرور به مع التواضع لله تعالى، والشكر له على التوفيق لذلك، وطلب الاستزادة منه، فهو حسن ممدوح.

وتوضيحه ماذكره شيخنا البهائي قدّس سرّه في شرح الأربعين بقوله: لاريب أن من عمل أعمالاً صالحة من صيام الأيام وقيام الليالي وأمثال ذلك يحصل لنفسه ابتهاج، فإن كان من حيث كونها عطيّة من الله ونعمة منه تعالى عليه، وكان مع ذلك خائفاً من نقصها مشفقاً من زوالها طالباً من الله الازدياد منها، لم

....

يكن ذلك الابتهاج عجباً. وإن كان من حيث: كونها صفة قائمة به ومضافة إليه، فاستعظمها وركن إليها ورأى نفسه خارجاً عن حدّ التقصير بها، وصار كأنّه يمنّ على الله سبحانه بسببها، فذلك هو العجب المهلك، وهو من أعظم الذنوب حتّى روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنه قال: لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: سيّئة تسوؤك خير من حسنة تعجبك(١).

إنتهى.

واعلم أنّ العجب مطلقاً سواء كان بالعمل أو بغيره من أكبر الرذائل وأعظم المهلكات، فاختلفت عباراتهم في حقيقته، فقيل: العجب: ظن الانسان بنفسه استحقاق منزلة وهو غير مستحقّ لها. وقيل: هو هيئة نفسانية تنشأ من تصوّر الكمال في النفس والفرح به والركون إليه من حيث إنّه قائم به وصفة له، مع الغفلة عن قياس النفس إلى الغير بكونها أفضل منه، وبهذا القيد ينفصل عن الكبر؛ إذ لا بدّ في الكبر أن يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ويرى مرتبته فوق مرتبة الغير.

وقيل: هو استعظام الإنسان نفسه عمّا يتصوّر أنّه فضيلة له، ومنشأ ذلك الحكم هو النفس الأمّارة، فيتوهّم الإنسان أنّ تلك الفضيلة حصلت له عن استحقاق وجب له بسعيه وكدّه مع قطع النظر عن واهب النعم ومفيضها.

وقيل: هو أن يرى الإنسان نفسه بعين الاستحسان لأفعالها وما يصدر عنها من عادة أو عبادة أو كثرة وزيادة في أمر، وذلك مذموم؛ لأنّه حجاب للقلب عن

---

(١) شرح الأربعين: ص١٦٧ ذيل ح٢٦.

....

ربّه ومنته، فإن أعجب بنفسه في صورة أو عادة أثار كبراً، وإن كان في عبادة ففيه عمى عن رؤية توفيق الله، وأصل ذلك من الشرك الخفيّ، والشرك الجليّ لايغفر، والخفيّ منه لايهمل به بل يؤاخذ الله به صاحبه، ولولا ذلك ماابتلي مؤمن بذنب أبداً، فجعل الذنب له فداء عن عجبه بنفسه لتبقى له فضيلة الإنسان وثواب الأعمال واستحقاق الإحسان، ولو لم يذنب لدخله العجب وأفسد قلبه وحجبه عن ربّه ومنته، ومنعه عن رؤية توفيقه ومعونته، وصدّه عن الوصول إلى حقيقة توحيده، وأحبط عمله الذي صدر منه في مدّة طويلة، بخلاف الذنب فإنه لايبطل العبادات السالفة، وفيه متابعة للهوى.

وفي العجب شركة بالمولى، ولذلك قال الصادق عليه السلام: إنّ الله علم أن الذنب خير للمؤمن من العجب، ولولا ذلك ماابتلي مؤمن بذنب أبداً(١).

وعنه عليه السلام: من دخله العجب هلك(٢).

وعن أحدهما عليهما السلام قال: دخل رجلان المسجد أحدهما عابد والآخر فاسق، فخرجا من المسجد والفاسق صدّيق والعابد فاسق؛ وذلك أنه يدخل العابد المسجد مدلاً بعبادته يدلّ بها فتكون فكرته في ذلك، وتكون فكرة الفاسق في الندم على فسقه، ويستغفر الله تعالى لما ذكر من الذنوب(٣).

والأخبار في ذمّ العجب كثيرة جداً، وسيأتي فيه زيادة على ذلك في بعض الرياض الآتية إن شاء الله تعالى *.

---

(١) و(٢) الكافي: ج٢ ص٣١٣ ح١ و٢، (باب العجب).

(٣) الكافي: ج٢ ص٣١٤، ح٦، (باب العجب).

وَنَمُدّ في آمالِنا.

المَدّ: البسط والتطويل.

يقال: مدّ الله في عمرك، أي: بسط وطوّل، ومدّ يتعدّىٰ بنفسه، تقول: مدّ الأديم أي: بسطه، ومدّ الحبل أي: طوّله، فعلىٰ هذا تكون «في» إما زائدة كقوله تعالى: «وقال اركبوا فيها»(١) أي: اركبوها، أو للظرفية مجازاً، ونمدّ لامفعول له لأنّه من باب ماتعلّق الغرض فيه بالإعلام بمجرّد إيقاع الفاعل للفعل، فيقتصر عليها ولايذكر المفعول ولاينوىٰ ولايسمىٰ محذوفاً؛ لأن الفعل ينزل لهذا القصد منزلة ما لامفعول له، نحو قوله تعالى: «كلوا واشربوا ولا تسرفوا»(٢) أي: اوقعوا الأكل والشرب وذروا الإسراف، فيكون معنى «ونمدّ في آمالنا» نوقع المدّ في آمالنا.

والآمال: جمع أمل محرّكة وهو الرجاء، حقيقته ارتياح النفس لانتظار ماهو محبوب عندها، فهو حالة لها تصدر عن علم وتقتضي عملاً.

وقال بعضهم: أكثر مايستعمل الأمل فيما يستبعد حصوله، فإنّ من عزم على سفر إلى بلد بعيد يقول: أمّلت الوصول إليه، ولايقول: طمعت إلا إذا قرب منه، فإن الطمع لايكون إلا فيما قرب حصوله، وقد يكون الأمل بمعنى الطمع والرجاء بين الأمل والطمع، فإنّ الراجي قد يخاف أن لايحصل مأموله، ولهذا يستعمل بمعنى الخوف، فإن قوى الخوف استعمل استعمال الأمل، وعليه قول زهير:

* أرجو وأمل أن تدنوٰ مودّتها *

والمراد بالأمل هنا: الأمل لما لاينبغي أن يمدّ الأمل فيه من القنيات الفانية،

---

(١) سورة هود: الآية ٤١.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٣١.

وَنعوذُ بِكَ مِن سُوءِ السّريرَةِ.

ومنشؤه الحرص على الأسباب الدنيويّة، وثمرته الإعراض عن الأُمور الأُخرويـة الموجب لأشقى الشقـاء؛ ولذلك قـال أميرالمؤمنين علـيه السلام: إن أخوف ماأخاف عليكم اثنتـان اتّباع الهوى وطول الأمل، أمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ، وأما طول الأمل فينسي الآخرة(١).

وبيان ذلك: أنّ طول توقّع الأُمور المحبوبة الدنيويّة يوجب دوام ملاحظتها، ودوام ملاحظتها يستلزم دوام إعراض النفس عن ملاحظة أحوال الآخرة، وهو مستعقب لانمحاء ماتصوّر في الذهن منها، وذلك معنى النسيان لها، وبذلك يكون الهلاك الأبديّ والشقاء السرمديّ *.

هي فعيله بمعنى مفعولة، وهي عبارة عمّا أُسرّ وأُخفي في القلوب من العقائد والنيّات وغيرها، وربّما أُطلقت على ما أُخفي من الأعمال أيضاً، فسوء السريرة عبارة عن كلّ قبيح يخفيه الإنسان ويستره.

روى ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن أبي عبدالله عليه السلام: أن رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يقول: من أسرّ سريرة رداه الله رداءها إن خيراً فخير وإن شرّاً فشرّ(٢).

وعنه عليه السلام قال: ما يصنع أحدكم أن يظهر حسناً ويسرّ سيّئاً، أليس يرجع إلى نفسه فيعلم أنّ ذلك ليس كذلك والله عزّوجلّ يقول: «بل الإنسان على نفسه بصيرة» إنّ السريرة إذا صحّت قويت العلانيّة(٣).

---

(١) الكافي: ج٢، ص٣٣٥، ح٣، (باب اتباع الهوى).

(٢) الكافي: ج٢، ص٢٩٤، ح٦، (باب الرياء).

(٣) الكافي: ج٢، ص٢٩٥، ح١١، (باب الرياء).

....

وعنه عليه السلام: مامن عبد أسرّ خيراً فذهبت الأيّام أبداً حتّى يظهر الله له خيراً، وما من عبد يسرّ شرّاً فذهبت الأيّام حتّى يظهر الله له شرّاً(١).

تبصرة

إعلم أنّ الناس مختلفون في الخير والشرّ على أربع فرق:

فمنهم: من يطوي باطنه وظاهره على الخير، وهذه حال الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وأولياء الله وحال أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله الذين أنزل الله في شأنهم «فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم»(٢).

ومنهم: من ينطوي باطنه وظاهره على الشرّ، وهذه كانت صفة طائفة من أهل الكتاب، كما حكى الله عنهم بقوله: «فلمّا جائهم ما عرفوا من الحقّ كفروا به فلعنة الله على الكافرين»(٣)

ومنهم: من يشاكل ظاهره ظاهر الشرير في الحدّة والاستطالة، ويرجع باطنه إلى قلب سليم منطوٍ على الخير، وذلك من غلبة الصفراء على مزاجه. وفي الحديث الثناء على مثله. قال عليه السلام: خيار أُمتي أحدّاؤها(٤). وقال عليه السلام: الحدّة تعتري خيار أُمتي(٥).

ومنهم: من أبدى ظاهره الخير وأضمر باطنه الشرّ، فيكون صاحبه مجتمع فرق

---

(١) الكافي ج٢، ص٢٩٥، ح١٣، (باب الرياء).

(٢) سورة الفتح: الاية ١٨.

(٣) سورة البقرة: الآية ٨٩.

(٤) النهاية لابن الاثير: ج١ ص٣٥٣.

(٥) النهاية لابن الاثير: ج١ ص٣٥٢.

واخْتِقارِ الصّغيرَةِ.

الشرور وملتقىٰ طرق الفساد، وهذه كانت حال المنافقين، وهو إنّما يكون من متابعة الدخلة الخبيثة الصادرة عن الدهاء المذموم المصاحب للغضب المفرط والحسد المسرف، وذلك هو سوء السريرة، والله أعلم ✲.

هذا أخصّ من قوله عليه السلام فيما تقدم: «واستصغار المعصية»؛ لأنّ المعصية أعمّ من الصغيرة.

واحتقرت الشيء احتقاراً: استهنت به فلم أعبأبه.

والصغيرة: من الصفات الغالبة وهي الفعلة القبيحة من الذنوب التي لم توجب حدّاً ولم يوعد الشارع عليها بخصوصها، وتقابلها الكبيرة، وقد استوفينا الكلام على ذلك في الروضة السادسة(١).

والاحتقار للصغيرة موجب لعدم المبالاة بها والاعتناء بشأنها والولوع بها والإتيان بها مرّة بعد أُخرىٰ حتّى تصير ملكة، فتجتمع عليه بسبب ذلك ذنوب كثيرة وتبلغ حدّ الكبيرة، فالواجب على الإنسان أن يعدّ نفسه في العمل الصالح مقصّرة في الكم والكيف منه، وإن كان كثيراً بالنسبة إلى وسعه؛ لأنّ ذلك أدخل في تعظيم الربّ، وأبعد من العجب والاعتماد على عمله، وأقرب على البقاء عليه والسعي فيه، وأنسب بمقام العبوديّة المبنيّة على التذلّل والاعتراف بالتقصير، وأن يرىٰ ذنبه كثيراً عظيماً وإن كان قليلاً حقيراً في نفسه؛ لأنّه بالنظر إلى مخالفة الربّ عظيم كثير. وإلى ذلك أشار أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: إذا عظّمت الذنب فقد عظّمت حقّ الله، وإذا صغّرته فقد صغّرت حقّ الله، وما من

---

(١) راجع ص٢٣١.

وأنْ يَسْتَحْوِذَ عَلينا الشّيطانُ.

ذنب عظّمته إلا صغر عندالله، وما من ذنب صغّرته إلّا عظم عندالله(١).

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله لأبي ذر: لا تنظر إلى صغر الخطيئة وانظر لمن عصيت(٢).

وقال أبو الحسن عليه السلام: لا تستكثروا كثير الخير ولا تستقلّوا قليل الذنوب، فإنّ قليل الذنوب يجتمع حتّى يكون كثيراً(٣).

وعن زيد الشحّام قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: اتّقوا المحقّرات من الذنوب فإنّها لا تغفر، قلت: وما المحقّرات؟ قال: الرجل يذنب الذنب فيقول: طوبى لي لو لم يكن لي غير ذلك(٤).

وعنه عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله نزل في أرض قرعاء، فقال لأصحابه: إئتوا بحطب، فقالوا: يارسول الله نحن بأرض قرعاء مابها من حطب، قال: فليأت كلّ إنسان بما قدر عليه، فجاؤوا به حتّى رموه بين يديه بعضه على بعض، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: هكذا تجتمع الذنوب، ثمّ قال: إيّاكم والمحقّرات من الذنوب فإنّ لكلّ شيء طالباً وإن طالبها يكتب ماقدّموا وآثارهم وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين(٥).

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام: أشدّ الذنوب ما استهان به صاحبه(٦)*.

استحوذ عليه الشيطان: غلبه واستماله إلى مايريده منه، وهذا ممّا جاء بالواو تنبيهاً على أصله، ومنه: استصوب واستروح واستقوس واستنوق إلى ألفاظ أُخر.

(١) الكشكول للشيخ البهائي: ص٨٩.
(٢) مكارم الأخلاق: ص٤٦٠.
(٣) و(٤) الكافي: ج٢ ص٢٨٧ ح ٢ و١.
(٥) الكافي: ج٢ ص٢٨٨ ح٣.
(٦) نهج البلاغة: ص٥٣٥ حكمة رقم ٣٤٨ وحكمه رقم ٤٧٧ ص٥٥٩.

أَوْ يَنكُبَنا الزّمانُ.

روي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: بينما موسى جالساً إذ أقبل إبليس وعليه برنس ذو ألوان، فلمّا دنا من موسىٰ خلع البرنس وقام إلىٰ موسى فسلّم عليه، فقال له موسى: من أنت؟ قال: أنا إبليس، قال: أنت؟ فلا قرّب الله دارك . قال: إنّي إنّما جئت لأُسلّم عليك لمكانك من الله، قال: فقال له موسى: فأخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه؟ قال: إذا أعجبته نفسه، واستكثر عمله، وصغر في عَينه ذنبه(١)*.

نكبه الدهرنكباً- من باب قتل-: أصابه بنكبة (٢) أي: مصيبة، وإسنادالنكب إلى الزمان مجاز عقليّ؛ لكونه من الأسباب المعدّة الحصول مايحصل فى هذا العالم من الامتزاجات وما يتبعها ممّايعد خيراً أوشراً.

وقال بعض اللغويّين: إنّما يقال: نكبه الدهر إذا بلغ منه كلّ مبلغ في إصابته بالحوادث والمصائب ومن عظيم مايحكىٰ من نكبات الزمان وتصاريف الحدثان، وإن كان القليل منها أكثر من أن يحصى.

ماذكره عبدالله بن عبدالرحمن صاحب الصلاة بالكوفة، قال: دخلت إلى أُمّي في يوم أضحىٰ، فرأيت عندها عجوزة في أطمار رثّة وذلك في سنة تسعين ومائة، فإذا لها لسان وبيان، فقلت لأُمّي: من هذه؟ فقالت: هذه خالتك عناية أُم جعفر بن يحيى البرمكي، فسلّمت عليها وتحفيت بها، وقلت: أصارك الدهر إلى ماأرى؟ فقالت: نعم يابنيّ إنّا كنّا في عواري ارتجعها الدهر منّا، قلت: فحدّثيني ببعض شأنك، فقالت: خذه جملة، لقد مضىٰ عليّ أضحى وعلى رأسي

---

(١) الكافي: ج٢ ص٣١٤ ح٨ (باب العجب).

(٢) لسان العرب: ج١ ص٧٧٣.

أَوْ يَتَهَضَّمُنا السّلطانُ، وَنعوذُ بِكَ مِن تَناولِ الإسْرافِ.

أربعمائة وصيفة وأنا أزعم أنّ ابني عاقّ، وقد جئتك اليوم أطلب جلدتي شاة أجعل إحداهما شعاراً والأُخرىٰ دثاراً، قال: فرقّيت لحالها ووهبت لها دراهم فكادت تموت فرحاً(١)*.

هضمه واهتضمه وتهضّمه: إذا ظلمه، ولمّا كان السلطان أقدر من غيره على الظلم، وكان من لوازمه الأنفة والجرأة والبطر والعبث، بسبب سكر السلطنة الذي هو أشدّ من سكر الشراب والشباب، فيرسل يده بالفعل ولسانه بالقول، استعاذ من تهضّمه على الخصوص*.

التناول في الأصل بمعنى الأخذ باليد.

يقال: ناولته الشيء فتناوله أي: أخذه، ثمّ توسّع فيه فاستعمل بمعنى التعاطي وهو الإقدام على الشيء وفعله، وهذا المعنى هو المقصود هنا، أي: نعوذ بك من فعل الإسراف والإقدام عليه، ولمّا خفي هذا المعنى على بعض طلبة العجم المترجمين للصحيفة الكاملة. قال: المعنىٰ نعوذ بك من وجدان ما نسرف فيه، فإضافة التناول إلى الإسراف ليس من إضافة المصدر إلى المفعول، بل هي إضافة بأدنىٰ ملابسة. ولاخفاء في أنّ هذا المعنىٰ غير مراد هنا، بل المراد الاستعاذة من تعاطي الإسراف، على أن جعله التناول بمعنى الوجدان لم يسمع إلّا منه.

والإسراف: مجاوزة القصد.

وقيل: هو صرف المال زائداً على القدر الجائز شرعاً وعقلاً.

وقيل: هو إنفاق المال الكثير في الغرض الخسيس.

---

(١) مروج الذهب: ج٣ ص٣٨٢ مع اختلاف يسير.

....

وقيل: إنفاق المال من غير منفعة. والحقّ أنّه يراعى فيه الكمّيّة والكيفيّة. فهو من جهة الكمّيّة أن يعطي أكثر ممّا يحتمله حاله.

قال بعضهم: السرف لابقاء معه لكثير ولا تثمير معه لقليل ولايصلح معه دنيا ولادين، فدوام حالك وبقاء النعمة عليك بتقدير أُمورك على قدر الزمان وبقدر الإمكان. وأمّا من حيث الكيفيّة فبأن يضعه في غير موضعه.

والاعتبار فيه بالكيفيّة أكثر منه بالكمّية، فربّ منفق درهماً من اُلوف، وهو في إنفاقه مسرف وببذله مفسد، وذلك كمن أعطى فاجرة درهماً أو اشترى به خمراً، وربّ منفق اُلوفاً لايملك غيرها هو فيه مقتصد.

قيل لحكيم: متى يكون بذل القليل إسرافاً والكثير اقتصاداً؟ فقال: إذا كان بذل القليل في باطل وبذل الكثير في حقّ.

حكى الراغب في المحاضرات: أنّ الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام فرّق بخراسان أمواله كلّها في يوم عرفة، فقال له الفضل بن سهل: ماهذا المغرم؟ فقال: بل هو المغنم(١).

وللإسراف مذامّ كثيرة، منها: أنّه لاإسراف إلّا وبجنبه حقّ مضيّع.

ومنها: أنّه جهل بقدر المال الذي هو سبب استبقاء النفس وإكرامها عن ذلّ السؤال، والجهل رأس كلّ شرّ.

ومنها: أنّه يؤدّي إلى الفقر المستلزم لطلب مافي يد الغير.

ومنها: تأديته بصاحبه أن يظلم غيره. ولكثرة مذامّ الإسراف ومضارّه ذمّه الله

(١) المحاضرات للراغب: ج٢ ص٥٨٩.

....

تعالى بأعظم ممّا ذمّ به البخل، فقال: «ولا تبذّر تبذيراً* إنّ المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربّه كفوراً»(١).

وقال تعالى: «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط فتقعد ملوماً محسوراً»(٢)، أي: تقعد ملوماً من جهة مالك فلم تجد ماتعطيه محسوراً منقطعاً بك عن بلوغ مرادك .

وقال الله تعالى: «كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنّه لايحبّ المسرفين»(٣) وكلّ مكلّف لايحبّه الله تعالى فانه من أهل النار لان محبته تعالى عبارة عن ارادة ايصال الثواب اليه.

وقال في سورة الانعام «واتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا فانه لايحب المسرفين» (٤).

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: من اقتصد في معيشته رزقه الله، ومن بذّر حرمه الله(٥).

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام: القصد مثراة والسرف متواة(٦). أي: مهلكة.

وعن سليمان بن صالح قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أدنى مايجيء حدّ السرف؟ قال: ابتذالك ثوب صونك، و إهراقك فضل إنائك، وأكلك التمر ورميك بالنوى هاهنا وهاهنا(٧) .

وعنه عليه السلام قال: القصد أمر يحبّه الله، وإنّ السرف أمر يبغضه الله

---

(١) سورة الاسراء: الآية ٢٦ و٢٧. (٢) سورة الاسراء: الآية ٢٩. (٣) سورة الاعراف: الآية ٣١.
(٤) سورة الانعام: الآية ١٤١. (٥) الكافي: ج٤ ص٥٤ ح١٢ (باب القصد).
(٦) الكافي: ج٤ ص٥٢ ح٤ (باب القصد). (٧) الكافي: ج٤ ص٥٦ ح١٠.

وَمِن فُقدانِ الكَفافِ.

حتّى طرحك النواة فإنّها تصلح لشيء حتّى صبّك فضل شرابك(١).

تذنيب

الإسراف لايتعلّق بالمال فقط، بل بكلّ شيء وضع في غير موضعه اللائق به، ألا ترىٰ أنّ الله تعالى وصف قوم لوط بالإسراف لوضعهم البذر في غير المحرث، فقال: «إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون»(٢).

ووصف فرعون بقوله عزّوجلّ: «إنّه كان عالياً من المسرفين»(٣)، وقوله: «وإنّ فرعون لعالٍ في الأرض وإنّه لمن المسرفين»(٤).

وقال بعض العلماء: كلّ إسراف جهل وكلّ جهل إسراف *.

فقدته فقداً -من باب ضرب- وفقداناً بالضمّ: عدمته.

والكفاف بالفتح: ماكان بقدر الحاجة من غير زيادة ولانقص، سمّي بذلك لأنّه يكفّ عن سؤال الناس ويغني عنهم.

والمراد بفقدانه: مادونه وهو الفقر المستعاذ منه.

قال أميرالمؤمنين عليه السلام لابنه محمد بن الحنفيّة: يابنيّ إنّي أخاف عليك الفقر فاستعذ بالله منه، فإنّ الفقر منقصة للدين مدهشة للعقل داعية للمقت(٥).

---

(١) الكافي: ج٤ ص٥٢ ح٢.

(٢) سورة الاعراف: الآية ٨١.

(٣) سورة الدخان: الآية ٣١.

(٤) سورة يونس: الآية ٨٣.

(٥) نهج البلاغة: ص٥٣١ حكمة ٣١٩.

وَنَعوذُ بكَ مِن شَماتَةِ الأعداءِ.

قيل: أمّا كونه منقصة للدين فللاشتغال بهمّه وتحصيل قوام البدن عن العبادة.

وأمّا كونه مدهشة للعقل فلدهشة العقل وحيرته وضيق الصدر به.

وأمّا كونه داعية للمقت فلمقت الخلق لصاحبه، أي: بغضهم له.

وفي قوت القلوب عن أميرالمؤمنين عليه السلام: أنّ لله تعالى في خلقه مثوبات فقر وعقوبات فقر، فمن علامة الفقر إذا كان مثوبة أن يحسن عليه خلقه، ويطيع ربّه، ولايشكو حاله، ويشكر الله تعالى على فقره. ومن علامة الفقر إذا كان عقوبة أن يسوء عليه خلقه، ويعصي فيه ربّه، ويكثر الشكاية، ويتسخّط القضاء، وهذا النوع من الفقر هو الذي استعاذ منه النبيّ صلّى الله عليه وآله(١) *.

شمت به يشمت بكسر العين من الماضي وفتحها من المستقبل: إذا فرح بمصيبة نزلت به، والاسم الشماتة بالفتح.

والأعداء: جمع عدوّ فعول بمعنى فاعل وهو خلاف الصديق الموالي.

قال في مختصر العين: يقع العدوّ بلفظ واحد على الواحدَ المذكّر والمؤنّث والمجموع(٢).

وقال أبو زيد: سمعت بعض بني عقيل يقولون: هنّ وليّات الله وعدوّات الله وأولياؤه وأعداؤه(٣).

قال الأزهري: إذا أُريد الصفة قيل: عدوّة(٤).

---

(١) قوت القلوب: ج٢ ص١٩٣.

(٢) مصباح المنير: ص٥٤٤. نقلاً عن مختصر العين.

(٣) مصباح المنير: ص٥٤٤. نقلاً عن ابن زيد. (٤) مصباح المنير: ص٥٤٤. نقلاً عن الأزهري.

....

وقال في البارع: إذا كان فعول بمعنى فاعل استوى فيه المذكّر والمؤنّث، فلا يؤنّث بالهاء سوى عدوّ، فيقال فيه: عدوّة(١).

قال الراغب: العدوّ هو الذي يتحرّى اغتيال الآخر ويضادّه فيما يؤدّي إلى مصالحه، واعلم أنّ العدوّ ضربان: باطن لا تدرك ذاته بالحاسّة، وظاهر يدرك بالحاسّة، فالباطن إثنان: أحدهما: الشيطان وهو أصل كلّ عدوّ يعاذي معاداة جوهرية، وقد حذّرنا الله منه غاية التحذير، فقال: «إنّ الشيطان لكم عدوّ فاتّخذوه عدوّاً» إلى غير ذلك من الآيات. والثاني: النفس الأمّارة المشار إليها بقوله تعالى: «إنّ النفس لأمّارة بالسوء إلّا مارحم ربّي». وقول النبيّ صلّى الله عليه وآله: أعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك. وأمّا الظاهر من العدوّ فالإنسان، وهو ضربان: ضرب هو مضطغن للعداوة قاصد إلى الإضرار إمّا مجاهرة وإمّا مساترة، وذلك إثنان:

واحد يعادي كلّ أحد، وهو كلّ إنسان سبعيّ الطبع خبيث الطينة مبغض لكلّ من لا يحتاج إليه في العاجل بغيض إلى كلّ نفس يهارش كلّ من لا يخافه، ومثله هو الذي عنى تعالى بقوله: «شياطين الإنس». والثاني: عدوّ خاصّ العداوة، وذلك إمّا بسبب الفضيلة والرذيلة كمعاداة الجاهل للعاقل، وإمّا بسبب تجاذب نفع دنيوي كالتجاذب في رئاسة ومال وجاه، وإمّا بسبب لحمة أو مجاورة مورثة للحسد كمعاداة بني الأعمام بعضهم لبعض، وذلك في كثير من الناس كالطبيعي

---

(١) المصباح المنير: ص٥٤٤. نقلاً عن البارع.

....

قال رجل لشبيب بن شبّة: أنا والله أُحبّك ياأبا معمر. قال: أشهد على صدقك، قال: وكيف ذلك؟ قال لأنّك لست بجار قريب، ولابذي رحم نسيب، ولامشاكل في صناعة، وأكثر العداوة بين الناس تتولّد من شيء من ذلك.

وضرب عدوّ غير مضطغن للعداوة، لكن يؤذي حاله بالإنسان إلى أن يقع بسببه في مثل مايقع من كيد عدوّه فسمي عدوّاً لذلك كالأولاد والأزواج، وعلى ذلك قال تعالى: «إنّ من أزواجكم وأولادكم عدوّاً لكم فاحذروهم»(١).

وقال صلّى الله عليه وآله: ليس عدوّك الذي إن قتلته آجرك الله في قتله، وإن قتلك أدخلك الجنّة، ولكنّ أعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك وامرأتك التي تضاجعك وأولادك الذين من صلبك. فجعل عليه السلام هؤلاء أعداء الإنسان لمّا كانوا سبباً لهلاكه الأخروي، لما يرتكبه من المعاصي لأجلهم، فيؤدّي به إلى هلاك الأبد الذي هو شرّ من إهلاك المعادي المناصب إيّاه(٢).

إذا عرفت ذلك فينبغي أن يقصد الداعي بالأعداء ماعدا الضرب الأخير، فإنّ الشيطان يشمت بالإنسان إذا وقع في معصية. وفرح النفس الأمّارة باتّباعها شماتة منها وشماتة العدوّ الظاهر ظاهرة.

قال بعضهم: مسح القفار ونزح البحار و**إحصاء القطار** أهون من شماتة الأعداء.

وفي الأثر: قيل لأيّوب عليه السلام: أيّ شيء كان عليك أشدّ في بلائك؟

---

(١) سورة التغابن: الآية ١٤. (٢) الذريعة الى مكارم الشريعة: ص١٩٥ مع اختلاف يسير جداً في العبارة.

وَمِنَ الفَقرِ إلىٰ الإكفاءِ.

فقال: شماتة الاعداء(١).

وقال الجاحظ: مارأيت سناناً هو أنفذ من شماتة الأعداء(٢).

وقال ابن عنين المهلّبي:

كلّ المصائب قد تمرّ على الفتى ... فتهون غير شماتة الأعداء (٣)

وقال الخبزارزي:

شماتتكم بي فوق ماقد أصابني ... وما بي دخول النار بي طنز مالك *

جمع كفوء بالضمّ مهموزاً وهو النظير والمساوي. والظاهر أنّ المراد بالاكفاء: الأمثال والأشباه في النسب أو الحسب، وإنّما خصّهم بالذكر لأنّ الفقر إليهم أشدّ مضاضة على الإنسان من غيرهم.

فعن أميرالمؤمنين عليه السلام: إحتج إلى من شئت تكن أسيره، واستغن عمّن شئت تكن نظيره، وأحسن إلى من شئت تكن أميره(٤).

فإذا احتاج الإنسان إلى نظيره كان أسيره وصار هو أميره، فيراه بعين الرئاسة بعد أن كان يراه بعين الكفاءة. وتجرّع الصاب والعلقم بل نهش الشجاع الأرقم أهون من ذلك بمراتب، بخلاف الفقر إلى من هو أعظم منه رتبة وأجلّ قدراً؛ فقد يهون على الإنسان استماحته، كما كتب بعض أهل النعمة ـ وقد أساء

---

(١) بحارالأنوار: ج١٢ ص٣٧١، وربيع الابرار: مخطوط باب العداوة والحسد والبغضاء والشماتة ص١٤٦، والمخلاة:ص١٢.

(٢) ربيع الأبرار: مخطوط باب العداوة والحسد والبغضاء والشماتة ص١٤٦.

(٣) ربيع الأبرار: مخطوط باب العداوة والحسد والبغضاء والشماتة، ص١٤٦ والمخلاة:ص١٢ من دون نسبة الى قائل.

(٤) غرر الحكم: ج١ ص١١٢.

....

إليه زمانه- إلى بعض الأُمراء:

هــذا كــتــاب فتى لــه هــم ألـقـت إليـك رجـاءه همـمُـه

قـلّ الـزمـان يـدي عـزيمـتـه و طـواه عـن أكـفـائـه عـدمُـه

أفضـى إلـيـك بسـرّه قـلـم لـو كـان يـعقلـه بـكـىٰ قلـمُـه

وحكىٰ أبو منصور الثعالبي في كتاب يتيمة الدهر، قال: بلغني أن الصاحب إسماعيل بن عبّاد كان يتمنّىٰ انحياز أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي إلى جنابه وقدومه على حضرته، ويضمن له الرغائب على ذلك، إمّا تشوّقاً أو تشرّفاً، وكان أبو إسحاق يحتمل ثقل الخلّة وسوء أثر العطلة، ولايتواضع للإتّصال بحمله الصاحب بعد كونه من نظرائه وتحلّيه بالرئاسة في أيّامه(١).

ويحتمل أن يكون المراد بالاكفاء سائر الناس، كما قال:

الـنـاس مـن جـهة التـمـثـال أكـفـاء أبـــوهـــم آدم والأُمّ حـــوّاء(٢)

قال بعض العارفين: الفقر على ثلاثة أصناف: فقر إلى الله دون غيره، وفقر إلى الله مع غيره، وفقر الى الغير دون الله.

و إلى الأوّل أشار النبيّ صلّى الله عليه وآله بقوله: الفقر فخري(٣).

و إلى الثاني بقوله: كاد الفقر أن يكون كفراً(٤).

و إلى الثالث بقوله: الفقر سواد الوجه في الدارين(٥).

وعن أبي عبدالله عليه السلام: إيّاكم وسؤال الناس فإنّه ذلّ في الدنيا وفقر

(١) لم نعثر عليه

(٢) ديوان المنسوب إلى أميرالمؤمنين: ص١١.

(٣) بحار الأنوار: ج٧٢ ص٤٩ (عن جامع الاخبار).

(٤) الخصال: ص١١ ح٤٠.

(٥) بحار الأنوار: ج٧٢ ص٣٠.

وَمِن معيشةٍ فى شِدةٍ، وَ ميتَةٍ عَلىٰ غَيرِ عُدّةٍ.

تعجلونه وحساب طويل يوم القيامة(١).

وروي عن لقمان عليه السلام أنّه قال لابنه: يابنيّ ذقت الصبر وأكلت لحاء الشجر فلم أجد شيئاً أمرّ من الفقر، فإن بليت به يوماً فلا تظهر الناس عليه فيستهينوك ولاينفعوك بشيء، إرجع إلى الذي ابتلاك به فهو أقدر على فرجك وسله، من ذاالذي سأله فلم يعطه أو وثق به فلم ينجه(٢)*.

المعيشة: تكون اسماً بمعنى العيش وهو الحياة، وبمعنى مايعاش به من المطعم والمشرب، وما يكون به الحياة فهي مفعلة مُن العيش، ولذلك لم تقلب ياؤها همزة في الجمع عند الأكثر.

والشدّة بالكسر: اسم من الاشتداد، والمراد بها العسر والمشقّة*.

الميتة بالكسر: حالة الموت.

والعدّة بالضمّ: ما أعددته وهيّأته ليوم الحاجة وحوادث الدهر.

والمراد بها هنا التقوىٰ والعمل الصالح الذي يعدّ للتوصّل به إلى السعادة الأبديّة والتخلّص من الشقاوة الأُخرويّة.

ومن كلامهم: من مات على غير عدّة فوته موت فجأة، وإن كان صاحب فراش سنة(٣).

ومن كلام أميرالمؤمنين عليه السلام: إحذروا عباد الله الموت وقربه وأعدّوا له عدّته، فإنّه يأتي بأمر عظيم وخطب جليل بخير لايكون بعده شرّ أبداً، أو شرّ

(١) الكافي: ج٤ ص٣٠ ح١

(٢) الكافي: ج٤ ص٢٢ ح٨.

(٣) لم نعثر عليه.

وَنَعوذُ بِكَ مِن الحَسْرَةِ العُظمىٰ وَالمُصيبَةِ الكُبرىٰ. وأشْقىٰ الشّقاءِ.

لايكون معه خير أبداً(١)*.

الحسرة: التلهّف والتأسّف، وهي اسم من حسر على الشيء حسراً ـ من باب تعب ـ.

والمصيبة: الشدّة النازلة.

والعظمى والكبرىٰ: مؤنّثا أعظم وأكبر.

والمراد بالحسرة العظمىٰ هنا: التأسّف الذي يلحق الإنسان في الدار الآخرة على التفريط في اكتساب الأعمال الصالحة في دار الدنيا عند مشاهدته للثواب والعقاب، وهي المشار إليها بقوله تعالى: «أن تَقُولَ نَفسٌ ياحسرتىٰ علىٰ مافرَّطتُ في جَنبِ الله»(٢).

وبالمصيبة الكبرىٰ: المصيبة بالدين، كما قال أميرالمؤمنين عليه السلام وقد سئل أيّ المصائب أشدّ؟ فقال: المصيبة بالدين(٣)*.

أي: أشدّ الشقاء وأعظمه المتناهي في حدّ ذاته.

والمراد به دخول النار أعاذنا الله منها، كما قال تعالى: «فأمّا الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق * خالدين فيها مادامت السموات والأرض»(٤).

وسئل أميرالمؤمنين عليه السلام: أيُّ الخلق أشقىٰ؟ قال: من باع دينه بدنيا غيره(٥).

---

(١) نهج البلاغة: ص٣٨٤ رساله ٢٧ (إلى محمد بن أبي بكر).
(٢) سورة الزمر: الآية ٥٦.
(٣) معاني الاخبار: ص١٩٩ باب معنى الغايات.
(٤) سورة هود: الآية ١٠٦ و١٠٧.
(٥) معاني الأخبار: ص١٩٨، وامالي الصدوق ص٢٣٧ وأمالي الطوسي ج٢ ص٥٠.

وَسُوءِ المآبِ، وَحِرْمانِ الثّوابِ، وَحُلُولِ العِقابِ.

فإن قلت: أفعل التفضيل قياسه أن يكون لتفضيل الفاعل على غيره في الفعل، نحو: أعلم الناس أي: عالم أكثر علماً من سائر الناس، وكذا أشدّ العذاب أي: عذاب أكثر شدّة من سائر العذاب، وهذا المعنى غير متصوّر في أشقى الشقاء؛ لأنّ الشقاء لايتّصف بالشقاء فيكون منه شقي وأشقى.

قلت: هذا من الإسناد المجازي المسمّى بالمجاز العقلي، نحو: جدّ جدّه، وشعر شاعر، وداهية دهياء، والقصد من ذلك المبالغة والتنبيه على تناهيه، حيث جعل للشقاء شقاء حتّى صار أشقى، كما جعل للشعر شعر حتّى صار شاعراً، وللداهية دها حتّى صارت دهياً *.

آب يؤوب أوباً ومآباً: أي رجع، فالمآب بمعنى الرجوع إلى الله سبحانه بعد انقطاع حياته من هذه الدار، فيكون المراد بسوئه: اقترانه بالعذاب سواء كان في القبر أو بعد الحشر، كما ورد في دعاء آخر «أعوذ بك من كرب الموت، وسوء المرجع في القبور، ومن الندامة يوم القيامة»(١).

ويحتمل أن يكون المراد بسوء المآب: جهنّم أعاذنا الله منها، كما قال تعالى: «وإنّ للطاغين لشرّ مآب * جهنّم يصلونها فبئس المهاد»(٢)، فجعل جهنّم عطف بيان لشرّ مآب، كما جعل جنّات عدن عطف بيان لحسن مآب في قوله تعالى: «وإنّ للمتّقين لحسن مآب * جنّات عدن مفتحة لهم الأبواب»(٣).

وحرمه الشيء ـ من باب ضرب ـ حرماناً بالكسر: منعه، وأحرمه بالألف لغة فيه.

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) سورة ص: الاية ٥٥ و٥٦.

(٣) سورة ص: الآية ٤٩ و٥٠.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وأعِذْني مِن كُلِّ ذلِكَ

والثواب: اسم من أثبته على الشيء إذا جازيته فهو بمعنى الجزاء، ويستعمل في الخير والشرّ، لكنّه في الخير أكثر كما وقع هنا.

والمراد بحرمانه: عدم الإعداد له، وإلّا فلا معنى لحرمانه بعد وقوع مقتضيه، لقوله تعالى: «فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره»(١).

وحلول العقاب: لزومه، من حلّ الدين -من باب ضرب- حلولاً إذا وجب أداؤه، ويمكن أن يراد به نزول العقاب من حلّ بالبلد حلولاً -من باب قعد-، والأوّل أولى.

والعقاب: العقوبة، من عاقبه بذنبه إذا أخذه به. وقد تقدّم الكلام على الثواب والعقاب مستوفى في الروضة الأولى فليرجع إليه(٢)*.

كرّر طلب الإعاذة بعبارة أخرى إلحافاً وإلحاحاً في الدعاء فإنّه مندوب إليه.

فعن أبي جعفر عليه السلام: والله لايلحّ عبد مؤمن على الله عزّوجلّ في حاجة إلّا قضاها(٣).

وعن ابي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رحم الله عبداً طلب من الله عزّوجلّ حاجة فألحّ في الدعاء أُستجيب له أولم يستجب، وتلا هذه الآية: «وادعوا ربّي عسى ألّا أكون بدعاء ربّي شقيّاً»(٤)

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله عزّوجلّ كره إلحاح الناس بعضهم على بعض في المسألة وأحبّ ذلك لنفسه، إنّ الله عزّوجلّ يحبّ أن يسأل ويطلب

---

(١) سورة الزلزال: الآية ٧.
(٢) ج١ ص ٢٩٣.
(٣) الكافي: ج٢ ص٤٧٥ ح٣.
(٤) الكافي: ج٢ ص٤٧٥ ح٦.

بِرَحمتِكَ وَجَمِيعَ المؤمنينَ وَالمؤمِناتِ يا أرحَمَ الرّاحِمِينَ.

ماعنده(١)*.

الباء: للاستعطاف أو للسببية، أي: أعذني بسبب رحمتك التي وسعت كلّ شيء لا باستحقاق منّي *.

بنصب جميع، عطف على مفعول أعذني وهو ياء المتكلّم، عمّم في الدعاء قصداً لإيجابه.

فعن أبي عبدالله عليه السلام: إذا دعا أحدكم فليعمّم فإنّه أوجب للدعاء(٢)*.

ختم الدعاء بهذا الوصف للاستعطاف وتوقّع حصول المطلب، كما مرّ بيانه في ختام الروضة الخامسة(٣)، والله أعلم.

وكان الفراغ من تأليف هذه الروضة آخر يوم الثلاثاء لتسع خلون من محرّم الحرام أوّل شهور سنة ثمان وتسعين وألف، ولله الحمد ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمّد وآله الطاهرين.

---

(١) الكافي: ج٢ ص٤٧٥ ح٤.

(٢) الكافي: ج٢ ص٤٨٧ ح١ (باب العموم في الدعاء)، ومنه فليعمّ.

(٣) ص ١٧١.



الروضة التاسعة

وكان من دعائه عليه السلام في الاشتياق الى طلب المغفرة من الله جل جلاله

اللهم صل على محمد وآله وصيرنا الى محبوبك من التوبة وازلنا عن
مكروهك من الاصرار اللهم ومتى وقفنا بين نقصين في دين او دنيا
فاوقع النقص باسرعهما فناء واجعل التوبة في اطولهما بقاء واذا
هممنا بهمين يرضيك احدهما عنا ويسخطك الاخر علينا فمل بنا
الى ما يرضيك عنا واوهن قوتنا عما يسخطك علينا ولا تخل في
ذلك بين نفوسنا واختيارها فانها مختارة للباطل الا ما وفقت
امارة بالسوء الا ما رحمت اللهم وانك من الضعف خلقتنا و
على الوهن بنيتنا ومن ماء مهين ابتدأتنا فلا حول لنا الا بقوتك و
لا قوة لنا الا بعونك فايدنا بتوفيقك وسددنا بتسديدك و
اعم ابصار قلوبنا عما خالف محبتك ولا تجعل لشيء من جوارحنا
نفوذا في معصيتك اللهم فصل على محمد وآله واجعل همسات
قلوبنا وحركات اعضائنا ولمحات اعيننا ولهجات السنتنا في موجبات
ثوابك حتى لا تفوتنا حسنة نستحق بها جزاءك ولا تبقى لنا سيئة
نستوجب بها عقابك

بسم الله الرحمن الرحيم

اللّهمّ يامن إلى طلب مغفرته يشتاق المذنبون، ويا من إلى غيث رحمته يفتاق المجدبون، نحمدك على أن دعوتنا إلى محبوبك من التوبة، ونشكرك على أن نهيتنا عن مكروهك من الإصرار على الحوبة، ونصلّي على نبيّك الصادق الأمين الذي أرسلته رحمة للعالمين وعلى آله أئمّة الدين وعترته الهداة المهتدين.

وبعد فهذه الروضة التاسعة من رياض السالكين تتضمّن شرح الدعاء التاسع من أدعية صحيفة سيّد العابدين.

إملاء العبد الفقير إلى ربّه الغنيّ علي صدرالدين بن أحمد الحسينيّ الحسنيّ، كتبه الله في صحيفة ثوابه، وجعله نوراً بين يديه يوم حسابه.

شرح الدعاء التاسع

وَكانَ مِن دُعائِهِ عَليهِ السّلامُ في الإشتياقِ إلىٰ طَلَبِ المَغفِرةِ مِن اللهِ جَلَّ جَلالُه.

اللّهُمّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمّدٍ وَآلِهِ وَصَيِّرنا إلىٰ مَحْبُوبِكَ مِن التَّوبَةِ.

الاشتياق: اهتياج القلب إلى لقاء المحبوب.

والمغفرة: اسم من غفر الله له غفراً ـ من باب ضرب ـ وغفرانا، وأصل الغفر الستر، فلذلك قيل: المغفرة هي أن يستر القادر القبيح الصادر ممّن هو تحت قدرته، حتّى أنّ العبد إذا ستر عيب سيّده مخافة عقابه لايقال غفر له.

وجلّ الشيء يجلّ بالكسر: عظم فهو جليل، وجلال الله تعالى عظمته. وفي نسخة بدل هذا العنوان: «وكان من دعائه عليه السلام في الاعتراف وطلب التوبة إلى الله عزّوجلّ».

قال صلوات الله عليه وعلى آبائه وابنائه الطاهرين(١):

افتتح الدعاء بالصلاة على محمّد وآله عليهم السلام إيجاباً للإجابة كما مرّ مراراً.

---

(١) اي اول الدعاء.

....

وصار زيد غنيّاً: انتقل إلى حالة الغنى بعد أن لم يكن عليها، وصار إلى كذا: رجع إليه.

وإليه مصيره: أي مرجعه ومآله. ويتعدّى في المعنيين بالتثقيل، فيقال: صيّرته تصييراً.

فصيّرنا إلى محبوبك من التوبة أي: انقلنا إليه، أو اجعل مصيرنا ومآلنا إليه.

والمحبوب: مفعول من حبّه يحبّه -من باب ضرب- والأكثر أحبّه بالألف وإن لم يقل منه محبّ إلّا نادراً، كما ذكرناه في أوائل شرح السند.

ومعنى محبّته تعالى للتوبة: إرادته الثواب عليها والإكرام لفاعلها.

والتوبة لغة: الرجوع، وتنسب إلى العبد وإلى الربّ سبحانه، ومعناها على الأوّل: الرجوع عن المعصية إلى الطاعة. وعلى الثاني: الرجوع عن العقوبة إلى اللطف والتفضّل، وفي الاصطلاح: الندم على الذنب لكونه ذنباً، فخرج الندم على شرب الخمر مثلاً لمضرّته بالجسم.

وقيل: هي عبارة عن انزجار النفس العاقلة عن متابعة النفس الأمّارة بالسوء لجاذب إلهي، اطّلعت معه على قبح ما كانت عليه من اتّباع شياطينها.

وقيل: التوبة ترك الذنب لقبحه ومنعه من الوصول إلى الحقّ، والندم على ما فرّط، والعزم على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكن تداركه من الأعمال، وردّ المظلمة إلى صاحبها أو تحصيل البراءة منه، فمتى اجتمعت هذه الأمور تحقّقت حقيقة التوبة وكملت شرائطها وتاب إلى الله تعالى، وهي من أهمّ قواعد الإسلام وأوّل مقامات سالكي الآخرة.

وقد اتّفق أهل الإسلام على وجوبها فوراً، ومنافعها كثيرة:

وَأَزِلنا عَن مَكرُوهِكَ مِنَ الإصرارِ

منها: أنّها شفاء من مرض الذنب.

ومنها: أنّها تخلع ثوب الدنس وتقطع عرق النجس.

ومنها: أنّها تورث محبّة الربّ ورضوانه والمصير إلى جنانه. قال تعالى: «إنّ الله يحبّ التوّابين»(١)، وكفى بذلك شرفاً وفضلاً، فإنّ محبّة الحقّ أعلى مقاصد السالكين.

وعن الباقر عليه السلام: أنّ الله أشدّ فرحاً بتوبة عبده من رجل أظلّ راحلته ومزاده في ليلة ظلماء فوجدها، فالله أشدّ فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته(٢).

وإلى هذا المعنى أشار سيّد العابدين عليه السلام في الدعاء بقوله: «محبوبك من التوبة». ولو لم يرد في فضل التوبة غير هذا الحديث الشريف لكفى. كيف والآيات والأخبار فيه أكبر من أن تحصى، وسيأتي تمام الكلام على التوبة في الروضة الحادية والثلاثين إن شاء الله تعالى*.

زال من مكانه يزول زوالاً: تحوّل وانتقل، ويتعدّى بالهمزة كثيراً فيقال: أزلته، وبالتضعيف قليلاً فيقال: زوّلته.

وكراهته تعالى للإصرار يعود إلى علمه بعدم استحقاق الثواب عليه، ويلزمها إرادة إهانة فاعله وتعذيبه.

والإصرار: الإقامة على الذنب من غير استغفار، وقد سبق الكلام عليه مبسوطاً في شرح الدعاء الذي قبل هذا فليرجع إليه(٣)*.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٢٢. (٢) الكافي: ج٢ ص٤٣٥. (٣) ص ٣٥٩.

اللّهُمّ وَمَتىٰ وَقَفْنا بَيْنَ نَقْصَينِ في دِينٍ أَوْ دُنيا.
فَأوقِعِ النّقصَ بأَسْرَعِهِما فَناءً.

النقص: الخسران في الحظّ.

وأو: هنا للتفصيل، كقوله:

وقالوا لنا ثنتان لابد منهما صدور رماح أشرعت أو سلاسل

أي: نقص في دين أونقص في دنيا،فهوتفصيل لأجمال الشيء.

ودنيا: تأنيث الأدنىٰ، وقد وردت على خلاف القياس؛ لانسلاخها عن معنى الوصفيّة وإجرائها مجرىٰ الأسماء وهي ممنوعة الصرف لألف التأنيث.

وقال صاحب القاموس: الدنيا نقيض الآخرة وقد تنوّن(١) إنتهى.

قال الدماميني في شرح التسهيل: حكىٰ ابن الأعرابي صرف دنيا على وجه الشذوذ، ولايمكن أن تكون الألف للتأنيث مع الصرف، فتجعل إذ ذاك للإلحاق(٢) إنتهى.

والمعنى: أنّه متى وقع منّا تقصير نستوجب به الوقوف بين خسران في الدين وخسران في الدنيا.

أي: فاجعل ذلك الخسران في الدنيا المشار إليها بالأسرع فناء؛ لأنّ النقص في الفاني السريع الفناء لانسبة له إلىٰ النقص في الباقي الطويل البقاء.

وأفعل التفضيل هنا مجرّد عن معنىٰ التفضيل، أي: بالسريع منها فناء؛ لأنّ الدنيا والدين لايشتركان في سرعة الفناء حتّى يصحّ التفضيل، فهو كقولهم:

---

(١) القاموس المحيط: ج٤ ص٣٢٩.
(٢) شرح التسهيل: لايوجد لدينا هذا الكتاب.

وَ اجْعَلِ التّوبَةَ في أطوَلِهِا بَقاءً.

الناقص والأشج أعدلا بني مروان، أي: عادلاهم(١)*.

المراد بالتوبة: التوبة المنسوبة إلى الربّ، وهي رجوعه تعالى عن العقوبة إلى اللطف والتفضّل، أي: إجعل رجوعك عن العقوبة لنا بالخسران إلى اللطف بنا والتفضّل علينا في الدين المشار إليه بالأطول بقاء.

والحاصل: أنّه لـمّا كان من الذنوب والمعاصي مايستلزم إمّا خسراناً في الدنيا، كما قال تعالى: «وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم»(٢). وكما روي عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنه قال: وأيم الله ماكان قومٌ قطُّ في خفض عيش فزال عنهم إلّا بذنوبٍ اجترحوها(٣).

أو خسراناً في الدين، كما روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: إنّ العبد ليذنب الذنب فينسىٰ به العلم الذي كان قد علمه، وإنّ العبد ليذنب الذنب فيمتنع به من قيام الليل(٤).

وعن أبي عبدالله عليه السلام: أنّ الرجل ليذنب الذنب فيحرم صلاة الليل(٥).

سأل عليه السلام ربّه ان يوقع الخسران في الدنيا ويتوب عليه من الخسران في الدين.

وفي رواية: بين تقصير في دين أو دنيا «واو» على مامرّ.

---

(١) (الف): أعدلاهم.

(٢) سورة الشورى: الآية ٣٠.

(٣) نهج البلاغة: ص٢٥٧ وفيه: غض نعمة من عيش.

(٤) بحارالأنوار: ج٧٣ ص٣٧٧.

(٥) بحارالأنوار: ج٧٣ ص٣٣٠.

....

والمعنىٰ: متى إذا وقفنا بين تقصير في دين وتقصير في دنيا، نستوجب به النقص في أحدهما، فأوقع النقص في أسرعهما فناء إلى آخره.

وقال بعض المعاصرين: معنىٰ هذه العبارة إذا وقفنا بين تقصير في دين يكون باعثاً على عدم التقصير في الدنيا أو بسببه، أو تقصير في دنيا يكون باعثاً على عدم التقصير في الدين أو بسببه، فأوقع النقص بأسرعهما فناء وهو الدنيا، ليكون تقصيرنا فيها لافي الدين.

وفي إتيانه عليه السلام بـ «أو» تنبيه على عدم إمكان الجمع بين الرغبة في الدين والدنيا، كما ضرب أميرالمؤمنين عليه السلام مثلاً للدنيا والآخرة بالضرتين، وأنّه لايمكن أن ترضىٰ إحداهما إلّا بإسخاط الأُخرىٰ، وبكفّتي الميزان فإنّ إحداهما لا ترفع إلّا بوضع الأُخرىٰ، وبالمشرق والمغرب فإنّه كلّما ازداد قرباً من أحدهما ازداد بعداً من الآخر.

وقوله عليه السلام: «واجعل التوبة في أطولهما بقاء» معناه -والله أعلم-: إجعل التوبة في الدين لافي الدنيا، بمعنىٰ أنّ التوبة تكون ثمرتها وفائدتها بالدين لابالدنيا، فإنّ التوبة فيما يتعلّق بالدنيا لافائدة فيها.

قال: ويحتمل وجهاً آخر لعلّه أقرب من الأوّل، وهو أن يكون المراد وقوع النقص في التقصير في الدين لافي التقصير في الدنيا.

والمراد بالنقص: رفعه بالكلّية، فإنّ الناقص يأتي بمعنىٰ الساقط والزائل ونحو ذلك، وإذا استعمل فيما نقص منه شيء فباعتبار نقصه من التقصيرين.

وفي قوله عليه السلام: «بأسرعهما» بالباء دون «في» إفادة نقصه كلّه، وفناء التقصير في الدنيا باعتبار عدمه في الدنيا، ولايلزم من كونه سريع الفناء ثبوت

و إذا هَمَمنا بِهَمَّينِ يُرضِيكَ أحَدُهُما عَنّا وَ يُسخِطُك الآخَرُ عَلَينا.

الفناء لغيره، والتفضيل في أطولها ظاهر.

وأسرعها بمعنىٰ سريعها، كما في قوله تعالى: «وهو أهون عليه»(١)، ويمكن في أطولها أيضاً ليتناسبا.

ويحتمل اعتبار التفضيل فيهما، فتدبّر، إنتهىٰ كلامه. ولا يخفى مافيه من التمحّل والتكلّف.

وقال بعضهم: معنىٰ هذا الكلام أنّه متىٰ توجّه إلينا نقصان في دين أو في دنيا فاجعل النقصان دنيويّاً لاأُخرويّاً، ووفّقنا للتوبة قبل أن يصل إلينا النقصان الأُخروي، إنتهى.

وهو أقرب من الوجهين المذكورين قبله.

ولبعض المترجمين في حل هذه الفقرات كلام يضحك الثكلى، أضربنا عن ذكره لسفسطته *.

همّ بالأمر: إذا قصده وعزم عليه.

وقيل: هو أوّل العزم، وقد يطلق على العزم القوي.

وقال الأمين الطبرسي في مجمع البيان: الهمّ في اللغة على وجوه:

منها: العزم على الفعل، كقوله تعالى: «إذ همّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم»، أي: أرادوا ذلك وعزموا عليه.

ومنها: خطور الشيء بالبال وإن لم يقع العزم عليه، كقوله تعالى: «إذ همّت

(١) سورة الروم: الآية ٢٧.

....

طائفتان منكم أن تفشلا والله وليّهما». يعني: أن الفشل خطر ببالهما، ولو كان الهمّ هنا عزماً لما كان الله وليّهما؛ لأنّ العزم على المعصية معصية، ولايجوز أن يكون الله سبحانه وليّ من عزم على الفرار عن نصرة نبيّه.

ومنها: أن يكون بمعنى المقاربة، قالوا: همّ فلان أن يفعل كذا، أي: كاد يفعله.

ومنها: الشهوة وميل الطبع، يقول القائل فيما يشتهيه ويميل إليه طبعه: هذا أهمّ الأشياء إليّ، وفي ضدّه: ليس هذا من همّي(١) إنتهى ملخّصاً.

وقال غيره: الهمّ على ثلاثة أنواع:

أحدها: العزم وهو التصميم.

والثاني: الخطرة التي لا تقصد ولا تستقرّ.

الثالث: حديث النفس اختيار أن تفعل مايوافقها أو يخالفها أو أن لا تفعل.

فإن قلت: ماالمراد بالهمّ هنا؟ وأيّ معنى من هذه المعاني ينبغي حمل الهمّ عليه في الدعاء؟

قلت: ينبغي أن يحمل على المعنى الأوّل، وهو القصد والعزم وتوطين النفس على الفعل أو الترك؛ لأنّه الذي يترتّب عليه رضا الله تعالى في الطاعة وسخطه في المعصية.

وأمّا بمعنى الخطرة أو حديث النفس، فإن كان طاعة فلا مانع من أن يترتّب عليه رضاه تعالى، كما جرت عليه عادته في عموم الفضل والإحسان، وإن كان

---

(١) مجمع البيان: ج٥ - ٦ ص٢٢٤.

....

معصية فقد انعقد الإجماع من الأُمّة على أن لامؤاخذةبه.

وعلى هذا المعنى للهمّ حمل جماعة من العلماء. ماروواه في الكافي عن زرارة عن أحدهما عليهما السلام قال: إنّ الله تعالى جعل لآدم في ذرّيته من همّ بحسنةٍ ولم يعملها كتبت له حسنة، ومن همّ بحسنةٍ وعملها كتبت له عشر، ومن همّ بسيئةٍ ولم يعملها لم تكتب عليه، ومن عمل بها كتبت عليه سيئة(١).

وعن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ المؤمن ليهمّ بالحسنة ولايعمل بها فتكتب له حسنة، فإن هو عملها كتبت له عشر حسنات، وإنّ المؤمن ليهمّ بالسيئة أن يعملها فلا يعملها فلا تكتب عليه(٢).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلّى الله عليه وآله فيما يروي عن ربّه تبارك وتعالى- قال: إنّ الله كتب الحسنات والسيّئات ثمّ بيّن ذلك، فمن همّ بحسنةٍ فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن همّ بسيّئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همّ بها فعملها كتبها الله سيّئة واحدة(٣).

فالهمّ في هذه الأخبار محمول على معنى الخطور وحديث النفس الذي لااستقرار معه.

وأمّا العزم والتصميم على المعصية فهو في نفسه معصية، فإن عملها كانت

---

(١) الكافي: ج٢ ص٤٢٨ ح١.

(٢) الكافي: ج٢ ص٤٢٨ ح٢.

(٣) صحيح البخاري: ج٨ ص١٢٨ مع اختلاف يسير في العبارة وصحيح مسلم: ج١ ص١١٨ ح٢٠٧.

....

معصية ثانية، هذا ما ذهب إليه أكثر المحدّثين والمتكلّمين وجمهور العامّة وجماعة من أصحابنا منهم أمين الإسلام الطبرسي في مجمع البيان(١) والشريف المرتضى قدّس سرّه. قال في تنزيه الأنبياء: إرادة المعصية والعزم عليها معصية، وقد تجاوز ذلك قوم حتّى قالوا: إنّ العزم على الكبيرة كبيرة وعلى الكفر كفر(٢) إنتهى.

واستدلّوا على ذلك بقوله تعالى: «إنّ الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم»(٣). وقوله تعالى: «إجتنبوا كثيراً من الظنّ»(٤).

وبالأخبار المستفيضة الدالّة على حرمة الحسد واحتقار الناس وإرادة المكروه بهم. ويؤيّد ماذهبوا إليه ظاهر عبارة الدعاء.

وقال كثير من الأصحاب: إنّه غير مؤاخذ به؛ لظاهر الأخبار المتقدّمة. وأجابوا على الآيتين بأنهما مخصّصتان بإظهار الفاحشة والمظنون كما هو الظاهر من سياقهما.

وعن الثالث: أنّ العزم المختلف فيه ماله صورة في الخارج كالزنا وشرب الخمر، وأمّا مالاصورة له في الخارج كالاعتقادات وخبائث النفس مثل الحسد وغيره فليس من صور محلّ الخلاف فلا حجّة فيه على ما نحن فيه.

وأمّا احتقار الناس وإرادة المكروه بهم فإظهارهما حرام يؤاخذ به، ولانزاع فيه، وبدونه أوّل المسألة.

قال بعض المحقّقين: والحقّ أنّ المسألة محلّ إشكال.

---

(١) مجمع البيان: ج ٥ - ٦ ص٢٢٥.

(٢) تنزيه الأنبياء: للشريف المرتضى ص٤٧

(٣) سورة النور: الآية ١٩.

(٤) سورة الحجرات: الآية ١٢.

فَمِلْ بنا إلىٰ مايُرْضيكَ عَنّا وَأَوْهِنْ قُوَّتَنا عَمّا يُسخِطُكَ عَلَينا.

مال به إلى كذا: صرفه إليه.

والباء: للتعدية، أي: جعل الفعل متعدّياً و تحويله بإحداث معنىٰ التصيير في مفهومه من اللزوم إلى التعدّي، وهذا المعنىٰ ممّا انفردت به الباء عن سائر حروف الجرّ.

وأمّا التعدية بمعنىٰ إيصال معنى الفعل إلى شيء بواسطة حرف الجرّ فهو جارٍ في حروف الجرّ كلّها.

والمعنىٰ: أيّدنا منك بعناية نستعدّ بها لقصر الهمّ على مايرضيك عنّا.

ووهن يهن وهناً -من باب وَعَدَ-: ضعف، وأوهنه: أضعفه، وعدّاه بـ«عن» لتضمّنه معنى المنع.

والمراد بالقوّة هنا: المعنى الذي يتمكّن به الحيوان من مزاولة الأفعال الشاقّة من باب الحركات، وهي التي يقابلها الوهن والضعف، وقد تطلق على جنس القدرة وهي الصفة المؤثّرة في الغير، وعلى القدرة نفسها.

ويحتمل أن يراد بالقوّة هنا: القوّة الباعثة. وهي قوّة تحمل القوّة الفاعلة على تحريك الأعضاء عند ارتسام صورة أمر مطلوب أو مهروب عنه في الخيال، فهي إن حملتها على التحريك طلباً لتحصيل الشيء الملائم عند المدرك، سواء كان ذلك الشيء نافعاً بالنسبة إليه في نفس الأمر أو ضارّاً، تسمّى قوّة شهوانيّة. وإن حملتها على التحريك طلباً لدفع الشيء المنافي عند المدرك، ضارّاً كان في نفس الأمر أو نافعاً، تسمّى قوّة غضبيّة.

والمراد بإيهان القوّة عمّا يسخطه تعالىٰ عدم الإعداد للمعاصي الموجبة لسخطه سبحانه، وسخطه تعالى على العبد يعود إلى علمه بمخالفة أوامره وعدم

وَلاتخلِّ في ذلِك بَينَ نُفوسِنا و إِخـتيـارِها فَإنّها مُخـتارَةٌ لِلباطِلِ إلّا ماوَفَّقْتَ، أمّارَةٌ بالسّوءِ إلّا مارَحِمتَ.

طاعته له، ويلزمه كراهيّته لثـوابه، وكراهته تعود إلى علمه بعدم استحقاقه للثواب وأنّه لامصلحة في ثوابه، ويلزمها إرادة إهانته وتعذيبه ✲.

خلّيت بين زيد وعمرو تخلية: أي تركته وإيّاه.

قال الزمخشري في الأساس: خلّيتهُ وخلّيت عنه: أرسلته، وخلّيت فلاناً وصاحبه وخلّيت بينهما(١) إنتهى.

فقوله: لاتخلِّ يجب ضبطه بضمّ التاء وكسر اللام المشدّدة.

وأمّا ضبطه بفتح التاء وفتح اللام وجعله من تخليته بمعنىٰ خلّيته فلم أقف عليه في شيء من كتب اللغة، وإن حكاه بعض المحشّين فالعهدة عليه.

واعلم أنّ المحقّقين على أنّ النفس الإنسانيّة ـ أعني النفس الناطقة ـ شيء واحد، فإذا مالت إلى العالم العلوي كانت مطمئنّة، وإذا مالت إلى الشهوة والغضب سمّيت أمّارة، وهذا في أغلب أحوالها لألفها بالعالم الحسّي وقرارها فيه، فلاجرم إذا خلّيت وطباعها انجذبت إلى هذه الحالة، فلهذا قيل: إنّها من حيث هي أمّارة بالسوء.

وإن كانت منجذبة تارةً إلى العالم العلوي وتارةً إلى العالم السفلي سمّيت لوّامة.

ومنهم من ذهب إلى أنّ النفس المطمئنّة هي الناطقة بالعلوم، والنفس الأمّارة منطبعة في البدن تحمله على الشهوة والغضب وسائر الأخلاق الرذيلة.

---

(١) اساس البلاغة: ص١٧٤.

اللّهمّ وَ إنّكَ مِن الضّعف خَلَقتَنا، وَعَلَى الوَهْنِ بَنَيْتَنا، وَمِن ماءٍ مَهينٍ إبتَدَأتَنا.

والفاء من قوله: «فإنّها» للسببية، تعليل لسؤال عدم التخلية بينها وبين اختيارها.

وقوله: «مختارة للباطل أمّارة بالسوء» أي: ميّالة إلى القبائح راغبة في المعاصي إلّا ماوقيت وما رحمت، أي: إلّا البعض الذي وقيته ورحمته بالعصمة كالملائكة والأنبياء عليهم السلام.

فـ«ما» في الموضعين موصولة، أو المراد أنّها مختارة للباطل أمّارة بالسوء في كلّ وقتٍ وأوانٍ إلّا وقت وقايتك ورحمتك. فـ«ما» مصدريّة زمانيّة، ويحتمل أن يكون الاستثناء منقطعاً، أي: ولكنّ وقايتك ورحمتك هما اللتان تصرفان الباطل والسوء. وهو محمول على منح الألطاف منه تعالى، فلادليل فيه على أنّ صرف النفوس عن الباطل والسوء بخلق الله وتكوينه كما هو مذهب الأشاعرة *.

فيه إشارة إلى قوله تعالى: «الله الذي خلقكم من ضعف»(١)، أي: جعل الضعف أساس أمر الإنسان أمّا بحسب الخلقة والبنية فلأنّه خلقه من أصل ضعيف هو النطفة، وأمّا بحسب الأخلاق فلأنّه خُلق ضعيفاً عن مخالفة هوى ومقاتلة دواعيه وقواه، حيث لايصبر عن اتّباع الشهوات ولايستخدم قواه في مشاق الطاعات، كما قال سبحانه: «وخلق الإنسان ضعيفاً»(٢).

فإنّ المراد بالضعف فيه: الضعف عن مخالفة الهوى؛ لأنّها جملة وقعت اعتراضاً تذييلياً مسوقة لتقرير ماقبله من التخفيف بالرخصة في نكاح الإماء.

---

(١) سورة الروم: الآية ٥٤

(٢) سورة النساء: الآية ٢٨.

....

وليس لضعف البنية مدخل في ذلك، وإن ذهب إليه بعض المفسّرين فإنّ المقام لايساعده.

والوهن: الضعف، جعله أساساً لما طبع عليه الإنسان من الأخلاق وما طبع منه من الأركان، فاستعار له البناء إيذاناً بغاية لزومه له وعدم انفكاكه عنه، ولك تخصيص الضعف بالأخلاق والوهن بالخلقة أو بالعكس، تفادياً من التأكيد وذهاباً إلى التأسيس الذي هو خير منه.

وفي قوله عليه السلام: «ومن ماء مهين ابتدأتنا» إشارة إلى قوله تعالى في سورة السجدة: «وبدأ خلق الإنسان من طين* ثمّ جعل نسله من سلالة من ماء مهين»(١). وقوله تعالى في المرسلات: «ألم نخلقكم من ماء مهين»(٢).

والمهين: الحقير الذي لايعبأ به، وهو فعيل من مهن بضمّ العين مهانة: حقر فهو مهين.

والمراد بالماء: النطفة.

قال بعض العلماء: وفي خلق الإنسان ضعيفاً حكمة بالغة، وذلك أنّ الخلقة الإنسيّة لو لم تكن ذات وهن وقصور في البنية، لما انتبه الإنسان في احتياجه في الحالات كلّها إلى خالقه، ولو لم ينتبه في احتياجه إليه لما أحبّه ولما خشيه ولما استعان به واستعاذ به والتجأ إليه، ولصارت أبواب المعاونات وأوجه المواساة منقطعة بين الخليقة، ولما تدرّج الإنسان بمساعيه الحميدة إلى اكتساب الفضائل ولما استحقّ بها المحمدة، فسبحان من جعل الإنسان بقصور بنيته فائزاً بأوفى غبطته*.

---

(١) سورة السجدة: الآية ٧ و٨.

(٢) سورة المرسلات: الآية ٢٠.

فَلا حَولَ لَنا إلّا بِقُوّتِكَ وَلاقُوّةَ لَنا إلّا بِعَونِكَ .
فأيّدنا بِتَوفيقِكَ وَسَدّدْنا بِتَسدِيدِكَ .

الحول هنا: بمعنى الحركة، أي: لاحركة لنا في تحصيل خير إلّا بقوّتك، ويجوز أن يكون بمعنى الاحتيال من حال حولاً بمعنى احتال إذا قدر على التصرّف، أي: لاقدرة لنا على التصرّف إلّا بقوّتك.

والقوّة: تطلق على كمال القدرة ويقابلها الضعف، ولمّا ثبت أنّه تعالى مستند جميع الموجودات والمفيض على كلّ قابل مايستعدّ له ويستحقّه، فهو المعطي لكلّ ضعيف عادم القوّة من نفسه كماله وقوّته، لم يكن للإنسان قدرة على الحركة أو التصرّف إلّا بقوّته سبحانه، ولاقوّة له إلّا بإفاضة قوّة استعداد يقوى به عقله على القيام بأوامره تعالى والاجتناب عن نواهيه، وهو معنى قوله: «إلّا بعونك» *.

التأييد: التقوية من الأيد بمعنى القوّة، وتأييده تعالى للعبد تقوية أمره من داخل بالبصيرة، ومن خارج بقوّة الأعضاء والجوارح على العمل بطاعته سبحانه.

وقد مرّ معنى التوفيق، وهو جعل إرادة الإنسان وفعله موافقاً لقضائه تعالى وقدره، وهو إن كان في الأصل موضوعاً على وجهٍ يصحّ استعماله في السعادة والشقاء فقد صار متعارفاً في السعادة فقط، وهو ممّا لايستغني الإنسان عنه في كلّ حال.

كما قيل لحكيم: ماالشيء الذي لايستغنى عنه في كلّ حال؟ فقال: التوفيق.

وسدّده تسديداً: قوّمه و وفّقه للسداد، أي: الصواب من القول والعمل.

وقيل: تسديده تعالى للعبد عبارة عن تقويم إرادته وحركاته نحو الغرض

وَأَعْمِ أَبْصارَ قُلوبِنا عَمّا خالَفَ مَحَبَّتَكَ وَلا تَجْعَل لِشَيءٍ مِن جَوارِحِنا نُفوذاً في مَعصِيَتِكَ .

المطلوب له، ليهجم إليه في أسرع مدّة.

قال بعض العلماء: واعلم أنّ توفيقه وتأييده وتسديده تعالىٰ للعبد يكون بما يخوّله من الفهم الثاقب، والسمع الواعي، والقلب المراعي، وتقييض المعلّم الناصح، والرفيق الموافق، وإمداد من المال بما لايقعد به عن مغزاه قلّته ولايشغله عنه كثرته، ومن العشيرة والعزّ مايصونه عن سفه السفهاء وعن الغضّ منه من جهة الأغنياء، وأن يخوّله من كبر الهمّة وقوّة العزيمة مايحفظه عن التسفّف(١) للدنيّة والتأخّر عن بلوغ المنزلة السنيّة *.

العمىٰ كما يطلق على ذهاب بصر العين يطلق على ذهاب بصر القلب.

قال في المحكم: عمىٰ: ذهب بصره كلّه، والعمىٰ أيضاً ذهاب بصر القلب(٢) إنتهى.

وقال غيره: هو للقلب مستعاراً من عمىٰ العين.

والأبصار: جمع بصر محرّكة، وهو من العين النور الذي تدرك به المبصرات، ومن القلب النور الذي يرىٰ به حقائق الأشياء وبواطنها، بمثابة البصر للجارحة ترىٰ به صور الأشياء وظواهرها .

قال في القاموس: البصر محرّكة حسّ العين، ومن القلب نظره وخاطره(٣).

والمراد بإعماء أبصار القلوب عمّا خالف محبّته تعالى منعها عن الإلتفات إلى

(١) هكذا في (الف وب) ولكن في (ج) التسعّف.

(٢) المحكم لأبن سيده: ج٢ ص١٩٠.   (٣) القاموس المحيط: ج١ ص٣٧٣.

اللّهُمّ فَصَلّ عَلىٰ مُحمّدٍ وَآلِهِ وَأجْعَلْ هَمَساتِ قُلوبِنا وَحَرَكاتِ أعْضائِنا وَلَمحاتِ أعْيُنِنا وَلَهَجاتِ ألْسِنَتِنا في مُوجِباتِ ثَوابِكَ .

الشرور والمعاصي بعدم إعدادها لها.

والجوارح: جمع جارحة، وهي الأعضاء كاليد والرجل.

ونفذ في الأمر والقول نفوذاً ونفاذاً: مضى. والغرض سؤال حفظه تعالى وعصمته عن اكتساب معصيته بشيء من الجوارح والأعضاء.

وما قيل: إنّه من باب القلب لامن الإلباس، أي: لاتجعل لمعصيتك نفوذاً في شيء من جوارحنا، فظاهر الفساد؛ لأنّ المعصية لافعل لها في الجوارح حتّى تكون هي النافذة فيها، وإنّما الفعل للجارحة لاكتسابها للمعصية، فهي النافذة في المعصية باكتسابها لها، وما أدري ماالحامل لهذا القائل على جعله من باب القلب، مع تصريحهم بأنّه من الضرورات التي لاينبغي حمل الكلام الفصيح عليها؟ *.

همس الكلام -من باب ضرب-: أخفاه، أي: ماتخفيه قلوبنا.

والأعضاء: جمع عضو بكسر العين وضمّها وهو الأشهر، وهو كلّ عظم وافر بلحمه، كذا في المحكم(١).

وفي مختصر العين: العضو كلّ عظم وافر من الجسد(٢).

ولمح البصر: امتدّ إلى الشيء، ولمح إليه لمحاً -من باب نفع-: نظر إليه باختلاس البصر.

---

(١) المحكم لابن سيده: ج٢ ص٢٠٩ وفيه هكذا: العضو والعضر كلّ عظم وافر بلحمه وجمعها أعضاء.

(٢) المصباح المنير نقلاً عن مختصر العين: ص٥٦٨.

حَتّى لا تَفوتَنا حَسَنَةٌ نَسْتَحِقُ بِها جَزاءَكَ وَلا تَبْقى لَنا سَيِّئَةٌ نَستَوجِبُ بِها عِقابَكَ.

واللهجات: جمع لهجة بفتح الهاء وسكونها لغة.

قال أصحاب اللغة: هي اللسان.

وقيل: طرفه، ولاخفاء بأنّ إرادة هذا المعنى غير صحيحة هنا، بل المراد ماتلفظ به الألسن.

قال الزمخشري في الفائق: وقيل: لهجة اللسان: ماينطق به من الكلام، وأنّها من لهج بالشيء، ونظيرها قول بعضهم في اللغة: إنّها من لغى بالشيء إذا عزى[١] إنتهى.

وعن الأزهري: فلان صحيح اللهجة، أي: اللغة[٢]. ولامانع من إرادة هذا المعنى هنا.

وفي: للظرفيّة المجازية.

وموجبات الثواب: مايوجبه من الأعمال الصالحة*.

حتّى: هنا للتعليل بمعنى كي، أي: كي لا تفوتنا حسنة.

وفاته الأمر فوتاً وفواتاً: ذهب عنه.

والحسنة: ماندب إليه الشارع، وتقابلها السيّئة وهي مانهى عنه.

واستحقّ الشيء: استوجبه.

والجزاء: المكافأة على الشيء.

ولا تبقى لنا سيئة، أي: لا تفضل، من قولهم: بقي من الدين كذا، أي: فضل

(١) الفائق: ج١ ص٣٧٩

(٢) تهذيب اللغة: ج٦ ص٥٥.

....

وتأخّر. والغرض سؤال التوفيق للإتيان بجميع الطاعات والتوقّي عن جميع المعاصي، وذلك إنّما يكون عن فيض إلهي وعناية إلهيّة، يقوى بهما الإنسان على تحرّي الخير وتجنّب الشر.

جعلنا الله تعالى من الملحوظين بعين عنايته والمهتدين بنور هدايته.

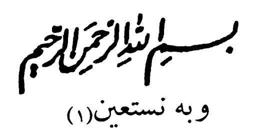
وكان الفراغ من تأليف هذه الروضة عصر يوم السبت لخمس عشر خلون من شهر ربيع الثاني سنة ألف وثمانية وتسعين، والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة على محمّد وعلى آله أجمعين وسلّم.



الروضة العاشرة

وَكَانَ مِنْ دُعَآئِهٖ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي اللَّجَا اِلَى اللّٰهِ تَعَالٰى

اَللّٰهُمَّ اِنْ تَشَأْ تَعْفُ عَنَّا فَبِفَضْلِكَ وَاِنْ تَشَأْ تُعَذِّبْنَا فَبِعَدْلِكَ فَسَهِّلْ لَنَا عَفْوَكَ بِمَنِّكَ وَاَجِرْنَا مِنْ عَذَابِكَ بِتَجَاوُزِكَ فَاِنَّهٗ لَا طَاقَةَ لَنَا بِعَدْلِكَ وَلَا نَجَاةَ لِاَحَدٍ مِنَّا دُوْنَ عَفْوِكَ يَا غَنِيَّ الْاَغْنِيَآءِ هَا نَحْنُ عِبَادُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ وَاَنَا اَفْقَرُ الْفُقَرَآءِ اِلَيْكَ فَاجْبُرْ فَاقَتَنَا بِوُسْعِكَ وَلَا تَقْطَعْ رَجَآئَنَا بِمَنْعِكَ فَتَكُوْنَ قَدْ اَشْقَيْتَ مَنِ اسْتَسْعَدَ بِكَ وَحَرَمْتَ مَنِ اسْتَرْفَدَ فَضْلَكَ فَاِلٰى مَنْ حِيْنَئِذٍ مُنْقَلَبُنَا عَنْكَ وَاِلٰى اَيْنَ مَذْهَبُنَا عَنْ بَابِكَ سُبْحَانَكَ نَحْنُ الْمُضْطَرُّوْنَ الَّذِيْنَ اَوْجَبْتَ اِجَابَتَهُمْ وَاَهْلُ السُّوْٓءِ الَّذِيْنَ وَعَدْتَ الْكَشْفَ عَنْهُمْ وَاَشْبَهُ الْاَشْيَآءِ بِمَشِيَّتِكَ وَاَوْلَى الْاُمُوْرِ بِكَ فِيْ عَظَمَتِكَ رَحْمَةُ مَنِ اسْتَرْحَمَكَ وَغَوْثُ مَنِ اسْتَغَاثَ بِكَ فَارْحَمْ تَضَرُّعَنَا اِلَيْكَ وَاَغْنِنَا اِذْ طَرَحْنَا اَنْفُسَنَا بَيْنَ يَدَيْكَ اَللّٰهُمَّ اِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ شَمِتَ بِنَا اِذْ شَايَعْنَاهُ عَلٰى مَعْصِيَتِكَ فَصَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّاٰلِهٖ وَلَا تُشْمِتْهُ بِنَا بَعْدَ تَرْكِنَا اِيَّاهُ لَكَ وَرَغْبَتِنَا عَنْهُ اِلَيْكَ



وبه نستعين(١)

اللّهمّ يامن إليه يلجأ المضطرّون، وبكرمه يلوذ المعترون، نحمدك على أن جعلت لنا إلى طلب عفوك سبيلاً، وسقيتنا من رجاء رحمتك ومغفرتك سلسبيلاً، ونصلّي ونسلّم على نبيّك الذي شرعت بشرعه النهج القويم وأهل بيته الذين هديت بهم إلى الصراط المستقيم.

وبعد فهذه الروضة العاشرة من رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد العابدين، إملاء العبد الراجي عفو ربّه السنيّ علي صدرالدين الحسينيّ الحسنيّ، أصلح الله أعماله وبلّغه في الدارين آماله.

---

(١) (الف): وبه ثقتي.

شرح الدعاء العاشر

«وكانَ منْ دعائه عليـه السّلام في اللَّجأ إلى الله تعالى» اللّهمَّ إنْ تشَأ تَعفُ عَنّا فَبفضلكَ وإنْ تَشَأ تُعذّبْنا فَبِعَدْلِك.

لجأت إليه بالهمزة لجأ بالتحريك -من بابي نفع وتعب- وملجأ والتجأت إليه: اعتصمت به واستندت إليه، وهو لجأي محرّكة أيضاً وملجأي.

وأمّا اللجاء بالمدّ - كما حكاه بعض المحشّين - فلم أقف عليه فيما يحضرني من كتب اللغة فليحرز.

مفعول تشأ في الفقرتين محذوف لغرض البيان بعد الإبهام، والتقدير: إن تشأ العفو عنّا تعف عنّا، وإن تشأ عذابنا تعذّبنا، وحذف المفعول بعد فعل المشيئة والإرادة كثير مطّرد؛ لدلالة الجواب عليه وبيانه له.

ومنه قوله تعالى: «فلو شاء لهداكم أجمعين»(١)، أي: لو شاء هدايتكم لهداكم أجمعين، فإنّه متى قيل: لوشاء وإن تشأ علم السامع أنّ هناك شيئاً علّقت المشيئة عليه لكنّه مبهم عنده، فإذا جيء بجواب الشرط صار مبيّناً وهذا أوقع في النفس، ويستثنى من ذلك فعل المشيئة الذي يكون تعلّقه لمفعوله غريباً،

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٤٩.

....

نحو: ولو شئت أن أبكي دماً لبكيته؛ فإنّ تعلّق فعل المشيئة الذي يكون تعلّقه ببكاء الدم غريب، فلابدّ من ذكر المفعول لتتقرّر في نفس السامع ويأنس به.

وتعف وتعذّب: مجزومان جزاء للشرط.

والفاء من قوله «فبفضلك»: فصيحة، أي: إن عفوت فالعفو بفضلك.

وكذا قوله «فبعدلك»، ولايصحّ كون «تعف وتعذّب» بدلي اشتمال من تشأ في الفقرتين والفاء رابطة للجواب؛ لعدم فهم معناهما لو حذفا، وبدل الاشتمال شرط صحّته فهم معناه عند حذفه.

كما نصّ عليه ابن مالك في شرح الكافية(١) والتسهيل(٢)، فمن توهّم أنّهما من باب بدل الفعل من الفعل بدل اشتمال نحو «ومن يفعل ذلك يلق آثاما * يضاعف له العذاب»(٣).

وقول الشاعر:

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطباً جزلاً وناراً تأجّجا(٤)

فقد أخطأ، ألّا ترى أنّك لو حذفت تعف وتعذّب، فقلت: إن تشاء فبفضلك وإن تشاء فبعدلك لم يصحّ، بخلاف الآية والبيت، فإنّك لو حذفت فيهما البدلين فقلت: ومن يفعل ذلك يلق آثاما، ومتى تأتنا في ديارنا تجد حطباً جزلاً، صحّ الاستغناء عن البدل بالمبدل منه وحسن الكلام.

وتقديم المغفرة على التعذيب للإيذان بسبق رحمته غضبه، ولأنّها من

---

(١) شرح الكافية: لايوجد لدينا هذا الكتاب.

(٢) التسهيل: لايوجد لدينا هذا الكتاب.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٦٨ - ٦٩.

(٤) شرح قطر الندى لابن هشام: ص٩٠.

فَسَهِّلْ لَنا عَفْوَكَ بِمَنِّكَ وَأجِرْنا مِن عَذابِكَ بِتَجاوُزِكَ .

مقتضيات الذات دونه فإنّه من مقتضيات سيّئات العصاة، وهذا صريح في نفي وجوب التعذيب. والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له.

وفي رواية ابن إدريس تعذّبنا بالرفع.

قال بعضهم: وجهه غير ظاهر.

قلت: بل هو ظاهر، وهو مثل قوله تعالى: «أفغير الله تأمرونّي أعبد»(١).

وقول الشاعر:

ألا أيّ هذا الزاجري أحضر الوغى

برفع أعبد وأحضر ووجهه أنّ الأصل إن تشأ أن تعذّبنا، وتأمروني أن أعبد، والزاجري أن أحضر، فحذفت أن الناصبة وارتفع المضارع على الأصل؛ لأنّ العامل إذا نسخ عاملاً وحذف رجع الأوّل؛ لأنّ لفظه هو الناسخ، وعلى هذه الرواية تكون الفاء من قوله «فبعدلك» رابطة للجواب، والمعنىٰ وإن تشأ تعذّبنا فذلك بعدلك.

والفضل: الإحسان.

والعدل: الإنصاف. ولاشكّ أنّ مشيئته سبحانه للعفو تفضّل منه وإحسان لاباستحقاق من العبد.

ومشيئته للعذاب والعقاب إنّما هو جزاء للمعاقب بما عمله، لابظلم منه له وجور عليه، كما قال تعالى: «ثمّ توفّىٰ كلّ نفس ماكسبت وهم لايظلمون»(٢) *.

سهّل الله الشيء تسهيلاً: يسّره، وتسهيل العفو عبارة عن التكرّم به على

(١) سورة الزمر: الآية ٦٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨١.

فَإنّه لاطاقَةَ لَنا بِعَدلِكَ وَلانَجاةَ لأحَدٍ مِنّا دُونَ عَفْوِكَ .

العبد من غير مداقّة ومناقشة في الحساب، أو مخالطته بشيء من العذاب والعقاب.

والمنّ: مصدر مَنّ عليه بالعتق وغيره منّاً -من باب قتل- أنعم عليه به، والاسم المنّة بالكسر.

وأجاره من السوء: حفظه بشيء منه، وأجاره ممّا يخاف: آمنه.

وتجاوز عنه: عفا وصفح *.

الطاقة: اسم من أطقت الشيء إطاقة قدرت عليه فأنا مطيق، مثل الطاعة اسم من أطاع.

والنجاة: مصدر نجا من الهلاك ينجو أي: خلص، والإسم النجاء بالمدّ وقد يقصر.

ودون بالضمّ: نقيض فوق، واتّسع فيه فاستعمل في كلّ تجاوز أمر إلى أمر، كقوله:

* يا نفس مالك دون الله من واق *

أي: تجاوزت وقايته ولم تباها لم يقك غيره، وهو هنا بهذا المعنىٰ، أي: لانجاة لأحد منّا إذا تجاوزنا عفوك ، ويجوز أن يكون المعنىٰ قبل الوصول إلى عفوك .

ومنه: إنّ دون غدٍ لليلة، أي: قبله.

وفي معنى قول هذا الدعاء قول أميرالمؤمنين عليه السلام: اللّهمّ احملني على عفوك ولاتحملني على عدلك(١). سأل عليه السلام أن يحمله على عفوه فيما عساه

(١) نهج البلاغة: ص٣٥٠ خطبة ٢٢٧.

يا غَنيَّ الأغنياءِ ها نَحْنُ عِبادُكَ بينَ يَدَيكَ وَأنا أفْقَرُ الفُقَراءِ إلَيكَ.

صدر عنه من ذنب، ولا يحمله على عدله فيجزيه بما فعل حرماناً وعقوبة.

قال بعضهم: وهو من لطيف ماتعدّه النفس لاستنزال الرحمة الإلهيّة *.

كونه تعالى غنيّاً يعود إلى عدم حاجته في شيء ما إلى شيء ما، فغناه عبارة عن سلب مطلق الحاجة، وإضافته إلى الأغنياء على معنىٰ كبيرهم ورئيسهم، كما يقال ملك الملوك وسيّد السادات وعظيم العظماء ومولىٰ الموالي.

وها: للتنبيه، وفيه شاهد لدخوله على الجملة الاسميّة الخالية من اسم الإشارة.

وقال الرضي: لم أعثر لذلك على شاهد(١). وكفى بكلام المعصوم شاهداً.

وقد حكىٰ الزمخشري في المفصّل دخوله على الاسميّة والفعليّة الخاليتين من اسم الإشارة، فقال: يقال: هاإنّ زيداً منطلق، وها إفعل كذا(٢).

ونحن: مبتدأ، وعبادك: خبره.

وبين يديك: إمّا في محلّ نصب على الحال، أي: ماثلين بين يديك، والعامل فيها حرف التنبيه، أو في محلّ رفع على أنّه خبر بعد خبر.

فإن قلت: قد قرّروا أنّ معنى التنبيه إيقاظ السامع وتنبيهه من سنة الغفلة؛ لتمكّن الجملة في ذهنه، ويتفطّن لما يقال له ويلقىٰ إليه فلا يغفل عنه، وهذا المعنىٰ مستحيل في خطاب الله تعالى، فكيف جاء بحرف التنبيه في خطابه تعالى؟

---

(١) الكافية في النحو للرضي: ج٢ ص٣٨١. (٢) المفصّل: ص٣٠٧

....

قلت: لمّا كان التنبيه يستلزم اهتمام المتكلّم بالمقصود، كان الغرض من المجيء بحرفه في خطابه سبحانه إظهار الاهتمام بالمقصود، فهو من قبيل التضرّع والإلحاح المطلوب في الدعاء لا تنبيه المخاطب وإيقاظه، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

وبين اليدين: عبارة عن الأمام؛ لأنّ مابين يدي الإنسان أمامه

وقال الزمخشري في الكشّاف: حقيقة قولهم: جلست بين يديّ فلان أن تجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريباً منه حتّى تنطر إليه من غير تقليب حدقة، فسمّيت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعاً، كما يسمّى الشيء باسم غيره إذا جاوره وإذا داناه في غير موضع(١) إنتهى.

وقد جرت هذه العبارة هاهنا على سنن التمثيل الذي يسمّيه أهل البيان تمثيلاً تخييليّاً، فإنّه مثّل حضور عباده تعالى في علمه سبحانه بحال حضور قوم ماثلين أمام من يكون له جهتان مسامتتان ليمينه وشماله قريباً منه، من غير أن يذهب بها إلى جهة حقيقة بالنسبة إلى الله تعالى كما يذهب اليه المجسّمة، أو مجاز بأن يراد باليد القدرة.

وإنّما المراد بالمفردات في مثل ذلك حقائقها في نفسها، كما في قولهم: أراك تقدّم رجلاً وتؤخّر أُخرى، على ماسبق بيانه مبسوطاً في الروضة السادسة في شرح دعاء الصباح، عند قوله عليه السلام: «أصبحنا في قبضتك»، فليرجع إليه(٢).

---

(١) تفسير الكشّاف: ج ٤ ص ٣٥٠.
(٢) ص ٢٢٣.

فَاجْبُر فاقَتَنا بِوُسْعِكَ وَلا تَقْطَعْ رَجاءَنا بِمَنْعِكَ .
فَتَكُونَ قَدْ أَشْقَيْتَ مَنِ اسْتَسْعَدَ بِكَ وَحَرَمْتَ مَنِ اسْتَرْفَدَ فَضلَكَ .

قوله: «وأنا أفقر الفقراء إليك» يجب أن يحمل الفقر على ماهو أعمّ من الفقر المتعارف، وهو مطلق الحاجة؛ ليعمّ التمجيد.

جبر الله مصيبته -من باب قتل-: أي ردّ عليه ماذهب منه أو عوّضه عنه، وجبر الفقير: أحسن إليه أو أغناه بعد فقره، وجبرت فلاناً: نعّشته، وأصله من جبر العظم الكسير وهو إصلاحه.

والفاقة: الحاجة والفقر.

والوسع بالضمّ: الغنىٰ والجدة، وفي الأسماء الحسنى «الواسع»: الكثير العطاء الذي يسع لما يسأل، أو الذي وسع غناه كلّ فقير ورحمته كلّ شيء.

وقطع رجاءه: أبطله وأيأسه.

والمنع: الحرمان، وفي الدعاء «اللّهمّ من منعته فهو ممنوع» أي: من حرمته فهو محروم ولايعطيه أحد غيرك (١)، وفي أسمائه تعالى «المانع»(٢).

قيل: معناه يمنع من يريد من خلقه مايريد ويعطيه مايريد.

وقيل: يمنع عن أهل طاعته ويحوطهم وينصرهم فلايكون ممّا نحن فيه *.

الفاء: للسببية، والمضارع منصوب بعدها بأن مضمرة لسبقها بالطلب، وهو قوله: لا تقطع.

واستسعد: طلب السعادة، والباء من بك: إمّا للاستعانة أو السببية.

(١) و(٢) مجمع البحرين: ج٤ ص٣٩٣.

فإلىٰ مَنْ حِينَئذٍ مُنقَلَبُنا عَنكَ وإلىٰ أينَ مَذهَبُنا عَن بابِكَ.

وحرمت زيداً كذا حرماً وحرماناً ـ من باب ضرب ـ يتعدّىٰ إلى مفعولين. وإنّما حذف أحدهما لأنّ الغرض الإخبار بوقوع الحرمان لاحرمان شيء مخصوص، وقد تقدّم بيان نحو ذلك.

واسترفد: طلب الرفد وهو العطاء والصلة.

والفضل: الخير والإحسان *.

أي: حين إذا شقيت من استسعد بك، وحرمت من استرفد فضلك، حذفت الجملة كلّها للعلم بها وعوّض عنها التنوين، ومثله قوله تعالى: «وأنتم حينئذٍ تنظرون»(١)، أي: حين إذ بلغت الروح الحلقوم.

قال أبو حيّان: والذي يظهر من قواعد العربية أنّ هذا الحذف جائز لاواجب، وتكسر ذالها حينئذٍ لالتقاء الساكنين على الأصل، ومن العرب من يفتحها تخفيفاً فيقولون يومئذٍ أو حينئذٍ(٢).

والمنقلب بفتح اللام: مصدر ميمي بمعنىٰ الانقلاب وهو الرجوع مطلقاً، أي: مرجعنا عنك.

وذهب ذهاباً وذهوبا ومذهبا: مضى، أي: إلى أين مضينا عن بابك؟ والاستفهام في ذلك للإنكار الإبطالي، والمعنىٰ فيه على النفي وما بعده منفي، كقوله تعالى: «فمن يهدي من أضلّ الله»(٣)، أي: لايهدي. والمعنىٰ: لامنقلب لنا عنك ولامذهب لنا عن بابك *.

---

(١) سورة الواقعة: الآية ٨٤.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) سورة الروم: الآية ٢٩.

سُبحانَكَ نحنُ المضْطَرُّونَ الّذينَ أوْجَبْتَ إجابَتَهمْ، وأهْلُ السّوءِ الّذينَ وَعَدْتَ الكَشْفَ عَنهُم.

نزّهه سبحانه عمّا لايليق بفضله وكرمه وسعة رحمته، أي: أُنزّهك عمّا لايليق بشأنك الأقدس من الأمور التي من جملتها إشقاء من استسعد بك وحرمان من استرفد فضلك. ثمّ قال: «نحن المضطرّون إلى آخره» إشارة إلى قوله تعالى: «أمّن يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء»(١).

والاضطرار: افتعال من الضرورة، والمضطرّ: الذي أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الأيّام إلى التضرّع إلى الله.

يقال: اضطرّ الإنسان إلى كذا، والفاعل والمفعول مضطرّ.

وعن ابن عباس: المضطرّ هو المجهود(٢).

وعن السدي: من لاحول له ولاقوّة(٣).

وقيل: هو المذنب.

ودعاؤه: استغفاره.

والسوء: مايعتري الإنسان ممّا يسوْه.

قال بعضهم: إنّما عبّر عليه السلام في الأوّل بالإيجاب وفي الثاني بالوعد، من حيث إنّ الله تعالى أخبر بإجابة دعاء المضطرّ، وكشف السوء وقع الوعد به بعد ذلك، فناسب الأوّل الإيجاب والثاني الوعد، فليفهم. إنتهى.

وقال بعض المفسّرين: قوله تعالى: «ويكشف السوء»(٤) كالبيان لقوله: «يجيب المضطرّ»(٥).

---

(١) و (٤) و (٥) سورة النمل: الآية ٦٢.

(٢) و(٣) تفسير الكشاف: ج ٣ ص ٣٧٧

وَأَشْبَهَ الأَشْياءِ بِمَشيّـَتِكَ وَأَوْلىٰ الأُمورِ بِكَ في عَظَمَـتِكَ رَحْمَةُ مَنِ اسْتَرحَمَكَ وَغَوثُ مَنِ اسْتَغاثَ بِكَ.

حكي أنّ امرأة جاءت إلى الجنيد فقالت: أُدع الله لي فإنّ ابني ضاع، فقال: اذهبي وأصبري، تفعل ذلك مراراً والجنيد يقول: اصبري، فقالت: عيل صبري، واندفعت تعول وتولول، فقال الجنيد: إذهبي فقد رجع ابنك، فعادت تشكر وتدعو له، فقيل للجنيد: بم عرفت ذلك؟ فقال: بقوله تعالى: «أمنّ يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء»(١) ❁.

أشبه: هنا أفعل تفضيل من قولهم: أشبه الولد أباه إذا شاركه في صفة من صفاته، وبناؤه من باب أفعل قياس عند سيبويه مع كونه ذا زيادة(٢).

قال الرضيّ: ويؤيّده كثرة السماع، كقولهم: هو أعطاهم للدينار، وأولاهم للمعروف، وأنت أكرم لي من فلان، وهو كثير، ومجوّزه قلّة التغيير؛ لأنّك تحذف منه الهمزة وتردّه إلى الثلاثي، ثمّ تبني منه أفعل التفضيل، فتخلف همزة التفضيل همزة الافعال، وهو عند غيره سماعي مع كثرته(٣).

وقد علمت أنّ للمشيئة معنيين:

أحدهما: كون ذاته سبحانه بحيث يختار ماهو الخير والصلاح، فهي نفس علمه الحقّ بالمصالح والخيرات وعين ذاته الأحديّة، وهي بهذا المعنىٰ من صفات الذات.

والثاني: إيجاده الأشياء وإحداثه لها بحسب اختياره، وهي بهذا المعنىٰ من صفات الفعل.

---

(١) سورة النمل: الآية ٦٢

(٢) و(٣) الكافية في النحو للرضي: ج٢ ص٢١٣ - ٢١٤.

....

إذا عرفت ذلك فقوله عليه السلام: «وأشبه الأشياء بمشيتك» لايجوز أن يُراد بالمشيئة المعنىٰ الأوّل إلّا على حذف مضاف، تقديره: وأشبه الأشياء بمقتضىٰ مشيئتك، أي: مايقتضيه علمك بالمصالح والخيرات.

وحذف المضاف كثير واقع في فصيح الكلام، ومنه قوله تعالى: «وجاء ربّك والملك»(١)، أي: أمر ربّك، «واسئل القرية»(٢)، أي: أهلها.

ويجوز أن يراد بها المعنىٰ الثاني على معنىٰ أنّ أشبه الأشياء باحداثك الأفعال وإيجادك إيّاها إحداثك رحمة من استرحمك، وإنّما قال ذلك لما ثبت من أنّ مشيئته تعالى لا تتعلّق إلّا بكلّ خير ومصلحة ونظام في العالم، وأمّا مايرىٰ فيه من الشرور فهي شرور قليلة لازمة لبعض الخيرات، لولم توجد لأجلها كان يلزم شرور كثيرة، فهذه الشرور والآفات التي في عالمنا هذا داخلة في مشيئة الله الأزليّة بالعرض وعلى سبيل التبع، لابالذات وعلى سبيل القصد الأوّل.

وأولىٰ: أي أحرىٰ وأخلق.

وفي عظمتك: حال من ضمير المخاطب في «بك».

وفي: للظرفيّة المجازيّة، أي: متمكّناً في عظمتك تمكّن الحال في المحلّ، فهو على سبيل الاستعارة التبعيّة.

وعظمته تعالى تجاوز قدرة حدود العقول حتّى لا تتصوّر الإحاطة بكنهه وحقيقته، وإنّما كان أولىٰ الأمور به تعالى رحمة من استرحمه؛ لأنّ الرحمة من مقتضيات ذاته المقدّسة، بخلاف الغضب والسخط ونحوهما، فإنّه من مقتضيات

(١) سورة الفجر: الآية ٢٢.

(٢) سورة يوسف: الآية ٨٢.

فَارْحَمْ تَضَرُّعَنا إلَيكَ وَأغِثْنا إذْ طَرَحْنا أنْفُسَنا بينَ يَدَيكَ .
اللّهُمّ إنَّ الشّيطانَ قَد شَمَتَ بِنا إذْ شايَعْناهُ عَلىٰ مَعْصِيَتِكَ .

الذنوب والمعاصي كما تقدّم*.

ضرع له يضرع بفتحتين ضراعة: ذلّ وخضع، وتضرّع إلى الله ابتهل، أي: تذلّل وبالغ في السؤال.

وأغاثه: إذا أعانه، وأغاثهم الله برحمته: كشف شدّتهم.

وطرحه طرحا ـمن باب نفعـ: رمى به وألقاه، وطرح الأنفس بين يديه تعالى عبارة عن غاية الإخبات له، أعني الخضوع والخشوع والتواضع بجميع الأعضاء له سبحانه، فهو من باب التمثيل التخييلي كما مرّ بيانه.

وإذ في «إذ طرحنا» للتعليل، أي: لأجل طرحنا. وهل هي حرف بمنزلة لام التعليل، أو ظرف والتعليل مستفاد من قوّة الكلام لامن اللفظ، فانّه إذا قيل: ضربته إذ أساء وأُريد الوقت اقتضىٰ ظاهر الحال أنّ الإساءة سبب الضرب؟ قولان، والجمهور على الثاني*.

الشماتة: فرح العدو بمصيبة تنزل بمن يعاديه، شمت به يشمت ـمن باب علمـ.

وشايعته على الأمر مشايعة: مثل تابعته متابعة وزناً ومعنىً. ولمّا كان الشيطان ظاهر العداوة لآدم وذرّيته، كما قال سبحانه: «ولا تتّبعوا خطوات الشيطان إنّه لكم عدوّ مبين * إنّما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون»(١)، وقد قال هو: «فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين»(٢)، «لاقعدنّ لهم

---

(١) سورة البقرة: الآية١٦٨ و١٦٩.

(٢) سورة ص: الآية ٨٢.

فَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَلا تُشمِتهُ بِنا بَعدَ تَركِنا إيّاهُ لَكَ وَرَغبَتِنا عَنهُ إلَيكَ.

صراطك المستقيم ۞ ثمّ لآتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم»(١)، فمتىٰ تابعه الإنسان على معصية الله تعالى، علم أنّه قد نفذ فيه كيده، وعملت فيه حيلته، ونزلت به مصيبة العصيان من فساد اعتقاده أو عمله، ففرح لذلك لما يترتّب عليه من غضب الله تعالى وسخطه وعذابه وعقابه، كما هو شأن العدو مع من يعاديه، أعاذنا الله بحوله وأيده من عداوة الشيطان وكيده ۞.

أشمت الله به العدو: أنزل به مصيبة يشمت لها به.

وتركت الرجل: فارقته.

ورغب عن الشيء: إذا لم يرده، أي: لا تنزل بنا مصيبة يفرح الشيطان بها بعد مفارقتنا إيّاه وعدم إرادتنا له منيبين إليه ۞.

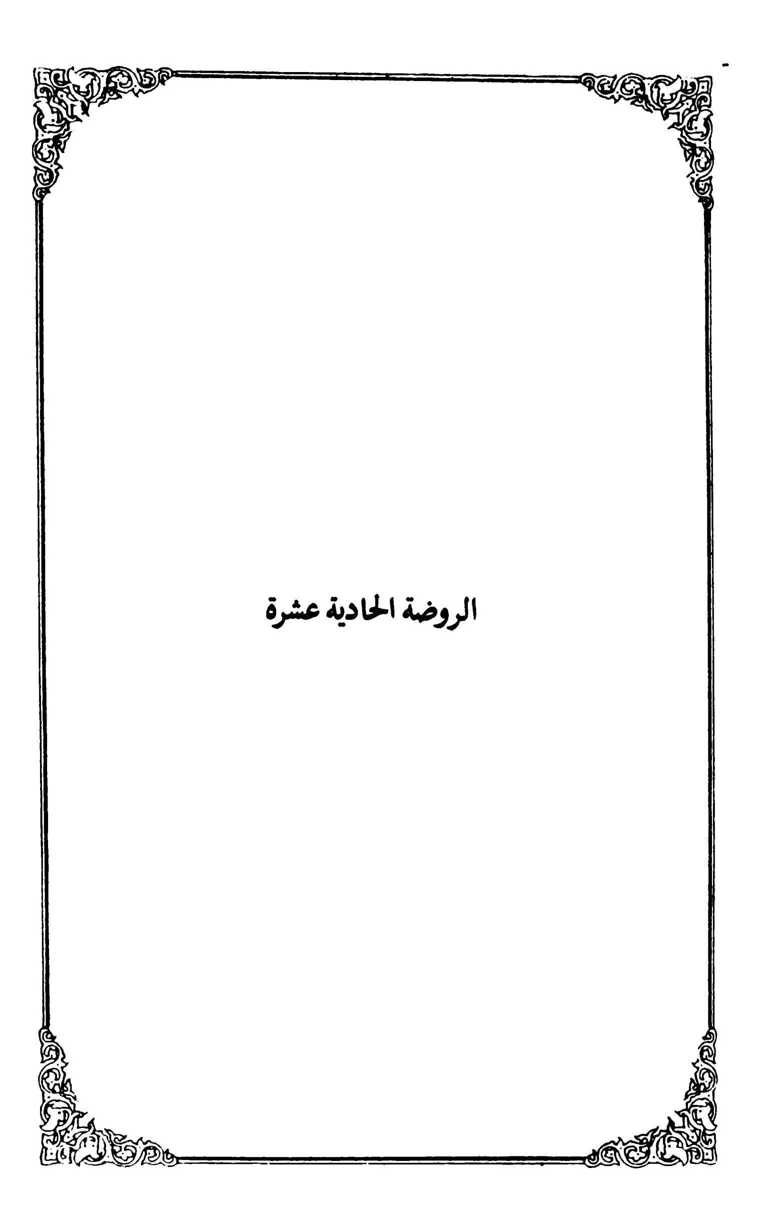
والمصيبة هي إمّا عدم التجاوز والعفو وقبول التوبة والإنابة، وإمّا عدم حسم أسباب المعاصي الموجبة لمتابعته والرجوع إلى مشايعته مرّة أُخرى، فيكون الغرض إمّا طلب حسن التجاوز والمغفرة لما سلف، أو التوفيق للاستمرار على الطاعة وعدم نقض التوبة، والله أعلم.

وكان الفراغ من تحرير هذه الروضة رادّ الضحىٰ من يوم الثلاثاء لأربع بقين من شهر ربيع الثاني أحد شهور سنة ثمان وتسعين وألف من الهجرة أحسن الله ختامها.

والحمد لله أوّلاً وآخراً، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين كثيراً.

---

(١) سورة الاعراف: الآية ١٦ و١٧.



الروضة الحادية عشرة

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِخَوَاتِمِ الْخَيْرِ

يَا مَنْ ذِكْرُهُ شَرَفٌ لِلذَّاكِرِينَ وَيَا مَنْ شُكْرُهُ فَوْزٌ لِلشَّاكِرِينَ وَيَا
مَنْ طَاعَتُهُ نَجَاةٌ لِلْمُطِيعِينَ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاشْغَلْ قُلُوبَنَا
بِذِكْرِكَ عَنْ كُلِّ ذِكْرٍ وَأَلْسِنَتَنَا بِشُكْرِكَ عَنْ كُلِّ شُكْرٍ وَجَوَارِحَنَا
بِطَاعَتِكَ عَنْ كُلِّ طَاعَةٍ فَإِنْ قَدَّرْتَ لَنَا فَرَاغاً مِنْ شُغْلٍ فَاجْعَلْهُ
فَرَاغَ سَلَامَةٍ لَا تُدْرِكُنَا فِيهِ تَبِعَةٌ وَلَا تَلْحَقُنَا فِيهِ سَأْمَةٌ حَتَّى
يَنْصَرِفَ عَنَّا كُتَّابُ السَّيِّئَاتِ بِصَحِيفَةٍ خَالِيَةٍ مِنْ ذِكْرِ سَيِّئَاتِنَا
وَيَتَوَلَّى كُتَّابُ الْحَسَنَاتِ عَنَّا مَسْرُورِينَ بِمَا كَتَبُوا مِنْ حَسَنَاتِنَا
وَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُ حَيٰوتِنَا وَتَصَرَّمَتْ مُدَدُ أَعْمَارِنَا وَاسْتَحْضَرَتْنَا
دَعْوَتُكَ الَّتِي لَا بُدَّ مِنْهَا وَمِنْ إِجَابَتِهَا فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْ
خِتَامَ مَا تُحْصِي عَلَيْنَا كَتَبَةُ أَعْمَالِنَا تَوْبَةً مَقْبُولَةً لَا تُوقِفُنَا بَعْدَهَا
عَلَى ذَنْبٍ اجْتَرَحْنَاهُ وَلَا مَعْصِيَةٍ اقْتَرَفْنَاهَا وَلَا تَكْشِفْ عَنَّا سِتْراً
سَتَرْتَهُ عَلَى رُؤُسِ الْأَشْهَادِ يَوْمَ تَبْلُو أَخْبَارَ عِبَادِكَ
إِنَّكَ رَحِيمٌ بِمَنْ دَعَاكَ وَمُسْتَجِيبٌ
لِمَنْ نَادَاكَ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بيده سوابق الخير وخواتمه، وبجوده استهلّت سحائب الفضل وغمائمه، والصلاة والسلام على نبيّه الذي شيّدت به معاهد الدين ومعالمه، وعلى آله الذين هم أساطين الهدى ودعائمه.

وبعد فهذه الروضة الحادية عشرة من رياض السالكين في شرح الدعاء الحادي عشر من صحيفة سيّد العابدين، إملاء راجي فضل ربه السنيّ علي الصدر الحسينيّ الحسنيّ، ختم الله له بأحسن الأعمال وبلّغه بفضله منتهى الآمال.

شرح الدعاء الحادي عشر

«وَكانَ مِن دُعائِهِ عَلَيهِ السّلامُ بِخَواتِم الخَيرِ».

الخواتم: جمع خاتمة بمعنى العاقبة، أي: عواقب الأعمال وأواخرها، وإضافتها إلى الخير إمّا بمعنى من البيانية كخاتم حديد، لصحّة الإخبار بالمضاف إليه فيه عن المضاف، كقولك: خاتمتك خير. وإمّا بمعنى اللام الدالّة على الاختصاص، أي: خواتم الأعمال المختصّة بالخير.

واعلم أنّه لمّا كان الخوف من سوء الخاتمة من أعظم المخاوف عند أرباب العقول، وقع التضرّع والابتهال منهم في طلب حسن العاقبة واستقامة الخاتمة.

قال بعض العلماء: إنّ الخوف من سوء الخاتمة هو الذي قرّح قلوب العارفين، ووقع من سوئها حسرات كثيرة، وزلّ فيها أقدام جماعة من أهل العرفان، ولذلك كان أهل الحقّ والسعادة يطلبون حسن الخاتمة بالدعاء والرغبة إلى الله تعالى.

وقال الشيخ كمال الدين ميثم البحراني في شرح النهج: أغلب المخاوف على قلوب المتّقين خوف الخاتمة؛ فإنّ الأمر فيها خطر، وأعلى الأقسام وأدلّها على كمال المعرفة خوف السابقة؛ لكون الخاتمة تبعاً لها ومظهرة لما سبق في اللوح المحفوظ.

وقد مثّل من له خوف السابقة ومن له خوف الخاتمة برجلين، وقع لهما ملك

....

بتوقيع يحتمل أن يكون لهما فيه غنىً أو هلاك ، فيتعلّق قلب أحدهما بحال نشر التوقيع وما يظهر فيه من خير أو شرّ، وتعلّق قلب الآخر بما خطر للملك حالة التوقيع من رحمة أو غضب، وهذا التفات إلى السبب فكان أعلى، فكذلك الالتفات إلى القضاء الأزلي الذي جرىٰ بتوقيعه القلم الإلهي في اللوح المحفوظ أعلىٰ من الالتفات إلى الأبد.

و إلى ذلك أشار الرسول صلّى الله عليه وآله حيث كان على المنبر فقبض كفّه اليمنى، ثمّ قال: هذا كتاب الله كتب فيه أهل الجنّة بأسمائهم وأسماء آبائهم لايزاد فيه ولاينقص، وليعمل أهل السعادة بعمل أهل الشقاوة حتّى يقال: كأنّهم منهم بل همُ هم ثمّ يستنقذهم الله تعالى قبل الموت ولو بفواق(١) ناقة، وليعمل أهل الشقاوة بعمل أهل السعادة حتّى يقال: كأنّهم منهم بل هم هم ثمّ يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة. السعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء الله، والأعمال بالخواتيم(٢) إنتهى.

قلت: ومثل هذا الحديث مارواه ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: إنّه يسلك بالسعيد في طريق الأشقياء حتّى يقول الناس: ماأشبهه بهم بل هو منهم ثمّ تتداركه السعادة.

وقد يسلك بالشقيّ طريق السعداء حتّى يقول الناس: ماأشبهه بهم بل هو منهم ثمّ يتداركه الشقاء، إنّ من كتبه الله سعيداً وان لم يبق من الدنيا إلّا فواق

---

(١) اي حلبها: القاموس المحيط: ج٣ ص٢٧٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ج٢ ص٦٩.

يامَنْ ذِكْرُه شَرفٌ لِلذّاكِرينَ.

ناقة ختم له بالسعادة(١) إنتهى.

ولمّا كان من القضاء ماهو معلّق مشروط كان الدعاء بخواتم الخير وطلبها من أعظم المطالب وأهمّها. ولذلك ورد في الدعاء أيضاً: «إن كنت عندك في أُمّ الكتاب شقيّاً فاكتبني سعيداً فإنّك تمحو ماتشاء وتثبت وعندك أُمّ الكتاب»(٢)*.

الذكر: يشمل الثناء، والدعاء، والصلاة، وقراءة القرآن، والحديث، وذكر الحلال والحرام، وأخبار الأنبياء والأوصياء والصالحين، وهو أعمّ من أن يكون باللسان أو بالجنان أو بالأركان.

أمّا الذكر باللسان فهو أن يحمده ويسبّحه ويمجّده ويقرأ كتابه ونحو ذلك.

وأمّا بالجنان فهو أن يتفكّر في الدلائل على ذاته وصفاته، وفي الأجوبة عن شبه الطاعنين فيها، وفي الدلائل على كيفيّة تكاليفه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ليعمل بمقتضاها، ثمّ يتفكّر في أسرار المخلوقات متوصّلاً من كلّ ذرّة إلى موجدها.

وأمّا بالأركان فهو أن تكون مستغرقة في الأعمال المأمور بها، فارغة عن الاشتغال بالمنهيّ عنها، وبهذا الوجه سمّي الصلاة ذكراً في قوله تعالى: «فاسعوا إلى ذكر الله»(٣).

وقال بعضهم: الذكر ثلاثة: ذكر باللسان، وذكر بالقلب، وهذا نوعان:

(١) الكافي: ج١ ص١٥٤ ح٣.

(٢) الدرّ المنثور: ج٤ ص٦٦.

(٣) سورة الجمعة: الآية٩.

....

أحدهما: الفكر في عظمة الله تعالى وجلاله وملكوته وآيات أرضه وسمائه.

والثاني: ذكره عند أمره ونهيه، فيمتثل الأمر ويجتنب النهي ويقف عند مايشكل.

وأرفع الثلاثة الفكر؛ لدلالة الأحاديث الواردة على فضل ذكر الخفيّ، وأضعفها الذكر باللسان، ولكن له فضل كثير على ماجاء في الآثار.

وقيل: الخلاف إنّما هو في الذكر بالقلب بالتهليل والتسبيح ونحوهما، أو في الذكر باللسان؛ فإنّ الفكر لايقاربه ذكر اللسان فكيف يفاضل معه.

ثمّ هذا الخلاف إذا كان القلب في ذكر اللسان حاضراً، وأمّا إذا كان لاهياً فذكر اللسان لغوٌ لاذكر، فمن رجّح ذكر القلب قال: لأنّ عمل السرّ أفضل، ومن فضّل ذكر اللسان قال: لأنّ فيه زيادة عمل الجوارح على عمل ذكر القلب، وزيادة العمل تقتضي زيادة الأجر.

قال بعض علمائنا المتأخّرين: وما ذكر من أنّه لابدّ من حضور القلب كأنّه أراد به النيّة، فإن خلا الذكر عن النيّة فهو لغو. ثمّ إن صحبته النيّة من الشروع إلى التمام فهي الغاية والمطلوب، وإن صحبته في الشروع وغرب عنه في الأثناء، فالظاهر أنّه إذا كان أصل العمل لله تعالى وعلى ذلك عقد فلايضرّه مايعرض من الخطرات التي تقع في القلب ولا تملك، ولذلك اعتبروا النيّة الحكميّة في الوضوء والصلاة ونحوهما دون الفعليّة إنتهى.

والشرف: علوّ المنزلة والمجد. ولمّا كان كلّ ذكر بالثناء ونحوه على غير الله سبحانه شرفاً للمذكور، أشار عليه السلام إلى أنّ ذكره تعالى شرف للذاكر وفائدته عائدة إليه؛ لاستغنائه جلّ وعزّ عمّن سواه.

ويامَنْ شُكْرُهُ فَوزٌ لِلشّاكِرينَ.

ولعلّ فيه تلميحاً إلى قوله تعالى: «فاذكروني أذكركم»(١) فإنّ ذكر السيّد للعبد شرف له وإعلاء لمنزلته.

وفي الحديث القدسي: من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه(٢). ومن ذكرني سرّاً ذكرته علانية(٣).

قيل: المراد بذكره سبحانه لذاكره إظهار حاله وشرفه في المخلوقين من الملائكة والناس أجمعين.

وفي مناجاة الذاكرين لزين العابدين عليه السلام: «وأمرتنا بذكرك ووعدتنا أن تذكرنا تشريفاً وإكراماً وتعجّبا وإعظاما»(٤)*.

الفوز: النجاة والظفر بالخير، ولاخفاء في صحّة حمله هنا على كلٍّ من المعنيين.

أمّا كونه نجاة فلأنّ النفوس مرتهنة بالنعمة، وإنّما يفكّها الشكر. وقد فسّروا قوله عليه السلام لربّه تعالى وتقدّس: «فكّ رهاني وثقّل ميزاني»(٥) أنّ ذلك هو التوفيق للشكر؛ إذ لايفكّ النفوس المرتهنة بنعمة غير شكره، ولمّا كان العباد لايبلغون كنه شكره تعالى فزع صلّى الله عليه وآله إلى الله تعالى أن يتولّى فكّ رهانه بجوده وكرمه، وقد قال تعالى: «ولئن كفرتم إنّ عذابي لشديد»(٦)، فبقدر الشكر النجاة من العذاب، وبقدره الافتكاك من الرهان، ولعموم التقصير في

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٥٢.
(٢) سنن ابن ماجة: ص١٢٥٥ ح٣٨٢٢.
(٣) وسائل الشيعة: ج ٤ ص١١٨٨ ح٢.
(٤) بحارالأنوار: ج٩٤ ص١٥١ مناجاة الذاكرين وفيه «تشريفاً لنا وتفخيماً وإعظاماً».
(٥) الدرّ المنثور: ج٣ ص٧٢ ذيل الآية ١٠ من سورة الأعراف.
(٦) سورة إبراهيم: الآية٧.

....

الشكر ماقال العدو اللعين: «ولا تجد أكثرهم شاكرين»(١).

وقد جاء في تفسير قوله: «لأقعدنّ لهم صراطك المُستقيم»(٢) أنّه طريق الشكر(٣).

وجاء في الخبر: أنّ الله تعالى قال لبني اسرائيل: إنّي أبتدئ عبادي بنعمتي، فإن قبلوا أتممت، وإن شكروا زدت، وإن غيّروا بدّلت(٤).

وقد بيّن الله تعالى لنا أنّه «لم يك مغيّراً نعمة أنعمها على قوم حتّى يغيّروا مابأنفسهم»(٥)، فكان الشكر فوزاً، أي: نجاة من غرام الارتهان، ونجاة من حبائل الشيطان، ونجاة من تغيير نعمة المنّان.

وأمّا كونه ظفراً بالخير فلقوله تعالى: «لئن شكرتم لأزيدنّكم»(٦)، فالظفر بزيادة النعم ظفر بالخير.

وفي بعض الخطب: الشكر شجرة برّ، والتوفيق من أنوارها، والزيادة في النعمة من ثمارها تسقيها سماء الهداية بسحابها، وتغذوها أرض الرعاية بسائل شعابها، وتجنيها يد البركة ببنانها، ويحرزها حرز السعادة في مكانها (٧).

وقد جمع هذين المعنيين للفوز المخبر به عن الشكر قوله تعالى: « لئن شكرتم لأزيدنّكم ولئن كفرتم إنّ عذابي لشديد» (٨)، فهو ظفر بالمزيد ونجاة من العذاب الشديد *.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٧. راجع تفسير الطبري: ج٨ ص١٠٢ سطر ٢٨.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٦.

(٣) البرهان في تفسير القرآن: ج٢ ص٥ ح٤.

(٤) لم نعثر عليها

(٥) سورة الانفال: الآية ٥٣.

(٦) و (٨) سورة ابراهيم: الآية ٧.

(٧) لم نعثر عليه

وَيامَنْ طاعَتُه نَجاةٌ لِلمُطيعِينَ.
صَلِّ عَلىٰ مُحمّدٍ وآلِهِ وَأشْغَلْ قُلوبَنا بِذِكْرِكَ عَن كُلِّ ذِكْرٍ.

الطاعة: الانقياد لأمر الآمر ونهيه، ولاشكّ أنّ طاعته تعالى نجاة للمتّصف بها من مهالك الدنيا والآخرة.

أمّا مهالك الدنيا فلأنّها تعصم صاحبها من الرذائل الموبقة التي هي محالّ الهلاك والتلف.

وأمّا مهالك الآخرة فلأنّها تنجي من مخاوفها وأهوالها وحرّ نيرانها، قال الله تعالى: «ومن يطع الله ورسوله فأُولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّين **والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أُولئك رفيقاً**»(١)، **وقال تعالى: «ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين**»(٢).

ومن خطبة لأميرالمؤمنين عليه السلام: اجعلوا طاعة الله جنّة ليوم فزعكم، ومصابيح لبطون قبوركم، وسكنا لطول وحشتكم، ونفساً لكرب مواطنكم، فإنّ طاعة الله تعالى حرز من متالف **مكتنفة** ومخاوف متوقّعة(٣)*.

إعلم أنّ للذكر درجات:

الأُولىٰ: أن يكون باللسان مع غفلة القلب، وهذا أضعفها وإن كان مندوباً إليه أيضاً.

قال بعض أرباب القلوب: ذكر اللسان مع خلوّ القلب عنه لايخلو من فائدة؛ لأنّه يمنعه من التكلّم باللغو، ويجعل لسانه معتاداً بالخير.

وقد يلقي الشيطان إليه أنّ حركة اللسان بدون توجّه القلب عيب ينبغي

---

(١) سورة النساء: الآية ٦٩. (٢) سورة النساء: الآية ١٤. (٣) نهج البلاغة: ص [illegible] خطبة ١٩٨.

....

تركه، فاللائق بحال الذاكر أن يحضر قلبه حينئذٍ رغماً للشيطان، وإن لم يحضره فاللائق به أن لايترك الذكر باللسان رغماً لأنفه، وأن يجيبه بأنّ اللسان آلة للذكر كالقلب ولايترك أحدهما بترك الآخر، فإنّ لكلّ عضو عبادة.

الثانية: الذكر بالقلب مع عدم استقراره فيه، ولايتوجّه إليه إلّا بالتكلّف والاجتهاد.

والثالثة: أن يكون بالقلب ويستقرّ فيه، بحيث لايتوجّه القلب إلى غيره إلّا بالتكلف.

والرابعة: أن يكون بالقلب مع استقراره فيه واستيلائه عليه بحيث لايشغل عنه أصلاً، وهذه مرتبة المحبّة. والذاكر في هذه المرتبة قد يبلغ مقام الفناء في الله، بحيث يغفل عن نفسه وعن غيرها حتّى عن الذكر فلايجد في نفسه إلّا المذكور.

قال بعض العارفين: إعلم أنّ الذكر القلبي من أعظم علامات المحبّة؛ لأنّ من أحبّ أحداً ذكره دائماً أو غالباً، وأنّ أصل الذكر عند الطاعة والمعصية سبب لفعل الطاعة وترك المعصية. وهما سببان لزيادة الذكر ورسوخه، وهكذا يتبادلان إلى أن يستولي المذكور وهو الله سبحانه على القلب ويتجلّىٰ فيه، فالذاكر حينئذٍ يحبّه حبّاً شديداً ويغفل عن جميع ماسواه حتّى نفسه، إذ الحبّ المفرط يمنع عن مشاهدة غير المحبوب. وهذا المقام يسمّىٰ مقام الفناء في الله، والواصل إلى هذا المقام لايرىٰ في الوجود إلّا هو، وهذا معنى وحدة الوجود، لابمعنىٰ أنّه تعالى متّحد مع الكلّ لأنّه محال وزندقة، بل بمعنىٰ أنّ الموجود في نظر الفاني هو لاغيره، لأنّه تجاوز عن عالم الكثرة وجعله وراء ظهره وغفل عنه، فافهم. إنتهىٰ.

وَألسِنَتِنا بِشُكرِكَ عَنْ كُلِّ شُكرٍ.
وَجَوارِحَنا بِطاعَتِكَ عَن كُلِّ طاعَةٍ.
فإنْ قَدَرْتَ لَنا فَراغاً مِن شُغْلٍ فَاجْعَلهُ فَراغَ سَلامَةٍ لا تُدرِكُنا

إذا عرفت ذلك ظهر لك سرّ قوله عليه السلام: «وأشغل قلوبنا بذكرك عن كلّ ذكر»، فإنّه طلب لأكمل أفراده وأرفع مراتبه التي هي مرتبة المحبّة ومقام الفناء، فاعلم *.

ولمّا كان الشكر باللسان أدلّ أفراد الشكر على الاعتراف بالنعمة، سأل عليه السلام شغل الألسنة به واستغراقها فيه، وأدمج في ذلك سؤال الإغناء عن الخلق وعن الافتتان بشكرهم، المستلزم للصرف عن الله والتوجّه إلى القبلة الحقيقية، وعدم الاستعداد لنفحات الله بالتوجّه إلى غيره واشتغال نفسه بذلك الغير، كما قال أميرالمؤمنين: اللّهمّ صن وجهي باليسار، ولا تبذل جاهي بالإقتار، فأسترزق طالبي رزقك، وأستعطف شرار خلقك، وأبتلي بحمد من أعطاني، وأفتتن بذمّ من منعني، وأنت من وراء ذلك وليّ الإعطاء والمنع، إنّك على كلّ شيء قدير(١) *.

جوارح الإنسان: أعضاؤه التي يعمل بها ويكتسب، والمراد بشغلها بطاعته تعالى عن كلّ طاعة استغراقها في الأعمال بها فلا تشتغل بطاعة غيره، وفيه أيضاً إدماج سؤال الإكرام عن الاحتياج إلى التزام طاعة أحد من المخلوقين.

وأمّا طاعة الرسول وأُولي الأمر والوالدين فمن طاعة الله سبحانه *.

قدّرت: أي قضيت وحكمت.

---

(١) نهج البلاغة: ص٣٤٧ خطبة ٢٢٥.

فيهِ تَبِعَةٌ وَلا تَلحَقُنا فيهِ سَأمَةٌ.

والفراغ: الخلاص من المهامّ.

والشغل بضمّ الشين وبضمّ الغين ويسكّن للتخفيف: اسم من شغله شغلاً -من باب نفع-.

والسلامة: الخلاص من الآفات.

وأدركته: إذا طلبته فلحقته، وهو هنا لحوق معنوي.

والتبعة: على وزن كلمة مافيه إثم يتبع به، قاله في المحكم(١).

وقد يطلق على مايطلبه الإنسان من ظلامة ونحوها، وهذا هو المعنىٰ المشهور حتّى أنّ أكثر أهل اللغة لم يذكروا للتبعة معنىٰ غيره.

ولايخفىٰ أنّ المعنىٰ الأوّل هو اللائق بالمقام هنا، وإن صحّ المعنىٰ الثاني على تأويل.

والسأمة: مصدر سئمته اسأمه -من باب تعب- بمعنى ضجرت منه ومللته، ويعدّىٰ بالحرف أيضاً فيقال: سئمت منه، وفي التنزيل «لايسأم الانسان من دعاء الخير»(٢).

والمعنى إن قضيت لنا فراغاً من شغل من الأشغال المذكورة فاجعله فراغاً مقروناً بالسلامة من الآفات الدينيّة والدنيويّة، فلايكون عدم اشتغالنا به لتهاون في القيام به، أو لعلّة توجب القعود عنه كمرض ونحوه.

وقوله: «لا تدركنا» جملة نعتيّة للفراغ المضاف إلى السلامة.

وفي: للسببيّة في الموضعين، أو للظرفيّة المجازيّة، أي: لايلحقنا بسبب ذلك

---

(١) المحكم: ج٢ ص٤٣.

(٢) سورة فصلت: الآية ٤٩.

....

الفراغ أو في آثنائه إثم نتبع به، ولاملل وضجر من ذلك الشغل، فنغتنم الفراغ منه بل يكون فراغاً نجد معه من أنفسنا طلب المعاودة للشغل كما قال.

ويحتمل أن يراد بالسأمة: السأمة من الفراغ، أي: لايكون فراغاً طويلاً يحصل بسببه أو فيه ضجر وملل منه.

وقد ورد في ذمّ الفراغ والضجر أخبار كثيرة، روىٰ ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن بشير الدهّان، قال: سمعت أبا الحسن موسى عليه السلام يقول: إنّ الله عزّوجلّ يبغض العبد النوّام الفارغ(١).

وبسنده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: إنّ الله عزّوجلّ يبغض كثرة النوم وكثرة الفراغ(٢).

وبسنده عن سعد بن أبي خلف عن أبي الحسن موسىٰ عليه السلام، قال: قال أبي لبعض ولده: إيّاك والكسل والضجر فإنّهما يمنعانك من حظّك من الدنيا والآخرة (٣).

وعنه عليه السلام قال: إيّاك والكسل والضجر، فإنّك إن كسلت لم تعمل، وإن ضجرت لم تعط الحق(٤).

قال بعض العلماء: إنّ الفراغ يبطل الهيئات الإنسانيّة، فكلّ هيئة بل عضو ترك استعماله بطل، كالعين إذا غمضت واليد إذا عطّلت، ولذلك وضعت الرياضة في كلّ شيء*.

---

(١) الكافي: ج٥ ص٨٤ ح٢.

(٢) الكافي: ج٥ ص٨٤ ح٣.

(٣) الكافي: ج٥ ص٨٥ ح٢.

(٤) الكافي: ج٥ ص٨٥ ح٥.

حَتّىٰ يَنصَرِفَ عَنّا كُتّابُ السَيّئاتِ بِصَحيفَةٍ خالِيَةٍ مِن ذِكرِ سَيّئاتِنا وَيَتَوَلّىٰ كُتّابُ الحَسناتِ عَنّا مَسرُورِينَ بِما كَتَبوا مِن حَسَناتِنا.

و إذا إنْقَضَتْ أيّامُ حَياتِنا وَتَصَرّمَتْ مُدَدُ أعمارِنا وَاسْتَحضَرَتْنا دَعْوَتُكَ الّتي لابُدّ مِنها وَمِن إجابَتِها، فَصَلِّ عَلىٰ مُحمّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْ خِتَامَ ماتُحْصي عَلَينا كَتَبةُ أعمالِنا تَوبَةً مَقبُولَةً.

حتّى: للتعليل بمعنى كي، وهو تعليل لسؤال شغل القلوب بالذكر والألسنة بالشكر والجوارح بالطاعة، وطلب سلامة الفراغ.

وانصرف: ذهب لسبيله.

وتولّىٰ: أدبر. والمراد بكتّاب السيّئات وكتّاب الحسنات: الملائكة الذين يكتبون على ابن آدم أعماله من حسنة وسيّئة، وهم المشار إليهم بقوله تعالى: «وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ماتفعلون»(١). وقد سبق الكلام على ذلك مبسوطاً، فليراجع*.

انقضى الشيء: فنى وتصرّم وانقطع وذهب، وهو من الصرم بمعنىٰ القطع.

واستحضرت الشيء: طلبت حضوره.

والدعوة: اسم من دعوته إذا طلبت إقباله، والمراد بها الموت.

ولابدّ منها: أي لامحيد عن وقوعها وحصولها ولامحيد عن إجابتها.

وختام الشيء: آخره، والطين الذي يختم به على الشيء، فإن حملته على هذا

---

(١) سورة الانفطار: الآية ١١.

....

المعنى كان استعارة.

وقد فسّر قوله تعالى: «ختامه مسك»(١) بالمعنيين، أي: آخر طعمه كالمسك، أو الطين الذي يختم به عليه مسك.

وأحصاه: عدّه وحفظه وعلّمه.

وسأل جعل ختام الأعمال توبة مقبولة؛ لما تقرّر من أنّ كلّ من مات على حالة حكم له بها من خير أو شرّ.

تنبيهان

الأوّل: المراد باستحضار الدعوة وإجابتها: الحالة التي قبل حضور الموت وتيقّن الفوت، وهو المعبّر عنه بالمعاينة في حديث: من تاب قبل أن يعاين قبل الله توبته(٢).

وأمّا عند المعاينة فقد انعقد الإجماع على عدم صحّتها، ونطق بذلك القرآن العزيز، وقال تعالى: «ليست التوبة للذين يعملون السيّئات حتّى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفّار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً»(٣).

وفي الحديث عن النبيّ صلّى الله عليه وآله: أنّ الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر(٤).

---

(١) سورة المطففين: الآية ٢٦. (٢) الكافي: ج٢ ص٤٤٠ ح٢. (٣) سورة النساء: الآية ١٨.

(٤) سنن الترمذي: ج٥ ص٥٤٧ ح٣٥٣٧. وبحار الأنوار: ج٦ ص١٩ ح٥.

....

والغرغرة: تردّد الماء وغيره من الأجسام المايعة في الحلق، والمراد هنا تردّد الروح وقت النزع(١).

وقد روى محدّثو الإمامية عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام أحاديث متكثّرة في أنّه لايقبل التوبة عند حضور الموت وحضور علاماته ومشاهدة أهواله(٢). وربّما علّل ذلك بأنّ الإيمان برهانيّ، ومشاهدة تلك العلامات والأهوال في ذلك يصيّر الأمر عياناً فيسقط التكليف عنهم.

قال بعض المفسّرين: ومن لطف الله بالعباد أن أمر قابض الأرواح بالابتداء في نزعها من أصابع الرجلين، ثمّ تصعد شيئاً فشيئاً إلى أن تصل إلى الصدر، ثمّ تنتهي إلى الحلق، ليتمكّن في هذه المهلة من الإقبال بالقلب على الله تعالى، والوصية، والتوبة مالم يعاين، والاستحلال، وذكر الله سبحانه فتخرج روحه وذكر الله على لسانه فيرجى له حسن الخاتمة، رزقنا الله ذلك بمنّه وكرمه. قاله شيخنا البهائي في شرح الأربعين(٣).

وفسّر قوله عليه السلام «قبل أن يعاين» بمعاينة ملك الموت، وهو المروي عن ابن عبّاس(٤).

ويمكن أن يراد بالمعاينة علمه بحلول الموت وقطعه الطمع من الحياة وتيقّنه ذلك كأنّه يعاينه، وأن يراد معاينة النبيّ والوصيّ عليهما السلام، فقد روي أنّهما

---

(١) راجع بحارالأنوار: ج٦ ص١٨ سطر٧.

(٢) راجع بحارالأنوار: ج٦ ص١٩ ح٣ و٤ و٥.

(٣) كتاب الأربعين للشيخ البهائي: ص١٧٠. وبحارالأنوار: ج٦ ص١٦.

(٤) الدرّ المنثور: ج٢ ص١٣٠ ذيل الآية ١٧ من سورة النساء.

لا تُوقِفُنا بَعدَها عَلىٰ ذَنبٍ اجْتَرَحْناهُ وَلامَعْصِيةٍ اقْتَرَفْناها.

يحضران عند كلّ محتضر ويبشّرانه بما يؤول إليه من خير وشرّ، ومعاينة منزلته في الآخرة(١).

كما روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: لن يخرج أحدكم من الدنيا حتّى يعلم أين مصيره، وحتّى يرىٰ مقعده من الجنّة أو النار(٢). والله أعلم.

قال بعضهم: والظاهر أنّ المرض المهلك ليس من باب المعاينة؛ لأنّ الموت معه ليس بمتحقّق قطعاً.

الثاني: قال الشيخ في الأربعين: المراد بقبول التوبة إسقاط العقاب المترتّب على الذنب الذي تاب منه، وسقوط العقاب بالتوبة ممّا أجمع عليه أهل الإسلام، وإنّما الخلاف في أنّه هل يجب على الله حتّى لوعاقب بعد التوبة كان ظلماً، أو هو تفضّل بفعله سبحانه كرماً منه ورحمة بعباده؟

المعتزلة على الأوّل، والأشاعرة على الثاني، وإليه ذهب الشيخ أبوجعفر الطوسي قدّس الله روحه في كتاب الاقتصاد، والعلّامة الحلّي في بعض كتبه الكلامية، وتوقّف المحقّق الطوسي في التجريد. ومختار الشيخين هو الظاهر، ودليل الوجوب مدخول(٣)*.

توقفنا: مضارع أوقف بالألف، هكذا في النسخ المشهورة، وفي نسخة تقفنا: مضارع وقف متعدّياً، وأكثر أهل اللغة على إنكار أوقف بهذا المعنىٰ.

قال الزجاجي في شرح أدب الكاتب: قال أبوبكر بن أنباري: قال ثعلب:

---

(١) و(٢) كتاب الأربعين للشيخ البهائي: ص١٦٨. (٣) كتاب الاربعين للشيخ البهائي: ص١٦٧ و١٦٨.

....

ليس في كلام العرب أوقفت إلّا في موضعين، يقال: تكلّم الرجل فأوقف إذا انقطع عن الكلام عيّاً عن الحجّة، وأوقفت المرأة إذا جعلت لها سواراً من الوقف وهو الذيل(١).

وفي الصحاح للجوهري: وقفته على ذنبه: أي اطّلعت عليه. قال: وليس في الكلام أوقفت إلّا حرف واحد: أوقفت عن الأمر الذي كنت فيه، أي: أقلعت(٢) إنتهى.

ووروده في كلام المعصوم عليه السلام دالّ على صحّته وفصاحته، على أنّ بعض أئمّة العربية ذكر لأوقفت معنىً يناسب هذا المقام، وهو مافي كتاب الإصلاح لابن السكّيت، قال أبو سعيد: قال أبو عبيدة: أوقفت فلاناً على ذنوبه: إذا بكته بها. وأوقفت الرجل: إذا استوقفته ساعة ثمّ افترقتما لايكون إلّا هكذا (٣). إنتهى.

ولا يخفىٰ أنّ المعنىٰ الأوّل له تمام المناسبة هنا، فيكون معنىً لا توقفنا بعدها على ذنب لا تبكتنا عليه، أي: لا تؤنّبنا ولا توبّخنا ولاتستقبلنا بما نكره بسببه. ويكون معنىً لا تقفنا كما في النسخة الأُخرىٰ ولا تطلعنا بعدها على ذنب. والمعنيان متقاربان وإن كان بينهما تفاوت مافي الظاهر، إلّا أنّ المعنىٰ الثاني يؤول إلى الأوّل كما لايخفى.

واجترح الذنب واقترفه: اكتسبه وفعله. والفقرة الثانية عطف تفسير وتأكيد على الأولى *.

---

(١) شرح ادب الكاتب للزجاجي: لايوجد لدينا هذا الكتاب.

(٢) الصحاح: ج٤ ص١٤٤٠. (٣) الإصلاح: لم نعثر عليه.

وَلا تَكشِفْ عَنّا سِتْراً سَتَرتَهُ عَلىٰ رُؤوسِ الأشْهادِ.
يَومَ تَبْلُو أخبارَ عِبادِكَ.

والجارّان كلاهما متعلّقان بتكشف، ووهم من زعم أنّ «على» متعلّق بسترته.

والأشهاد قيل: جمع شاهد كصاحب وأصحاب، وقيل: جمع شهيد كشريف وأشراف، وقيل: جمع شهد، وهو جمع شاهد كصحب جمع صاحب.

قال الجوهري: شهد له بكذا أي: أدّى ماعنده من الشهادة فهو شاهد والجمع شهد، مثل صاحب وصحب وسافر وسفر. وبعضهم ينكره، وجمع الشهد شهود وأشهاد(١). إنتهى.

يقال: فعلت ذلك على رؤوس الأشهاد، أي: بمرأى ومنظر من الحاضرين بحيث هو نصب أعينهم في مكان مرتفع لايخفى على أحد.

وقد مرّ الكلام على معنى الأشهاد في شرح الدعاء الأوّل عند قوله عليه السلام: «ويشرّف به منازلنا عند مواقف الأشهاد»(٢)، فليرجع إليه.

روى ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن ابن وهب، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبّه الله تعالى فستر عليه، فقلت: وكيف يستر عليه؟ قال: ينسي ملكيه ماكانا يكتبان عليه، ويوحي الله إلى جوارحه وإلى بقاع الأرض أن اكتمي عليه ذنوبه، فيلقى الله تعالى حين يلقى وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب(٣)».

متعلّق بتكشف، والمراد به يوم القيامة، كما قال تعالى: «يوم تبلى

---

(١) الصحاح: ج٢ ص٤٩٤. (٢) ج١ ص٣٤٠. (٣) الكافي: ج٢ ص٤٣٦ ح١٢.

إنّكَ رَحيمٌ بِمَنْ دَعاكَ ، وَمُستَجيبٌ لِمَنْ ناداكَ .

السرائر»(١).

والبلاء: الاختبار، وحقيقته في حقّه تعالى يرجع إلى الكشف والإظهار.

وفسّرت الأخبار في قوله تعالى: «ونبلوا أخباركم»(٢) بالأخبار التي تحكي عنهم من دعوى الإيمان وغيرها، وبالعهود التي كانوا عاهدوا الله عليها، وبالأسرار التي كانوا يضمرونها، والكلّ محتمل هنا. وقد تقدّم الكلام على ذلك بأبسط من هذا فليرجع إليه *.

عدّى الرحمة بالباء لتضمينها معنى الرأفة، كما قال تعالى: «إنّ الله كان بكم رحيماً» (٣).

روى ثقة الإسلام في الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: من قال يا الله يا الله عشر مرّات قيل له: لبّيك ماحاجتك (٤).

تمّت الروضة الحادية عشرة، والحمدلله ربّ العالمين.

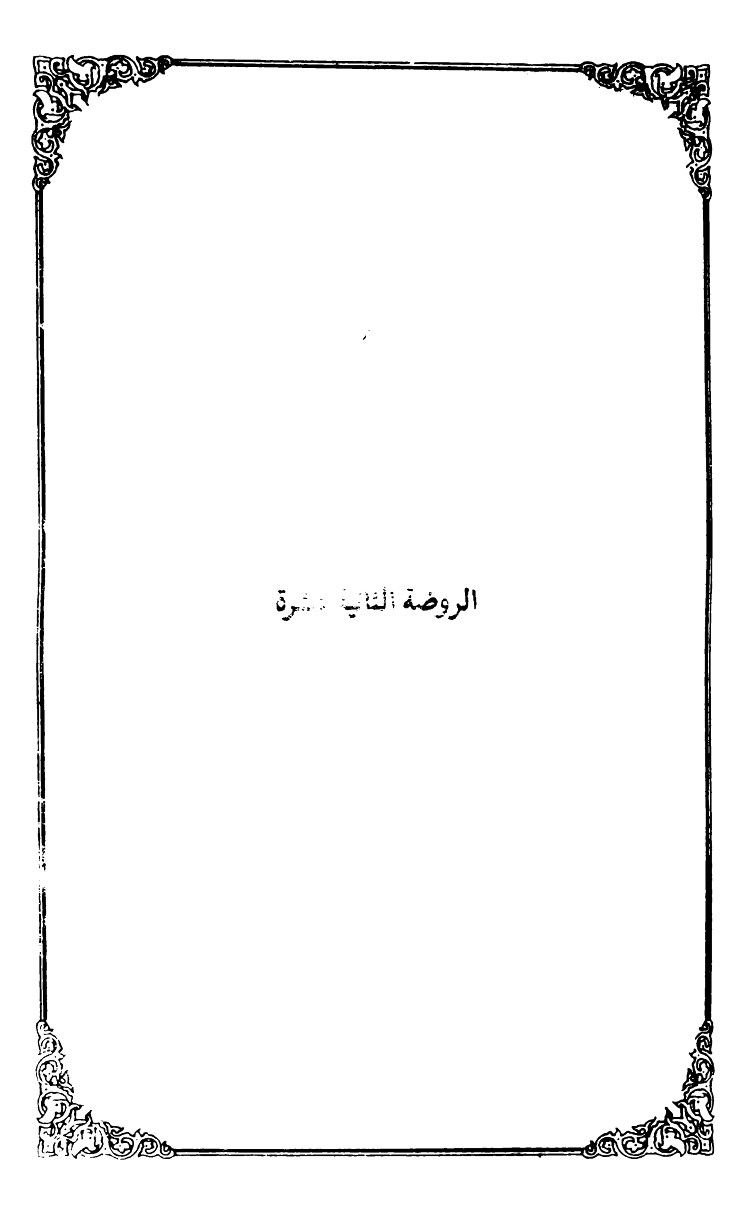
---

(١) سورة الطارق: الآية ٩.

(٢) سورة محمد: الآية ٣١.

(٣) سورة النساء: الآية ٢٩.

(٤) الكافي: ج٢ ص٥١٩.



الروضة الثانية عشرة

وكان من دعائه عليه السلام في الاعتراف وطلب التوبة إلى الله تعالى

اللّهمّ إنّه يحجبني عن مسألتك خلال ثلاث وتحدوني عليها
خلّة واحدة يحجبني أمر أمرت به فأبطأت عنه ونهي نهيتني
عنه فأسرعت إليه ونعمة أنعمت بها عليّ فقصّرت في
شكرها ويحدوني على مسألتك تفضّلك على من أقبل بوجهه
إليك ووفد بحسن ظنّه إليك إذ جميع إحسانك تفضّل و
إذ كلّ نعمك ابتداء فها أنا ذا يا إلهي واقف بباب عزّك وقوف
المستسلم الذليل وسائلك على الحياء منّي سؤال البائس المعيل
مقرّ لك بأنّي لم أستسلم وقت إحسانك إلّا بالإقلاع عن
عصيانك ولم أخل في الحالات كلّها من امتنانك فهل ينفعني
يا إلهي إقراري عندك بسوء ما اكتسبت وهل ينجيني منك
اعترافي لك بقبيح ما ارتكبت أم أوجبت لي في مقامي هذا
سخطك أم لزمني في وقت دعاي مقتك سبحانك لا أيأس منك
وقد فتحت لي باب التوبة إليك بل أقول مقال العبد الذليل
الظالم لنفسه المستخفّ بحرمة ربّه الّذي عظمت ذنوبه فجلّت

وأدبرت أيامه فولت حتى إذا رأى مدة العمل قد انقضت وغاية
العمر قد انتهت وأيقن أنه لا محيص له منك ولا مهرب له عنك
تلقاك بالإنابة وأخلص لك التوبة فقام إليك بقلب طاهر
نقي ثم دعاك بصوت حائل خفي قد تطأطأ لك فانحنى ونكس
رأسه فانثنى قد أرعشت خشيته رجليه وغرقت دموعه
خديه يدعوك بيا أرحم الراحمين ويا أرحم من انتابه المسترحمون
ويا أعطف من أطاف به المستغفرون ويا من عفوه أكثر من نقمته
ويا من رضاه أوفر من سخطه ويا من تحمد إلى خلقه بحسن التجاوز
ويا من عود عباده قبول الإنابة ويا من استصلح فاسدهم
بالتوبة ويا من رضي من فعلهم باليسير ويا من كافى قليلهم بالكثير
ويا من ضمن لهم إجابة الدعاء ويا من وعدهم على نفسه بتفضله
حسن الجزاء ما أنا بأعصى من عصاك فغفرت له وما أنا بألوم من
اعتذر إليك فقبلت منه وما أنا بأظلم من تاب إليك فعدت
عليه أتوب إليك في مقامي هذا توبة نادم على ما فرط منه
مشفق مما اجتمع عليه خالص الحياء مما وقع فيه عالم بأن العفو

عَنِ الذَّنبِ العَظِيمِ لاَ يَتَعَاظَمُكَ وَاَنَّ التَّجَاوُزَ عَنِ الاِثمِ الجَلِيلِ لاَ
يَستَصعِبُكَ وَاَنَّ احتِمَالَ الجِنَايَاتِ الفَاحِشَةِ لاَ يَتَكَاَدُكَ وَاَنَّ
اَحَبَّ عِبَادِكَ اِلَيكَ مَن تَرَكَ الاِستِكبَارَ عَلَيكَ وَجَانَبَ الاِصرَارَ
وَلَزِمَ الاِستِغفَارَ وَاَنَا اَبرَءُ اِلَيكَ مِن اَن اَستَكبِرَ وَاَعُوذُ بِكَ
مِن اَن اُصِرَّ وَاَستَغفِرُكَ لِمَا قَصَّرتُ فِيهِ وَاَستَعِينُ بِكَ عَلَى مَا
عَجَزتُ عَنهُ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَاٰلِهِ وَهَب لِي مَا يَجِبُ عَلَيَّ
لَكَ وَعَافِنِي مِمَّا اَستَوجِبُهُ مِنكَ وَاَجِرنِي مِمَّا يَخَافُهُ اَهلُ الاِسَاءَةِ
فَاِنَّكَ مَلِيٌّ بِالعَفوِ مَرجُوٌّ لِلمَغفِرَةِ مَعرُوفٌ بِالتَّجَاوُزِ لَيسَ لِحَاجَتِي
مَطلَبٌ سِوَاكَ وَلاَ لِذَنبِي غَافِرٌ غَيرُكَ حَاشَاكَ وَلاَ اَخَافُ عَلَى
نَفسِي اِلاَّ اِيَّاكَ اِنَّكَ اَهلُ التَّقوٰى وَاَهلُ المَغفِرَةِ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ
اٰلِ مُحَمَّدٍ وَاقضِ حَاجَتِي وَاَنجِح طَلِبَتِي وَاغفِر ذَنبِي وَاٰمِن خَوفَ
نَفسِي اِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ وَذٰلِكَ
عَلَيكَ يَسِيرٌ اٰمِينَ رَبَّ العَالَمِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

يا من اعترف له المذنبون ففازوا بغفرانه، وأناب إليه التائبون فسعدوا برضوانه، نحمدك على مافتحت لنا من أبواب التوبة إليك، ونشكرك على مامنحت من الوفود بحسن الظنّ عليك، ونصلّي على نبيّك الذي هديت به من الزيغ والضلال، وعلى أهل بيته الذين حلّيتهم من الهداية بأشرف الخلال.

وبعد فهذه الروضة الثانية عشرة من رياض السالكين، تتضمّن شرح الدعاء الثاني عشر من أدعية صحيفة سيّد العابدين صلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ آبائه وأبنائه الطاهرين، إملاء راجي فضل ربه السنيّ علي صدرالدين الحسيني الحسنيّ، أصلح الله باله ومنحه إقباله.

شرح الدعاء الثاني عشر

«وَكانَ مِن دُعائِهِ عَلَيهِ السّلامُ في الإعْتِرافِ وَطَلَبِ التّوبَةِ إلى اللهِ تَعالىٰ»

اعترف بالشيء: أقرَّ به على نفسه، يقـال: عرف بذنبه عرفاً بالضمّ واعترافا بمعنىٰ، واعترف القـوم: سألهم مـعروفهم، واعـترف إليـه: انتسب إليـه ليعـرفه، واعترف للأمر: صبر. والأوّل من هذه المعاني هو المقصود هنا، والثاني محتمل.

روىٰ ثقة الإسلام في الكافي بسنـده عن أبي جعفر عليه السلام، قال: لاوالله ماأراد الله من الـناس إلّا خصـلتين، أن يعترفـوا له بالنعـم فيزيدهم، وبـالذنوب فيغفرها لهم(١).

وعنه عليه السلام قال: والله ماينجو من الذنوب إلّا من أقرّ بها(٢).

وعـن أبي عبـدالله علـيه السـلام: والله ما خرج عـبد مـن ذنب بـإصرار، وما خرج عبد من ذنب إلّا بإقرار(٣).

والتوبة المطلوبة إمّا بمعنىٰ الرجوع من الذنب لقبحه إلى الطاعة، فيكون طلبها بمعنى إلهامها والتوفيق لها.

---

(١) الكافي: ج٢، ص٤٢٦ ح٢ (٢) الكافي: ج٢، ص٤٢٦ ح١ (٣) الكافي: ج٢ ص٤٢٦ ح٤

اللَّهُمَّ إِنَّهُ يَحْجُبُنِي عَنْ مَسألَتِكَ خِلالٌ ثَلاثٌ.
وَ تَحْدُونِي عَلَيها خَلَّةٌ واحِدَةٌ.

و إمّا بمعنى الرجوع منه تعالى بالعبد من المعصية إلى الطاعة، فيكون طلبها بمعنى سؤال أن يتوب عليه.

قال عليه السلام(١)*.

الضمير في إنّه للشأن، وهو ضمير غائب يأتي صدر الجملة الخبريّة دالاّ على قصد المتكلّم استعظام السامع حديثه، ويسمّيه البصريّون ضمير الشأن والحديث إذا كان مذكّراً، وضمير القصّة إذا كان مؤنّثاً، وسمّاه الكوفيّون ضمير المجهول؛ لأنّه لايدري على مايعود.

وحجبه حجباً ـمن باب قتل ـ: منعه، أي: يمنعني.

والمسألة هنا: مصدر ميمي، يقال: سألت الله العافية سؤالاً ومسألة، أي: طلبتها.

والخلال بالكسر: جمع خلّة كخصلة وزناً ومعنى، وهي الحالة*.

حدوته على كذا: بعثته عليه، وأصله من حدوت الإبل إذا حثثتها على السير بالحداء مثل غراب، وهو الغناء لها.

قال ابن الأثير في النهاية: وفي حديث الدعاء «تحدوني عليها خلّة واحدة» أي: تبعثني وتسوقني عليها خصلة واحدة من حدو الإبل؛ فإنه من أكبر الأشياء على سوقها وبعثها(٢)*.

---

(١) أي أوّل الدعاء «اللّهم إنّه **يحجبني عن**».

(٢) النهاية لابن الأثير: ج١ ص٣٥٥.

يَحْجُبُني أمْرٌ أمَرتَ بِهِ فَأبْطَأتُ عَنهُ، وَنَهيٌ نَهيتَني عَنهُ فَأسْرَعْتُ إلَيه. وَنِعِمَةٌ أنْعَمتَ بِها عَليَّ فَقَصّرْتُ في شُكرِها.

الجملة في محلّ الرفع بدل من الجملة الأُولى، وهي قوله: يحجبني عن مسألتك؛ لكونها أوفى منها بتأدية المعنى المراد؛ لدلالتها على الخلال الحاجبة مفصّلة دون الاولىٰ، ومثلها قوله تعالى: «واتّقوا الذي أمدّكم بما تعلمون أمدّكم بأنعام وبنين وجنّات وعيون»(١)، فإنّ دلالة الثانية على نعم الله تعالى مفصّل بخلاف الأُولى.

والإبطاء: خلاف الإسراع، يقال: أبطأ الرجل، أي: تأخّر مجيؤه.

والأمر والنهي هنا إمّا بمعنييها المصدريّين، فيكون معنى أبطأت عنه وأسرعت إليه أبطأت عن امتثاله وأسرعت إلى خلافه، أو بمعنىٰ مأمور به ومنهي عنه، كالخلق بمعنىٰ المخلوق واللفظ بمعنى الملفوظ، فيكون المعنى أبطأت عن فعله وأسرعت إلى ارتكابه.

والتقصير في الأمر: التواني فيه، وهو أن لايبادر إلى القيام به ولايهتمّ بشأنه، أي: لم أهتمّ ولم أحتفل بشكرها.

تبصرة

إعلم أنّ الإماميّة رضوان الله عليهم اتّفقوا على عصمة الأنبياء والأئمّة عليهم السلام، وأطبقوا على أنّه لايجوز عليهم شيء من المعاصي والذنوب، صغيرةً كانت

(١) سورة الشعراء: الآية ١٣٣.

....

أو كبيرةً، لاقبل النبوّة والإمامة ولابعدهما. ثمّ استشكلوا مع ذلك ماتضمّنه كثير من الأدعية المأثورة عن الأئمّة عليهم السلام من الاعتراف بالذنوب والمعاصي والاستغفار منها، كما وقع في هذا الدعاء وغيره ممّا مرّ ويأتي.

بل روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم مايشعر بذلك، وهو مارواه ثقة الإسلام في الكافي بسنده عن أبي عبدالله عليه السلام: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان يتوب إلى الله عزّوجلّ كلّ يوم سبعين مرّة(١).

وأجابوا عن ذلك بوجوه:

أحدها: حمله على تأديب الناس وتعليمهم كيفيّة الإقرار والاعتراف بالتقصير والذنوب والاستغفار والتوبة منها.

الثاني: حمله على التواضع والاعتراف بالعبودية وأنّ البشر في مظنّة التقصير.

الثالث: أن الاعتراف بالذنوب والاستغفار منها إنّما هو على تقدير وقوعها، والمعنى إن صدر منّي شيء من هذه الأمور فاغفره لي، لما تقرّر من أنّه لايلزم من صدق الشرطيّة صدق كلّ واحد من جزءيها.

الرابع: أنّهم يتكلّمون على لسان أمّتهم ورعيّتهم، فاعترافهم بالذنوب اعتراف بذنوب أُمّتهم ورعيّتهم واستغفارهم لأجلهم؛ لأنّ كلّ راع مسؤول عن رعيّته، وإنّما أضافوا الذنوب إلى أنفسهم المقدّسة للاتّصال والسبب، ولاسبب أوكد ممّا بين الرسول أو الإمام عليهما السلام وبين أُمّته ورعيّته، ألا ترى أنّ رئيس القوم إذا وقع من قومه هفوة أو تقصير قام هو في الاعتذار عنهم ونسب ذلك إلى نفسه،

(١) الكافي: ج٢ ص٤٣٨ ح٤.

....

وإذا أريد عتابهم وتوبيخهم وجّه الكلام إليه دون غيره منهم وإن لم يفعل هو ذلك بل ولاشهده. وهذا وجه في الاستعمال معروف.

الخامس: ماذكره الشيخ علي بن عيسىٰ الإربلي في كتاب كشف الغمّة، قال رحمه الله: إنّ الأنبياء والأئمّة عليهم السلام تكون أوقاتهم مستغرقة بذكر الله تعالى، وقلوبهم مشغولة به، وخواطرهم متعلّقة بالملأ الأعلىٰ، وهم أبداً في المراقبة، كما قال عليه السلام: اعبد الله كأنّك تراه فان لم تره فإنّه يراك. فهم أبداً متوجّهون إليه ومقبلون بكلّيتهم عليه، فمتىٰ انحطّوا عن تلك الرتبة العالية والمنزلة الرفيعة إلى الاشتغال بالمأكل والمشرب والتفرّغ للنكاح وغيره من المباحات عدّوه واعتقدوه خطيئة فاستغفروا منه، ألا ترىٰ أنّ بعض عبيد أبناء الدنيا لوقعد يأكل ويشرب وينكح وهويعلم أنّه بمرأىٰ من سيّده ومسمع لكان ملوماً عند الناس ومقصّراً فيما يجب عليه من خدمة سيّده ومالكه، فما ظنّك بسيّد السادات ومالك الأملاك. وإلى هذا أشار عليه السلام بقوله: إنّه ليران على قلبي وإنّي لأستغفر الله بالنهار سبعين مرّة، وقوله: حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين(١). هذا ملخّص كلامه.

وهو أحسن ماتضمحلّ به الشبهة المذكورة. وقد اقتفىٰ أثره القاضي ناصرالدين البيضاوي في شرح المصابيح عند شرح قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّه ليغان على قلبي وإنّي لأستغفر الله في اليوم مائة مرّة. قال: الغين لغة في الغيم، وغان على كذا أي: غطىٰ. قال أبوعبيدة في معنىٰ الحديث: أي

(١) كشف الغمّة: ج٢ ص٢٥٤.

وَ يَحُدُوني عَلى مَسألتِكَ تَفَضُّلُكَ عَلى مَنْ أقْبلَ بِوَجْهِهِ إلَيكَ وَوَفَدَ بِحُسنِ ظَنِّهِ إلَيكَ.

بتغشّىٰ قلبي مايلبسه. وقد بلغنا عن الأصمعي أنّه سئل عن هذا، فقال للسائل: عن قلب من تروي هذا؟ فقال: عن قلب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقال: لوكان غير قلب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لكنت أُفسّره لك.

قال القاضي: ولله درّ الأصمعي في انتهاجه منهج الأدب، وإجلاله القلب الذي جعله الله موقع وحيه ومنزل تنزيله.

ثمّ قال: لمّا كان قلب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أتمّ القلوب صفاءً، وأكثرها ضياءً، وأغرقها عرفاناً، وكان صلّى الله عليه وآله وسلّم معنيّاً(١) مع ذلك بتشريع الملّة وتأسيس السنّة، ميسّراً غير معسّر، لم يكن له بدّ من النزول إلى الرخص والالتفات إلى حظوظ النفس مع ماكان ممتحناً به من أحكام البشرية، فكان إذا تعاطىٰ شيئاً من ذلك أسرعت كدورة إلى القلب لكمال رقّته وفرط نورانيّته، فإنّ الشيء كلّما كان أدقّ وأصفىٰ كان ورود المكدرات عليه أبين وأهدىٰ، فكان صلّى الله عليه وآله وسلّم إذا أحسّ بشيء من ذلك عدّه على النفس ذنباً فاستغفر منه(٢) إنتهىٰ كلامه ملخّصاً *.

التفضّل: التطوّل، وهو ابتداء الإحسان بلاعلّة.

ومعنى أقبل بوجهه إليك أطاعك وأناب إليك وأخلص نيّته لك؛ لأنّ من كان مطيعاً لغيره منقاداً له مخلصاً سريرته له فإنّه يقبل بوجهه إليه، فجعل الإقبال بالوجه كناية عن الطاعة والإنابة. أو معناه أقبل بوجه قلبه وروحه في المحبّة

---

(١) (ج): معيناً.

(٢) شرح المصابيح: لايوجد لدينا هذاالكتاب.

إذْ جَميعُ إحسانِكَ تَفَضّلٌ، و إذْ كُلُّ نِعَمِكَ إبتِداءٌ.

والعبادة والتوبة والإنابة لك.

ووفد إليه وعليه وفداً ووفوداً ووفادة: قدم وورد، وهو كناية عن رجائه وتأميله والقصد لمرضاته تعالى بالعمل والنية؛ فإنّ من رجا أحداً وأمّله وفد إليه وقدم عليه.

وقوله عليه السلام: «بحسن ظنّه» قيد يفيد كمال حسن الرجاء له سبحانه. ففي الحديث النبوي: والذي لاإله إلّا هو لايحسن ظنّ عبد مؤمن بالله إلّا كان الله عند ظنّ عبده المؤمن، لأنّ الله كريم بيده الخيرات، يستحي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظنّ ثمّ يخلف ظنّه ورجاءه، فأحسنوا بالله الظنّ وارغبوا إليه(١).

حكي أنّ رجلاً قال لرابعة العدويّة: إنّي قد عصيت الله أفترينه يقبلني إن أنا أنبت إليه؟ قالت: ويحك إنّه يدعو المدبرين عنه، فكيف لايقبل المقبلين عليه؟!(٢)*.

إذ: للتعليل، متعلّق بتفضّلك، كأنّه قال: إنّ تفضّلك من غير استحقاق ثابت متحقّق؛ لأنّ جميع إحسانك تفضّل من غير استحقاق إذ كان ابتداء بما لايلزم؛ ولأنّ كلّ نعمك ابتداء لامجازاة لحقّ سابق لديك، وهذا لاينافي كون العمل سبباً لدخول الجنّة، كيف وقد قال تعالى: «ادخلوا الجنّة بما كنتم تعملون»(٣)؟ ولكن لـمّا كانت الأعمال الموجبة للثواب متوقّفة على الوجود والقدرة والقوّة والآلات والتوفيق، وكان كلّ ذلك من الله سبحانه تفضّلاً وتطوّلاً

---

(١) الكافي: ج٢ ص٧١ ح٢.

(٢) ربيع الأبرار: مخطوط ص٤٣ باب الجناية والذنوب ومايتعلّق بها من العفو والعقاب.

(٣) سورة النحل: الآية ٣٢.

فَها أناذايا إلٰهي واقِفٌ بِبابِ عِزِّكَ وُقُوفَ المُسْتَسْلِمِ الذَّليلِ، وَسائِلُكَ عَلى الحَياءِ مِنّي سُؤالَ البائِسِ المُعيلِ.

وابتداءً منه بما لايلزمه، كان استحقاق العبد بمنزلة عدمه. وأيضاً فجعل العبد مستحقّاً للثواب بعمله تفضّل منه تعالى، وإلّا فلوناقشه في الآلات التي تسبّب باستعمالها إلى ثوابه لذهبت صغرىٰ أياديه تعالىٰ بجميع ماكدح له وجملة ماسعىٰ فيه، ولبقي رهيناً بسائر نعمه، فمتىٰ كان يستحقّ شيئاً من ثوابه.

وقد شرح عليه السلام هذا المعنىٰ بما لامزيد عليه في دعائه؛ إذ اعترف بالتقصير عن تأدية الشكر كما ستراه.

وأمّا ماذهب إليه الأشاعرة من أنّ العمل ليس سبباً للثواب، بناءً على أصلهم الفاسد من أنّ الله تعالى يجوز أن يعذّب المؤمن المطيع ويثيب الكافر، ففساده ظاهر.

وعلى هذا فالتفضّل قسمان: قسم يترتّب على العمل ويسمّى أجراً وجزاءً، وقسم لايترتّب على العمل، فمنه ماهو محض التفضّل حقيقةً واسماً كالإيجاد والهداية والعفو ونحو ذلك، ومنه ماهو تتميم للأجر كمّاً أو كيفاً، كما وعده تعالىٰ من الأضعاف وغير ذلك *.

الفاء: للسببيّة، أي: فبسبب مايحدوني على مسألتك من تفضّلك على من أقبل بوجهه إليك هاأناذا ياإلهي واقف.

وجملة «أناذا» متبدأ وخبره، وصدّرت بحرف التنبيه لكمال العناية والاهتمام بمضمونها، أي: أنا المتكلّم ذاالموصوف.

وواقف: بيان للوصف، وهو خبر شأن لـ«أنا» أو خبر لـ«ذا»، والجملة خبر لـ«أنا».

....

والوقوف ببـاب عزّه تعـالى كناية عن الالتـجاء به والانقياد له، كـما يقف الملتجيء والمطيع بباب من يلتجيء به وينقاد له.

واستسلم: انقاد، يقال: أسلم لله و سلّم واستسلم أي: انقاد لأمره ونهيه، كأنّه سلّم أنّه لاقدرة له على جلب نفع ولادفع ضرّ.

وعلى من قوله «على الحيـاء منّي»: للمصاحبة بمعنى مع، كقوله تعالى: «وإنّ ربّك لذو مغفرة للناس على ظلمهم»(١).

والحياء: ملكة نفسانيّة توجب انقباض النفس من شيء تلام عليه.

وقال الزمخشري: هو تغيّر وانكسار يعتري الإنسان من تخوّف مايعاب به ويذمّ(٢).

قال التفتازاني: وهو تفسير للفظ الحياء ونوع تنبيه على معناه الوجداني الغني عن التعريف، وتخوّف مايعاب به ليس يلزم أن يكون بصدور ذلك عنه بل بمجرّد توهّمه، كما يستحي الأرقّاء وضعفاء القلوب في حضور أهل الاحتشام(٣) إنتهى.

و إلى ذلك أشار صاحب الكشف حيث قال: لم يرد به التعريف، فقد يكون لاحتشام من يستحي منه، بل هو أكثر في النفوس الطاهرة(٤).

قيل: واشتقاقه من الحياة، يقال: حي الرجل، كما يقال: نسي وحشي إذا اشتكى: نساء وحشاه(٥).

---

(١) سورة الرعد: الآية ٦.

(٢) الكشاف: ج١ ص١١٢.

(٣) لم نعثر عليه.

(٤) صاحب الكشف: لايوجد لدينا هذا الكتاب.

(٥) الكشاف: ج١ ص١١٢.

....

فكأنّ الحيّ صار منتقص القوّة منتكس الحياة لما اعتراه من الانكسار.

والبائس: من بئس يبأس بؤساً -من باب علم- إذا افتقر، واشتدّت حاجته، وهو من البؤس بمعنىٰ الضرّ.

وعن الصادق عليه السلام: الفقير الذي لايسأل الناس، والمسكين أجهد منه، والبائس أجهدهم(١).

والمعيل: اسم فاعل من أعال، إمّا بمعنى كثر عياله؛ فإنّ المعيل إذا كثر عياله زاد جهده واشتدّ اضطراره. وإمّا بمعنىٰ افتقر، فقد حكى صاحب القاموس: أعال بالالف بمعنىٰ افتقر(٢). فيكون الغرض التأكيد، إلّا أنّ المشهور في المعنىٰ الأوّل أعال بالألف، وورد ثلاثياً أيضاً.

نقل الكسائي عن العرب الفصحاء: عال يعول إذا كثر عياله(٣)، ذكره الأزهري(٤)، ونقله غيره عن الأصمعي (٥) أيضاً. وفي المعنىٰ الثاني بالعكس.

والمصدران كلاهما -أعني وقوف المستسلم وسؤال البائس- مفعولان مطلقان مبيّنان لنوعي عامليهما.

والتقدير: وقوفاً مثل وقوف المستسلم وسؤالاً مثل سؤال البائس، كما تقدّره في نحو قولك: ضربت ضرب الأمير، أي: ضرباً مثل ضرب الأمير، فحذفت الموصوف ثمّ المضاف وأقمت المضاف إليه مقامه، غير أنّ المراد بالمستسلم والبائس هنا نفسه على طريقة التجريد، بخلاف الأمير في المثال، فهو كقوله

---

(١) تفسير نور الثقلين: ج ٢ ص ٢٢٩ ح ١٩١.

(٢) القاموس المحيط: ج ٤ ص ٢٣.

(٣) و(٤) لسان العرب: ج ١١ ص ٤٨٢.

(٥) لم نعثر عليه.

....

تعالى: «فأخذناه أخذ عزيز مقتدر»(١)؛ لأنّ العزيز المقتدر إنّما هو الله تعالى وهو الآخذ، و لكنّه جرّد من نفسه عزيزاً مقتدراً، كما جرّد من نفسه خبيراً في قوله تعالى: «فاسئل به خبيرا»(٢) لقصد المبالغة، كما تقرر في علم البلاغة وبيّن في نوع التجريد، وجعل أخذه بياناً لنوع العامل، وهو في الدعاء كذلك.

وقس على ذلك ما يأتيك من نظائر هذه العبارة في هذا الدعاء وغيره، كقوله عليه السلام: «بل أقول مقال العبد الذليل الظالم لنفسه المستخفّ بحرمة ربّه»(٣)، وغير ذلك في سائر الأدعية.

ومنه قول الصادق عليه السلام في دعاء العافية: اللّهمّ إنّي أدعوك دعاء العليل(٤)؛ إذ من المعلوم أنّ العليل هو الداعي؛ لأنّ هذا الدعاء موضوع لطلب العافية ممّن به علّة.

وأمّا ما قيل من أنّ الغرض من قوله عليه السلام: «وأقف بباب عزّك وقوف المستسلم الذليل» اعترافه بأنّه واقف بباب عزّه وقوفاً مثل وقوف المستسلم المنقاد لأنّه مستسلم منقاد، فتوهم منشؤه قياسه في المعنى على نحو ضربت ضرب الأمير، فظنّ أنّ معنى هذا التركيب مطّرد في جميع نظائر هذا التركيب. وليت شعري كيف يصنع في الآية المذكورة؟ وهل يسوغ له أن يقول: إنّ أخذه مثل أخذ عزيز مقتدر لأنّه عزيز مقتدر؟ تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

ومن عرف حقيقة التجريد وتأمّل التعريف الذي ذكروه له، وهو أن ينتزع

---

(١) سورة القمر: الآية ٤٢.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٥٩.

(٣) كما في هذه الروضة: ص ٤٩٥.

(٤) بحارالأنوار: ج٩٥ ص٢٨٥ - ٢٨٦ ح٢.

مُقِرٌّ لَكَ بِأَنّي لَمْ أَسْتَسْلِمْ وَقتَ إِحْسانِكَ إِلّا بِالإِقلاعِ عَن عِصْيانِكَ.

من أمر متّصف بصفة أمر آخر مثله مبالغة؛ لكمالها فيه حتّى كأنّه بلغ من الاتّصاف بها مبلغاً يصحّ أن ينتزع منه آخر موصوف بتلك الصفة، كقولهم: مررت بالرجل الكريم، والنسمة المباركة، فإنّهم جرّدوا من الرجل الكريم آخر مثله متّصفاً بصفة البركة، وعطفوه عليه كأنّه غيره، وهو هو في نفس الأمر، تحقّق أنّ مانحن فيه منه، وأنّ التعريف المذكور منطبق عليه.

فإن قلت: من أيّ أقسام التجريد هو؟

قلت: هو من قسم مادلّ عليه السياق، كقول الشاعر:

ولئن بقيت لأرحلنّ بغزوة تحوي الغنائم أو يموت كريم

فإنّ السياق دلّ على أنّه أراد بالكريم نفسه، وكذلك مانحن فيه من عبارة الدعاء ونحوها، وتقدير المثل فيها حفظاً للقاعدة النحوية لاينافي ماقرّرناه من التجريد، بل هو مقتضاه لحصول المغايرة به، فاحفظ ذلك فإنّه عزيز، وربّما زلّ فيه كثير من الأفهام، وهو من خصائص هذا الكتاب «والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل»(١)*.

الإقلاع عن الامر: الكفّ عنه، وأقلعت عنه الحمى: تركته.

والباء: للملابسة والمعنى أنّي ماستسلمت وانقدت لأمرك وقت إحسانك إلّا متلبّساً بالكفّ عن عصيانك فقط، ولم تقع منّي طاعة أُخرى، والغرض من ذلك الإقرار بأنّه لم يقم بجميع مايقتضيه الاستسلام من امتثال الأوامر واجتناب

---

(١) سورة الاحزاب: الآية ٤.

وَلَمْ أَخْلُ فِي الحالاتِ كُلِّها مِنِ إمتِنانِكَ.

فَهَلْ يَنفَعُنِي يا إِلٰهِي إِقْرارِي عِنْدَكَ بِسُوءِ مَا اكْتَسَبْتُ؟ وَهَلْ يُنْجِينِي مِنْكَ اعْتِرافِي لَكَ بِقَبِيحِ مَاارتَكَبْتُ؟

المناهي، كما هو شأن المستسلم المنقاد.

وأمّا ما قيل: من أنّ المعنىٰ أنه مقرّ بأنّه غير منقاد في وقت الإحسان إلّا بترك العصيان ولم يحصل منه الترك. فلا تفيده هذه العبارة كما لايخفى.

نعم، لو قال: مقرّ لك بأنّي لاأستسلم وقت إحسانك إلّا بالإقلاع عن عصيانك بإبدال «لم» بـ«لا» كان المعنىٰ المذكور محتملاً.

خلا الشيء يخلو خلوا وخلاء: فرغ.

والحالات: جمع حالة بمعنىٰ الحال، وهي مايكون عليه الإنسان من الصفة.

ولم يجعل الجوهري الحال والحالة بمعنىٰ، بل جعله من باب تمر وتمرة، فقال: الحالة واحدة حال الانسان(١). وهو غريب.

والامتنان: افتعال من المنّة بمعنىٰ الإنعام والإحسان، والغرض الإقرار بأنّه عليه السلام لم يكن فارغاً في جميع حالاته، لاقبل استسلامه ولابعده، من إنعامه وإحسانه تعالى.

ساء الشيء يسوء سوءً: قبح. وقيل: السوء: ما يظهر مكروهه لصاحبه، والقبيح: ماليس للقادر عليه أن يفعله.

وقيل: القبيح: مايكون متعلّق الذمّ في العاجل والعقاب في الآجل.

وكسب الإثم واكتسبه: تحمّله.

---

(١) الصحاح: ج٤ ص١٦٨٠.

....

قال الواحدي: إنّ الكسب والاكتساب واحد(١). قال تعالى: «ولا تكسب كلّ نفس إلّا عليها»(٢).

وقيل: الاكتساب أخصّ؛ لأنّ الكسب لنفسه ولغيره، والاكتساب مايكتسب لنفسه خاصّة.

وقيل: في الاكتساب مزيد اعتمال وتصرّف، ولهذا خصّ بجانب الشر في قوله تعالى: «لها ماكسبت وعليها مااكتسبت»(٣)، دلالةً على أنّ العبد لايؤاخذ من السيّئات إلّا بما عقد الهمّة عليه وربط القلب به، بخلاف الخير فإنّه يثاب عليه كيفما صدر عنه.

قال الزمخشري: فإن قلت: لم خصّ الخير بالكسب، والشرّ بالاكتساب؟ قلت: في الاكتساب اعتمال، فلمّا كان الشرّ ممّا تشتهيه النفس وهي منجذبة إليه وأمّارة به، كانت في تحصيله أعمل وأجدّ، فجعلت لذلك مكتسبة فيه، ولمّا لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لادلالة فيه على الاعتمال(٤) إنتهى.

والأصل في الركوب أن يكون في الدابّة، ركبت الدابّة وعليها ركوباً، ثمّ استعير في الدين والإثم، فقيل: ركبت الدين وارتكبته: إذا أكثرت من أخذه، وركبت الإثم وارتكبته: إذا أكثرت من فعله أو تحمّلته.

قال في الأساس(٥): ومن المجاز ركب ذنباً وارتكبه، وهذا الاستفهام من باب تجاهل العارف وسوق المعلوم مساق غيره، وإلّا فالإقرار بالذنب والاعتراف

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج٧ ص١٤٢.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٦٤.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

(٤) الكشاف: ج١ ص٣٣٢.

(٥) أساس البلاغة: ص٢٤٨.

أَمْ أَوْجَبْتَ لي في مَقامي هذا سُخْطَكَ أَمْ لَزِمَني في وَقْتِ دُعائي مَقْتُكَ.

سُبحانَكَ لاأيأسُ مِنكَ وَقَد فَتَحتَ لي بابَ التّوبَةِ إِلَيكَ.

بالمعصية في هذه الدار ممّا وردت النصوص القاطعة بأنّه ينفع وينجي، كما ورد عن أبي جعفر عليه السلام: والله ماينجو من الذنوب إلّا من أقرّبها (١).

وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة تقدّم ذكر بعضها في شرح عنوان هذا الدعاء، والنكتة فيه الاعتراف باستعظام سوء مااكتسبه وقبيح ماارتكبه، حتّى كأنّه شكّ لعظمته هل هو داخل في الذنوب التي ينفع فيها الإقرار وينجي منها الاعتراف؟ أم هو أعظم من ذلك؟ فاستفهم استفهام من لايعلم *.

وجب الشيء يجب وجوباً: لزم وثبت، وأوجبه: ألزمه وأثبته.

والمقام بالفتح: موضع القيام، ويحتمل أن يكون المراد به المقام الحسّي والمعنوي.

وسَخَطَ سَخَطاً بالفتح والتحريك -من باب تعب-: غضب، والسخط بالضمّ والسكون: اسم منه، والمراد بسخطه تعالى عقابه، أو هو راجع إلى إرادة العقوبة.

ولزم الشيء يلزم لزوماً -من باب علم-: ثبت ودام.

ومقته مقتاً -من باب قتل-: أبغضه أشدّ البغض عن أمر قبيح، فيكون المراد به أشدّ عقابه تعالى أو إرادته *.

قد تقدّم أنّ سبحان مصدر كغفران بمعنى: التنزيه، ولايكاد يستعمل إلّا مضافاً منصوباً بإضمار فعله كمعاذ الله، فمعنى سبحانك أُنزّهك تنزيهاً عمّا

---

(١) الكافي: ج٢ ص٤٢٦ ح١ (مع اختلاف يسير في العبارة).

....

لايليق بجناب قدسك وعزّ جلالك، وهو مضاف إلى المفعول، وجوّز كونه مضافاً إلى الفاعل بمعنىٰ: التنزّه.

ويئس من الشيء ييأس - من باب تعب -: قنط، فهو يائس والشيء مأيوس منه على فاعل ومفعول، والمصدر اليأس مثل فلس، ويجوز قلب الفعل دون المصدر، فيقال: أيس يأساً، هكذا قال بعض أهل اللغة.

وقال الجوهري: أيست من الشيء آيس يأساً: لغة في يئست منه أيأس يأساً، ومصدرهما واحد(١) إنتهى.

وفي القاموس: أيس منه كسمع أياساً: قنط، فجعل أياساً مصدر ايس(٢)*.

لكن قال ابن سيده في محكم اللغة: أمّا يئس وأيس فالأخيرة مقلوبة عن الأُولى؛ لأنّه لامصدر لأيس، ولايحتجّ بأياس اسم رجل؛ فإنّه فعال من الأوس وهو العطاء، كما يسمّى الرجل عطية وهبة الله(٣). إنتهى.

والرواية في الدعاء وردت بالوجهين «لاايئس منك» على مستقبل أيس، والأصل أيأس بهمزتين الأُولىٰ للمضارعة والثانية فاء الكلمة، فليّنت وقلبت ياء للاستثقال، وهذه الرواية هي المشهورة في متون النسخ. «ولاأياس منك» على أنّه مستقبل يئس، وهي نسخة ابن إدريس رحمه الله.

ولمّا كان في استفهامه السابق عليه السلام مايشمّ منه رائحة اليأس والقنوط؛ حيث توقّف مع الاعتراف والإقرار في العفو والتجاوز، مع علمه بسعة

---

(١) الصحاح: ج٣ ص٩٠٦.

(٢) القاموس: ج٢ ص١٩٩.

(٣) تاج العروس: ج٤ ص١٠٢ - ١٠٣. ولسان العرب: ج٦ ص١٩.

بَلْ أَقُولُ مَقَالَ العَبْدِ الذَّلِيلِ الظَّالِمِ لِنَفْسِهِ المُسْتَخِفِّ بِحُرْمَةِ رَبِّهِ.

رحمة الله تعالى، ومنعه من القنوط، ووعده بمغفرة الذنوب جميعاً، نزّهه عن أن ييأس منه ويقنط من رحمته، والحال أنّه قد فتح له باب التوبة الذي من دخله نجا وبلغ مارجا، فكيف ييأس من عفوه وغفرانه؟ أم كيف يقنط من فضله وإحسانه؟

فالواو من قوله «وقد فتحت»: للحال.

وفتح الباب: مستعار للأمر بالتوبة وجعلها مدخلاً إلىٰ عفوه ومرضاته تعالى*.

بل: حرف إضراب، فإن تلاها جملة، كان معنىٰ الإضراب إمّا الإبطال لما قبلها نحو «وقالوا اتّخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون»(١)، أي: بل هم عباد. ونحو «أم يقولون به جنّة بل جاءهم بالحقّ»(٢).

وإمّا الانتقال من غرض إلى استئناف غرض آخر، نحو «قد أفلح من تزكّى * وذكر اسم ربّه فصلّى * بل تؤثرون الحياة الدنيا»(٣)، ونحوه عبارة الدعاء: إذ ليس الغرض من الإضراب فيها إلّا الانتقال من الكلام الأوّل إلى معنى آخر. وهي في ذلك كلّه حرف ابتداء لا عاطفة على الصحيح. وإن تلاها مفرد فهي عاطفة.

والظالم لنفسه: العاصي الذي بخس نفسه الثواب، أي: نقّصها بمخالفة أوامر الله وارتكاب مناهيه، وأصل الظلم النقص، قال تعالى: «كلتا الجنّتين أتت أُكلها ولم تظلم منه شيئاً»(٤)، أي: لم تنقص.

---

(١) سورة الانبياء: الآية ٢٦.
(٢) سورة المؤمنون: الآية ٧٠.
(٣) سورة الاعلى: الآية ١٤ و ١٥ و١٦.
(٤) سورة الكهف: الآية ٣٣.

الّذي عَظُمَتْ ذُنوبُه فَجَلّتْ، وَأَدْبَرتْ أيّامُه فَوَلّتْ.

وقيل: أصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه، ولابدّ فيه من تعدّي ضرر، فالمخالف لأوامر الله المرتكب لمناهيه واضع للشيء في غير موضعه: لاستعماله قواه في غير ما خلقت له وهو مضرّ بنفسه، فصحّ أنّه ظالم لنفسه.

واستخفّ بحقّه: استهان به، كأنّه عدّه خفيفاً فلم يعبأ به.

والحرمة بالضمّ: ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه ولم يحلّ انتهاكه. وجميع التكاليف وأحكام الله تعالى بهذه الصفة. ولاستخفاف بها عدم مراعاتها والقيام بها وترك العمل بموجبها. وقد فسّر قوله تعالى: «ومن يعظّم حرمات الله فهو خير له عند ربّه»(١) بأحكامه وسائر ما لا يحلّ هتكه.

ومقول القول قوله عليه السلام فيما يأتي: «أتوب إليك في مقامي هذا»، وسيأتي الكلام عليه(٢)*.

الفاء: للتعقيب، والعطف بها يدلّ على أنّ بين العظم والجلالة فرقاً؛ لأنّهما لو كانا مترادفين ـ كما يظهر من كتب اللغة ـ لما جاز العطف بها؛ لأنّ عطف الشيء على مرادفه ممّا تختصّ به الواو، ولا يشاركها فيه غيرها من حروف العطف، فيمكن أن يعتبر العظم بحسب الكمّية، كما يقال: جيش عظيم إذا كان كثير العدد، والجلالة بحسب الكيفيّة! فإنّ الذنوب إذا كثرت وترادفت عظم خطرها فصارت جليلة.

وعن أبي عبدالله عليه السلام: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم نزل بأرضٍ قرعاء، فقال لأصحابه: ائتوا بحطب، فقالوا: يا رسول الله نحن بأرض

---

(١) سورة الحج: الآية ٣٠. (٢) في الروضة الحادية والثلاثين فراجع.

حَتّىٰ إِذا رَأىٰ مُدَّةَ العَمَلِ قَدِ انْقَضَتْ، وَغايَةَ العُمْرِ قَدِ انتَهَتْ.

قرعاء مابها خطب؛ قال: فليأت كلّ إنسان بما قدر عليه، فجاؤا به حتّى رموه بين يديه بعضه على بعض، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: هكذا تجتمع الذنوب(١).

وأدبر الشيء: خلاف أقبل، كأنّه ولّى دبره، وولّى وتولّى أي: ذهب، فالتولّي بعد الإدبار، فصحّ العطف بالفاء التعقيبيّة، وأراد بأيّامه مدّة حياته ﷺ.

حتّى هذه عند الجمهور هي الابتدائية التي يبتدأ بها الكلام، دخلت على الجملة الشرطيّة وهي مع ذلك غاية لما قبلها، وهو هنا ما اعترف به من الظلم لنفسه والاستخفاف بحرمة ربّه وعظم ذنوبه وإدبار أيّامه.

واستشكل بعضهم مجيء هذه الجملة الشرطيّة من إذا وجوابها بعد حتّى، وقال: كيف تكون حتّى غاية وبعدها جملة الشرط؟

وأُجيب بأنّ الغاية في الحقيقة هو ما ينسبك من الجواب مرتّباً على فعل الشرط، فالتقدير الإعرابي المعنوي فيما نحن فيه: بل أقول مقال من لم يزل ظالماً لنفسه مستخفّاً بحرمة ربّه، إلى أن تلقّاك بالإنابة وأخلص لك التوبة، وقت رؤيته مدّة العمل قد انقضت وغاية العمر قد انتهت، إلى آخره.

وقيل: هي في مثل ذلك غاية لجواب الشرط، على معنى أنّه لمّا رأى مدّة العمل قد انقضت وغاية العمر قد انتهت تلقّاك بالإنابة.

وزعم الأخفش وابن مالك أنّها الجارّة(٢) وأنّ إذا في موضع جرّ بها، وعلى هذا فيكون تقدير الغاية: لم يزل ظالماً لنفسه مستخفّاً بحرمة ربّه إلى وقت

---

(١) الكافي: ج٢ ص٢٨٨ ح٣.

(٢) مغني اللبيب: ص١٧٤.

وأَيْقَنَ أَنَّهُ لامَحِيصَ لَهُ مِنكَ وَلامَهْرَبَ لَهُ عَنكَ.

رؤيته مدّة العمل قد انقضت، وهي على هذا لاجواب لها؛ لأنّها معمولة لما قبلها، فيكون قوله: «تلقّاك بالإنابة» استئنافاً وجواب سؤال، كأنّه سئل فما كان منه إذ ذاك؟ فقال: تلقّاك بالإنابة.

والعمل: فعل الانسان الصادر عن قصد وعلم، والمراد به هنا ما يستحقّ به الثواب ويُنجي من العقاب.

وغاية الشيء: مداه.

والعمر: الحياة. وقوله: انقضت وانتهت من باب التعبير بالفعل عن مشارفته، أي: رأى مدّة العمل قد شارفت الانقضاء وغاية العمر قد شارفت الانتهاء.

ومنه قوله تعالى: «و إذا طلّقتم النساء فبلغن أجلهنّ فامسكوهنّ»(١)، أي: فشارفن انقضاء العدّة، ومثله كثير في القرآن المجيد*.

اليقين: العلم الذي لاشكّ فيه.

وقيل: هو العلم الحاصل عن نظر واستدلال؛ ولذلك لايسمّى علم الله تعالى يقيناً، ويقن الأمر ييقن يقناً -من باب تعب-: إذا ثبت ووضح فهو يقين فعيل بمعنى فاعل، ويستعمل أيضاً متعدّياً بنفسه وبالباء وبالهمزة والباء، فيقال: يقّنته ويقّنت به وأيقنت به، وتيقّنت واستيقنته: إذا علمته، والأصل: وأيقن بأنّه لامحيص، فحذف الباء، وحذف حرف الجرّ مطّرد مع أنْ وأنّ.

والمحيص: الملجأ والمنجي، من حاص يحيص حيصاً: إذا عدل وحاد.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣١.

تَلَقَّاكَ بالإنابَةِ وأَخْلَصَ لَكَ التَّوبَةَ.

وقيل: من حاص الحمار إذا عدل بالفرار، وهو إمّا اسم مكان كالمبيت والمصيف، أو مصدر كالمغيب والمشيب، ومثله المهرب.

وقوله: «منك وعنك» أي: من أمرك وعن أمرك، والمراد به الموت.

فإن قلت: ألم يكن موقناً قبل ذلك بأنّه لامحيص ولامهرب له عنه حتّى جعل إيقانه شرطاً حاصلاً لتلقّيه تعالى بالإنابة، كما يقتضيه العطف على الجملة الشرطيّة، فيكون قد حصل له الإيقان بعد أن لم يكن؟

قلت: المراد أنّه أيقن بحلول الموت به عند إدبار أيّامه وتولّيها، كما رأى أنّ مدّة العمل قد انقضت وغاية العمر قد انتهت، فتحقّق أنّه لامحيص ولامهرب له عنه، بتأميل فسحة في الأجل ورجاء نفس في العمر، أو أنّ نفسه قد استسلمت لحلوله بها فلم يكن لها نفرة ولامهرب عنه، كما هو شأن المستسلم. وأمّا قبل ذلك فإنّه كان موقناً بأنّه سيحلّ به الموت، إلّا أنّه كان يؤمّل الحياة ويرجو البقاء بعد، فكان ذلك كالمحيص والمهرب له عن حلوله، أو أنّ نفسه كانت تحيد وتهرب نفرة عنه بحسب الطبع، كما قال تعالى: «وجاءت سكرة الموت بالحقّ ذلك ما كنت منه تحيد»(١)، أي: تنفر وتهرب، والخطاب فيه للإنسان؛ فإنّ النفرة عنه شاملة لكلّ فرد من أفراده طبعاً، والله أعلم.

تلقّاه: استقبله، أي: وجّه وجهه تلقاءه وقِبَلَهُ.

والإنابة: الرجوع إلى الله بالتوبة من أناب إذا أقبل ورجع.

وأخلص لله العمل: لم يراء فيه من أخلص الماء من الكدر إذا صفا،

(١) سورة ق: الآية ١٩.

فَقَامَ إِلَيكَ بِقَلْبٍ طاهِرٍ نَقيٍّ، ثُمَّ دَعاكَ بِصَوتٍ حائِلٍ خَفِيٍّ.

وخلص الشيء من التلف خلوصاً -من باب قعد-: سلم ونجا، كأنّه أصفاه وسلّمه من شوب رياء ونفاق.

و إخلاص التوبة: أن يأتي بها على طريقها لتصفو وتسلم ممّا ينافيها، وذلك أن يتوب عن القبائح لقبحها، نادماً عليها، مغتمّاً أشدّ الاغتمام لارتكابها، عازماً على أنّه لايعود في قبيح من القبائح، موطّناً نفسه على ذلك بحيث لايلويه عنه صارف أصلاً، فإذا تاب كذلك فقد أخلص التوبة.

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام: أنّ التوبة يجمعها ستّة أشياء: على الماضي من الذنوب الندامة، وللفرائض الإعادة، وردّ المظالم واستحلال الخصوم، وأن تعزم على أن لا تعود، وأن تذيب نفسك في طاعة الله تعالى كما ربّيتها في المعصية، وأن تذيقها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعاصي(١).

وفرّق بعضهم بين الإنابة والتوبة، فقال: الإنابة أن يتوب العبد خوفاً من عقوبته، والتوبة أن يتوب حياءً من كرمه، فالأُولىٰ توبة إنابة والثانية توبة إستجابة *.

الفاء: للسببيّة، فبسبب ذلك قام إليك، مثلها في قوله تعالى: «فوكزه موسىٰ فقضىٰ عليه»(٢).

وعدّىٰ القيام بإلىٰ لتضمينه معنىٰ التوجّه، أي: قام متوجّهاً إليك.

والباء: للملابسة.

وطهر الشيء -من باب قتل وقرب- طهارةً، والإسم الطهر بالضمّ، وهو لغةً

---

(١) نهج البلاغة: ص٥٤٩، قصار الحكم رقم ٤١٧.

(٢) سورة القصص: الآية ١٥.

قَد تَطَأطَأَ لَكَ فَانحَنىٰ وَنَكَّسَ رَأسَهُ فَانثَنىٰ.

النقاء من الدنس والنجس، ويخصّ(١) شرعاً بالثاني.

ونقىٰ الشيء ينقىٰ -من باب تعب- نقاءً بالفتح والمدّ ونقاوةً: نظف من الوسخ والدنس فهو نقي على فعيل.

والمراد بطهارة القلب ونقاوته: نقاؤه من الأنجاس والأدناس الروحانيّة، كالشرك والجهل وسائر الاعتقادات والأخلاق الذميمة، ويندرج في طهارته ونقاوته نقاء سائر الجوارح لأنّه رئيسها.

ودعا الله تعالى يدعوه دعاءً: ابتهل إليه بالسؤال ورغب فيما عنده من الخير.

والصوت: كيفيّة قائمة بالهواء يحملها إلى الصماخ.

وحال الشيء يحول حولاً: إذا تغيّر عن طبعه ووصفه، ومثله استحال.

وخفي الشيء -من باب تعب- خفاءً: استتر فهو خفي.

وإنّما وصف الصوت بالحيلولة والخفاء لما اعتراه من الخوف والحياء؛ فإنّ الخائف والمستحي من شأنه أن يتغيّر صوته ويخفى كلامه؛ لضعف نفسه وانقباضها عن استعمال الآية على جاري عادتها، حتّى أنّ بعضهم ينقطع صوته فلايستطيع الكلام*.

التطأطؤ: هو أن يذلّ ويخفض نفسه، من طأطأ رأسه إذا صوّبه وخفضه، وفي حديث عثمان: تطأطأت لكم تطأطأ الدلاة، قال ابن الأثير: أي خفضت لكم نفسي كما يخفضها المستقون بالدلاء وتواضعت لكم وانحنيت، والدلاة: جمع دالٍ وهو الذي يستسقي بالدلو، كقاضٍ وقضاة(٢). إنتهى.

---

(١) (ألف): يختصّ.

(٢) النهاية لابن الأثير: ج٣ ص١١٠.

قد أَرْعَشَتْ خَشْيَتُهُ رِجْلَيهِ، وَغَرَّقَتْ دُموعُه خَدّيهِ.

وانحنىٰ: انعطف من حنىٰ العود يحنيه حنياً، وحناه يحنوه حنواً: عطفه.

ونكس رأسه ـمن باب قتل ـ ونكّسه بالتثقيل: خفضه وطأطأه.

وانثنىٰ: انعطف وانحنىٰ، من ثناه يثنيه ثنياً ـمن باب رمىٰ ـ: إذا عطفه. وكلّ ذلك كناية عن تواضعه وخشوعه وذلّه له تعالى. والجملة في محلّ نصب على الحال، ويحتمل الاستئناف، كأنّه سئل ثمّ ماكان منه بعد ذلك؟ فقال: قد تطأطأ لك فانحنىٰ، إلى آخره *.

رعش رعشاً و رعشاً ـمن باب تعب ومنع ـ: أخذته الرعدة ويتعدّىٰ بالهمزة فيقال: أرعشه الله، وارتعش: ارتعد.

والخشية: الخوف، وقيل: الخوف: تألّم النفس من توقّع العقاب.

والخشية: الحالة الحاصلة عند الشعور بعظمة الحقّ وهيبته، وسيأتي الكلام على ذلك في الروضة الثالثة والعشرين إن شاء الله تعالى.

و إسناد الإرعاش إلى الخشية من إسناد الفعل إلى السبب؛ فإنّ القوّة المحرّكة إذا ضعفت لاعتراض الخوف أو لوصول شيء مفظع هائل، كالنظر من موضع عال أو المشي على الحائط أو مخاطبة محتشم مهيب، أو غير ذلك ممّا يفيض(١) القوىٰ النفسانيّة، أو غمّ أو حزن أو فرح مشوّش لنظام حركات القوّة، عرضت الرعشة، والغضب قد يفعل ذلك؛ لأنّه يحدث اختلافاً في حركة الروح، وخصّ الرجلين بالإرعاش إيذاناً بشدّة الخشية وقوّتها؛ لأنّ الرعشة فيهما لاتحدث إلّا عن سبب قويّ جدّاً **ينفعل عنه الروح المحرّك في أسافل البدن انفعالاً شديداً بخلاف** اليدين.

---

(١) (الف و ج): يقبض.

....

يدلّ على ذلك قول الشيخ الرئيس في القانون: قد تكون الرعشة في اليدين دون الرجلين؛ لأنّ الروح المحرّك في أسافل البدن أقوىٰ وأشدّ؛ لحاجة تلك الأعضاء إلى مثله، فلا تنفعل عن الأسباب التي ليست بقوية جداً انفعالاً شديداً، وإن انفعلت الآلة قوىٰ على نهزها، واليد ليست كذلك(١) إنتهى.

فانظر أيّها المتأمّل إلى ملاحظته عليه السلام في هذه العبارة لهذه النكتة الدقيقة، التي لايطّلع عليها ولايفطن لها إلّا من اطّلع على دقائق الطبّ وأسراره، وكشف عن خفيّ مسائله حجب أستاره. وهو عليه السلام مع ذلك متوجّه إلى خطاب ربّه ومتبتّل باعتراف ذنبه، وهو المقام الذي تذهل فيه العقول والأفهام وترجف عنده القلوب والأقدام، تعلم أنّ مثل ذلك ليس إلّا عن فيضٍ ربّاني وإمداد سبحاني.

وكم في مطاوي كلامه عليه السلام من نكت وأسرار لايدركها إلّا من انفتح له بصر الهدىٰ وانقشعت عنه سحائب العمىٰ، ففي كلّ معنىً منه روض من المنىٰ، وفي كلّ لفظ منه عقد من الدرّ. وفّقنا الله تعالى للاطّلاع عليها وهدانا بإرشاده إليها.

وغرق الشيء في الماء غرقاً ـ من باب تعب ـ: رسب فيه فهو غرق وغارق أيضاً، ويتعدّىٰ بالهمزة والتضعيف، فيقال: أغرقته وغرّقته، ولمّا كانت كثرة الدموع تغطّي وتستر الخدّين كما يستر الماء الكثير الغريق عبّر عن ذلك بالتغريق إيذاناً بكثرتها ودوام ذرفانها.

---

(١) القانون: ج٢ ص١٠٦.

يَدْعُوكَ بِياأَرْحَمَ الرّاحِمِينَ.

والجملة في محلّ نصب على الحال كالتي قبلها، وهي إمّا حال من فاعل دعاك كالأُولىٰ، كما هو مذهب الجمهور من جواز تعدّد الحال، أو من الضمير في تطأطأ فيكون من باب التداخل، وذلك واجب عند من منع تعدّد الحال، والعامل فيها على الأوّل دعاك ، وعلى الثاني تطأطأ، وتحتمل الاستئناف على قياس مامرّ*.

أي: يناديك ، من دعوت زيداً أي: ناديته وطلبت إقباله، ومدخول الباء محذوف، والتقدير يدعوك بقوله يا أرحم الراحمين.

ويا: حرف موضوع لنداء البعيد حقيقة أو حكماً، وقد ينادى بها القريب توكيداً.

وقيل: هي مشتركة بين البعيد والقريب.

وقيل: بينهما وبين المتوسّط، قاله ابن هشام في المغني(١).

وقال ابن المنير (٢): وأصله صوت يهتف به لمن كان بعيداً منك ، ثمّ استعمل في كلّ نداء وإن قرب المنادى، كأنّك تقدّر المخاطب ساهياً عنك ، وكفىٰ بالغفلة بُعداً فتوقظه بذلك الصوت من سنة السهو، ثمّ تؤذنه بخطابك وإن كان مصغياً بأنّ الأمر الذي بعده مهمّ عندك وكأنّك في غفلة عنه، فتزيده يقظة إلى يقظة بالتصويت.

---

(١) مغني اللبيب: ص٤٨٨.

(٢) هو أحمد بن محمد بن منصور المالكي النحوي قاضي القضاة ناصرالدين علامة الاسكندريّة وفاضلها ومدرّسها، الذي أخذ منه أبو حيّان وغيره. وصنف كتاب الإنتصاف من صاحب الكشاف، توفّي سنة ٦٨٣ هجريّة (خفج) بالاسكندريّة، ودفن بتربةوالده. الكنى والألقاب: ج١ص٤١٧.

....

فإن قلت: فقد استعمل هذا الحرف في الدعاء، وقد علم أنّ الله تعالى لايجوز عليه السهو ولاالغفلة ولاالبعد؛ فإنّه أقرب إلى الداعي من حبل الوريد.

قلت: قد استقرّ أنّها بالاتّساع صارت مؤذنة باهتمام المتكلّم بالمقصود، والذي يأتي بعدها أعمّ من كون الساهي غافلاً أو حاضراً، وإظهار الاهتمام بالحاجة من قبيل الضراعة والإلحاح المطلوب في الدعاء.

وقال الزمخشري: وقول الداعي في جواره ياربّ ويا ألله مع كونه أقرب إليه من حبل الوريد استقصار(١) منه لنفسه، واستبعاد لها من مظانّ الزلفى، وهو إقناعي؛ لأنّ الداعي يقول في دعائه: ياقريباً غير بعيد، وربّما قال: يامن هو أقرب إليّ من حبل الوريد،فأين هذا من الانتصاب في مقام البعد(٢)؟ إنتهى كلام ابن المنير.

وأُجيب عن تعقبه كلام الزمخشري بأنّ هذا الكلام من الداعي غير مناف لانتصابه في مقام البعد ولابعيد منه؛ لأنّ المراد استقصار(٣) نفسه واستبعادها ممّا يقرّبه إلى رضوان الله تعالى. إنتهى.

والجملة في محلّ نصب على الحال من الضمير في قوله: «فقام إليك»، كأنّه قال: فقام إليك ثمّ دعاك منادياً لك بقوله: يا أرحم الراحمين، وتقديمه النداء بهذا الوصف لأنّه الأهم بالمقام؛ لاشتماله على صفة الرحمة التي لاتساويها رحمة، ولاتكون توبة ولاعفو ولاغفران ولافضل ومنّ وإحسان إلّا بعدها.

---

(١) (ج) استصقار و(الف) استقضاء.

(٢) الانتصاف من صاحب الكشاف: لايوجد لدينا هذا الكتاب بل وجدنا هذا الكلام في المنصف من الكلام عن مغني ابن هشام:ج٢ ص١١٤ نقلاً عنه.

(٣) (ج) استصقار و(الف): استقضاء.

وَ يـا أرحَمَ مَنِ انْتـابَـهُ المُستَرحِمونَ، وَيـا أعْطَفَ مَن أطافَ بِهِ المُستَغفِرونَ.

وفي الحديث: أنّ لله ملكاً مؤكـلاً بمن يقول يا أرحم الراحمين، فـن قالها ثلا ثاً قال له الملك: إنّ أرحم الراحمين قد أقبل عليك فسل(١).

ومرّ رسول الله صلّى الله عليـه وآله وسلّم برجل وهو يقول: يا أرحم الراحمين، فقال له: سلْ فقد نظر الله إليك(٢)*.

انتابه انتياباً: أتاه مرّة بعد أُخرى أو غدا عليه وراح.

قال في الأساس: هو ينتابنا وهو منتابٌ: مغادٍ مُراوِح(٣).

وقال ابن الأثير في النهـاية: انـتابـه إذا قصده مرّة بـعد أُخـرىٰ. ومنـه حديث الدعاء «يا أرحم من انتابه المسترحمون»(٤) إنتهى.

واسترحمه: سأله الرحمة.

وعطف عليه عطفاً ـمن باب ضَرَبَ ـ: أشفق وتحنّن.

وأطاف بـه: ألمّ، أي: نـزل به، وأطـاف بـالشيء: أحـاط به، أي: اسـتدار بجوانبه.

والانتياب: تمـثيل لطلب المسترحمين منه الرحمـة مرّة بعد أُخرىٰ، كما ينتاب المحتاج الغني ويغاديه ويراوحه في طلب حاجته.

والإطافة بمعنى الالمام، تـمثيل لالتجاء المستغفرين به كما ينزل طالب الحاجة بمن يؤمّل عنده نيـلها، وبمعنىٰ الإحاطة تمثيل لطلبهم المغفرة منه من كلّ جهة كما

---

(١) وسائل الشيعة: ج٤ ص١١٣٣ ح١٨.

(٢) بحار الأنوار: ج٩٣ ص٢٣٥.

(٣) اساس البلاغة: ص٦٥٦.

(٤) النهاية لابن الأثير: ج٥ ص١٢٣.

وَ يا مَن عَفْوهُ أكْثَرُ مِن نِقْمَتِهِ، وَ يا مَن رِضاهُ أوْفَرُ مِن سَخَطِهِ.

يحيط المحتاجون بمن يقوم بهم، قال الشاعر:

أخوصبية شعث يطيف بشخصه كوالح أمثال اليعاسيب ضمّر

وقال أبوطالب رضي الله عنه في مدحه عليه السلام:

يطيف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

وتفضيله تعالىٰ على غيره في هذه الأفعال من الرحمة والعطف ونحوها إنّما هو بالنظر إلى عادة الناس وضعف عقولهم، حيث يثبتون أصل تلك الأفعال في الجملة لغيره أيضاً، فينبّهون على الرجوع إليه تعالى بأنّه أكمل فيها من غيره؛ لأنّ النفس إلى الأكمل أرغب، وإلّا فلا نسبة بين الخالق والخلق ولابين فعله وفعلهم حتّىٰ يجري فيه معنى التفضيل*.

وفر الشيء يفر -من باب وعَد-: تمّ وكمل، ووفرته وفراً -من باب وعَدَ أيضاً-: أتممته وأكملته، يتعدّىٰ ولايتعدّىٰ، والمصدر فارق، ووفر المال -من باب كرم ووعد- وفراً ووفوراً: كثر واتّسع فهو وفر، ويتعدّىٰ هذا بالتثقيل فيقال: وفّره توفيراً، وإرادة هذا المعنى هنا أظهر من الأوّل، أي: يامن رضاه أكثر وأوسع من سخطه.

قيل: و إنّما قدّم ذكر العفو والنقمة على الرضا والسخط لأنّهما من صفات الأفعال كالإحياء والإماتة، والرضا والسخط من صفات الذات، وصفات الأفعال أدنىٰ رتبة فترقّىٰ منها إلى الأعلى.

وهذا لايصحّ على مذهب الإماميّة؛ لأنّ الرضا والسخط عندهم من صفات الأفعال أيضاً بإجماع منهم؛ لأنّهم قالوا: كلّ شيئين متضادّين وصفت الله تعالى بهما وهما في الوجود فهما من صفات الفعل كالعفو والانتقام والرضا

....

والسخط، فإنّه يقال: عفا عمّن تاب، وانتقم ممّن أصرّ، ورضي عمّن أطاعه، وسخط على من عصاه. فالرضا والسخط من صفات الفعل لامن صفات الذات؛ لأنّه لايجوز وصفه تعالى بصفات الذات وبضدّها، فلا يجوز أن يقال مثلاً: هو عالم وجاهل وقادر وعاجز.

والحاصل: أنّ كلّ صفة توجد فيه سبحانه دون نقيضها فهي من الصفات الذاتية، وكلّ صفة توجد فيه مع نقيضها فهي من الصفات الفعليّة، فلا يصحّ التوجيه المذكور على مذهبنا.

نعم قد يراد بالرضا العلم الأزلي بالخيرات وبإفاضتها في أوقاتها، فيكون من صفاته الذاتية التي لا تفارق الذات في مرتبتها، لكنّ هذا المعنىٰ غير مراد هنا، بل المراد من الرضا نفس الفعل الذي هو الإحسان والإكرام؛ لمقابلته بالسخط الذي هو العقوبة والانتقام، فتعيّن كونه من صفات الفعل.

والصواب في توجيه تقديم العفو في الذكر على الرضا وإن كان كلاهما من صفات الفعل: أنّ العفو أدنىٰ رتبة من الرضا؛ لأنّ الرضا يستلزم العفو من غير عكس؛ إذ قد يعفو السيّد عن عبده وليس عنه براض، فكان ذكره للعفو ثمّ الرضا من باب الترقّي من الأدنىٰ إلى الأعلىٰ.

قالوا: ومعنىٰ كون عفوه أكثر من نقمته ورضاه أوفر من سخطه، أنّ تعلّق إرادته بإيصال الرحمة أكثر من تعلّقها بإيصال العقوبة؛ فإنّ الأوّل من مقتضيات صفته، والغضب باعتبار المعصية، كما قال تعالى: «وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير»(١)،فالرحمة ذاتية والغضب

(١) سورة الشورىٰ: الآية ٣٠.

وَيا مَن تَحَمَّدَ إلىٰ خَلْقِهِ بِحُسْنِ التَّجاوُزِ، وَيا مَن عَوَّدَ عِبادَهُ قَبُولَ الإنابَةِ، وَيا مَن إستَصْلَحَ فاسِدَهُمْ بِالتَّوبَةِ.

عرضيّ، فلولا المعصية والكفر لم يكن غضب ولم يخلق جحم، كما دلّ عليه قوله تعالى: «ولا تطغوا فيه فيحلّ عليكم غضبي»(١)*.

تحمّد: هنا بمعنىٰ استحمد، يدلّ على ذلك قول الزمخشري في الأساس: استحمد الله إلى خلقه بإحسانه إليهم وإنعامه عليهم(٢) إنتهى. وتفعّل ترد بمعنى استفعل في معنى الطلب، نحو: تنجّزته، أي: استنجزته إذا طلبت نجازه، فتحمّد إلى خلقه واستحمد بمعنىٰ طلب إليهم أن يحمدوه، كما قال تعالى: «وقل الحمد لله»(٣) «واشكروا لي ولا تكفرون»(٤)، وإنّما عدّاه بإلىٰ ـ والأصل أن يتعدّىٰ بنفسه ـ لتضمينه معنى خطب، أي: تحمّدهم خاطباً إليهم حمده.

وأمّا تفسيره بمعنىٰ إمتنّ، كما فعله كثير من المحشّين والمترجمين، أخذاً من قول الجوهري في الصحاح: فلان يتحمّد عليّ، أي: يمتنّ عليّ، يقال: من أنفق ماله على نفسه فلا يتحمّد به على الناس(٥). إنتهى. فليس بصواب وذلك لوجهين:

أحدهما: أنّ التحمّد بمعنى الامتنان إنّما يعدّىٰ بعلىٰ كما هو صريح عبارة الجوهري، والتحمّد في الدعاء معدّىٰ بإلىٰ فاختلف المعنى. يدلّ على ذلك قول الإمام أبي الفضل الميداني في مجمع الأمثال: قولهم: من أنفق ماله على نفسه فلا يتحمّد به على الناس، ويروى إلى الناس، فمن وصله بعلىٰ أراد فلا يمتنّ به على

(١) سورة طه: الآية ٨١. (٢) أساس البلاغة: ص١٤٠. (٣) سورة النحل: الآية ٩٣.
(٤) سورة البقرة: الآية ١٥٢. (٥) الصحاح: ص٤٦٧.

....

الناس، ومن وصله بإلى أراد فلايخطبن إليهم حمده(١). إنتهى.

الثاني: أنّه قد ورد في دعائهم عليهم السلام تنزيهه تعالى عن الامتنان، كما سيأتي في دعاء وداع شهر رمضان «ولم تشب عطاءك بمنّ»(٢)، فلا يصحّ حمل التحمّد هنا على معنى الامتنان، ولاحاجة إلى التكلّف في الجواب أنّ معنى امتنانه كون نعمه جديرة بأن يمتنّ بها وإلّا فهو مبرأ عن ذلك.

فإن قلت: فقد ورد الامتنان في القرآن المجيد كثيراً، كقوله تعالى: «يابني إسرائيل إذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم»(٣)، وقوله تعالى: «واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض»(٤) الآية، إلى غير ذلك.

قلت: هذا ونحوه من قبيل التنبيه على شكر النعمة والنهي عن كفرها، وليس الغرض منه اعتداد النعمة كما يفعله المعتدّ بنعمه والمتطاول بها على المنعم عليه.

والتجاوز: العوف والصفح عن الذنب، من جازه يجوزه إذا تعدّاه وعبر عليه كأنّه لم يقف عنده.

وحسن التجاوز عبارة عن الصفح الجميل. وعن علي عليه السلام(٥): أنّ الصفح الجميل هو العفو من غير عتاب(٦) وكذلك روي عن الرضا عليه السلام(٧).

وقيل: هو العفو بغير تعنيف وتوبيخ(٨)، وفي بعض الأخبار: ربّما أُتي العبد في

---

(١) مجمع الأمثال: ج٢ ص٣١٧.

(٢) في الروضة الخامسة والأربعين.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٢٢.

(٤) سورة الانفال: الآية ٢٦.

(٥) أي علي بن الحسين عليه السلام.

(٦) وسائل الشيعة: ج٨ ص٥١٩ ح٧.

(٧) وسائل الشيعة: ج٨ ص٥١٩ ح٦.

(٨) بحار الأنوار: ج٧٨ ص٣٥٧.

....

صحيفته يوم القيامة على عظيمة كان اقترفها يشقّ عليه النظر إليها، فتدركه رحمة ربّه فتستر عليه تلك العظيمة، ويقال له: جاوزها لأنّه كان دعاؤه أيّام **الحياة** يا عظيم العفو يا حسن التجاوز(١).

وعوّده كذا فاعتاده وتعوّده: أي صيّره له عادة أي: ديدناً يعود إليه، أي: جعل لهم قبول الرجوع كلّما رجعوا إليه عن ذنوبهم عادة. وفيه إشارة إلى قوله تعالى: «ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثمّ يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً»(٢).

وعن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: إنّ الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، باسط يده لمسيء النهار أن يتوب بالليل، ولمسيء الليل أن يتوب بالنهار(٣).

وعن أبي جعفر عليه السلام: كلّما عاد المؤمن بالاستغفار والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة، وإنّ الله غفور رحيم ويقبل التوبة ويعفو عن السيّئات(٤). والأخبار في هذا المعنى لا تكاد تحصى.

واستصلح الشيء: طلب صلاحه، أي: فتح لهم باب التوبة وشرعها لهم؛ ليصلح ما أفسدته الذنوب والمعاصي منهم، وذلك أنّ الذنب بمنزلة المرض العارض في النفس، والتوبة بمثابة معالجتها حتّى تصلح وتعود إلى صحّتها.

وفي الحديث: لكلّ شيء دواء ودواء الذنوب الاستغفار(٥).

وروى ابن عبّاس عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: لم أر شيئاً أحسن طلباً ولا أسرع إدراكاً من حسنة حديثة لذنب قديم، إنّ الحسنات يذهبن

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) سورة النساء: الآية ١١٠.

(٣) مسند احمد بن حنبل: ج٤ ص٣٩٥.

(٤) الكافي: ج٢ ص٤٣٤ ح٦.

(٥) الكافي: ج٢ ص٤٥٤ ح٣.

وَ يا مَن رَضِيَ مِن فِعلِهِمْ بِاليَسيرِ، وَيا مَن كافىٰ قَليلَهُمْ بالكثير.

السيّئات ذلك ذكرىٰ للذاكرين(١).

قال بعض العلماء: سيّئة العبد ظلمة وتوبته حسنة وهي نور من أنوار إيمانه، وإدراك النور الظلمة أسرع شيء، كالصبح والليل إذا حطّ عن الصبح نقابه نصل من الليل خضابه.

كالليل يطلبه النهار بضوئه فظلامه بضيائه مطرود

رضي بالشيء: قنع به ولم يطلب معه غيره.

واليسير: القليل، من يسر يسراً -من باب قرب-: أي قلّ فهو يسير، ورضاه تعالىٰ باليسير من فعل عباده عبارة عن تكليفهم أقلّ ممّا هو في قدرتهم وطاقتهم، ألا ترىٰ أنّه كان من إمكان الإنسان وطاقته أن يصلّي أكثر من الخمس ويصوم أكثر من الشهر ويحج أكثر من حجّة، ولكنّه تعالى ما جعل في الدين من حرج؛ لكمال رحمته وشمول رأفته، فما كلّفهم به قليل بالنسبة إلى ما يستطيعونه، وتكليفهم بذلك رضا منه به.

وكافأه مكافأة وكفاء بالكسر والمدّ: جازاه، وهو مهموز اللام، إلّا أنّ الرواية في الدعاء وردت بدون الهمزة، وهو من باب قلب الهمزة ألفاً، وهو كثير في كلامهم.

وفي هذه الفقرة إشارة إلى قوله تعالى: «للذين أحسنوا الحسنىٰ وزيادة»(٢)،

(١) بحار الأنوار: ج٧١ ص٢٤٤ ح٩ إلّا انه عن الصادق عليه السلام.

(٢) سورة يونس: الآية ٢٦.

وَيا مَن ضَمِنَ لَهُم إجابَةَ الدّعاءِ، وَيا مَن وَعَدَهُمْ عَلىٰ نَفسِه بِتَفَضُّلِهِ حُسْنَ الجَزاءِ.

وقوله تعالى: «ليوفّيهم أجورهم ويزيدهم من فضله»(١)، ونحو ذلك ممّا ورد به النصّ القاطع بمضاعفة الثواب وزيادة الأجر على أنّ أقلّ قليل منه أكثر من كثير العمل؛ إذ لانسبة بين المتناهي المنقطع وغير المتناهي الباقي لولافضل الله وسعة جوده وكرمه والله غنيّ كريم *.

ضمنت الشيء -من باب علم-: تكلّفت به، وضمنت المال ضماناً: التزمته.

وأجاب الله دعاءه: قبله، واستجاب له كذلك، أي: تكفّل والتزم لهم قبول الدعاء، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: «ادعوني أستجب لكم»(٢)، وقوله تعالى: «وإذا سئلك عبادي عنّي فإنّي قريب أُجيب دعوة الداع إذا دعان»(٣).

والوعد: هو الخبر عن إيصال نفع إلى الغير أو دفع ضرر عنه في المستقبل، سواء كان النفع مستحقّاً أو لا؛ وعدّاه بعلىٰ لتضمينه معنى الإيجاب، أي: وعدهم موجباً على ذاته الشريفة إيجاب كرم وتفضّل.

وحسن الجزاء: هو حسن الثواب على الأعمال، كما قال تعالى: «والله عنده حسن الثواب»(٤).

قيل: هو ما لايبلغه وصف واصف ولايدركه نعت ناعت، ممّا لاعين رأت ولاأُذن سمعت ولاخطر على قلب بشر.

---

(١) سورة فاطر: الآية ٣٠.
(٢) سورة غافر: الآية ٦٠.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٦.
(٤) سورة آل عمران: الآية ١٩٥.

....

وقيل: حسنه في دوامه وسلامته من كلّ شوب ومن النقصان، ألا ترى إلى قوله تعالى: «فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة»(١) كيف وصف ثواب الآخرة بالحسن، ولم يصف به ثواب الدنيا؛ لامتزاجه بالمضارّ وكدر صفوه بالانقطاع والزوال، بخلاف ثواب الآخرة.

قال القفال: يحتمل أن يكون الحسن هو الحسن، كقوله تعالى: «وقولوا للنّاس حُسنا»(٢) والغرض منه المبالغة، كما يقال: فلان جود وعدل إذا كان غاية في الجود ونهاية في العدل(٣)، وثواب الله كلّه حسن فما ظنّك بحُسنه.

تبصرة

قال بعض أرباب القلوب: لاريب أنّ اللذّة العقليّة أتمّ وأعظم من الحسّية بما لايتناهى، والترقّي إلى الله سبحانه بالأعمال الحميدة والأخلاق الجيدة ولذّة مناجاته السعيدة من أفضل الكمالات وأعظم اللذات، فمن العجب كيف جعل الله على طاعته وما يقرّب إليه جزاء؛ فإنّ الدالّ على الهدى فضلاً عن الموفّق والممدّ على فعله أولى بأن يكون له الجزاء لاعليه، لكنّ بسطة جوده وسعة رحمته اقتضى الأمرين معاً، قال تعالى: «هل جزاء الإحسان إلّا الإحسان»(٤)، فانظر كيف أفاد إحساناً وسمّاه جزاء؟ واقض حقّ العجب من ذلك، واشكر من سلك بك هذه المسالك *.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٨.
(٢) سورة البقرة: الآية ٨٣.
(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج٩ ص٢٩.
(٤) سورة الرحمن: الآية ٦٠.

ماأنا بِأعْصىٰ مَنْ عَصاكَ فَغَفَرتَ لَهُ، وَما أنا بِألْوَمِ مَنِ اعتَذَرَ إلَيكَ فَقَبلتَ مِنهُ، وَما أنا بِأظلَمِ مَن تابَ إلَيكَ فَعُدْتَ عَلَيهِ.

الجملة الأُولى في محلّ نصب بالقول المقدّر المجرور بالباء من قوله فيما تقدّم: «يدعوك بيا أرحم الراحمين»، أي بقوله: يا أرحم الراحمين ما أنا بأعصىٰ من عصاك وما بعدها معطوف عليها.

والفاء من «فغفرت له»: عاطفة مفيدة للتعقيب.

ووهم من قال: إنّها رابطة لشبه الجواب بشبه الشرط؛ إذ لايترتّب لزوم الغفران على العصيان كما يترتّب لزوم الدرهم على الإتيان في قولك: من يأتيني فله درهم، وإلّا لزم الغفران لكلّ عاص، وهو باطل.

ثمّ الفاء الرابطة لشبه الجواب بشبه الشرط مختصّة بالخبر كالمثال المذكور، وهي هنا عاطفة داخلة على المعطوف، والرابطة قسيمة للعاطفة لاقسم منها، فكيف يدّعىٰ أنّها رابطة؟ نسأل الله الهداية إلى سلوك جادّة الصواب بمنّه وكرمه.

وألوم: أفعل تفضيل من لامه يلومه لوماً أي: عذله، وهذا ممّا استعمل فيه اسم التفضيل لتفضيل المفعول على غيره، وإن كان القياس كونه للفاعل، لكنّه قد سمع في المفعول أيضاً.

قال ابن الحاجب: وقياسه للفاعل، وقد جاء للمفعول نحو: أعذر وألوم(١) أي: أكثر معذوريّة وملوميّة، وروي: وما أنا بألأم بالهمزة، وهو من اللؤم بالضمّ والهمزة، وهو ضدّ الكرم والنجابة.

واعتذر إليه: طلب قبول معذرته، وهي الحجّة التي بها رفع اللوم عنه. وجميع

(١) شرح الكافية: ج٢ ص٢١٢.

....

المعاذير لا تنفكّ عن ثلاثة أوجه:

إمّا أن يقول المعتذر: لم أفعل، أو يقول: فعلت لأجل كذا فيبيّن مايخرجه عن كونه ذنباً مطلقاً أو عن كونه عتوّاً واستكباراً، أو يقول: فعلت وأرجو العفو.

أمّا الأوّل فلا يجوز مع الله تعالى؛ لأنّه لايخلو من أن يكون صادقاً في إنكاره فهو بريء الساحة، والله سبحانه أكرم من أن يعاتب أو يعاقب من يكون كذلك، وإمّا أن يكون كاذباً جاحداً فهو تعالى لاتخفى عليه خافية، فلايصحّ الإنكار والجحود.

وأمّا القسمان الآخران فيجوزان، أمّا الثاني فكأن يقول: فعلت لأجل اعتمادي على حلمك وكرمك؛ فيخرج ارتكابه للذنب عن كونه تجرّياً منه على الله واستخفافاً لأمره ونهيه وتهاوناً بوعيده، ألا ترى إلى قول بعض المحقّقين من المفسّرين في قوله تعالى: «يا أيّها الإنسان ما غرّك بربّك الكريم»(١): إنّه من باب تلقين الحجّة.

قال أمين الإسلام الطبرسي في مجمع البيان: إنّما قال سبحانه: الكريم دون سائر أسمائه وصفاته؛ لأنّه كأنّه لقّنه الإجابة حتّى يقول: غرّني كرم الكريم(٢).

وعن الفضيل بن عياض: إذا قال لي ما غرّك بربّك الكريم؟ أقول: غرّني ستورك المرخاة(٣).

وقال يحيى بن معاذ: إذا أقامني الله بين يديه فقال: ما غرّك بي؟ أقول:

---

(١) سورة الانفطار: الآية ٦.

(٢) مجمع البيان: ج٩ - ١٠ ص٤٤٩.

(٣) تفسير القرطبي: ج١٩ ص٢٤٦، مجمع البيان: ج ٩ - ١٠ ص٤٤٩.

....

غرّني بك برّك سالفاً وآنفاً(١).

وعن بعضهم: أقول غرّني حلمك.

وعن علي عليه السلام: أنّه دعا غلامه مرّات فلم يجبه، فنظر فإذا هو بالباب، فقال: لِمَ لَمْ تجبني؟ فقال: لثقتي بحلمك وأمني من عقوبتك، فاستحسن جوابه وأعتقه(٢).

وأمّا الثالث فهو الإقرار، ومن أقرّ فقد استوجب العفو لحسن ظنّه، وقد تقدّم ماورد فيه وأنّه لانجاة من الذنوب إلّا به.

والتوبة أن يقول: فعلت ولاأعود، ولها شرائط مقرّرة فرضاً ونفلاً.

وعاد عليه بمعروفه أي: أفضل، والاسم: العائدة، أي: فعدت عليه بمعروفك من قبول توبته أو رضاك عنه.

واعلم أنّ العفو من الله سبحانه إمّا أن يكون ابتداءً منه تعالى وهو العفو مع الإصرار، كما قال تعالى: «وإنّ ربّك لذو مغفرة للناس على ظلمهم»(٣)، وقد سمع رجل حكيماً يقول: ذنب الاصرار أولى بالاغتفار، فقال: صدق، ليس فضل من يعفو عن السهو القليل كمن عفا عن العمل الجليل. وإلى هذا القسم وقعت الإشارة بالفقرة الأولى وهي قوله عليه السلام: «ما أنا بأعصى من عصاك فغفرت له».

وامّا أن يكون عن اعتذار و إقرار، و إليه الإشارة بالفقرة الثانية.

---

(١) مجمع البيان: ج ٩ - ١٠ ص٤٤٩.

(٢) تفسير القرطبي: ج١٩ ص٢٤٦.

(٣) سورة الرعد: الآية ٦.

أَتُوبُ إِلَيكَ فِي مَقامِي هـذا تَوبَةَ نادِمٍ عَلىٰ مافَرَطَ مِنهُ، مُشْفِقٌ مِمّا اجْتَمَعَ عَلَيهِ، خالِصِ الحَياءِ مِمّا وَقَعَ فيهِ.

و إمّا أن يكون عن توبة واستغفار، وإليه الإشارة بالفقرة الثالثة، والله أعلم *.

الجملة في محلّ نصب على أنّها مفعول للقول من قوله عليه السلام فيما سبق: «بل أقول مقال العبد الذليل»(١)، ويحتمل أن تكون مفسّرة للمقال فلا محلّ لها من الإعراب، وصحّ وقوعها مفسّرة مع كونها إنشائية لكون المفسّر مفرداً مؤدّياً عن جملة، كقوله تعالى: «وأسرّوا النجوىٰ الذين ظلموا هل هذا إلّا بشر مثلكم»(٢)، فإنّ جملة الاستفهام مفسّرة للنجوىٰ لكونه مفرداً مؤدّياً عن جملة.

والندم: تمنّي الإنسان أنّ ما وقع منه لم يقع.

وقيل: هو الغمّ اللازم لصاحبه بسبب ما اطّلع عليه في العاقبة من سوء آثاره.

وفرط منه كلام يفرط ـ من باب قتل ـ: سبق وتقدّم.

وأشفقت من كذا: حذرت فأنا مشفق، وحكىٰ ابن دريد شفقت أيضاً ـ من باب ضرب ـ فقال: شفقت وأشفقت إذا حاذرت، وأنكر جلّ أهل اللغة ذلك، وقالوا: لايقال إلّا أشفقت بالألف. وأمّا قوله: كما شفقت على الزاد العيال فمعناه بخلت به(٣).

وقد تقدّم تفسير الحياء في أوائل هذه الروضة.

والمراد بخالصة كونه من الله تعالى لامن مطّلع عليه غيره.

---

(١) كما تقدم في هذه الروضة: ص٤٩٥.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٣.

(٣) جمهرة اللغة: ج٣ ص٦٥ مع اختلاف يسير في العبارة.

....

ومن في قوله «ممّا وقع فيه»: للسببية، كقوله تعالى: «ممّا خطيئاتهم أُغرقوا»(١)، أي: لأجل ما وقع فيه أي: سقط، شبّه الذنوب والمعاصي والتقصير بالمهاوي التي يسقط فيها فعبّر عن ارتكابها بالوقوع فيها على طريق الاستعارة.

قال بعض العلماء: الحياء على وجوه:

حياء الجناية: كحياء آدم نودي: أفرار منّا؟ قال: بل حياء منك.

وحياء التقصير: كالملائكة يقولون: سبحانك ما عبدناك حقّ عبادتك. قيل: عند رؤية الآلاء والتقصير يتولّد بينهما حال للعبد يسمّى الحياء.

وحياء الإجلال: وذلك كحياء إسرافيل يتغطّى بجناحيه حياءً حتّى يصير من الحياء كالوصع وهو طائر أصغر مايكون. ولهذا يقال: الحياء ذوبان الحشاء لاطّلاع المولى.

وقيل: إنّ الحياء مقسوم بين أربعة أشياء:

أحدها: النفس، وحياؤها من العصيان إذا كان ذلك بمرأى من الرحمن، قال تعالى: «مايكون من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم»(٢)، وقيل: أشدّ الحياء حياء النفس من قلّة الحياء يوم كشف الغطاء.

والثاني: الروح، وحياؤها من قلّة الإحسان، قال تعالى: «وأحسن كما أحسن الله إليك»(٣)، وقيل في تفسير قوله تعالى: «والمستغفرين بالأسحار»(٤): إنّ ذلك للحياء من عيوب الطاعات وما كان من القيام بالليل.

---

(١) سورة نوح: الآية ٢٥.

(٢) سورة المجادلة: الآية ٧.

(٣) سورة القصص: الآية ٧٧.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٧.

عالمٍ بأنّ العَفْوَ عَنِ الذّنبِ العَظيمِ لايَتَعاظَمُكَ، وأنّ التَجاوُزَ عَنِ الإثمِ الجَليلِ لايَسْتَصْعِبُكَ، وأنّ إحْتِمالَ الجِناياتِ الفاحِشَةِ لايَتَكأدُكَ.

والثالث: العقل، وحياؤه من النسيان، كما حكىٰ الله عن قوم قولهم: «قال ربّي لم حشرتني أعمىٰ وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها»(١).

والرابع: السرّ، وحياؤه من الالتفات إلى كلّ من على وجه الأرض، كما حكىٰ بعضهم قال: خرجنا ليلة فررنا باجمة، فإذا رجل نائم وفرسه عند رأسه يرعىٰ، فحرّكناه وقلنا له: يا فتىٰ ألا تخاف تنام في مسبعة؟ فرفع رأسه وقال: أنا أستحي منه أن أخاف غيره. وربّما زاد حياء السرّ على الالتفات إلى الغير، وأوجب الحياء من الإقبال على الحبيب والنظر إليه، كما قال:

تتوق إليك النفس ثمّ أردّها حياءً و مثلي بالحياء حقيق،

على كلّ حال أستحيك و أتّقي و إن طار من قلبي إليك فريق*.

تعاظمه الأمر: عظم عليه، واستصعب عليه الأمر: صعب، واستصعب الأمر: إذا وجدته صعباً.

والمراد هنا المعنىٰ الأوّل أي: لايستصعب عليك. وعدّاه بنفسه لتضمينه معنىٰ يتكأدك، وإنّما الأصل فيه أن يتعدّىٰ بعلىٰ، ومثله قوله تعالى: «ولا تعزموا عقدة النكاح»(٢)، عدّىٰ تعزموا بنفسه وإنّما أصل العزم أن يتعدّىٰ بعلى لتضمينه معنىٰ تنووا، أي: لا تنووا عقدة النكاح.

واحتملته على افتعلته بمعنىٰ: حملته، ثمّ استعمل بمعنىٰ العفو والإغضاء. قال

---

(١) سورة طه: الآية ١٢٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٣٥.

....

الزمخشري في الأساس: ومن المجاز حَمَلْتُ إدلاله عليّ واحتملتُه واحتمل ماكان منه ولا تعاتبه(١).

وجنى جناية: أذنب ذنباً يؤاخذ عليه، وعرّفوا الجناية بأنّها كلّ فعل محظور يتضمّن ضرراً على النفس أو غيرها. وغلّبت الجناية في ألسنة الفقهاء على الجرح والقطع والجمع جنايات، وأمّا جنايا مثل عطايا فقليل.

وفحش الشيء فحشاً: مثل قبح قبحاً وزناً ومعنىً، وفي لغة ـ من باب قتل ـ، وكلّ شيء جاوز الحدّ فهو فاحش، ومنه: غبن فاحش إذا جاوزت الزيادة مايعتاد مثله، وكلا المعنيين هنا محتمل، أي: الجنايات القبيحة أو المتجاوزة للحدّ.

وتكأده الشيء على تفاعل وتكأده على تفعّله: صعب عليه وشقّ، ووردت الرواية في الدعاء بالوجهين.

وهذه الفقرات الثلاث بمعنىً واحد، وإنّما أورده بعبارات شتّى بسطاً للكلام حيث الإصغاء مطلوب، واهتماماً بالغرض الذي هو وصف عظمة عفوه واتّساع مغفرته، فإنّ جرائم العباد وآثام أهل العناد في جنب عظمة عفوه وغفرانه كقطرة في جنب بحر بل أقلّ منها.

وفي الحديث المشهور عن أنس قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: قال الله تعالى: يابن آدم إنّك مادعوتني ورجوتني غفرت لك ماكان منك ولاأبالي، يابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثمّ استغفرتني غفرت لك،

---

(١) أساس البلاغة: ص١٤٢.

وَ أَنَّ أَحَبَّ عِبادِكَ إِلَيكَ مَن تَرَكَ الإستِكبارَ عَلَيكَ وَجانَبَ الإصرارَ وَلَزِمَ الإستِغفارَ.

يابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثمّ لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة(١).

وما أحسن قول القائل في هذا المعنىٰ:

و لمّا قسى قلبي و ضاقت مذاهبي	جعلت رجائي نحو عفوك سلّماً
تعاظمني ذنبي فلمّا قرنته	بعفوك ربّي كان عفوك أعظما *

محبّة الله للعباد بمعنىٰ رحمته لهم وإرادته للجميل بهم ومدحه وإنعامه عليهم.

وقال شيخنا البهائي في شرح الأربعين: معنى محبّة الله للعبد هو كشف الحجاب عن قلبه، وتمكينه من أن يطأ على بساط قربه، فإنّما يوصف به سبحانه إنّما يؤخذ باعتبار الغايات لاباعتبار **المبادئ**(٢). إنتهى. وقد سبق منّا في المحبّة كلام شاف فليرجع إليه.

وتكبّر واستكبر: اعتقد في نفسه أنّها كبيرة، واستكبر(٣) وتكبّر: رأىٰ أنّه أكبر منه.

قال بعضهم: والاستكبار على الله كناية عن ترك سؤاله والخشوع له، ولايراد به حقيقته؛ إذ لايستكبر عليه أحد من القائلين بوجوده عزّوجلّ حقيقة.

وعلى هذا فمعنىٰ ترك الاستكبار عليه أن يعرف العبد قدر نفسه بالنسبة إلى ربّه وخالقه ورازقه ومدبّره، فيقيمها في مقام طاعته ويبعدها عن مقام معصيته،

---

(١) سنن الترمذي: ج٥ ص٥٤٨ ح٣٥٤٠.

(٢) كتاب الاربعين للبهائي: ص١٤٨.

(٣) (الف و ج): واستكبر عليه.

وَأَنا أَبْرأ إِلَيكَ مِن أن أَسْتَكبِرَ، وَأعُوذُ بِكَ مِن أنْ أُصِرَّ، وأستَغفِرُكَ لِما قَصّرتُ فيهِ، وأستَعينُ بِكَ عَلى ما عَجَزتُ عَنهُ.

ويذكره في جميع الحالات بقلب سليم ذليل منقاد، راضياً بجميع مافعله من البلاء والآلاء، فمن فعل ذلك فقد ترك الاستكبار على الله تعالى وتواضع له، فكان أحبّ عباده إليه.

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: فيما أوحى الله إلى داود عليه السلام: يا داود كما أنّ **أقرب الناس إلى الله المتواضعون، كذلك أبعد الناس من الله المتكبّرون** (١).

وجانب الشيء مجانبة: باعده وتركه، ومعنى المجانبة: كون كلّ من الشيئين في جانب، واستعملت في الترك لأنّه إذا ترك الشيء فكأنّه صار في جانب وذلك الشيء في جانب آخر.

والإصرار: ملازمة الأمر والمداومة عليه، واشتهر استعماله في الذنوب والمعاصي، وقد تقدّم الكلام عليه مبسوطاً.

ولازمه ملازمة ولزمه أيضاً: تعلّق به.

ولمّا كان الاستغفار هو طلب غفر الذنوب وسترها على العبد أن يفتضح بها، وذلك إنّما يكون بمحوها من لوح نفسه، كان المستغفر المخلص التارك للإصرار الملازم للاستغفار ماحياً لخطاياه باستغفاره عن لوح نفسه، وبذلك يكمل استعداده لمحبّة الله تعالى وافاضة رحمته عليه في الدنيا بإنزال البركات وفي الآخرة برفع الدرجات*.

أبرأ إليك: أي أتباعد.

---

(١) الكافي: ج٢ ص١٢٣ ح١١.

اللّهُمّ صَلِّ عَلى مُحمّدٍ وَآلِهِ وَهَبْ لي ما يَجِبُ عَلَيَّ لَكَ، وَعافِني مِمّا أسْتَوجِبُه مِنكَ وَأجِرني مِمّا يَخافُه أهلُ الإساءَةِ.

قال الزمخشري في الفائق: برئ من المرض وبرأ فهو بارئ، ومعناه: مزايلة المرض أي: مفارقته والتباعد منه، ومنه برئ من كذا براءة(١). إنتهى.

وعدّاه بإلىٰ لتضمينه معنى الالتجاء، أي: أبرأ ملتجأ إليك من الاستكبار.

وأعوذ بك أي: اعتصم.

والتقصير في الأمر: التواني فيه وعدم الاهتمام به.

والاستعانة: طلب المعونة، يقال: استعان به واستعانه فأعانه أي: صار عوناً له، أي: ظهيراً له.

وعجز عن الشيء عجزاً ـ من باب ضرب ـ: ضعف عنه.

ثمّ المسؤول هنا هو المعونة على ما عجز عنه من الطاعات والأُمور الدينيّة، كما يقتضيه المقام ويناسب حال التائب المستغفر، فإنّ استعانته مسبوقة بملاحظة ما ضعف عنه من الطاعات، فيستعينه على إعداده له بإفاضة قوّة عليه يستعدّ بها لإيقاعه. ومن البيّن أنّه عند استغراقه في هذه الملاحظة لايكاد يخطر بباله وأفعاله وأحواله إلّا الإقبال الكلّي عليه والتوجّه التام إليه، فلا يتصوّر أن يلتفت إلى شيء من أُمور دنياه فيتناول كلّ ماعجز عنه من أُمور دينه أو دنياه *.

وهب له شيئاً: أعطاه بلا عوض، يتعدّىٰ إلى الأوّل باللام وإلى الثاني بنفسه، كما قال تعالى: «يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور»(٢).

قال ابن القوطية والسرقسطي والمطرزي وجماعة: ولايتعدّىٰ إلى الأوّل بنفسه،

---

(١) الفائق: ج ١ ص ١٠٠ وليس فيه: [أي مفارقته].

(٢) سورة الشورىٰ: الآية ٤٩.

فَإنّكَ مَليءٌ بِالعَفْوِ، مَرجُوٌّ لِلمَغفِرَةِ، مَعْروفٌ بِالتّجاوُزِ.

فلا يقال: وهبتك مالاً، وإن سمع فليس في كلام فصيح(١).

ثمّ توسّعوا في الهبة فاستعملوها بمعنى المغفرة، يقال: اللّهمّ هب لي ذنوبي، أي: اغفرها لي.

ووجب الحقّ يجب وجوباً: لزم وثبت.

واستوجب الشيء: استحقّه.

وعافاه الله: محى عنه الأسقام، والغرض سؤال عدم المؤاخذة بالحقوق التي تجب لله عليه، ومحو مايستحقّه هو من المؤاخذة على مافرط منه.

وأجاره ممّا يخاف: آمنه منه.

وأهل الإساءة: الذين يعملون السيّئات، وما يخافونه: هو العقوبة التي هي أسوأ العقوبات وأفظعها وهي العقوبة بالنار، كما قال تعالى: ((ثمّ كان عاقبة الذين أساؤا السوآى))(٢)، فإنّ السوأى تأنيث الأسوأ كالحسنى تأنيث الأحسن، أو مصدر كالبشرى، وصف بها العقوبة مبالغة كأنّها نفس السوء. والله تعالى أعلم.

الهاء: للتعليل، أي: لأنّك مليء، والمليء مهموز على فعيل هو الغني المقتدر، ويجوز البدل والإدغام، وبالوجهين وردت الرواية في الدعاء، وملؤ الرجل بالضمّ، ملأة أي: غنى وأثرى، وهو إملاء القوم أي: أقدرهم وأغناهم.

والفرق بين العفو والمغفرة أنّ العفو إسقاط العذاب، والمغفرة أن يستر عليه بعد ذلك جرمه صوناً له عن عذاب الخزي والفضيحة، فإنّ الخلاص من عذاب النار

(١) كتاب الأفعال الثلاثية والرباعية: ص١٦٣.

(٢) سورة الروم: الآية ١٠.

لَيسَ لِحاجَتي مَطلَبٌ سِواكَ ، وَلالِذَنْبي غافِرٌ غَيرُكَ حاشاكَ ، وَلاأخافُ عَلى نَفْسي إلّا إيّاكَ .

إنّما يطيب إذا حصل عقيبه الخلاص من عذاب الفضيحة، فالعفو إسقاط العذاب الجسماني، والمغفرة إسقاط العذاب الروحاني، والتجاوز يعمّهما.

قال بعضهم: ولعلّ معنى التجاوز أنّ الله تعالى يطالب المذنب بالذنب، والمذنب يطالبه بالعفو والمغفرة إلى أن يتمسّك عند الخوف من عذابه برحمته، فإذا غفر الربّ فقد تجاوز عن المطالبة، فصحّ معنى المفاعلة فيه*.

المطلب: يكون مصدراً وموضع الطلب، وهو المراد هنا.

وسوى: بالكسر والقصر هذا أشهر لغاتها، ويقال فيها: سوى كهدى وسواء كسماء وسواء كبناء.

لكن قال ابن عصفور: لم يستثن من هذه اللغات إلّا بسوى المكسورة المقصورة، وإن استثني ممّا سواها فبالقياس عليها(١)، وهي عند الزجاجي(٢) وابن مالك كغير(٣) معنىً وتصرّفاً في وجوه الإعراب.

وذهب سيبويه والبصريّون إلى أنّها منصوبة أبداً على الظرفية المكانية ولاتخرج عن ذلك إلّا في الشعر(٤)، فإذا قلت: جاءني القوم سوى زيد كان في قوة قولك: جاءني القوم مكان زيد أي: بدله، فيفيد أنّ زيداً لم يأتك، فجرّد عن معنى البدلية لمطلق الاستثناء، فلزم نصبه على كونه ظرفاً في الأصل وإن لم يكن فيه الآن معنى الظرفية.

---

(١) الحدائق الندية: ص٢٥٤.

(٢) و(٣) و(٤) مغني اللبيب: ص١٨٨.

....

وقال الرماني والعكبري: تستعمل ظرفاً غالباً وكغير قليلاً(١).

قال ابن هشام في الأوضح: و إلى هذا أذهب(٢).

و إنّما قصر عليه السلام موضع طلب حاجته عليه تعالىٰ؛ لأنّها لم تكن حاجة في أمر دنيوي يمكن المخلوقين قضاؤها، فلم يكن لها محلّ سؤال وطلب غيره تعالى، أو لم يَر غيره أهلاً لها وإن كانت دنيوية. ثمّ قصر مغفرة ذنبه عليه لاستحالة صدور مغفرة الذنوب التي يستحقّ عليها العقاب من غيره، قال تعالى: «ومن يغفر الذنوب إلّا الله»(٣).

وقوله: حاشاك أي: سبحانك، فحاشا هنا اسم بمعنىٰ التنزيه، أي: أُنزّهك تنزيهك(٤) أي: تنزيهاً لائقاً بك عن أنْ يكون لذنبي غافر غيرك، وليست بفعل ولاحرف خلافاً لمن زعم ذلك، ثمّ قصر الخوف على نفسه عليه سبحانه لغيبة كلّ مخوف عنه بمشاهدته عظمة الله وجلاله وعزّه وقهره فلم يخف سواه، ولهذا قال بعضهم: الخائف يهرب من ربّه إلى ربّه.

و إيّاك على المختار ضمير بارز منفصل مردف بحرف الخطاب. والكلام إمّا على حذف مضاف أي: لاأخاف على نفسي إلّا عذابك، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، كما قالوه في قوله تعالى: «يخافون ربّهم»(٥) أي: عذابه، بدليل قوله: «ويخافون عذابه»(٦).

أو هو من باب الترقّي عن مقام مشاهدة الأفعال والصفات إلى ملاحظة

---

(١) و(٢) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ج٢ ص٢٨٢.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٣٥.

(٤) (الف): تنزيهاً.

(٥) سورة النحل: الآية ٥٠.

(٦) سورة الاسراء: الآية ٥٧.

إنّكَ أهلُ التّقوىٰ وأهلُ المغفِرَةِ.

صَلِّ عَلى مُحَمّدٍ وَآلِ مُحَمّدٍ وَاقْضِ حاجَتي وَأنجِحْ طَلِبتي وَاغْفِرْ ذَنبي وَآمِنْ خَوفَ نَفْسي.

الذات، وهي الإقبال على الله تعالى وتوجيه وجه النفس إلى قبلة ذاته المقدّسة مع قطع النظر عن الأفعال والصفات، وهو أوّل مقام الوصول إلى ساحل العزّة، فهو من قبيل ماوقع في الدعاء النبوي: «وأعوذ بك منك»(١)، وقد سبق الكلام على ذلك *.

تعليل أو تقرير لما سبق من رجاء مغفرته لذنبه والخوف منه على نفسه، أي: إنّك حقيق بأن يتّقى أي: يخشى، وجدير بأن يغفر لمن آمن به وتاب إليه، وهو اعتراف بكمال قدرته الجامعة لصفة القهر الذي بسببه يجب أن يتّقىٰ، وصفة اللطف الذي بواسطته يحقّ أن يرجىٰ.

وعن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: «هو أهل التقوىٰ وأهل المغفرة»(٢): قال الله تبارك وتعالى: أنا أهل أن أتّقى ولايشرك بي عبدي شيئاً، وأنا أهل إن لم يشرك بي عبدي شيئاً أن أُدخله الجنّة(٣) *.

لما ذكروا أوّلاً أنّ موضع طلب حاجته ومغفرة ذنبه وخوفه على نفسه مقصور عليه تعالى، أردفه بسؤال قضاء حاجته وغفران ذنبه وأمن خوفه.

وأنجح حاجته إنجاحاً: قضاها له وأظفره بها.

والطلبة بفتح الطاء المهملة وكسر اللام على وزن كلمة: مايطلبه الإنسان من

---

(١) سنن الترمذي: ج٥ ص٥٦١ ح٣٥٦٦.

(٢) سورة المدّثر: الآية ٥٦.

(٣) تفسير نور الثقلين: ج٥ ص٤٦٠ ح٣٨.

إنّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ وَذلكَ عَليكَ يَسيرٌ.

غيره، وكأنّ الحاجة أخصّ من الطلبة؛ لأنّها من الحوج بالضمّ بمعنى الفقر، فيكون المراد بها المطلوب الذي لابدّ له منه ولاغناء به عنه، كالفوز بالجنّة والنجاة من النار، والطلبة أعمّ منها كرفع الدرجات وإضعاف المثوبات، فيكون قوله: «وأنجح طلبتي» تأسيساً لا تأكيداً.

والأمن: سكون القلب واطمئنانه، أمن يأمن -من باب تعب-، ويعدّى بالهمزة فيقال: أمنته.

واعلم أنّ الأمن لايكون للخوف بل للخائف، لكن لمّا كان الخوف سبباً موجباً لاضطراب الخائف نسب الأمن إليه *.

تعليل بطريق التحقيق؛ لاستدعاء قضاء حاجته وانجاح طلبته وغفران ذنبه وأمن خوفه، وإليها الإشارة بقوله «وذلك».

والقدير: هو الفعّال لكلّ ما يشاء؛ ولذلك لم يوصف به غير الباري جلّ جلاله.

ويسر الشيء يسراً -من باب قرب- فهو يسير: أي سهل ولم يشقّ.

ووجه التعليل ظاهر، فكأنّه قال: إنّ قدرتك التامّة متحقّقة، وشمولها لجميع الأشياء ثابت، وما سألتك عليك يسير؛ لعدم الاحتياج فيه إلى استعمال الروية والآلات، بل هو مترتّب على مجرّد الإرادة، والفعل المترتّب عليه في غاية السهولة، فلذلك استدعيت منك مطالبي وأفضيت إليك بمآربي.

والواو من قوله «وذلك»: يحتمل أن تكون للحال فالجملة حاليّة، ويحتمل أن تكون عاطفة لاسم الاشارة على الضمير المتّصل المنصوب بأن، والتقدير: وإنّ ذلك عليك يسير. وتقديم الظرف للاختصاص؛ فإنّ ذلك لايتيسّر إلّا على القادر

آمينَ رَبَّ العالَمينَ.

لذاته الذي عمّ كرمه ووسعت رحمته كلّ شيء *.

آمين: اسم فعل مبني على الفتح لالتقاء الساكنين، وبني عليه لأنّه أخف الحركات وليكون مستعقباً للفتح تفاؤلاً، وفيه أربع لغات:

أحدها: آمين بالمدّ بعد الهمزة من غير إمالة، وهذه اللغة أكثر اللغات استعمالاً، ولكنّ فيها بعد في القياس؛ إذ ليس في العربية فاعيل، وإنّما ذلك في الأسماء الأعجميّة كقابيل وهابيل، ومن ثمّ زعم بعضهم أنّه أعجميّ، وعلى هذه اللغة قوله:

* ويرحم الله عبداً قال آميناً (١)*

قيل: والوجه فيها أن تكون اشبعت الفتحة فنشأت الألف فلايكون خارجاً عن الأوزان العربية.

قال ابن هشام: وفيه نظر؛ لأنّ الإشباع بابه الفتح(٢)، ونوقش بما قاله ابن مالك في التوضيح من أنّ الإشباع في الحركات الثلاث لغة معروفة، وجعل منه قوله: بينا زيد قائم جاء عمرو، أي: بين أوقات قيام زيد(٣).

الثانية: كالأولى إلّا أنّ الألف ممالة للكسرة بعدها، رويت عن حمزة(٤) والكسائي(٥).

الثالثة: آمين بقصر الألف على وزن قدير، قال: آمين فزاد الله مابيننا بعدا،

---

(١) لسان العرب: ج١٣ ص٢٧.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) لم نعثر عليه.

(٤) و(٥) تهذيب الأسماء واللغات للنووي: الجزء الأول من القسم الثاني ص١٢.

....

وهذه اللغة أفصح في القياس وأقلّ في الاستعمال حتّى أنّ بعضهم أنكرها.

قال صاحب الإكمال: حكىٰ ثعلب القصر وأنكره غيره، وقال: إنّما جاء مقصوراً في الشعر(١). إنتهى.

وانعكس النقل عن ثعلب على ابن قرقول فقال: أنكر ثعلب القصر إلّا في الشعر، وصحّحه غيره(٢).

وقال صاحب التحرير: وقد قال جماعة: إنّ القصر لم يجيء عن العرب، وإنّ البيت إنّما هو: فآمين زاد الله مابيننا بُعداً(٣).

الرابعة: آمّين بالمدّ وتشديد الميم. قال صاحب الإكمال: حكىٰ الداودي تشديد الميم مع المدّ، وقال: هي لغة شاذّة ولم يعرفها غيره(٤). إنتهى.

وأنكر ثعلب(٥) والجوهري أن يكون ذلك لغة، وقالا: لانعرف آمّين إلّا جمعاً بمعنىٰ قاصدين، كقوله تعالى: «ولاآمّين البيت الحرام»(٦).

وقال بعضهم: القول بأنّ التشديد لغة وهم قديم، وذلك أنّ أبا العبّاس أحمد ابن يحيى ثعلب قال: وآمين مثل عاصين لغة، فتوهّم أنّ المراد صيغة الجمع لأنّه قابله بالجمع، وهو مردود بقول ابن جني وغيره: إنّ المراد موازنة اللفظ لاغير(٧).

ويؤيّده قول صاحب التمثيل: والتشديد خطأ(٨).

واختلفوا في معناها، فقال الجمهور: معناها استجب.

---

(١) و(٢) تهذيب الأسماء واللغات للنووي: الجزء الأوّل من القسم الثاني ص١٣.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات للنووي: الجزء الأوّل من القسم الثاني ص١٣ - ١٤.

(٤) تهذيب الأسماء واللغات للنووي: الجزء الأوّل من القسم الثاني ص١٣.

(٥) و(٦) و(٧) و(٨) المصباح المنير للفيومي: ص٣٤.

....

وعن ابن عبّاس قال: سألت النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم عن معنىٰ آمّين، فقال: إفعل(١).

وقال أبو حاتم: معناه يكون كذلك(٢).

وقيل: كذلك مثله فليكن.

وقيل: كذلك فافعل.

وقيل: إنّه اسم من أسماء الله تعالى بمعنىٰ المؤمن، ومعناه ياامين استجب.

قال صاحب المطالع: وهذا لايصحّ؛ إذ ليس في أسماء الله تعالى اسم مبني ولاغير معرب، مع أنّ أسماء الله تعالىٰ لا تثبت إلّا قرآناً أو سنّة، وقد عدم الطريقان في امين(٣) إنتهى.

وعن أبي علي الفارسي أنه تأوّل هذا القول على أنّ في آمين ضميراً لله تعالى(٤).

وهو حسن لو لم يصرّح صاحبه أنّه بمعنىٰ المؤمن.

وقال الواحدي: روي عن جعفر الصادق رضي الله عنه أنّه قال: تأويله قاصدين نحوك وأنت أكرم من أن تخيّب قاصداً(٥). وهذا يحقّق لغة التشديد مع المدّ.

وقال الترمذي: معناه لاتخيّب رجاءنا(٦).

---

(١) و (٥) و (٦) تهذيب الأسماء واللغات للنووي: الجزء الأوّل من القسم الثاني ص١٢.

(٢) المصباح المنير للفيومي: ص٣٤.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات: الجزء الأوّل من القسم الثاني ص١٣.

(٤) تاج العروس: ج٩ ص١٢٦.

....

وقال سهل: معناه: لايقدر على هذا سواك (١).

وقيل: هي كلمة عبرانيّة عرّبت مبنية على الفتح(٢). والله أعلم.

قوله: «ربّ العالمين» أي: يا ربّ العالمين، حذف حرف النداء استغناء عنه؛ لاستشعاره كون المنادىٰ مقبلاً عليه سامعاً لما يقول.

والربّ: في الأصل مصدر بمعنىٰ التربية وهي: تبليغ الشيء إلى كماله تدريجاً، وصف به الفاعل مبالغة كالعدل.

وقيل: صفة مشبّهة من ربّه يربّه بعد جعله لازماً بنقله إلى فعل بالضمّ كما هو المشهور، سمّي به المالك لأنّه يحفظ مايملكه ويربّيه، ولايطلق على غيره تعالى إلّا مقيّداً كربّ الدار وربّ الدابّة.

والعالم: اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب، غلّب فيما يعلم به الصانع تعالى من المصنوعات، أي: في القدر المشترك بين أجناسها وبين مجموعها؛ فإنّه كما يطلق على كلّ جنس جنس منها في قولهم: عالم الأفلاك وعالم العناصر وعالم النبات وعالم الحيوان إلى غير ذلك، يطلق على المجموع أيضاً كما في قولنا: العالم بجميع أجزائه محدث.

وقيل: هو اسم لأُولي العلم من الملائكة والثقلين، وتناوله لما سواهم بطريق الاستتباع، والأوّل هو الأظهر.

و إيثار صيغة الجمع لبيان شمول ربوبيّته تعالىٰ لجميع الأجناس، و التعريف لاستغراق أفراد كلّ منها بأسرها؛ إذ لو أفرد لربّما توهم أنّ المقصود

---

(١) و (٢) تهذيب الأسماء واللغات: الجزء الأوّل من القسم الثاني ص١٢ و١٣.

....

بالتعريف هو الحقيقة من حيث هي، أو استغراق أفراد جنس واحد حيث صحّ ذلك بمساعدة التعريف، نزّل العالم وإن لم يطلق على آحاد مدلوله منزلة الجمع حتّى قيل: إنّه جمع لاواحد له من لفظه، فكما أنّ الجمع المعرّف يستغرق آحاد مفرده وإن لم يصدق عليها، كما في مثل قوله تعالى: «والله يحبّ المحسنين»(١) أي: كلّ محسن، كذلك العالمين يشمل أفراد الجنس المسمّىٰ به وإن لم يطلق عليها، كأنّها آحاد مفرده التقديري، ومن قضية هذا التنزيل تنزيل جمعه منزلة جمع الجمع، فكما أنّ الأقاويل تتناول كلّ واحد من آحاد الأقوال، يتناول لفظ العالمين كلّ واحد من آحاد الأجناس التي لا تكاد تحصىٰ.

روي: أنّ لله ثمانية عشر ألف عالم والدنيا عالم منها.

وإنّما جمع بالواو والنون مع اختصاص ذلك بصفات العقلاء وما في حكمها من الأعلام؛ لدلالته على معنىٰ العلم مع اعتبار تغليب العقلاء على غيرهم.

واعلم أنّ عدم انطلاق اسم العالم على كلّ واحد من تلك الأجناس ليس إلّا باعتبار الغلبة والاصطلاح، وأمّا باعتبار الأصل فلاريب في صحّة الإطلاق قطعاً؛ لتحقّق المصداق حتماً. فإنّه كما يستدلّ على الله بمجموع ماسواه وبكلّ جنس من أجناسه، يستدلّ عليه تعالىٰ بكلّ جزء من أجزاء ذلك المجموع وبكلّ فرد من أفراد تلك الأجناس؛ لتحقّق الحاجة إلى المؤثّر الواجب لذاته في الكلّ؛ فإنّ كلّ ماظهر في المظاهر ممّا عزّ وهان، وحضر في المحاضر كائناً ماكان، دليل لائح على الصانع المجيد وسبيل واضح إلى عالم التوحيد.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٣٤.

....

وفي الإضافة إظهار عظمة المضاف بأنّه له الاستيلاء على الكلّ، وتعظيم المضاف إليه بأنّ له هذا الربّ الشامل التربية والكاملها(١)، والله أعلم.

هذا آخر الروضة الثانية عشرة من رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد العابدين، وقد وفّق الله سبحانه لإتمامها وقطف وجني وردها من أكمامها في الليلة الزهراء المسفر صباحها عن اليوم الأغر، وهي ليلة الجمعة لإحدىٰ عشرة خلت من ذي القعدة الحرام أحد شهور سنة ثمان وتسعين بعد الألف.

ومن الله نستمدّ ونستعين أن يوفّق لإتمام الرياض الباقية، وأن يجعل علينا من عوارض العوائق جنّة واقية، إنّه على كلّ شيء قدير وبالإجابة جدير.

وكتبه مؤلّفه العبد علي بن أحمد الحسيني عفا الله عنهما ولله الحمد.

---

(١) هكذا في (ب) و(ج) ولكن في (الف) وكاملها، وهذا هو الصحيح.

فهرس الموضوعات

الروضة الثالثة

الروضة الرابعة

الروضة الخامسة

الروضة السادسة

الروضة السابعة

الروضة الثامنة

فهرس فواتح الجمل من أدعية الصحيفة

فواتح الأدعية — الصفحة

الدعاء الثالث

الدعاء الرابع

الدعاء الخامس

الدعاء السادس

الدعاء التاسع

الدعاء العاشر

يا غني الاغنياء ها نحن عبادك بين يديك وانا افقر الفقراء اليك ٤٣١

فـاجبر فاقتنا بوسـعك ولا تقطع رجاءنا بمنـعك .فتكون قد اشقـيت من استسعد

بك وحرمت من استرفد فضلك ٤٣٣

فالى من حينئذ منقلبنا عنك والى أين مذهبنا عن بابك ٤٣٤

سـبحانـك نحن المضطرون الـذيـن اوجبت اجـابتهـم ، واهل السوء الـذين

وعدت الكشف عنهم ٤٣٥

واشبه الاشياء بمشيتـك وأولى الأُمور بك في عظمتك رحمة مـن استرحمك وغوث

من استغاث بك ٤٣٦

فارحم تضرعـنا اليـك وأغثنا اذ طـرحنا انـفسنا بين يديـك .اللهـم ان الشيطان

قد شمت بنا اذ شايعناه على معصيتك ٤٣٨

فصل على محمد وآله ولا تشمته بنا بعد تركنا اياه لك ورغبتنا عنه اليك ٤٣٩

الدعاء الحادي عشر

يا من ذكره شرف للذاكرين ٤٤٧

و يا من شكره فوز للشاكرين ٤٤٩

و يا من طاعته نجاة لـلمطيعين. فصل على محمد وآله واشغل قلوبنا بذكرك عن

كل ذكر ٤٥١

وألسنتنا بشكرك عـن كل شكر. وجوارحـنا بطاعتك عن كل طاعة فان قدرت

لنا فراغا من شغل فاجعله فراغ سلامة لا تدركنا ٤٥٣

فيه تبعة ولا تلحقنا فيه سأمة ٤٥٤

حتى ينصرف عنا كتاب السيئات بصحيفة خالية من ذكر سيئاتنا و يتولى كتاب

الحسنات عنا مسرورين بماكتبوا من حسناتنا واذا انقضت ايام حياتنا وتصرّمت

مدد اعمارنا واستحضرتنا دعوتك التي لا بد منها ومن اجابتها ،فصل على محمد وآله

واجعل ختام ما تُحصي علينا كتبةُ أعمالنا توبة مقبولة ٤٥٦

لا توقفنا بعدها على ذنب اجترحناهُ ولا معصية اقترفناها ٤٥٩

الدعاء الثاني عشر

ويا ارحم من انتابه المسترحمون، ويا اعطف من اطاف به المستغفرون ٤٩٦

ويا من عفوه اكثر من نقمته، ويا من رضاه او فرمن سخطه ٤٩٧

ويا من تحمد الى خلقه بحسن التجاوز، ويا من عوّد عباده قبول الانابة و

يامن استصلح فاسد هم بالتوبة ٤٩٩

و يا من رضيَ من فعلهم باليسير ويا من كافى قليلهم بالكثير ٥٠٢

ويا من ضمن لهم إجابة الدعاء، ويامن وعدهم على نفسه بتفضله حسن الجزاء ٥٠٣

ما انا بـأعصىٰ من عصاك فغفرت له، وما أنا بألوم من اعتذراليك فقبلت

منه، وما انا باظلم من تاب اليك فعدت عليه ٥٠٥

اتوب اليك في مقامي هذا توبة نادم علىٰ ما فرط منه، مشفق مما اجتمع

عليه، خالص الحياء مما وقع فيه ٥٠٨

عالم بان العفو عن الذنب العظيم لا يتعاظمك، وان التجاوز عن الاثم

الجليل لا يستصعبك ،وان احتمال الجنايات الفاحشة لايتكأدك ٥١٠

وان احب عبادك اليك من ترك الاستكبار عليك وجانب الاصرار

ولزم الاستغفار وانا ابرأ اليك من ان استكبر، وأعوذ بك من ان أصِـرّ،

واستغفرك لما قصرت فيه، واستعين بك علىٰ ما عجزت عنه ٥١٣

اللهم صل علىٰ محمد وآله وهب لي ما يجب علي لك، وعافني مما استوجبه

منك واجرني مما يخافه اهل الاساءة ٥١٤

فانك مليء بالعفو، مرجو للمغفرة، معروف بالتجاوز ٥١٥

ليس لحاجتي مطلبِ سواك، ولا لذنبي غافر غيرك حاشاك ولا أخاف على

نفسي الا اياك ٥١٦

انك اهل التقوى واهل المغفرة. صل على محمد وآل محمد واقض حاجتي

وانجح طلبتي واغفر ذنبي وآمن خوف نفسي ٥١٨

انك على كلّ شيء قدير وذلك عليك يسير ٥١٩

آمين رب العالمين ٥٢٠

فهرس الآيات

(٢) سورة البقرة

(٣) سورة آل عمران

(٤) سورة النساء

(٥) سورة المائدة

(٧) سورة الأعراف

(٨) سورة الأنفال

(٩) سورة التوبة

(١٠) سورة يونس

(١٣) سورة الرعد

(١٤) سورة ابراهيم

(١٥) الحجر

(١٦) سورة النحل

(٢٠) سورة طه

(٢١) سورة الأنبياء

(٢٢) سورة الحجّ

(٢٣) سورة المؤمنون

(٢٤) سورة النور

(٢٨) سورة القصص

(٢٩) سورة العنكبوت

(٣٠) سورة الروم

(٣٢) سورة السّجدة

(٣٣) سورة الأحزاب

(٣٤) سورة سبأ

(٣٥) سورة فاطر

(٤٠) سورة غافر

(٤١) سورة فصلّت

(٤٢) سورة الشورى

(٥٧) سورة الحديد

(٥٨) سورة المجادلة

(٥٩) سورة الحشر

(٦٠) سورة الممتحنة

(٦٩) سورة الحاقة

(٧١) سورة نوح

(٧٤) سورة المدّثر

(٧٥)سورة القيامه

(٧٦) سورة الإنسان

(٨٣) سورة المطففين

(٨٦) سورة الطارق

(٨٧) سورة الأعلى

(٨٩) سورة الفجر

(٩٠) سورة البلد

(٩١) سورة الشمس

فهرس الأحاديث

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف العين

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء